

مَجَانِي الْأَدَبِ

فِي

حَدَائِقِ الْعَرَبِ

جمع

أحد الآباء اليسوعيين

مدرس البيان في كلية القديس يوسف

الجزء الثاني



طبعة رابعة مصححة

في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٨٨٩

بيروت معارف عيسى طرغمدن نشرته رخصت الأستاذ

حقوق طبع محفوظة للمطبعة

مَجَانِي الْأَدَبِ

في

حَدَائِقِ الْعَرَبِ

جمع

أحد الآباء اليسوعيين

مدرس البيان في كلية القديس يوسف

الجزء الثاني



طبعة رابعة مصححة

في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٨٨٩

بيروت معارف عيسى طرخدن شريمه رخصت المستدر

حقوق طبعه محفوظة للمطبعة

الْبَابُ الْأَوَّلُ

فِي التَّدِينِ

فِي الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ تَعَالَى وَالشُّكْرِ عَلَيْهِ

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَاحِدٌ لَا أَوَّلَ لَوْجُودِهِ وَلَا آخِرَ لِبَدْيَتِهِ . قِيَوْمٌ لَا يُفْنِيهِ الْآبَدُ . وَلَا يُغَيِّرُهُ الْأَمَدُ . بَلْ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ . مُنْزَعٌ عَنِ الْجِسْمِيَّةِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ . وَهُوَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ . فَوْقِيَّتُهُ لَا تَزِيدُهُ بَعْدًا عَنْ عِبَادِهِ وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى الْعَبِيدِ . مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ . وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ . وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَا كُنْتُمْ . لَا يُشَابِهُ قُرْبَهُ قُرْبُ الْأَجْسَامِ . كَمَا لَا يُشَابِهُ ذَاتُهُ ذَوَاتُ الْأَجْرَامِ . مُنْزَعٌ عَنْ أَنْ يَحْدَهُ زَمَانٌ . مُقَدَّسٌ عَنْ أَنْ يُحِيطَ بِهِ مَكَانٌ . تَرَاهُ أَبْصَارُ الْأَبْرَارِ . فِي دَارِ الْقَرَارِ . عَلَى مَا دَأَّتْ عَلَيْهِ الْآيَاتُ وَالْأَخْبَارُ . حَيٌّ قَادِرٌ . جَبَّارٌ . قَاهِرٌ . لَا يَعْتَرِيهِ عَجْزٌ وَلَا قُصُورٌ . وَلَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ . لَهُ الْمُلْكُ وَالْمُلْكُوتُ . وَالْعِزَّةُ وَالْجَبْرُوتُ . خَلَقَ الْخَلْقَ وَقَدَّرَ أَرْزَاقَهُمْ وَأَجَالَهُمْ . لَا تَحْصِي قُدُورَاتُهُ . وَلَا تَدْنَاهِي مَعْلُومَاتُهُ . عَالِمٌ بِجَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ . لَا يَنْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءَاتِ . يَعْلَمُ السِّرَّ وَالْخَفِيَّ وَيَطَّلِعُ عَلَى هَوَاجِسِ الضَّمَائِرِ . وَخَفِيَّاتِ السَّرَائِرِ . مُرِيدٌ لِلْكَائِنَاتِ . مُدَبِّرٌ لِلْحَادِثَاتِ . لَا يَجْرِي فِي مُلْكِهِ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ . جَلِيلٌ وَلَا حَقِيرٌ . نَفْعٌ أَوْ ضَرٌّ إِلَّا بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ وَحُكْمِهِ . فَمَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ

يَسْأَلُ لَمْ يَكُنْ . فَهُوَ الْمُبْدِي الْمُعِيدُ . الْقَاعِلُ لِمَا يُرِيدُ . لَا مُعْتَبَرٌ لِحُكْمِهِ .
وَلَا رَادٌّ لِقَضَائِهِ . وَلَا مَهْرَبٌ لِعَبْدٍ عَنْ مَعْصِيَتِهِ . إِلَّا بِتَوْفِيقِهِ وَرَحْمَتِهِ .
وَلَا قُوَّةَ لَهُ عَلَى طَاعَتِهِ . إِلَّا بِمُحِبَّتِهِ وَإِرَادَتِهِ . يَتِمُّ بِصِيرٍ مُتَكَلِّمٍ بِكَلَامٍ
لَا يُشَبِّهُ كَلَامَ خَلْقِهِ . وَكُلُّ مَا سِوَاهُ سُجْدَانَهُ وَتَعَالَى فَهُوَ حَادِثٌ أَوْجَدَهُ
بِنُدْرَتِهِ . وَمَا مِنْ حَرَكَةٍ وَسُكُونٍ إِلَّا وَلَهُ فِي ذَلِكَ حِكْمَةٌ دَالَّةٌ عَلَى
وَحْدَانِيَّتِهِ . قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يَعْصِي الْإِلَهَ أَمَّ كَيْفَ يُجَدِّدُ الْجَاوِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ
وَلِلَّهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ وَتَسْكِينَةٍ فِي الْوَرَى شَاهِدُ
وَقَالَ غَيْرُهُ :

كُلُّ مَا تَرْتَقِي إِلَيْهِ بِهِمْ مِنْ جَلَالٍ وَقُدْرَةٍ وَسَنَاءٍ
فَالَّذِي أَبْدَعَ الْبَرِيَّةَ أَعْلَى مِنْهُ سُجْدَانُ مُبْدِعِ الْأَشْيَاءِ
(مستقطف الإلهي)

تنزيه الخالق تعالى

٢ إِعْلَمَنَّ أَنَّ الْبَارِيَّ تَعَالَى لَيْسَ لَهُ صُورَةٌ وَلَا قَابٌ . وَأَنَّهُ تَعَالَى لَا
يَنْزِلُ وَلَا يَخْلُ فِي قَابٍ . وَأَنَّهُ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنِ الْكَيْفِ وَالْأَلَمِ . وَعَنْ
لَمَّا ذَاوَلَمْ . وَأَنَّهُ لَا يُشَبِّهُهُ شَيْءٌ . وَكَلَّمَا يَخْطُرُ فِي أَلْوَاهِمِ وَالْحَيَالِ
وَالْفِكْرِ مِنَ التَّكْيِيفِ وَالتَّشْبِيلِ . فَإِنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ . لِأَنَّ تِلْكَ مِنْ
صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ وَهُوَ خَالِقُهَا فَلَا يُوصَفُ بِهَا . وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّهُ لَيْسَ

فِي مَكَانٍ وَلَا عَلَى مَكَانٍ . فَإِنَّ الْمَكَانَ لَا يَخْصُرُهُ وَكُلُّ مَا فِي الْعَالَمِ
 فَإِنَّهُ تَحْتَ عَرْشِهِ وَعَرْشُهُ تَحْتَ قُدْرَتِهِ وَتَسْخِيرِهِ فَإِنَّهُ قَبْلَ خَلْقِ الْعَالَمِ
 كَانَ مُنْزَهَا عَنِ الْمَكَانِ . وَلَيْسَ الْعَرْشُ بِحَامِلٍ لَهُ بَلِ الْعَرْشُ وَحَمَلَتْهُ
 يَحْمِلُهُمْ لُطْفُهُ وَقُدْرَتُهُ . وَأَنَّهُ تَقَدَّسَ عَنِ الْحَاجَةِ إِلَى الْمَكَانِ قَبْلَ
 خَلْقِهِ الْعَالَمِ وَبَعْدَ خَلْقِهِ وَأَنَّهُ مُتَّصِفٌ بِالصِّفَةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا فِي
 الْأَزَلِ . وَلَا سَبِيلَ لِلتَّغْيِيرِ وَالْإِنْقِلَابِ إِلَى صِفَاتِهِ . وَهُوَ سُجَّانُهُ
 مُتَقَدِّسٌ عَنْ صِفَاتِ الْخُلُوقِ مُنْزَهُ . وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مَرْنِيٌّ كَمَا نَعْلَمُهُ
 فِي الدُّنْيَا بِالْمِثْلِ وَلَا شِبْهٍ . كَذَلِكَ زَادَ فِي الْآخِرَةِ بِالْمِثْلِ وَلَا شِبْهٍ .
 لِأَنَّ تِلْكَ الرُّؤْيَا لَا تُشَابِهُ رُؤْيَا الدُّنْيَا . لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ

(التبر المسبوك للغزالي)

عظمة الخائف

٣ قَالَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ :

كَيْفَ الْمَرْءُ لَيْسَ الْمَرْءُ يُدْرِكُهَا فَكَيْفَ كَيْفِيَّةَ الْجَبَّارِ بِالْقَدَمِ
 هُوَ الَّذِي أَنْشَأَ الْأَشْيَاءَ مُبْتَدِعًا فَكَيْفَ يُدْرِكُهُ مُسْتَحْدَثُ النَّسَمِ
 قَالَ آخِرُ :

تَبَارَكَ اللَّهُ فِي عِلْيَاءِ عِزَّتِهِ فَكَلَّ كُلُّ لِسَانٍ عَنْ تَعَالِيهِ
 لَا كَوْنٌ يَخْصُرُهُ لَا عَيْنٌ تَنْظُرُهُ لَا كَشْفٌ يُظَاهِرُهُ لَا جَهْرٌ يُبْدِيهِ
 حَارَتْ جَمِيعُ الْوَرَى فِي كُنْهِ قُدْرَتِهِ فَلَيْسَ يُدْرِكُ مَعْنَى مِنْ مَعَانِيهِ
 سُجَّانُهُ وَتَعَالَى فِي جَلَالَتِهِ وَجَلَّ عِزًّا وَأُطْفَأَ فِي تَسَامِيهِ

٤ قَالَ حَكِيمٌ : أَشْهَدُ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ آيَاتٌ دَالَّاتٌ .
 وَشَوَاهِدٌ قَائِمَاتٌ . كُلُّ يُوَدِّي عَنْهُ الْحُجَّةَ وَيَشْهَدُ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ . وَقَالَ
 آخَرُ : سَلِ الْأَرْضَ مِنْ غَرَسَ أَشْجَارَكَ . وَشَقَّ أَنْهَارَكَ . وَجَنَى
 ثِمَارَكَ . فَإِنْ لَمْ تُجِبْكَ إِخْبَارًا . أَجَابَتْكَ أَعْتَابًا . وَقَالَ الشَّاعِرُ :
 لَقَدْ جِئْتُ أَبْنِي لِنَفْسِي مُجِيرًا فَجِئْتُ الْجِبَالَ وَجِئْتُ الْبُحُورَا
 فَقَالَ لِي الْبَحْرُ إِذْ جِئْتُهُ فَكَيْفَ يُجِيرُ ضَرِيرُ ضَرِيرَا

رحمة الله

٥ سَمِعَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَّاضٍ رَجُلًا يَشْكُو بَلَاءً نَزَلَ بِهِ فَقَالَ : يَا هَذَا
 أَتَشْكُو مِنْ يَرْحَمُكَ إِلَى مَنْ لَا يَرْحَمُكَ (العقد الفريد لابن عبد ربه)
 آيَاتٌ عَنْ فَمِ الرَّحْمَانِ :

فَكَمْ لَيْتَ عَبْدِي إِذْ دَعَانِي وَرَاعَيْتُ الْوَدَادَ وَمَا رَعَانِي
 أَنَا الْمُرْخِي السُّورِ عَلَى الْمَعَاصِي عَلَى الْعَبْدِ الْجُسُورِ إِذَا عَصَانِي
 وَأَصْفَحُ لِلْإِثْمِ إِذَا أَتَانِي وَعَاتَبَ نَفْسَهُ عَمَّا جَفَانِي
 وَإِنْ نَادَانِي الْخَاطِي بِصَدَقٍ وَإِخْلَاصٍ حَوَى كُلَّ الْمَعَانِي
 فَمَنْ يَأْتِي إِلَيَّ يَنْكَالُ عِزًّا وَيَنْحَظِي بِالْمَسْرَةِ وَالْأَمَانِي
 (فِي الْخَبَرِ) إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَاقَ جَهَنَّمَ مِنْ فَضْلِ رَحْمَتِهِ سَوَاطًا يَسُوقُ
 بِهِ عِبَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ . (وَفِي الْخَبَرِ أَيْضًا) إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : إِنَّمَا خَلَقْتُ
 الْخَلْقَ لِيَرْبُحُوا عَلَيَّ وَلَمْ أَخْلُقْهُمْ لِأَرْبَحَ عَلَيْهِمْ

(الكشكول لبهاء الدين العاملي)

محبة الخالق

٦ كُلُّ فِعْلٍ يُقَرِّبُ صَاحِبَهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ بِرٌّ . وَلَا يَحْصُلُ التَّقَرُّبُ
إِلَيْهِ إِلَّا بِالتَّهَرِّي عَمَّنْ سِوَاهُ . فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئًا فَقَدْ حُجِبَ عَنِ اللَّهِ
تَعَالَى وَأَشْرَكَ بِشِرْكَائِهِ خَفِيًّا لِتَعَلُّقِ مَحَبَّتِهِ بِغَيْرِ اللَّهِ سُجَّانَهُ (للقاشاني)
دَخَلَ هَارُونُ عَلَى بَعْضِ النُّسَاكِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ . فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ
أَيُّهَا الْمَلِكُ أَتَحِبُّ اللَّهَ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَتَعْصِيهِ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ :
كَذَبْتَ وَاللَّهِ فِي حُبِّكَ إِيَّاهُ إِنَّكَ لَوْ أَحْيَيْتَهُ لَمَّا عَصَيْتَهُ . ثُمَّ أُنْشِدَ
يَقُولُ :

تَعْصِي الْأِلَهِ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ هَذَا أَعْمَرِي فِي الْفِعَالِ بَدِيعُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ إِنَّ الْحُبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ
فِي كُلِّ يَوْمٍ يَبْتَغِيكَ بِنِعْمَةٍ مِنْهُ وَأَنْتَ لِشُكْرِ ذَاكَ مُضِيعُ
(سراج الملوك للطرطوشي)

قَالَ عِزُّ الدِّينِ الْمُقَدِّسِيُّ :

قَبِيحٌ عَلَى قَلْبٍ يَذُوبُ صَبَابَةً
وَتَنْظُرُ عَيْنَاهُ لِحُسْنِ سِوَاهُ
أَيَجْمَلُ أَنْ تَهْوَى هَوَاهُ وَتَدَّعِي
سِوَاهُ وَمَا فِي الْكَوْنِ يُعْشَقُ إِلَّا هُوَ
فَإِنْ كَانَ مَنْ تَهْوَاهُ فِي الْحُسْنِ وَاحِدًا
فَكُنْ وَاحِدًا فِي الْحُبِّ إِنْ كُنْتَ تَهْوَاهُ

٧ مِنْ كَلَامِ ابْنِ زُهْرَةَ الْأَنْدَلِسِيِّ : لَا يَكُونُ الْعَبْدُ مُحِبًّا لِخَالِقِهِ
 حَتَّى يَبْذُلَ نَفْسَهُ فِي مَرْضَاتِهِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً . فَيَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ قَلْبِهِ أَنَّهُ
 لَا يُرِيدُ إِلَّاهُ . وَسُئِلَ مَا عَلَامَةُ الْعَارِفِ فَقَالَ : عَدَمُ التُّنُورِ عَنْ
 ذِكْرِهِ وَعَدَمُ الْمَلَالِ مِنْ حَقِّهِ وَعَدَمُ الْأَنْسِ بغيرِهِ . وَقَالَ : لَيْسَ الْعَجَبُ
 مِنْ جِيئِكَ وَأَنَا عَبْدٌ فَقِيرٌ . وَلَكِنَّ الْعَجَبُ مِنْ حُبِّكَ لِي وَأَنْتَ
 مَلِكٌ قَدِيرٌ
 (لبهاء الدين العاملي)

حمد الله

٨ قَالَ بَعْضُهُمْ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ بِقَدْرِ اللَّهِ لَا قَدْرَ وَسِعَ الْعَبْدُ ذِي التَّنَاهِي
 قَالَ مُحَمَّدُ الْوَرَّاقُ :

إِلَهِي لَكَ الْحَمْدُ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ عَلَى نِعَمٍ مَا كُنْتُ قَطُّ لَهَا أَهْلًا
 أَرِيدُكَ تَقْصِيرًا تَرِدُنِي تَفْضُلًا كَأَنِّي بِالتَّقْصِيرِ أَسْتَوْجِبُ الْفَضْلَ
 وَلَهُ أَيْضًا :

أَيُّ رَبِّ قَدْ أَحْسَنْتَ عَوْدًا وَبَدَأَةً إِلَيَّ فَلَمْ يَنْهَضْ بِإِحْسَانِكَ الشُّكْرُ
 فَمَنْ كَانَ ذَا عُدْرٍ إِلَيْكَ وَحُجَّةٍ فَعُدْرِي إِقْرَارِي بِأَنْ لَيْسَ لِي عُذْرٌ
 قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّؤَلِيُّ :

وَإِذَا طَلَبْتَ عَنِ الْحَوَائِجِ حَاجَةً فَادْعِ الْإِلَهَ وَأَحْسِنِ الْأَعْمَالَ
 إِنَّ الْعِبَادَ وَشَأْنَهُمْ وَأُمُورَهُمْ يَبْدِ الْإِلَهَ يُقَابُ الْأَحْوَالُ
 فَدَعِ الْعِبَادَ وَلَا تَكُنْ بِطَلَابِهِمْ لَهْجًا تَضَعُضِعُ الْعِبَادَ سُؤَالًا

وَمِمَّا أوردَهُ الْأَصْبَهَانِيُّ عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ السَّيِّدِيِّ قَوْلُهُ :
 لَا تَحْضَمَنَّ لِخَلْقٍ عَلَى طَمَعٍ فَإِنَّ ذَاكَ مُضِرٌّ مِنْكَ بِالْدِّينِ
 وَارْتَبْ إِلَى اللَّهِ مِمَّا فِي خَزَائِنِهِ فَإِنَّمَا هُوَ بَيْنَ الْكَافِ وَالنُّونِ
 أَمَا تَرَى كُلَّ مَنْ تَرَجُّو وَتَأْمُلُهُ مِنْ الْخَلَائِقِ مِسْكِينَ ابْنَ مِسْكِينَ
 (الاعاني)

الرجاء بالله والتوكل عليه

٩ لما حضر بشر بن المنصور الموت فرح فقيل له : اتفرح بالموت
 فقال : أتجعلون قدومي على خالق أرجوه كمقامي مع مخلوق أخافه
 قال الشيخ شهاب :

تَوَكَّلْ عَلَى الرَّحْمَنِ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ فَمَا خَابَ حَقًّا مَنْ عَلَيْهِ تَوَكُّلًا
 وَكُنْ وَاثِقًا بِاللَّهِ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِهِ تَفَرُّ بِالَّذِي تَرَجُّوه مِنْهُ تَقْضَى لَا
 وَلِلَّهِ الشَّافِعِي حَيْثُ يَقُولُ :

وَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي جَعَلْتُ رَجَائِي نَحْوَ عَفْوِكَ سُلَّمًا
 تَعَاظَمَنِي ذُنُوبِي فَلَمَّا قَرَنْتَهُ بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمًا
 قِيلَ لِأَعْرَابِي وَقَدْ مَرِضَ : إِنَّكَ تَمُوتُ . قَالَ : وَإِذَا مِتُّ فَإِلَى
 أَيْنَ يُذْهَبُ بِي . قَالُوا : إِلَى اللَّهِ . قَالَ : فَمَا كَرَاهَتِي أَنْ يُذْهَبَ بِي
 إِلَى مَنْ لَمْ أَرَ الْخَيْرَ إِلَّا مِنْهُ

الدعاء الى الله

١٠ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا وَهُوَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ : اللَّهُمَّ إِنِّي

أَسْأَلُكَ عَمَلِ الْخَائِفِينَ وَخَوْفَ الْعَامِلِينَ حَتَّى أَتَّعَمَ بِتَرْكِ النِّعَمِ .
 طَمَعًا فِيَّ وَعَدَتْ وَخَوْفًا يَمَّا أُوْعِدْتُ . اللَّهُمَّ أَعِزَّنِي مِنْ سَطَوَاتِكَ
 وَأَجِرْنِي مِنْ نَقَمَاتِكَ . سَبَقْتَ لِي ذُنُوبٌ وَأَنْتَ تَغْفِرُ لِمَنْ يَحُوبُ
 إِلَيْكَ بَلْ أَتَوَسَّلُ وَأَفِرُّ مِنْكَ إِلَيْكَ

العفو من الله

١١ قَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ :

إِلَهِي لَا تُعَذِّبْنِي فَإِنِّي مُقِرُّ بِالَّذِي قَدْ كَانَ مِنِّي
 فَمَا لِي حِيلَةٌ إِلَّا رَجَائِي بِعَفْوِكَ إِن عَفَوْتَ وَحَسَنُ ظَنِّي
 فَكَمْ مِنْ زَلَّةٍ لِي فِي الْخَطَايَا نَضَضْتُ أَنَا بِلِي وَقَرَعْتُ سَنِي
 يَظُنُّ النَّاسُ بِي خَيْرًا وَإِنِّي لَشَرُّ الْخَلَائِقِ إِن لَمْ تُغْفِرْ عَنِّي
 (دُعَاءُ) اللَّهُمَّ إِنَّ مَغْفِرَتَكَ أَرْجَى مِنْ عَمَلِي وَإِنَّ رَحْمَتَكَ أَوْسَعُ
 مِنْ ذَنْبِي . اللَّهُمَّ إِن لَمْ أَكُنْ أَهْلًا أَنْ أَبْلُغَ رَحْمَتَكَ فَارْحَمْتُكَ أَهْلُ
 أَنْ تُبَلِّغَنِي لِأَنَّهَا وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ

١٢ (دُعَاءُ آخِرُ) . اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَتَمِّكَ الْعَظِيمِ الْأَعْظَمِ
 الْأَعَزِّ الْأَجَلِ الْأَكْرَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ عَلَى مَغَالِقِ أَبْوَابِ السَّمَاءِ
 لَفُتِحَ بِالرَّحْمَةِ أَنْفَتَحَتْ . وَإِذَا دُعِيَ بِهِ عَلَى مَضَاقِ أَبْوَابِ الْأَرْضِ
 لَتَفْرَجَ أَنْفَرَجَتْ . وَإِذَا دُعِيَ بِهِ عَلَى الْعُسْرِ لِلْيُسْرِ تَيَسَّرَتْ . وَإِذَا
 دُعِيَ بِهِ عَلَى الْأَمْوَاتِ لِلنُّشُورِ انْتَشَرَتْ . وَإِذَا دُعِيَ بِهِ عَلَى كَشْفِ
 الْبَاسَاءِ وَالضَّرَاءِ انْكَشَفَتْ . وَبِجَلَالِ وَجْهِكَ الْكَرِيمِ الْكَرَّمِ الْوُجُودِ .

وَأَعَزَّ الْوُجُوهَ . الَّذِي عَنَتَ لَهُ الْوُجُوهُ . وَخَضَعَتْ لَهُ الرِّقَابُ . وَخَشَعَتْ
لَهُ الْأَصْوَاتُ . وَوَجِلَتْ لَهُ الْقُلُوبُ . مِنْ مَخَافَتِكَ . وَبِقُوَّتِكَ الَّتِي
تُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِكَ . وَتُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا . وَبِشِيَّتِكَ الَّتِي دَانَ لَهَا الْعَالَمُونَ . وَبِكَلِمَتِكَ
الَّتِي خَلَقْتَ بِهَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ . وَبِحِكْمَتِكَ الَّتِي صَنَعْتَ بِهَا
الْعَجَائِبَ وَخَلَقْتَ بِهَا الظُّلُمَةَ وَجَعَلْتَهَا لَيْلًا . وَجَعَلْتَ اللَّيْلَ سَكَنًا .
وَخَلَقْتَ بِهَا النُّورَ وَجَعَلْتَهُ نَهَارًا . وَجَعَلْتَ النَّهَارَ نُشُورًا مُبْصِرًا . وَخَلَقْتَ
بِهَا الشَّمْسَ وَجَعَلْتَ الشَّمْسَ ضِيَاءً . وَخَلَقْتَ بِهَا الْقَمَرَ وَجَعَلْتَ الْقَمَرَ
نُورًا . وَخَلَقْتَ بِهَا الْكَوَاكِبَ وَجَعَلْتَهَا نُجُومًا وَرُجُومًا وَمَصَابِيحَ وَزِينَةً
وَرُجُومًا . وَجَعَلْتَ لَهَا مَشَارِقَ وَمَغَارِبَ . وَجَعَلْتَ لَهَا مَطَالِعَ وَمَجَارِي .
وَجَعَلْتَ لَهَا فَلَكَامًا وَمَسَابِجَ وَقَدَّرْتَهَا فِي السَّمَاءِ مَنَازِلَ . فَأَحْسَنْتَ
تَقْدِيرَهَا . وَصَوَّرْتَهَا فَأَحْسَنْتَ تَصْوِيرَهَا . وَأَخَصَيْتَهَا بِأَسْمَائِكَ إِخْصَاءً .
وَدَبَّرْتَهَا بِحِكْمَتِكَ تَدْبِيرًا . فَأَحْسَنْتَ تَدْبِيرَهَا . وَتَخَرَّجْتَ بِهَا سُلْطَانَ
اللَّيْلِ وَسُلْطَانَ النَّهَارِ وَالسَّاعَاتِ وَعَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ . وَجَعَلْتَ
رُؤْيَا لِكُلِّ نَاسٍ مَرَأًى وَاحِدًا (لبهاء الدين)

اغراء بآثار الدين

١٣ قَالَ لُقْمَانُ لِأَبْنِهِ : إِنَّ الدُّنْيَا بَحْرٌ عَرِيزٌ قَدْ هَلَكَ فِيهِ الْأَوَّاءُونَ
وَالْآخِرُونَ . فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَجْعَلَ سَفِينَتَكَ تَقْوَى اللَّهَ وَعُدَّتَكَ

أَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ وَزَادَكَ الْعَمَلُ الصَّالِحَ فَإِنْ نَجَّوْتَ فَبِرَحْمَةِ اللَّهِ وَإِنْ
هَلَكَتَ فَبِذُنُوبِكَ (لَا بَنَ عَبْدِ رَبِّهِ)

أَرَى رِجَالًا بِأَذْنَى الدِّينِ قَدْ قَتَعُوا
وَلَا أَرَاهُمْ رَضُوا فِي الْعَيْشِ بِالْذُّونِ
فَأَسْتَفِنَ بِالْدِّينِ عَنْ دُنْيَا الْمُلُوكِ كَمَا
أَسْتَفِنَى الْمُلُوكُ بِدُنْيَا هُمْ عَنْ الدِّينِ

مِنْ الدِّيَّانِ الْمُنْسُوبِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ :
أَبْنِي إِنْ مِنْ الرِّجَالِ بَهِيمَةً فِي صُورَةِ الرَّجُلِ السَّمِيعِ الْبَصِيرِ
فُطِنَ إِكْلَ رَزِيَّةٍ فِي مَالِهِ فَإِذَا أُصِيبَ بِدِينِهِ لَمْ يَشْعُرْ
قَالَ الرَّافِعِيُّ :

أَقِيمَا عَلَى بَابِ الرَّحِيمِ أَقِيمَا
وَلَا تَنْيَا فِي ذِكْرِهِ فَتَهَيَّا
هُوَ الْبَابُ مَنْ يَقْرَعُ عَلَى الصِّدْقِ بَابَهُ
يَجِدُهُ رَوُودًا بِالْعِبَادِ رَحِيمًا
(إِبْرَاهِيمُ الدِّينِ)

قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ :

حَتَّى مَتَى ذُو النَّيِّهِ فِي تَيْبِهِ أَصْلَحَهُ اللَّهُ وَعَافَاهُ
يَنْتَبِهُ أَهْلُ النَّيِّهِ مِنْ جَهَانِهِمْ وَهُمْ يَمُوتُونَ وَإِنْ تَأْهَوَا
مَنْ طَلَبَ الْعِزَّ لِيَبْقَى بِهِ فَإِنَّ عِزَّ الْمَرْءِ تَقْوَاهُ

ذكر فروع شجرة الايمان اي الاعمال

١٤ الأَعْمَالُ الَّتِي هِيَ فُرُوعُ الْإِيمَانِ هِيَ تَجَنُّبُ الْمَحَارِمِ وَأَدَاءُ
الْفَرَائِضِ . وَهِيَ قِسْمَانِ أَحَدُهُمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى مِثْلُ الصَّوْمِ
وَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالْعَقَّةِ عَنِ الْحَرَامِ . وَالْأُخْرَى مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ
الْخَلْقِ وَهِيَ الْعَدْلُ فِي الرَّعِيَّةِ وَالْكَفُّ عَنِ الظُّلْمِ . وَالْأَصْلُ فِي
ذَلِكَ أَنْ تَعْمَلَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْخَلْقِ تَعَالَى مِنْ طَاعَةِ أَمْرِهِ
وَالْإِزْدِجَارِ بِزَجْرِهِ مَا يَخْتَارُ أَنْ يَعْتَمِدَهُ عَبْدُكَ فِي حَقِّكَ . وَأَنْ تَعْمَلَ
فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ النَّاسِ مَا تُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ مَعَكَ مَنْ سِوَاكَ إِذَا كَانَ
غَيْرَكَ السُّلْطَانَ وَكُنْتَ مِنْ رَعِيَّتِهِ . وَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَا كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ
الْخَلْقِ تَعَالَى فَإِنَّ عَفْوَهُ قَرِيبٌ وَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . أَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِظُلْمِ
الْخَلْقِ فَإِنَّهُ لَا يَتَجَاوَزُ بِهِ عَنْكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَخَطَرُهُ
عَظِيمٌ وَلَا يَسْلَمُ مِنْ هَذَا الْخَطَرِ أَحَدٌ مِنَ الْمُلُوكِ إِلَّا مَلِكٌ عَمِلَ بِالْعَدْلِ
فِي رَعِيَّتِهِ (للغزالي)
قَالَ الْمَعْرِيُّ :

لَوْ يَعْلَمُ الْإِنْسَانُ مِقْدَارَهُ لَمْ يَفْخَرْ الْمَوْلَى عَلَى عَبْدِهِ
لَوْ لَا سَجَايَاهُ وَأَخْلَاقُهُ لَكَانَ كَالْمَعْدُومِ فِي وَجْدِهِ
وَمَجْدُهُ أَفْعَالُهُ لَا الَّذِي مِنْ قَبْلِهِ كَانَ وَلَا بَعْدَهُ

١٥ كَانَ يَزِيدُ الرِّقَاشِي يَقُولُ : يَا يَزِيدُ مَنْ يَقُومُ عَنْكَ أَوْ يُصَلِّي
لَكَ أَوْ يَتَرَضَّى لَكَ رَبَّكَ إِذَا مِتَّ . وَكَانَ خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ يَقُولُ :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَزْرَعْ وَأَبْصَرْتَ حَاصِدًا
نَدِمْتَ عَلَى التَّقْرِيطِ فِي زَمَنِ الْبَذْرِ
مِمَّا يُنْسَبُ لِحَضْرَةِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ :

إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا فُطِنَا طَلَعُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا انْفِتْنَا
نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيِّ وَطِنَا
جَعَلُوهَا لِحَيٍّ وَأَتَّخَذُوا صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سُنَنًا
مِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْأَكْبَارِ: أَيْسَ الْعِيدُ. لِمَنْ لَيْسَ الْجَدِيدُ. إِنَّمَا
الْعِيدُ لِمَنْ أَمِنَ الْوَعِيدَ. سَأَلَ بَعْضُ الرُّهْبَانِ مَتَى عِيدُكُمْ. فَقَالَ: يَوْمَ
لَا نَعْبُدُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَذَلِكَ عِيدُنَا. لَيْسَ الْعِيدُ لِمَنْ لَيْسَ
الْمَلَأْسُ الْفَاحِشَةَ. إِنَّمَا الْعِيدُ لِمَنْ أَمِنَ عَذَابَ الْآخِرَةِ. لَيْسَ الْعِيدُ
لِمَنْ لَيْسَ الرَّقِيقُ. إِنَّمَا الْعِيدُ لِمَنْ عَرَفَ الطَّرِيقَ (لبهاء الدين)
١٦ قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ:

تَرْجُو النِّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَسْرِ
وَقَالَ الْآخَرُ:

إِغْمَلْ وَأَنْتَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى حَذَرٍ وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَبْعُوثُ
وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ مَا قَدَّمْتَ مِنْ عَمَلٍ يُحْصَى عَلَيْكَ وَمَا خَلَّفْتَ مَوْزُوثُ
وَقَالَ غَيْرُهُ:

إِخْزَنْ عَلَى أَنَّكَ لَا تَحْزَنْ وَلَا تُسِيْءُ إِنْ كُنْتَ لَا تُحْسِنُ
وَأَضْعُفْ عَنِ الشَّرِّ كَمَا تَدْعِي ضَعْفًا عَنِ الْخَيْرِ وَقَدْ يُمْكِنُ

قَالَ الْحَسَنُ : بَادِرُوا بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ قَبْلَ حُلُولِ الْأَجْلِ . فَإِنْ لَكُمْ مَا أَمْضَيْتُمْ لَا مَا أَبْقَيْتُمْ

الحجاج والاعرابي

١٧ خَرَجَ الْحَجَّاجُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَصْحَرَ وَحَضَرَ غَدَاؤُهُ . فَقَالَ : أَطْلُبُوا مَنْ يَتَعَدَّى مَعَنَا . فَطَلَبُوا فَلَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَعْرَابِيًّا فِي شِمْلَةٍ فَأَتَوْدُهُ . قَالَ لَهُ : هَلُمَّ . قَالَ لَهُ : قَدْ دَعَانِي مَنْ هُوَ أَكْرَمُ مِنْكَ فَأَجَبْتُهُ . قَالَ : وَمَنْ هُوَ . قَالَ : اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى دَعَانِي إِلَى الصِّيَامِ فَأَنَا صَائِمٌ . قَالَ : صَوْمٌ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ عَلَى حَرٍّ . قَالَ : صُمْتُ لِيَوْمٍ هُوَ أَحْرَمُنُهُ . قَالَ : فَأَفْطِرِ الْيَوْمَ وَتَصُومَ غَدًا . قَالَ : وَيَضْمَنُ لِي الْأَمِيرُ أَنْ أَعِيشَ إِلَى غَدٍ . قَالَ : لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيَّ . قَالَ : فَكَيْفَ تَسْأَلُنِي عَاجِلًا بِأَجَلٍ لَيْسَ لِي إِلَيْهِ سَبِيلٌ . قَالَ : إِنَّهُ طَعَامٌ طَيِّبٌ . قَالَ : وَاللَّهِ مَا طَيِّبُهُ خَبَارُكَ وَلَا طَبَاخُكَ وَلَكِنْ طَيِّبَتُهُ الْعَافِيَةُ . قَالَ الْحَجَّاجُ : تَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ

(لابن عبد ربه)

الصلاة

١٨ إِنَّ الصَّلَاةَ عِمَادُ الدِّينِ وَعَصَامُ لِقَيْنِ وَرَأْسُ الْقُرْبَاتِ وَغُرَّةُ الطَّاعَاتِ . قَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّ الصَّلَاةَ تَسْكُنُ وَتَوَاضِعُ وَتَضَرُّعُ وَتَأَوُّدُ وَتَتَادَمُ . وَرَوَى عَنْ اللَّهِ سُجْدَانَهُ فِي الْكُتُبِ السَّائِفَةِ أَنَّهُ قَالَ : لَيْسَ كُلُّ مُصَلٍّ أَتَقَبَّلُ صَلَاتَهُ . إِنَّمَا أَقْبَلُ صَلَاةَ مَنْ تَوَاضَعَ لِعَظَمَتِي وَلَمْ يَتَكَبَّرْ عَلَى عِبَادِي وَأَطْعَمَ الْفَقِيرَ الْجَائِعَ لَوَجْهِهِ (الحياء علوم الدين للغزالي)

تَفَقَّدَ هِشَامٌ بَعْضَ وَلَدِهِ فَلَمْ يُحْضِرِ الْجُمُعَةَ فَقَالَ : مَا مَنَعَكَ مِنْ
الصَّلَاةِ . قَالَ : نَفَقَةُ دَابَّتِي . قَالَ : أَفَعَجَزْتَ عَنِ الْمَشْيِ . فَمَنَعَهُ الدَّابَّةُ
مَنَةً (لأبي الفرج)

خَسِرَ الَّذِي تَرَكَ الصَّلَاةَ وَخَابَا وَابَى مَعَادًا صَالِحًا وَمَا بَا
إِنْ كَانَ يَحْجِدُهَا فَحَسْبُكَ أَنَّهُ أَضْحَى بِرَبِّكَ كَأَفْرًا مُرْتَابًا
أَوْ كَانَ يَتْرَكُهَا لِنَوْعِ تَكَاسُلٍ غَطَى عَلَى وَجْهِ الصَّوَابِ حِجَابًا
١٩ (بَيَانُ اخْتِلَافِ الْخَلْقِ فِي لَذَاتِهِمْ) . أَنْظِرْ إِلَى الصَّبِيِّ فِي أَوَّلِ
حَرَكَتِهِ وَتَمْيِيزِهِ فَإِنَّهُ يَظْهَرُ فِيهِ غَرِيزَةٌ بِهَا يَسْتَلِذُّ اللَّعِبَ حَتَّى يَكُونَ
ذَلِكَ عِنْدَهُ الَّذِي مِنْ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ . ثُمَّ يَظْهَرُ فِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ أَسْتَلِذُّ
الْأَلْهَوِ وَابْسِ الثِّيَابِ الْمُلَوَّنَةِ وَرُكُوبِ الدَّوَابِّ الْفَارِهِةِ فَيَسْتَحِفُّ مَعَهُ
اللَّعِبَ بَلْ يَسْتَحْجِنُهُ . ثُمَّ يَظْهَرُ فِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ لَذَّةُ الزَّيْنَةِ وَالْمَنْزِلِ
وَالْحَدَمِ فَيَحْتَقِرُ مَا سِوَاهَا لَهَا . ثُمَّ يَظْهَرُ فِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ لَذَّةُ الْجَاهِ
وَالرِّئَاسَةِ وَالتَّكَاثُرِ مِنَ الْمَالِ وَالتَّفَاخُرِ بِالْأَعْوَانِ وَالْإِتِّبَاعِ وَالْأَوْلَادِ
وَهَذَا آخِرُ لَذَاتِ الدُّنْيَا . وَإِلَى هَذِهِ الْمَرَاتِبِ أَشَارَ الْقَائِلُ : إِنَّمَا الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ . ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَدْ أَظْهَرَ لَذَّةَ الْعِلْمِ
بِاللَّهِ تَعَالَى وَالْقُرْبِ مِنْهُ وَالْحُبَّةِ لَهُ وَالْقِيَامِ بِوُضَائِفِ عِبَادَاتِهِ وَتَرْوِيجِ
الرُّوحِ بِمُنَاجَاتِهِ فَيَسْتَحَقِرُ مَعَهَا جَمِيعَ اللِّذَاتِ السَّابِقَةِ وَيَتَعَجَّبُ مِنْ
الْمُنْهَمِكِينَ فِيهَا . وَكَأَنَّ طَالِبَ الْجَادِ وَالْأَالِ يَضْحَكُ مِنْ لَذَّةِ الصَّبِيِّ
بِاللَّعِبِ بِالْجُوزِ مَثَلًا كَذَلِكَ صَاحِبُ الْمَعْرِفَةِ وَالْحُبَّةِ يَضْحَكُ مِنْ لَذَّةِ

الطَّالِبِ الْجَاهِ وَالْمَالِ . وَأَنْتَهَى بِوُصُولِهِ إِلَى ذَلِكَ

لذَاتِ الْجَنَّةِ

٢٠ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ فِي الْجَنَّةِ مَا لَا عَيْنَ رَأَتْ وَلَا أذنَ سَمِعَتْ

وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ (لبهاء الدين)

قَالَ بَعْضُهُمْ :

أَلَا قُلْ لِسُكَّانِ وَادِي الْحَمَى هَنِيئًا لَكُمْ فِي الْجَنَّاتِ الْخُلُودِ
أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ فَيُضَا فَتَحْنُ عِطَاشٌ وَأَنْتُمْ وَرُودُ

أَلْبَابُ الثَّانِي

فِي الزُّهْدِ

حدّ الزهد

٢١ قِيلَ لِلزُّهْرِيِّ مَا الزُّهْدُ . قَالَ : أَمَا أَنَّهُ لَيْسَ تَشَعِثَ اللَّمَّةَ وَلَا

قَشَفَ الْهَيْئَةَ . وَلَكِنَّهُ صَرْفُ النَّفْسِ عَنِ الشَّهْوَةِ . وَقِيلَ لِأَخْرَ : مَا

الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا قَالَ : أَنْ لَا يَغِيبَ الْحَرَامُ صَبْرَكَ . وَلَا الْحَلَالُ شُكْرَكَ .

وَقِيلَ لِمُحَمَّدِ بْنِ وَائِعٍ : مَنْ أَزْهَدُ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا . قَالَ : مَنْ لَا يُبَالِي

بِيدٍ مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا . وَقِيلَ لِلْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ : مَنْ أَزْهَدُ النَّاسِ فِي

الدُّنْيَا . قَالَ : مَنْ لَمْ يَطْلُبِ الْمُنْقُودَ حَتَّى يَفْقِدَ الْمَوْجُودَ

(لابن عبد ربه)

٢٢ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الدُّنْيَا كَالْمَاءِ الْمَالِحِ كُلَّمَا أُرْدَادَ صَاحِبُهُ شَرِبًا أُرْدَادَ عَطْشًا . وَكَأَنَّكَ لَكَأْسٌ مِنَ الْعَسَلِ فِي أَسْفَلِهِ السُّمُّ فَلِلذَّائِقِ مِنْهُ حَلَاوَةٌ عَاجِلَةٌ وَفِي أَسْفَلِهِ أَمُوتُ الذُّعَافِ . وَكَأَحْلَامِ النَّائِمِ الَّتِي تُفْرِحُهُ فِي مَنَامِهِ فَإِذَا اسْتَيْقَظَ انْقَطَعَ الْفَرَحُ . وَكَأَلْبَرْقِ الَّذِي يُضِيءُ قَلِيلًا وَيَذْهَبُ وَشِيكًَا وَيَبْقَى رَاجِيهِ فِي الظُّلَامِ مُقِيمًا . وَكَدَوْدَةٍ الْإِبْرِيْسِمِ الَّتِي لَا يَزْدَادُ إِلَّا يَرِيْسِمُ عَلَى نَفْسِهَا لَهَا إِلَّا أُرْدَادَتْ مِنَ الْخُرُوجِ بَعْدًا وَفِيهِ قِيلَ :

كَدُودٌ كَدُودِ الْقَرْ يُسْجُ دَائِمًا وَيَهْلِكُ غَمًّا وَنَسْجُهُ مَا هُوَ نَاسِجُهُ

الراهب والمسافر

٢٣ قَالَ وَهَبُ بْنُ مُنَبِّهٍ : صَحِبَ رَجُلٌ بَعْضَ الرُّهْبَانِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ لِيَسْتَفِيدَ مِنْهُ شَيْئًا فَوَجَدَهُ مَشْغُولًا عَنْهُ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْفِكْرِ لَا يَفْتَرُ . فَالْتَقَتْ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ فَقَالَ : يَا هَذَا قَدْ عَلِمْتُ مَا تُرِيدُ . حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَالزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَيْرٍ . فَأَحْذَرِ رَأْسَ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَارْتَعِبْ فِي رَأْسِ كُلِّ خَيْرٍ . وَتَضَرَّعْ إِلَى رَبِّكَ أَنْ يَهَبَ لَكَ تَاجَ كُلِّ خَيْرٍ . قَالَ : فَكَيْفَ أَعْرِفُ ذَلِكَ . قَالَ : كَانَ جَدِّي رَجُلًا مِنَ الْحُكَمَاءِ قَدْ شَبَّهَ الدُّنْيَا بِسَبْعَةِ أَشْيَاءَ فَشَبَّهَهَا بِالْمَاءِ الْمَالِحِ يَغْرُ وَلَا يَدْوِي . وَيَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ . وَبِالْبَرْقِ الْخَلْبِ يَغْرُ وَلَا يَنْفَعُ . وَبِالسَّحَابِ الصَّيْفِ يَمُرُّ وَلَا يَنْفَعُ . وَبِظُلِّ النِّعَمِ يَغْرُ وَيَخْذُلُ .

وَبَزْهَرِ الرَّيْعِ يَنْضُرُ . ثُمَّ يَصْفَرُ فَتَرَاهُ هَشِيماً . وَبِأَحْلَامِ النَّائِمِ يَرَى
السُّرُورَ فِي مَنَامِهِ فَإِذَا اسْتَيْقَظَ لَمْ يَكُنْ فِي يَدِهِ إِلَّا الْحُسْرَةُ . وَبِالْعَسَلِ
الْمَشُوبِ بِالسَّمِّ الزُّعَافُ يَغُرُّ وَيَقْتُلُ

٢٤ كَتَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِلَى سُلَيْمَانَ إِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْحَيَّةِ
لَئِنْ لَمَسَهَا وَيَقْتُلُ سُمُّهَا . فَأَعْرِضْ عَنْهَا وَعَمَّا يُعْجِبُكَ مِنْهَا لِقَلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ
مِنْهَا . وَدَعْ عَنْكَ هُمُومَهَا لِمَا تَيَقَّنْتَ مِنْ فِرَاقِهَا . وَكُنْ أَسْرَماً تَكُونُ فِيهَا
أَحْذَرُ مَا تَكْرَهُ مِنْهَا . فَإِنَّ صَاحِبَهَا كُلَّمَا أَطْمَأَنَّ فِيهَا إِلَى سُرُورِ أَشْخَصٍ
مِنْهَا إِلَى مَكْرُوهٍ . وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ :

هِيَ الدَّارُ دَارُ الْأَذَى وَالْقَذَى وَدَارُ الْغُرُورِ وَدَارُ الْغَيْرِ
فَلَوْ نَلْتَمَسَا بِحِذَائِهَا لَمَتَّ وَلَمْ تَقْضِ مِنْهَا الْوَطْرُ
أَيَا مَنْ يُؤَمِّلُ طُولَ الْحَيَاةِ وَطُولُ الْحَيَاةِ عَلَيْهِ خَطَرُ
إِذَا مَا كَبُرَتْ وَبَانَ الشَّبَابُ فَلَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ بَعْدَ الْكِبَرِ
مِنَ الدِّيَوَانِ الْمُنْسُوبِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ :

حَلَاوَةُ دُنْيَاكَ مَسْمُومَةٌ فَمَا تَأْكُلُ الشَّهْدَ إِلَّا بِسَمِّ
فَكُنْ مُوسِراً شِئْتَ أَوْ مُعْسِراً فَمَا تَقْطَعُ الدَّهْرَ إِلَّا بِهِمْ
إِذَا تَمَّ أَمْرٌ بَدَأَ نَقْصُهُ تَوَقَّعْ زَوَالاً إِذَا قِيلَ تَمَّ

٢٥ قَالَ حَكِيمُ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ : تُرِيدُ أَنْ أُرِيكَ الدُّنْيَا . فَقَالَ : نَعَمْ .
فَأَخَذَ بِيَدِهِ وَأَنْطَلَقَ حَتَّى وَقَفَ بِهِ عَلَى مَرْبَلَةٍ فِيهَا رُؤُوسُ الْآدَمِيِّينَ
مُلْقَاةً . وَبَقَايَا عِظَامِ نَخْرَةٍ وَخِرْقٍ قَدْ تَمَزَّقَتْ وَتَلَوَّتْ بِنَجَاسَاتٍ . فَقَالَ :

هَذِهِ رُؤُوسُ النَّاسِ الَّتِي تَرَاهَا كَانَتْ مِثْلَ رُؤُوسِكُمْ كَانَتْ مَمْلُوءَةً مِنْ
الْجُرْصِ وَالْإِجْتِهَادِ عَلَى جَمْعِ الدُّنْيَا . وَكَانُوا يَدْجُونَ مِنْ طُولِ الْأَعْمَارِ
مَا تَرْجُونَ . وَكَانُوا يَجِدُونَ فِي جَمْعِ أُمَالٍ وَعِمَارَةِ الدُّنْيَا كَمَا تَجِدُونَ .
فَالْيَوْمَ ثَوَتْ عِظَامُهُمْ وَتَلَاشَتْ أَجْسَامُهُمْ كَمَا تَرَى . وَهَذِهِ الْحُرْقُ
كَانَتْ أَثْوَابُهُمُ الَّتِي كَانُوا يَتَرَتَّبُونَ بِهَا عِنْدَ التَّجَمُّلِ وَقْتَ الرُّعُونَةِ
وَالْتَّجَمُّلِ وَالتَّرَتُّبِ . فَالْيَوْمَ قَدْ أَلْقَاهَا الرِّيحُ فِي النَّجَاسَاتِ . وَهَذِهِ
عِظَامُ دَوَابِّهِمُ الَّتِي كَانُوا يَطُوفُونَ أَقْطَارَ الْأَرْضِ عَلَى ظُهُورِهَا . وَهَذِهِ
النَّجَاسَاتُ كَانَتْ أَطْعِمَتَهُمُ اللَّذِيذَةُ الَّتِي كَانُوا يَحْتَالُونَ فِي تَحْصِيلِهَا لَا
يَقْرَبُهَا أَحَدٌ مِنْ نَتْنِهَا . فَهَذِهِ جَمَلَةُ أَحْوَالِ الدُّنْيَا كَمَا تُشَاهِدُ وَتَرَى .
فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْكِيَ عَلَى الدُّنْيَا فَلْيَبْكْ فَإِنَّهَا مَوْضِعُ الْبُكَاءِ . قَالَ : فَبَكَى
جَمَاعَةُ الْحَاضِرِينَ

وَلِلَّهِ الْحَرِيدِي حَيْثُ قَالَ :

يَا طَالِبَ الدُّنْيَا الدِّينِيَّةِ إِنَّهَا شَرُّكَ الرَّدَى وَقَرَارَةُ الْأَنْدَارِ
دَارُ مَتَى مَا أَضْحَكْتَ فِي يَوْمِهَا أَبْكْتَ نَدَامًا تَبَالُهَا مِنْ دَارِ
غَارَاتِهَا لَا تَنْقُضِي وَأَسِيرُهَا لَا يُفْتَدَى بِجَلَالِ الْأَخْطَارِ
فَاقْطَعِ عِلَاقَ حُبِّهَا وَطِلَاقِهَا تَلَقَّ الْمُدَى وَرَوَاهَةَ الْأَسْرَارِ
٢٦ مِثْلُ أَهْلِ الدُّنْيَا وَاشْتَغَالِهِمْ وَاهْتِمَامِهِمْ بِأَحْوَالِهَا وَنِسْيَانِ الْآخِرَةِ
وَإِهْمَالِهَا كَمِثْلِ قَوْمٍ رَكِبُوا مَرْكَبًا فِي الْبَحْرِ فَعَدَلُوا إِلَى جَزِيرَةٍ لِأَجْلِ
قَضَاءِ الْحَاجَةِ . فَنَزَلُوا إِلَى الْجَزِيرَةِ وَالْمَلَّاحُ يَتَادِيهِمْ لَا تُطِيلُوا أَلَمُكُمُ

لَا يَفُوتَ الْوَقْتُ وَلَا تَسْتَغْلُوا بِغَيْرِ الصَّلَاةِ فَإِنَّ الْمَرْكَبَ سَازٍ .
فَمَضَوْا وَتَفَرَّقُوا فِي الْجَزِيرَةِ وَأَنْتَشَرُوا فِي نَوَاحِيهَا فَأَلْعَلَّاهُمْ مِنْهُمْ لَمْ يَمَكُشُوا
وَعَادُوا إِلَى الْمَرْكَبِ . فَوَجَدُوا الْأَمَاكِنَ خَالِيَةً فَجَلَسُوا فِي أَطْهَرِ أَمَاكِنِهِ
وَأَوْفَقِيهَا . وَأَطْيَبِ مَوَاضِعِهِ وَأَرْفَقِيهَا . وَمِنْهُمْ قَوْمٌ نَظَرُوا إِلَى عَجَائِبِ تِلْكَ
الْجَزِيرَةِ . وَوَقَفُوا يَتَنَزَّهُونَ فِي زَهْرِهَا وَأَثَارِهَا . وَرَوْضِهَا وَأَشْجَارِهَا .
وَيَسْمَعُونَ رَنَمَ أَطْيَارِهَا . وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْ حَصْبَائِهَا الْمَلُونَةِ وَأَحْجَارِهَا . فَلَمَّا
عَادُوا إِلَى الْمَرْكَبِ لَمْ يَجِدُوا فِيهِ مَوْضِعًا وَلَا رَأًوًا مَسْعًا . فَتَعَدُّوا فِي
أَضْيَقِ مَوَاضِعِهِ وَأَظْلَمِهَا . وَمِنْهُمْ قَوْمٌ وَقَفُوا مَعَ عَجَائِبِ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ .
تَتَنَزَّهُوا فِي الرُّجُوعِ لَمْ يَتَفَكَّرُوا . حَتَّى سَارَ الْمَرْكَبُ فَبَعْدُوا عَنْهُ
وَأَنْقَطَعُوا فِي أَمَاكِنِهِمْ وَتَحَلَّفُوا . إِذْ لَمْ يُصْغُوا إِلَى الْأَنَادِيِّ وَلَمْ يَسْمَعُوا .
فَمِنْهُمْ مَنْ هَلَكَ مِنَ الْجُوعِ وَمِنْهُمْ مَنْ أَكَلَتْهُ السَّبَاعُ . وَنَهَشَتْهُ الضَّبَاعُ .
فَالْقَوْمُ الْمُتَقَدِّمُونَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ . وَالْقَوْمُ الْمُتَخَلِّفُونَ
أَهْلُ الْكُفْرِ . هُمُ الَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ وَنَسُوا الْآخِرَةَ وَسَلَّمُوا كَلِيمَتِهِمْ إِلَى
الدُّنْيَا وَرَكَنُوا إِلَيْهَا وَاسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ . وَأَمَّا الْجُمَاعَةُ
الْمُتَوَسِّطُونَ فَهُمْ الْعَصَاةُ الَّذِينَ حَفِظُوا أَصْلَ الْإِيمَانِ وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَكْفُوا
يَدَهُمْ عَنِ الدُّنْيَا . فَمِنْهُمْ مَنْ تَمَتَّعَ بِغِنَاهُ وَنِعْمَتِهِ . وَمِنْهُمْ مَنْ تَمَتَّعَ مَعَ فَقْرِهِ
وَحَاجَتِهِ . إِلَى أَنْ ثَقُلَتْ أَوْزَارُهُمْ . وَكَثُرَتْ أَوْسَاحُهُمْ وَأَصَارُهُمْ

(لاغزالي)

٢٧ لَمَّا حَضَرَتْ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ الْوَفَاةُ نَظَرَ إِلَى أَهْلِهِ يَبْكُونَ

حَوْلَهُ فَقَالَ : جَادَ لَكُمْ هِشَامٌ بِالدُّنْيَا وَجُدْتُمْ لَهُ بِالْبُكَاءِ . وَتَرَكَ لَكُمْ مَا
جَمَعَ وَتَرَكَتُمْ عَلَيْهِ مَا حَمَلَ . مَا أَعْظَمَ مُنْقَلَبَ هِشَامٍ إِنْ لَمْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ
قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ :

أَيَّامُنْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا طَوِيلًا وَأَفْنَى الْعُمُرِ فِي قِيلٍ وَقَالَ
وَأَتَّبَعَ نَفْسَهُ فِيمَا سَيَفَنِي وَجَمَعَ مِنْ حَرَامٍ أَوْ حَلَالٍ
هَبِ الدُّنْيَا تُقَادُ إِلَيْكَ عَفْوًا أَلَيْسَ مَصِيرُ ذَلِكَ الزَّوَالِ

(للطرطوشي)

زوال الدنيا

٢٨ إَعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا مَنَزَلَةٌ وَلَيْسَتْ بِدَارِ قَرَارٍ وَالْإِنْسَانُ فِيهَا عَلَى
صُورَةِ مُسَافِرٍ . فَأَوَّلُ مَنَازِلِهِ بَطْنُ أُمِّهِ وَآخِرُ مَنَازِلِهِ لَحْدُ قَبْرِهِ . وَإِنَّمَا
وَطْنُهُ وَقَرَارُهُ وَمُكْنَتُهُ وَأَسْتِقْرَارُهُ بَعْدَهَا . فَكُلُّ سَنَةٍ تَنْقُضِي مِنْ عُمُرِ
الْإِنْسَانِ كَأَمْرِ حَلَةٍ . وَكُلُّ شَهْرٍ يَنْقُضِي مِنْهُ كَأَسْتِرَاحَةِ الْمُسَافِرِ فِي
سَفَرِهِ . وَكُلُّ أُسْبُوعٍ فَكْرِيَّةٌ تَلْقَاهُ فِي طَرِيقِهِ . وَكُلُّ يَوْمٍ فَكْفَرٌ يَنْخُ
يَقْطَعُهُ . وَكُلُّ نَفْسٍ فَكْخُطْوَةٌ يَخْطُوهَا . وَبِقَدْرِ كُلِّ نَفْسٍ يَنْفَسُهُ
يَقْرُبُ مِنَ الْآخِرَةِ . وَهَذِهِ الدُّنْيَا قَنْطَرَةٌ فَمَنْ عَبَرَ الْقَنْطَرَةَ وَاشْتَغَلَ
بِعِمَارَتِهَا فَنِيَ فِيهَا زَمَانُهُ . وَأَنْسَى الْمَنَزِلَةَ الَّتِي إِلَيْهَا مَصِيرُهُ وَهِيَ مَكَانُهُ .
وَكَانَ جَاهِلًا غَيْرَ عَاقِلٍ . وَإِنَّمَا الْعَاقِلُ الَّذِي لَا يَشْتَغِلُ فِي دُنْيَاهُ إِلَّا
بِأَعْدَادِ زَادِهِ لِمَعَادِهِ . وَيَكْتَفِي مِنْهَا بِقَدْرِ حَاجَتِهِ . وَمَهْمَا جَمَعَهُ مِنْهَا
فَوْقَ كِفَايَتِهِ كَانَ سُمَّاقَاتِلًا . وَتَمَنَّى أَنْ تَكُونَ جَمِيعُ خَزَائِنِهِ وَسَائِرُ

ذَخَائِرِهِ فَإِنَّهُ رَمَادًا وَتُرَابًا لَا فِضَّةَ وَذَهَبًا . وَلَوْ جَمَعَ مَهْمَا جَمَعَ فَإِنَّمَا
 يُصِيبُهُ مَا يَأْكُلُهُ وَيَلْبَسُهُ لَا سِوَادُ . وَجَمِيعُ مَا يُخَلِّفُهُ يَكُونُ حَسْرَةً وَنَدَامَةً
 وَيَصْغَبُ عَلَيْهِ نَزْعُهُ عِنْدَ مَوْتِهِ . فَحَالُهَا حِسَابٌ . وَحَرَامُهَا عَذَابٌ . إِنْ
 كَانَ قَدْ جَمَعَ الْمَالَ مِنْ حَلَالٍ طَلَبَ مِنْهُ الْحِسَابُ . وَإِنْ كَانَ قَدْ جَمَعَهُ
 مِنْ حَرَامٍ أَوْجِبَ عَلَيْهِ الْعِقَابُ . وَكَانَ أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ حَسْرَةِ حُلُولِ
 الْعَذَابِ بِهِ فِي حُفْرَتِهِ وَآخِرَتِهِ . وَأَعْلَمُ أَنَّ رَاحَةَ الدُّنْيَا أَيَّامُ قَلِيلٍ
 وَكَثْرَتُهَا مُنْقَصٌ بِالتَّعَبِ . وَمَشُوبٌ بِالنَّصَبِ . وَبَسْبِهَا تَفُوتُ رَاحَةُ
 الدُّنْيَا الْآخِرَةِ الَّتِي هِيَ الدَّائِمَةُ الْبَاقِيَةُ وَالْمَلَكُ الَّذِي لَا يَفْنَى وَلَا
 نِهَآيَةَ لَهُ . فَسَهْلٌ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَصْبِرَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْقَلِيلِ لِنَيْلِ
 رَاحَةٍ دَائِمَةٍ إِلَّا أَنْقِضَاءُ . الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِشَيْءٍ فِي جَنْبِ الْآخِرَةِ وَلَا
 نِسْبَةٍ بَيْنَهُمَا لِأَنَّ الْآخِرَةَ لَا نِهَآيَةَ لَهَا وَلَا يَدْرِكُ أَلْوَهُمُ طُولُهَا (لِلْمُغْزَالِي)
 ٢٩ لَمَّا بَنَى الْمَأْمُونُ بْنُ ذِي النُّونِ وَكَانَ مِنْ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ قَصْرَهُ
 وَأَنْفَقَ فِي بَنَائِهِ يُّوتَ أَمْوَالِهِ فُجَاءَ عَلَى اكْتِمَالِ بُنْيَانٍ فِي الْأَرْضِ .
 وَكَانَ مِنْ عَجَائِبِهِ أَنَّهُ صَنَعَ فِيهِ بَرَكَةَ مَاءٍ كَأَنَّهَا بُحَيْرَةٌ . وَبَنَى فِي وَسْطِهَا
 قُبَّةً وَسَبَقَ الْمَاءُ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ حَتَّى عَلَا إِلَى رَأْسِ الْقُبَّةِ عَلَى تَدْيِيرِ
 قَدْ أَحْكَمَهُ الْمُهَنْدِسُونَ . وَكَانَ الْمَاءُ يَنْزِلُ مِنْ أَعْلَى الْقُبَّةِ حَوْلَئِهَا مُحِيطًا
 بِهَا مُتَّصِلًا بَعْضُهُ بِبَعْضٍ . فَكَانَتِ الْقُبَّةُ فِي غَلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ سَكْبًا لَا
 يَفُتُّ وَالْمَأْمُونُ قَاعِدٌ فِيهَا . فَرُوي عَنْهُ أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ نَائِمٌ إِذْ سَمِعَ مُنْشِدًا
 يُنْشِدُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ :

أَتَبْنِي بِنَاءَ الْحَالِدِينَ وَإِنَّمَا مَقَامُكَ فِيهَا لَوْ عَقَلْتَ قَلِيلُ
لَقَدْ كَانَ فِي ظِلِّ الْأَرَاكِ كِفَايَةٌ لِمَنْ كَانَ يَوْمًا يَقْتَضِيهِ رَجِيلُ
فَلَمْ يَلْبَثْ بَعْدَهَا إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى قَضَى نَحْبَهُ (للطرطوشي)

قَالَ بَعْضُ الْأَكْبَارِ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ مِنْ قَصِيدَةٍ :
نَمَضِي كَمَا مَضَتْ الْقَبَائِلُ قَبْلَنَا لَسْنَا بِأَوَّلِ مَنْ دَعَاهُ الدَّاعِي
تَبَقَى النُّجُومُ دَوَائِرُ أَفْلَاكُهَا وَالْأَرْضُ فِيهَا كُلُّ يَوْمٍ نَاعٍ
وَزَخَارِفُ الدُّنْيَا نَجُورُ خِدَائِهَا أَبَدًا عَلَى الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ

خطبة ابي الدرداء في اهل الشام

٣٠ لَمَّا دَخَلَ أَبُو الدَّرْدَاءِ الشَّامَ قَالَ : يَا أَهْلَ الشَّامِ اسْمَعُوا قَوْلَ أَخٍ
لَكُمْ نَاصِحٍ . فَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ فَقَالَ : مَا لِي أَرَاكُمْ تَبْنُونَ مَا لَا تَسْكُنُونَ .
وَتَجْمَعُونَ مَا لَا تَأْكُلُونَ . وَتَقُولُونَ مَا لَا تُدْرِكُونَ . إِنَّ الَّذِينَ كَانُوا
قَبْلَكُمْ بَنَوْا مَشِيدًا . وَأَمَلُوا بَعِيدًا . وَجَمَعُوا كَثِيرًا . فَأَصْبَحَ أَمْلَهُمْ
غُرُورًا . وَجَمَعَهُمْ بُورًا . وَمَسَاكِينُهُمْ قُبُورًا

وَرَوَى الْجَاهِظُ قَالَ : وَجَدَ مَكْتُوبًا عَلَى حَجَرٍ : ابْنُ آدَمَ . لَوْ رَأَيْتَ
يَسِيرَ مَا بَقِيَ مِنْ أَجَالِكَ . لَزَهَدْتَ فِي طُولِ مَا تَرْجُو مِنْ أَمَلِكَ .
وَلَرَغَبْتَ فِي الزِّيَادَةِ مِنْ عَمَلِكَ . وَلَقَصَرْتَ عَنْ حِرْصِكَ وَمَمِيلِكَ .
وَإِنَّمَا يَلْقَاكَ غَدًا نَدَمُكَ . وَقَدْ زَلَّتْ بِكَ قَدَمُكَ . وَأَسْلَمَكَ أَهْلُكَ
وَحَشَمُكَ . وَتَبَرَّأَ مِنْكَ الْقَرِيبُ . وَأَنْصَرَفَ عَنْكَ الْحَلِيبُ . فَلَا أَنْتَ
فِي عَمَلِكَ زَانِدٌ . وَلَا إِلَى أَهْلِكَ عَائِدٌ (للطرطوشي)

قَالَ فَخَرَّ الدِّينَ الْبَكْرِيُّ :

نَهَايَةُ إِقْدَامِ الْعُقُولِ عَقَالُ وَأَكْثَرُ سَعْيِ الْعَالَمِينَ ضَلَالُ
وَأَرْوَاحُنَا فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا وَحَامِلُ دُنْيَانَا أَذَى وَوَبَالُ
وَلَمْ نَسْتَفِدْ عَنْ بَحْنِنَا طَوْلَ عُمرِنَا سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قِيلَ وَقَالُوا
وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ رِجَالٍ وَدَوْلَةٍ فَبَادُوا جَمِيعًا مُسْرِعِينَ وَزَالُوا
قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

لِكُلِّ اجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فُرْقَةٌ وَإِنَّ الَّذِي دُونَ الْفِرَاقِ قَلِيلُ
أَرَى عِلَالَ الدُّنْيَا عَلَى كَثِيرَةٍ وَصَاحِبُهَا حَتَّى الْمَمَاتِ عَالِيلُ
وَإِنْ أُفْتَقَدِي وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ دَلِيلٌ عَلَى أَنْ لَا يَدُومَ خَالِيلُ
وَقَالَ أَيْضًا :

أَلَا أَيُّهَا الْمَوْتُ الَّذِي لَيْسَ تَارِكِي أَرْحَنِي فَقَدْ أَفْنَيْتَ كُلَّ خَلِيلِ
أَرَاكَ بَصِيرًا بِالَّذِينَ أَحْبَبْتَهُمْ كَأَنَّكَ تَنْحُو نَحْوَهُمْ بِدَلِيلِ
وَقَالَ بَعْضُ بَنِي صُبَّةَ :

أَقُولُ وَقَدْ فَاضَتْ دُمُوعِي حَرَّةً

أَرَى الْأَرْضَ تَبْقَى وَالْأَخْلَاءُ تَذْهَبُ

أَخْلَائِي لَوْ غَيْرُ الْحَمَامِ أَصَابَكُمْ

عَبَّتْ وَأَبْكُنْ مَا عَلَى الْمَوْتِ مَعْتَبُ

(للطرطوشي)

٣١ الدُّنْيَا لَا تَصْفُو لِشَارِبٍ . وَلَا تَبْقَى لِصَاحِبٍ . يُقَالُ كَانَ عَلَى قَبْرِ

يَعْقُوبَ بْنِ لَيْثٍ مَكْتُوبٌ . هَذِهِ الْأَنْبِيَاءُ عَمَلَهَا قَبْلَ مَوْتِهِ وَأَمَرَ أَنْ
تُكْتَبَ عَلَى قَبْرِهِ وَهِيَ هَذِهِ :

سَلَامٌ عَلَى أَهْلِ الْقُبُورِ الدَّوَارِسِ كَانَتْهُمْ لَمْ يَجْلِسُوا فِي الْمَجَالِسِ
وَلَمْ يَشْرَبُوا مِنْ بَارِدِ الْمَاءِ شَرْبَةً وَلَمْ يَأْكُلُوا مَا بَيْنَ رَطْبٍ وَيَابِسٍ
فَقَدْ جَاءَنِي الْمَوْتُ الْمُهُولُ بِسَكْرَةٍ فَلَمْ تُنَجِّنِي مِنْهُ أَلُوفُ فَوَارِسِ
فَيَا زَائِرَ الْقَبْرِ اتَّعِظْ وَاعْتَبِرْ بِنَا وَلَا تَكُ فِي الدُّنْيَا هَدَيْتَ بِنَاسِ

(للغزالي)

قَالَ ابْنُ سَادَةَ :

بَنُو الدُّنْيَا بِجَهْلِ عَظَمُوهَا فَجَلَّتْ عَنْهُمْ وَهِيَ الْحَقِيرَةُ
يَهَارِشُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَيْهَا مَهَارِشَةُ الْكِلَابِ عَلَى الْعَقِيرَةِ
قَالَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ :

إِذَا عَاشَ الْفَتَى سِتِينَ عَامًا فَنِصْفُ الْعُمْرِ تَحْقُقهُ اللَّيَالِي
وَنِصْفُ النَّصْفِ يَذْهَبُ لَيْسَ يَدْرِي لِعَقَلَتِهِ يَمِينًا عَنْ شِمَالِ
وَتَأْتِ النِّصْفِ آمَالٌ وَحِرْصٌ وَشُغْلٌ بِالْمَكَايِبِ وَالْعِيَالِ
وَبَاقِي الْعُمْرِ أَسْقَامٌ وَشَيْبٌ وَهُمْ بِأَرْتِحَالٍ وَأَنْتِقَالِ
فَحُبُّ الْمَرْءِ طَوْلَ الْعُمْرِ جَهْلٌ وَقِسْمَتُهُ عَلَى هَذَا الْمِثَالِ
٣٢ يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ لَا تُخْدَعَنَّ كَمَا خُدِعَ مَنْ قَبْلَكَ . فَإِنَّ الَّذِي أَصْبَحَتْ
فِيهِ مِنَ النِّعَمِ إِنَّمَا صَارَ إِلَيْكَ بِمَوْتٍ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ وَهُوَ خَارِجٌ مِنْ
يَدِكَ مِثْلَ مَا صَارَ إِلَيْكَ . فَلَوْ بَقِيَتْ الدُّنْيَا لِلْعَالَمِ لَمْ تَصِرْ لِلْجَاهِلِ . وَلَوْ

بَقِيَتْ لِلأَوَّلِ لَمْ تَنْتَقِلْ لِلآخِرِ . يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا كُلُّهَا ذَهَبًا
وَفِضَّةً ثُمَّ سَلِمْتَ عَلَيْكَ بِالْخِلَافَةِ وَأَلَمْتَ إِلَيْكَ مَقَالِيدَهَا وَأَفْلَاحَ
كِبِدِهَا ثُمَّ كُنْتَ صَرِيدَةً لِلْمَوْتِ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَتَهَنَّا بِعَيْشٍ .
لَا تَخْرَفِيَا بِذُولٍ وَلَا غِنَى فِيمَا يَفْنَى

٣٣ قَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ : رَكِبَ مَلِكٌ يَوْمًا فِي زِيٍّ عَظِيمٍ فَتَشَرَّفَ
لَهُ النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ أَفْوَاجًا حَتَّى مَرَّ بِرَجُلٍ يَعْمَلُ شَيْئًا مُكَبًّا عَلَيْهِ لَا
يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ وَلَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ . فَوَقَّفَ الْمَلِكُ عَلَيْهِ وَقَالَ : كُلُّ النَّاسِ
يَنْظُرُونَ إِلَيَّ إِلَّا أَنْتَ . فَقَالَ الرَّجُلُ : إِنِّي رَأَيْتُ مُلَكًا مِثْلَكَ وَكَانَ
عَلَى هَذِهِ الْقَرْيَةِ فَمَاتَ هُوَ وَمُسْكِينٌ فَدُفِنَ إِلَى جَانِبِهِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ .
وَكُنَّا نَعْرِفُهُمَا فِي الدُّنْيَا بِأَجْسَادِهِمَا . ثُمَّ كُنَّا نَعْرِفُهُمَا بِقَبْرَيْهِمَا . ثُمَّ
انْسَفَتِ الرِّيحُ قَبْرَيْهِمَا وَكَشَفَتْ عَنْهُمَا فَاخْتَلَطَتْ عِظَاهُمَا فَلَمْ أَعْرِفِ
الْمَلِكَ مِنَ الْمُسْكِينِ . فَلِذَلِكَ أَقْبَبْتُ عَلَى عَمَلِي وَتَرَكْتُ النَّظَرَ إِلَيْكَ .
وَقَدْ قِيلَ فِي الْمَعْنَى :

وَحَقَّقْتُ لَوْ كَشَفْتَ التُّرْبَ عَنْهُمْ لَمَّا عُرِفَ الْغَنِيُّ مِنَ الْفَقِيرِ
وَلَا مَنْ كَانَ يَلْبَسُ ثَوْبَ شَعْرِ وَلَا الْبَدَنُ الْمُنْعَمُ بِالْحَرِيرِ
قَالَ التِّهَامِيُّ :

وَإِنَّا لَهِيَ الدُّنْيَا كَرَكِبِ سَفِينَةٍ نَظَنُّ وَقُوفًا وَالزَّمَانُ بِنَا يَجْرِي
وَقَالَ آخَرُ :

لَا تَتَّخِذَنَّكَ بَعْدَ طُولِ تَجَارِبٍ دُنْيَا تَنْرُبُ بِوَصَالِهَا وَسَقَطُهَا

أَحْلَامُ نَوْمٍ أَوْ كَظَلِّ زَائِلٍ إِنَّ اللَّيْبَ بِمِثْلِهَا لَا يُخْدَعُ
 ٣٤ إِنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ لَبَسَ أَفْخَرَ ثِيَابِهِ وَمَسَّ أَطْيَبَ طَيْبِهِ
 وَنَظَرَ فِي مِرَاةٍ فَأَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ وَقَالَ : أَنَا الْمَلِكُ الشَّابُّ . وَخَرَجَ إِلَى
 الْجُمُعَةِ وَقَالَ لِجَارِيَتِهِ : كَيْفَ تَرِينَ . فَقَالَتْ :

أَنْتَ نِعَمُ الْمَتَاعِ لَوْ كُنْتَ تَبْقَى غَيْرَ أَنْ لَا بَقَاءَ لِلْإِنْسَانِ
 لَيْسَ فِيمَا بَدَأَ لَنَا مِنْكَ عَيْبٌ عَابَهُ النَّاسُ غَيْرَ أَنَّكَ فَإِنْ
 فَأَعْرَضَ بَوَاجِهِ ثُمَّ خَرَجَ وَسَعِدَ الْمَنِيرُ وَصَوْتُهُ يُسْمَعُ آخِرَ الْمَسْجِدِ .
 ثُمَّ رَكِبَتْهُ الْحُمَى فَلَمْ يَزَلْ صَوْتُهُ يَنْفَسُ حَتَّى مَا يَسْمَعُهُ مِنْ حَوْلِهِ .
 فَصَلَّى وَرَجَعَ فَأَمَّ تَذَرُّعِيهِ الْجُمُعَةُ الْأُخْرَى إِلَّا وَهُوَ فِي قَبْرِهِ
 أَنْشَدَ الْقَاضِي أَبُو الْعَبَّاسِ الْجُرْجَانِيُّ هَذِهِ الْأَيَّاتُ :

بِاللَّهِ رَبِّكَ كَمْ قَصْرٍ مَرَرْتُ بِهِ قَدْ كَانَ يُعْمَرُ بِالذَّاتِ وَالطَّرَبِ
 طَارَتْ عُقَابُ الْمَنَآيَا فِي جَوَانِبِهِ فَصَاحَ مِنْ بَعْدِهِ بِالْوَيْلِ وَالْحَرْبِ
 ائْمَلْ وَكُنْ طَالِبًا لِلرِّزْقِ فِي دَعَاةٍ فَلَا وَرَبِّكَ مَا الْأَرْزَاقُ بِالطَّلَبِ
 وَأَنْشَدَ أَيْضًا :

أَيُّهَا الرَّافِعُ الْبِنَاءَ رُوَيْدَا لَنْ تَذُودَ الْمُتُونِ عَنْكَ الْمَبَانِي
 إِنَّ هَذَا الْبِنَاءَ يَبْقَى وَتَفْنَى كُلُّ شَيْءٍ أَبَقَى مِنَ الْإِنْسَانِ
 قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْأَيَّامَ تُطَوَّى . وَالْأَعْمَارَ
 تَفْنَى . وَالْأَبْدَانُ فِي الثَّرَى تَبْلَى . وَإِنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يَتَرَاكُضَانِ تَرَكَضَ
 الْهَرِيدِ . يُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ . وَيُخْلِقَانِ كُلَّ جَدِيدٍ (للطَّرُوشِيِّ)

٣٥ قَالَ حَكِيمٌ : وَجَدْتُ مَثَلَ الدُّنْيَا وَالْمَغْرُورِ بِالدُّنْيَا الْمَمْلُوءَةِ
 آفَاتٍ مَثَلَ رَجُلٍ أَجَاءَ خَوْفٌ إِلَى بَيْتٍ تَدَلَّى فِيهَا وَتَعَلَّقَ بِغُصْنَيْنِ
 نَائِبَتَيْنِ عَلَى شَفِيرِ الْبَيْتِ . وَوَقَعَتْ رِجَالُهُ عَلَى شَيْءٍ قَمَدَهُمَا فَنَظَرَ فَإِذَا
 بِحَيَاتٍ أَرْبَعٍ قَدْ أَطْلَعْنَ رُؤُوسَهُنَّ مِنْ حُجُورِهِنَّ . وَنَظَرَ إِلَى أَسْفَلِ الْبَيْتِ
 فَإِذَا بِشُعْبَانٍ فَاعِرٍ فَاهُ مُنْحَوًهُ . فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَى الْغُصْنِ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِهِ فَإِذَا
 فِي أَصْلِهِ جُرْدَانٌ أَبْيَضٌ وَأَسْوَدُ يَقْرِضَانِ الْغُصْنَ دَائِبَيْنِ لَا يَفْتَرَانِ .
 فَبَيْنَمَا هُوَ مُهْتَمٌّ بِنَفْسِهِ ابْتِغَاءَ الْحَيَاةِ فِي نَجَاتِهِ إِذْ نَظَرَ فَإِذَا بِجَانِبٍ مِنْهُ
 حَجَرٌ مُثَلٌّ قَدْ وَضَعْنَ شَيْئًا مِنْ عَسَلٍ فَتَطَاعَمَ مِنْهُ فَوَجَدَ حَلَاوَتَهُ .
 فَشَغَلَتْهُ عَنِ الْفِكْرِ فِي أَمْرِهِ وَالتَّمَاسِ النَّجَاةِ لِنَفْسِهِ . وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّ رِجْلَيْهِ
 فَوْقَ أَرْبَعِ حَيَاتٍ لَا يَذْرِي مَنْ تُسَاوِرُهُ مِنْهُنَّ وَأَنَّ الْجُرْدَيْنِ دَائِبَانِ فِي
 قَرْضِ الْغُصْنِ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِهِ وَأَنَّهُمَا إِذَا أَوْقَعَاهُ وَقَعَ فِي لَهَوَاتِ النَّبِيِّينِ .
 وَلَمْ يَزَلْ لَاهِيًا غَافِلًا حَتَّى هَلَكَ . قَالَ الْحَكِيمُ : فَشَبَّهَتْ الدُّنْيَا الْمَمْلُوءَةَ
 آفَاتٍ وَشُرُورًا وَمَخَافٍ بِالْبَيْتِ . وَشَبَّهَتْ الْحَيَاتِ الْأَرْبَعَ بِالْأَخْلَاطِ
 الْأَرْبَعِ الَّتِي فِي جَسَدِ الْإِنْسَانِ مِنَ الْمِرَّتَيْنِ وَالْبَالِغِ وَالْأَدَمِ .
 وَشَبَّهَتْ الْغُصْنَ الَّذِي تَعَلَّقُ بِهِ بِالْحَيَاةِ . وَشَبَّهَتْ الْجُرْدَيْنِ الْأَبْيَضَ
 وَالْأَسْوَدَ اللَّذَيْنِ يَقْرِضَانِ الْغُصْنَ دَائِبَيْنِ لَا يَفْتَرَانِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
 وَدَوْرَانِهِمَا فِي إِفْتَاءِ الْأَيَّامِ وَالْأَجَالِ . وَشَبَّهَتْ الشُّعْبَانَ الْفَاعِرَ فَاهُ
 بِالْمَوْتِ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ . وَشَبَّهَتْ الْعَسْلَةَ الَّتِي تَطَاعَمُهَا بِالَّذِي يَرَى
 الْإِنْسَانُ وَيَسْمَعُ وَيَأْمَسُ فِيهِ ذَلِكَ عَنْ عَاقِبَةِ أَمْرِهِ (لَا بَنَ عَبْدِ رَبِّهِ)

٣٦ جَذَبَ رَجُلٌ مِنْ كِنَانَةِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ فِي شَيْءٍ فَفَخَّرَ عَلَيْهِ الْكِنَانِيُّ
وَأَسْتَطَالَ بِقَوْمٍ مِنْ أَهْلِهِ فَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

دَعْنِي مِنْ ذِكْرِ أَبِي وَجَدٍ وَأَنْسَبِ يُعْلِيكَ سُورَ الْحَجْدِ
مَا الْفَخْرُ إِلَّا فِي التَّقَى وَالزُّهْدِ وَطَاعَةِ تُعْطِي جَنَّاتِ الْخُلْدِ
(للاصبراني)

٣٧ قَالَ غَانِمُ الْوَرَّاقُ : دَخَلْتُ عَلَى أَبِي نُوَّاسٍ قَبْلَ وَفَاتِهِ يَوْمَ
قَالَ لِي : أَمَعَكَ الْوَأَحْكُ . قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ اكْتُبْ :

دَبَّ فِي السَّقَامِ سُفْلًا وَعُلُوًّا وَأَرَانِي أَمُوتُ عُضْوًا فَعُضْوًا
لَيْسَ تَمُضِي مِنْ لَحْظَةٍ لِي إِلَّا نَقَصَتْ بَرِّهَا بِي جُزْؤًا
ذَهَبَتْ حِدَّتِي بِطَاعَةِ نَفْسِي وَتَذَكَّرْتُ طَاعَةَ اللَّهِ نِضْوًا
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى لَيْالٍ وَأَيَّامٍ تَجَاوَزَتْ لَعِبًا وَلَهْوًا
قَدْ أَسَانَا كُلَّ الْإِسَاءَةِ فَالْتَمَسْهُمْ صَفْحًا عَنَّا وَغَفْرًا وَعَفْوًا

(للشراشي)

نواب الدهر

٣٨ لَمَّا نَزَلَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ الْحِيرَةَ قِيلَ لَهُ : هَهُنَا عَجُوزٌ مِنْ بَنَاتِ
الْمُلُوكِ يُقَالُ لَهَا الْحُرْقَةُ بِنْتُ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ . وَكَانَتْ مِنْ أَجَلِ
تَقَائِلِ الْعَرَبِ . وَكَانَتْ إِذَا خَرَجَتْ إِلَى بَيْعَتِهَا نَشَرَتْ عَلَيْهَا أَلْفَ
قَطِيفَةٍ خَزٍّ وَدِيْبَاجٍ وَمَعَهَا أَلْفُ وَصِيفٍ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا سَعْدٌ فَجَاءَتْ
كَأَنَّ الْبَالِي . فَقَالَتْ : يَا سَعْدُ كُنَّا مُلُوكَ هَذَا الْبُصْرِ قَبْلَكَ . يُجِبِّي

إِلَيْنَا خَرَجُهُ وَيُطِيعُنَا أَهْلُهُ مُدَّةً مِنَ الْمُدَدِ . حَتَّى صَاحَ بِنَا صَاحُ الدَّهْرِ
فَشَتَّتَ مَلَانَا . وَالْدَّهْرُ ذُو نَوَائِبَ وَصُرُوفٍ . فَلَوْ رَأَيْنَا فِي أَيَّامِنَا
لَأُرْعَدَتْ فَرَائِصُكَ فَرَقَامِنَا . فَقَالَ لَهَا سَعْدُ : مَا أَنْعَمُ مَا تَتَعَمَّنُّ بِهِ .
قَالَتْ : سَعَةُ الدُّنْيَا عَلَيْنَا وَكَثْرَةُ الْأَصْوَاتِ إِذَا دَعَوْنَا . ثُمَّ أَنْشَأَتْ
تَقُولُ :

وَبَيْنَا نَسُوسُ النَّاسَ وَالْأَمْرُ أَمْرُنَا إِذَا نَحْنُ فِيهِمْ سُوقَةٌ لَيْسَ نُنْصَفُ
قَتْبًا لِدُنْيَا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا تَقَابُ تَارَاتِ بِنَا وَتَصَرَّفُ
ثُمَّ قَالَتْ : يَا سَعْدُ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَهْلُ بَيْتٍ بِخَيْرٍ إِلَّا وَالْدَّهْرُ يُعَقِّبُهُمْ
حَسْرَةً حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ عَلَى الْفَرِيقَيْنِ . فَانْكَرَ بِهَا سَعْدُ وَأَمَرَ بِرَدِّهَا
(للطرطوشي)

قَالَ بَعْضُهُمْ :

يُعَانِدُنِي دَهْرِي كَأَنِّي عَدُوُّهُ وَفِي كُلِّ يَوْمٍ بِالْكَيْهَةِ يَلْقَانِي
وَإِنْ رُمْتُ خَيْرًا جَاءَ دَهْرِي بِضِدِّهِ وَإِنْ يَصْفُلِي يَوْمًا تَكْدَرُ فِي الثَّانِي
٣٩ قَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِّ :

يَا دَهْرُ وَيْحَكَ قَدْ أَكْثَرْتَ فَجَعَلَنِي شَغَلَتْ أَيَّامَ دَهْرِي بِالْمُصِيبَاتِ
مَلَأْتَ الْحَظَّ عَيْنِي كَأَنَّمَا مَزْنَا فَأَيْنَ لَهْوِي وَأَحْبَابِي وَلَذَائِي
حَمْدًا لِرَبِّي وَذَمًّا لِلزَّمَانِ فَأَمَّا أَقَلُّ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مَلَذَائِي
قَالَ غَيْرُهُ :

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا كَظَلٍّ سَحَابَةٍ أَظْلَمَتْكَ يَوْمًا ثُمَّ عَنْكَ أَضْحَمَّتْ

فَلَا تَكُ فَرَحَانَا بِهَا حِينَ أَقْبَلَتْ وَلَا تَكُ حَزَنَانَا بِهَا حِينَ وَلَّتْ
وَقُلْ آخِرُ:

عُرَيْتُ مِنَ الشَّبَابِ وَكُنْتُ غُصْنًا كَمَا يَعْرِى مِنَ الْوَرَقِ الْقَضِيبُ
وَنُحْتُ عَلَى الشَّبَابِ بِدَمْعِ عَيْنِي فَمَا نَفَعَ الْبُكَاءُ وَلَا النَّحِيبُ
فَيَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا فَأُخْبِرَهُ بِمَا فَعَلَ الْمَشِيبُ
وَأَنْشَدَ آخِرُ:

مَا النَّاسُ إِلَّا مَعَ الدُّنْيَا وَصَاحِبِهَا فَكَيْفَمَا أُنْقَلَبْتَ يَوْمًا بِهِ أُنْقَلَبُوا
يُعْظَمُونَ أَخَا الدُّنْيَا فَإِنْ وَثَبَتْ عَلَيْهِ يَوْمًا بِمَا لَا يَشْتَهِي وَثَبُوا
٤٠ قَالَ ذُو الْكُلَّاحِ الْحَمِيرِيُّ فِي الدُّنْيَا:

إِنْ صَفَا عَيْشُ أَمْرِي فِي صُبْحِهَا جَرَعَتْهُ مُمَسِيًّا كَأْسَ الرَّدَى
وَلَقَدْ كُنْتُ إِذَا مَا قِلَ مَنْ أَنْعَمُ الْعَالَمُ عَيْشًا قِيلَ ذَا
قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْأَرَجَانِيُّ:

يَقْصِدُ أَهْلُ الْفَضْلِ دُونَ الْوَرَى مَصَابِ الدُّنْيَا وَأَفَاتَهَا
كَالطَّيْرِ لَا يُجْبَسُ مِنْ بَيْنِهَا إِلَّا الَّتِي تُطْرَبُ أَصْوَاتُهَا
كَبَّ الْبُخْتَرِيُّ إِلَى أَحَدِ أَصْحَابِهِ وَكَانَ مُعْتَقَلًا فِي السِّجْنِ:

وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا مَنَازِلُ فَمِنْ مَنَزِلٍ رَحِبٍ إِلَى مَنَزِلٍ ضَنْكٍ
وَقَدْ هَذَبْتَكَ النَّائِبَاتُ وَإِنَّمَا صَفَا الذَّهَبُ الْأَبْرِزُ قَبْلَكَ بِالسَّيْكِ
أَمَا فِي رَسُولِ اللَّهِ يُوسُفَ أَسْوَةٌ لِمَلِكٍ مَحْبُوسٍ عَلَى الظُّلْمِ وَالْإِفْكِ
أَقَامَ جَمِيلَ الصَّبْرِ فِي السِّجْنِ بَرْهَةً قَالَ بِهِ الصَّبْرُ الْجَمِيلُ إِلَى الْمَلِكِ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ:

هَانَتْ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ فَأَعْطَاهَا اللَّهُ
فَهُمْ فِيهَا يَعِيشُونَ وَيَلْحُونَ الْكَرَامَا

ذَكَرَ الْمَوْتَ

٤١ كَانَ فِي بِلَادِ الرُّومِ مِمَّا بَلِي أَرْضَ الْأَنْدَلُسِ رَجُلٌ نَصْرَانِيٌّ قَدْ
بَلَغَ مِنَ التَّخَلِّيِ عَنِ الدُّنْيَا مَبْلَغًا عَظِيمًا . وَأَعْتَزَلَ الْخَلْقَ وَلَزِمَ قُلُلَ الْجِبَالِ
وَالسِّيَاحَةَ فِي الْأَرْضِ إِلَى الْعَايَةِ الْقُصْوَى . فَوَرَدَ عَلَى الْمُسْتَعِينِ بْنِ
هُودٍ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ فَأَكْرَمَهُ ابْنُ هُودٍ . ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ وَجَعَلَ يَغْرِضُ
عَلَيْهِ ذَخَائِرَ مُلْكِهِ وَخَزَائِنَ أَمْوَالِهِ وَمَا حَوَتْهُ مِنَ الْبَيْضَاءِ وَالصَّفْرَاءِ
وَأَحْجَارِ الْيَافُوتِ وَالْجَوَاهِرِ وَأَمْثَالِهَا وَنَفَائِسِ الْأَعْلَاقِ وَالْجَوَارِي
وَالْحَشَمِ وَالْأَجْنَادِ وَالْكَرَاعِ وَالسَّلَاحِ . فَأَقَامَ عَلَى ذَلِكَ أَيَّامًا فَلَمَّا
أُنْقَضَى قَالَ لَهُ : كَيْفَ رَأَيْتَ مُلْكِي . قَالَ : رَأَيْتُ مُلْكَكَ وَلَكِنَّهُ
تُعَوِّزُكَ فِيهِ خَصْلَةٌ إِنْ أَنْتَ قَدَرْتَ عَلَيْهَا تَمَّ أَنْتِظَامُ مُلْكِكَ . وَإِنْ لَمْ
تَقْدِرْ عَلَيْهَا فَهَذَا الْمُلْكُ شِبْهُ لَا شَيْءٍ . قَالَ : وَمَا هِيَ الْخَصْلَةُ . قَالَ :
تَعَمُّدُ قِتْصَعِ غِطَاءٍ عَظِيمًا حَصِينًا قَوِيًّا وَتَكُونُ مِسَاحَتُهُ قَدْرَ الْبَلَدِ . ثُمَّ
تُرْكِبُهُ عَلَى الْبَلَدِ حَتَّى لَا يَجِدَ مُلْكُ الْمَوْتِ مَدْخَلًا إِلَيْكَ . فَقَالَ الْمُسْتَعِينُ :
سُبْحَانَ اللَّهِ أَوْ يَقْدِرُ الْبَشَرُ عَلَى مِثْلِ هَذَا . فَقَالَ الْعَلِجُ : يَا هَذَا أَفْتَفْتَحِرُ
بِأَمْرِ تَتْرُكُهُ غَدًا (لَطَرُ طَوْشِي)

٤٢ قَالَ الْمُتَنَبِّي :

نَحْنُ بَنُو الْمَوْتِ فَمَا بَالُنَا نَعَاثُ مَا لَا بُدَّ مِنْ شُرْبِهِ
يَمُوتُ رَاعِي الضَّأْنِ فِي جَهْلِهِ مَوْتَةً جَالِينُوسَ فِي طَبِّهِ
قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

وَأَرَى الطَّيِّبَ بِطَبِّهِ وَدَوَانِهِ لَا يَسْتَطِيعُ دِفَاعَ مَكْرُوهِه أُنَى
مَا لِلطَّيِّبِ يَمُوتُ بِالْذَّاءِ الَّذِي قَدْ كَانَ يُبْرِئُ مِنْهُ فِيمَا قَدْ مَضَى
ذَهَبَ الْمَدَاوِي وَالْمَدَاوِي وَالَّذِي جَلَبَ الدَّوَاءَ وَبَاعَهُ وَمَنْ اشْتَرَى
قَالَ ابْنُ الْوَرْدِيِّ :

كُتِبَ الْمَوْتُ عَلَى الْخَلْقِ فَكَمْ هَدَّ مِنْ عَرْشٍ وَأَفْنَى مِنْ دَوْلٍ
أَيْنَ كُنْعَمَانُ وَمَرْوُدٌ وَمَنْ مَلَكَ الْأَرْضَ وَوَلَّى وَعَزَلَ
أَيْنَ عَادَ أَيْنَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ رَفَعَ الْأَهْرَامَ مَنْ يَسْمَعُ يَخْلُ
أَيْنَ مَنْ سَادُوا وَشَادُوا وَبَنُوا هَلَاكَ الْكُلُّ وَلَمْ تُغْنِ الْكُلُّ
وُجِدَ عَلَى قَبْرِ :

قِفْ وَاعْتَبِرْ يَا مَنْ تَرَى قَبْرِي وَمَا لِي قَدْ جَرَى
بِالْأَمْسِ كُنْتُ نَظِيرَكُمْ وَالْيَوْمَ أَتَرَانِي الْبَرَى
قُلْ رَبَّنَا أَلْطَفَ بِنَا وَأَرْحَمَ عِظَامًا فِي الْاَثَرَى

قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

تَعَلَّيْتُ بِأَمَالٍ طَوَالَ أَيِّ آمَالٍ
وَأَقْبَلْتُ عَلَى الدُّنْيَا مُلْحًا أَيَّ إِقْبَالٍ

أَيَا هَذَا تَجَهَّزْ لِفِرَاقِ الْأَهْلِ وَالْمَالِ
 فَلَا بُدَّ مِنَ الْمَوْتِ عَلَى حَالٍ مِنْ الْحَالِ
 ٤٣ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : صَنَعَ الرَّشِيدُ طَعَامًا وَزَخَرَفَ مَجَالِسَهُ وَأَحْضَرَ
 أَبَا الْعَتَاهِيَةَ وَقَالَ لَهُ : صِفْ لَنَا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ نَعِيمِ هَذِهِ الدُّنْيَا .
 فَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةَ :

عِشْ مَا بَدَا لَكَ سَالِمًا فِي ظِلِّ شَاهِقَةِ الْقُصُورِ
 فَقَالَ الرَّشِيدُ : أَحْسَنْتَ ثُمَّ مَاذَا . فَقَالَ :
 يُسْعَى عَلَيْكَ بِمَا أُشْتَهِيَتْ لَدَى الرُّوَّاحِ أَوْ الْبُكُورِ
 فَقَالَ : حَسَنٌ ثُمَّ مَاذَا . فَقَالَ :
 فَإِذَا النُّفُوسُ تَقَعَّقَتْ فِي ظِلِّ حَشْرَجَةِ الصُّدُورِ
 فَهُنَاكَ تَعَامُ مُوقِنًا مَا كُنْتَ إِلَّا فِي غُرُورِ
 فَبَكَى الرَّشِيدُ . فَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ يُحْيَى : بَعَثَ إِلَيْكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
 لِتَسْرَهُ فُحْزَنَتَهُ . فَقَالَ الرَّشِيدُ : دَعَهُ فَإِنَّهُ رَأَانَا فِي عَمَى فِكْرِهِ أَنْ يَزِيدَنَا
 مِنْهُ (للنخري)

٤٤ أُنْشِدَ أَبُو الْعَتَاهِيَةَ :
 الْمَوْتُ بَيْنَ الْخَلْقِ مُشْتَرَكٌ لَا سُوقَةَ يَبْقَى وَلَا مَالُكَ
 مَا ضَرَّ أَصْحَابَ الْقَلِيلِ وَمَا أَغْنَى عَنِ الْأَمْثَالِ مَا مَلَكَوْا
 وَقَالَ أَيْضًا :

لَا تَأْمَنِ الْمَوْتَ فِي طَرْفٍ وَلَا نَفْسٍ إِذَا تَسَتَّرْتَ بِالْأَبْوَابِ وَالْحَرَسِ

وَأَعْلَمُ بِأَنَّ سِهَامَ الْمَوْتِ قَاصِدَةٌ إِكْلٍ مُدَّرِعٍ مِنَّا وَمُتَرِسٍ
وَلِلَّهِ دَرُّ مَنْ قَالَ :

أَتَعْمَى عَنِ الدُّنْيَا وَأَنْتَ بَصِيرٌ وَتَجْهَلُ مَا فِيهَا وَأَنْتَ خَبِيرٌ
وَتُصْبِحُ تَبْنِيهَا كَأَنَّكَ خَالِدٌ وَأَنْتَ غَدًا عَمَّا بَنَيْتَ تَسِيرٌ
وَتَرْفَعُ فِي الدُّنْيَا بِنَاءً مُفَاخِرٌ وَمَثْوَاكَ بَيْتٌ فِي الْقُبُورِ صَغِيرٌ
وَدُونُكَ قَاصِنٌ كُلَّمَا أَنْتَ صَانِعٌ فَإِنَّ بُيُوتَ الْمَيِّتِينَ قُبُورٌ
قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ :

أَنْظِرْ لِنَفْسِكَ يَا مُسْكِينُ فِي مَهَلٍ مَا دَامَ يَنْفَعُكَ التَّفَكِيرُ وَالنَّظَرُ
قِفْ بِالْمَقَابِرِ وَأَنْظِرْ إِنْ وَقَفْتَ بِهَا لِلَّهِ دَرُّكَ مَاذَا تَسْتُرُ الْخَفَرُ
فَفِيهِمْ لَكَ يَا مَعْرُودُ مَوْعِظَةٌ وَفِيهِمْ لَكَ يَا مُعْتَرُ مُعْتَبَرُ
٤٥ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ :

وَيْلٌ لِمَنْ لَمْ يَرْحَمْهُ اللَّهُ وَمَنْ تَكُونُ النَّارُ مَثْوَاهُ
وَالْوَيْلُ لِي مِنْ كُلِّ يَوْمٍ أَتَى يُذَكِّرُنِي الْمَوْتَ وَأَنْسَاهُ
كَأَنَّهُ قَدْ قِيلَ فِي مَجْلِسٍ قَدْ كُنْتُ آتِيهِ وَأَغْشَاهُ
سَارَ الْبَشِيرِيُّ إِلَى رَبِّهِ يَرْحَمُنَا اللَّهُ وَإِيَّاهُ
قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ :

أَصْبَحَ الْقَبْرُ مُضْجِعِي وَمَحَلِّي وَمَوْضِعِي
صَرَعَتْنِي الْخُتُوفُ فِي التُّرْبِ يَا ذَلَّ مَضْرِعِي
أَيْنَ إِخْوَانِي الَّذِينَ إِلَيْهِمْ تَطْلُعِي

مُتٌ وَخَطِي قَلَمٌ يَمُتُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ مَعِي
قَالَ بَدِيعُ الزَّمَانِ :

إِنَّمَا الدُّنْيَا غُرُورٌ وَلَمِنْ أَصْفَى نَصِيحٍ
وَلِسَانُ الدَّهْرِ بِالْوَعْظِ لَوَاعِيهِ فَتَسِيحُ
نَحْنُ لَاهُونَ وَأَجَا لَ الْمُنَايَا لَا تُرِيحُ

٤٦ قَالَ رَجُلٌ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ : مَا لَنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ . فَقَالَ : لِأَنَّكُمْ
أَخْرَبْتُمْ آخِرَتَكُمْ وَعَمَّرْتُمْ دُنْيَاكُمْ . فَكَرِهْتُمْ أَنْ تَنْتَقِلُوا مِنَ الْعُمَرَانِ
إِلَى الْخَرَابِ (لبهاء الدين)

مِمَّا وَجَدَ عَلَى قَبْرِ :

تُنَاجِيكَ أَجْدَاثٌ وَهْنٌ سَكُوتٌ وَسُكَّانُهَا تَحْتَ التُّرَابِ خُفُوتٌ
أَيَا جَامِعِ الدُّنْيَا لِغَيْرِ بِلَاقَةٍ لَمِنْ تَجْمَعُ الدُّنْيَا وَأَنْتَ تَمُوتُ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا خَاِلَطَ الدِّينِ بِالدُّنْيَا وَبَاطِلِهَا تَرْضَى بِدُنْيَاكَ شَيْئًا لَيْسَ يَسَوَاهُ
حَتَّى مَتَى أَنْتَ فِي لَهْوٍ وَفِي أَعْبٍ وَالْمَوْتُ تَحْوِكَ يَهْوِي فَاتِحًا فَاهُ
قَالَ آخَرُ :

تَرَوُّدٌ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ رَاحِلٌ وَإِعْلَامٌ بِأَنَّ الْمَوْتَ لَا شَكَّ نَازِلٌ
نَعِيمٌ فِي الدُّنْيَا غُرُورٌ وَحَسْرَةٌ وَعَيْشُكَ فِي الدُّنْيَا نَحَالٌ وَبَاطِلٌ
أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا كَمَنْزِلٍ رَاصِبٍ أَنَاخَ عَشِيًّا وَهُوَ فِي الصُّبْحِ رَاحِلٌ

٤٧ وَقَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ :

جَزَى اللَّهُ عَنَّا الْمَوْتَ خَيْرًا فَإِنَّهُ أَبْرُّ بِنَا مِنْ كُلِّ بَرٍّ وَأَرَأَيْتَ
يَعْمَلُ تَخْلِصَ النُّفُوسِ مِنَ الْأَذَى وَيُذِنِي مِنَ الدَّارِ الَّتِي هِيَ أَشْرَفُ
دَخَلَ الْعَتَبِيَّ الْمَقَابِرَ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

سَقَمْنَا وَرَعِيًّا لِإِخْوَانٍ لَنَا سَلَفُوا أَفْنَاهُمْ حَدَثَانُ الدَّهْرِ وَالْأَبَدُ
فَمَدَّهُمْ كُلُّ يَوْمٍ مِنْ بَقِيَّتِنَا وَلَا يُؤُوبُ إِلَيْنَا مِنْهُمْ أَحَدُ
٤٨ كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِذَا دَخَلَ الْمَقْبَرَةَ قَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ
يَا أَهْلَ الدِّيَارِ الْمُوَحِّشَةِ . وَالْحَالِ الْمُقْرِعَةِ . مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ .
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلَهُمْ وَتَجَاوَزْ بِعَفْوِكَ عَنَّا وَعَنْهُمْ . ثُمَّ يَقُولُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي جَعَلَ لَنَا الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مِنْهَا
خَلَقَنَا وَإِلَيْهَا مَعَادُنَا وَعَالِيهَا مَحْشَرُنَا . طَوْبِي لِمَنْ ذَكَرَ الْمَعَادَ وَعَمِلَ الْحَسَنَاتِ
وَقَفَّعَ بِالْكَفَافِ وَرَضِيَ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (لابن عبد ربّه)

٤٩ الْأَيَّامُ خَمْسَةٌ يَوْمٌ مَقْمُودٌ . وَيَوْمٌ مَشْهُودٌ . وَيَوْمٌ مَمْدُودٌ . وَيَوْمٌ
مَوْعُودٌ . وَيَوْمٌ مَمْدُودٌ . فَالْمَقْمُودُ أَمْسَكَ الَّذِي فَاتَكَ مَعَ مَا فَرَّطْتَ فِيهِ .
وَالْمَشْهُودُ يَوْمُكَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ فَتَرَوْدُ فِيهِ مِنَ الطَّاعَاتِ . وَالْمَمْدُودُ
هُوَ غَدُكَ لَا تَدْرِي هَلْ هُوَ مِنْ أَيَّامِكَ أَمْ لَا . وَالْمَوْعُودُ هُوَ آخِرُ
أَيَّامِكَ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا فَاجْعَلْهُ نَصَبَ عَيْنِكَ . وَالْمَمْدُودُ هُوَ آخِرُكَ
وَهُوَ يَوْمٌ لَا أَنْقِضَاءَ لَهُ . فَاهْتَمَّ لَهُ غَايَةُ اهْتِمَامِكَ فَإِنَّهُ إِمَّا نَعِيمٌ دَائِمٌ
أَوْ عَذَابٌ مُخَلَّدٌ

٥٠ جَاءَ فِي السَّهْجِ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارٌ مَجَازٌ وَالْآخِرَةُ دَارُ
قَرَارٍ فَخُذُوا مِنْ مَمَرِكُمْ لِمَقَرِّكُمْ . وَلَا تَبْتَهِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ
أَسْرَارَكُمْ . وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ .
فَفِيهَا اخْتَبِرْتُمْ وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ (إيهاء الدين)

كَمْ مِنْ لَيْلٍ أَحْيَيْتَهَا بِتَكَرُّرِ الْعِلْمِ وَمُطَالَعَةِ الْكُتُبِ . وَحَرَمْتَ عَلَى
نَفْسِكَ النَّوْمَ . لَا أَعْلَمُ مَا كَانَ الْبَاعِثُ فِيهِ . فَإِنْ كَانَ نِيَّتُكَ غَرَضُ
الدُّنْيَا وَجَذَبَ حُطَامِهَا وَتَحْصِيلُ مَنَاصِبِهَا وَالْمُبَاهَاةَ عَلَى الْأَقْرَانِ
وَالْأَمْثَالِ فَوَيْلٌ لَكَ ثُمَّ وَيْلٌ لَكَ . وَإِنْ كَانَ قَصْدُكَ فِيهِ تَهْدِيبَ
أَخْلَاقِكَ وَكَسْرَ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ فَطُوبَى لَكَ ثُمَّ طُوبَى لَكَ .
وَلَقَدْ صَدَقَ مَنْ قَالَ :

سَهَرَ الْعُيُونِ لِغَيْرِ وَجْهِكَ ضَائِعٌ وَبَكَوْهُنَّ لِغَيْرِ فَقْدِكَ بَاطِلٌ
(إيهاء الولد للغزالي)

وَكَانَ آخِرُ مَا قَالَهُ ذُو الرُّمَّةِ :

يَا رَبِّ قَدْ أَشْرَفْتُ نَفْسِي وَقَدْ عَلِمْتُ

عِلْمًا يَقِينًا لَقَدْ أَحْصَيْتَ آثَارِي

يَا مُخْرِجَ الرُّوحِ مِنْ جِسْمِي إِذَا أُخْضِرْتَ

وَفَارِجَ الْكَرْبِ زَحْرَحْنِي عَنْ النَّارِ

فِي الْخَوْفِ

٥١ سِئَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنِ الْخَائِفِينَ لِلَّهِ . فَقَالَ : هُمُ الَّذِينَ صَدَقُوا

اللَّهِ فِي مَخَافَةٍ وَعِيدِهِ . قُلُوبِهِمْ بِالْخَوْفِ قَرِحَةٌ وَأَعْيُنُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ
بَازِيَةٌ . وَدُمُوعُهُمْ عَلَى خُدُودِهِمْ جَارِيَةٌ . يَقُولُونَ كَيْفَ نَفْرَحُ
وَالْمَوْتُ مِنْ وَرَائِنَا . وَالْقُبُورُ مِنْ أَمَامِنَا . وَالْقِيَامَةُ مُوعِدُنَا . وَعَلَى جَهَنَّمَ
طَرِيقُنَا . وَبَيْنَ يَدَي رَبِّنَا مَوْقِفُنَا . وَقَالَ عَلِيٌّ : أَلَا إِنَّ عِبَادَ اللَّهِ الْخَاصِينَ
لَمَنْ رَأَى أَهْلَ الْجَنَّةِ فَكَبَّيْنِ وَأَهْلَ النَّارِ فِي النَّارِ مُعَذِّبِينَ . شُرُورَهُمْ
مَأْمُونَةٌ . وَقُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ . وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ . وَحَوَائِجُهُمْ خَفِيفَةٌ .
صَبَرُوا أَيَّامًا قَلِيلَةً لِعُقْبَى رَاحَةٍ طَوِيلَةٍ . قَالَ الْحَسَنُ : عَجَبًا لِمَنْ خَافَ
الْعِقَابَ وَلَمْ يَكْفُ . وَلِمَنْ رَجَا الثَّوَابَ وَلَمْ يَعْمَلْ

(لَاِبْنِ عَبْدِ رَبِّهِ)

في التوبة

٥٢ لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة قال : اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنِي
فَقَعَمْتُ . وَنَهَيْتَنِي فَعَصَيْتُ . وَأَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَأَفْضَلْتُ . فَإِنْ عَفَوْتَ فَقَدْ
مَنْتَ . وَإِنْ عَاقَبْتَ . فَمَا ظَلَمْتُ

قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِنَّكَ فِي دَارِ لَهَا مُدَّةٌ يُقْبَلُ فِيهَا عَمَلُ الْعَامِلِ
أَمَا تَرَى الْمَوْتَ مُحِيطًا بِهَا يَقْطَعُ فِيهَا أَمَلَ الْآمِلِ
تُجَلُّ الذَّنْبُ بِمَا تَشْتَهِي وَتَأْمَلُ التَّوْبَةَ مِنْ قَابِلِ
وَالْمَوْتُ يَأْتِي بَعْدَ ذَا غَفْلَةٍ مَاذَا بِفِعْلِ الْحَازِمِ الْعَاقِلِ
قَالَ لُقْمَانُ لِأَبْنِهِ : يَا بُنَيَّ أَجْعَلْ خَطَايَاكَ بَيْنَ عَيْنَيْكَ إِلَى أَنْ

تَمُوتَ . وَأَمَّا حَسَنَاتُكَ فَأَلْهَ عَنْهَا فَإِنَّهُ قَدْ أَحْصَاهَا مَنْ لَا يَنْسَاهَا
 ٥٣ حَكِي أَنَّهُ حَاكَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ ثَوْبًا وَتَأْتَقُ فِي صَنْعَتِهِ . فَلَمَّا
 بَاعَهُ رُدَّ عَلَيْهِ بَعُوبٌ فِيهِ فَبَكَى . فَقَالَ الْمُشْتَرِي : يَا هَذَا لَا تَبْكُ وَقَدْ
 رَضِيتُ بِهِ . فَقَالَ : مَا بُكَائِي لِذَلِكَ بَلْ لِأَنِّي بَالَيْتُ فِي مَنَعَتِهِ
 وَتَأَنَّقْتُ فِيهِ جُهْدِي فَرُدَّ عَلَيَّ بَعُوبٌ كَأَنَّهُ خَفِيَّةٌ عَلَيَّ . فَأَخَافُ أَنْ
 يَرُدَّ عَلَيَّ عَمَلِي الَّذِي أَنَا عَمِلْتُهُ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً (لبهاء الدين)

٥٤ اِسْمَعْ مِنِّي كَلَامًا تَفَكَّرْ فِيهِ حَتَّى تَجِدَ خَلَاصًا . لَوْ أَنَّكَ أَخْبِرْتَ
 أَنَّ السُّلْطَانَ بَعْدَ الْأُسْبُوعِ يَحْيِيكَ زَائِرًا فَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّكَ فِي تِلْكَ
 الْمُدَّةِ لَا تَشْتَغِلُ إِلَّا بِإِصْلَاحِ مَا عَلِمْتَ أَنَّ نَظَرَ السُّلْطَانِ سَيَقَعُ عَلَيْهِ
 مِنَ الثِّيَابِ وَالْبَدَنِ وَالْذَّارِ وَالْفِرَاشِ وَغَيْرِهَا . وَالْآنَ تَفَكَّرْ إِلَى مَا
 أَشْرْتَ بِهِ فَإِنَّكَ فَهِمٌ ذَكِيٌّ وَالْكَلَامُ الْفَرْدُ يَكْفِي الْكَدِّسَ وَالْعَاقِلُ
 تَكْفِيهِ الْإِشَارَةَ . إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَلَا إِلَى أَعْمَالِكُمْ
 وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَنِيَّاتِكُمْ (أيها الولد الغزالي)

٥٥ مِنْ خُطْبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ : أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَكُونُوا مِنْ
 خَدَعَتِهِ الدُّنْيَا الْعَاجِلَةَ وَغَرَّتْهُ الْأُمْنِيَّةُ وَأَسْتَهْوَتْهُ الْبِدْعَةُ فَرَكَنَ إِلَى
 دَارِ سَرِيعَةِ الزَّوَالِ وَشَيْكَةِ الْأَنْتِقَالِ . إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ
 فِي جَنْبِ مَا مَضَى إِلَّا كَأَنَّاخَةِ رَاكِبٍ أَوْ صَرَّةٍ حَالِبٍ فَعَلَامٌ تَعْرِجُونَ
 وَمَاذَا تَنْتَظِرُونَ . فَكَا نَكْمُ وَمَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ وَمَا
 تَصِيرُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْآخِرَةِ لَمْ يَزَلْ . فَخُذُوا الْأَهْبَةَ لِأَرْوَفِ النُّقْمَةِ

وَأَعِدُّوا الزَّادَ لِثَرِبِ الرِّحْلَةِ . وَأَعْلَمُوا أَنَّ كُلَّ أَمْرٍ عَلَى قَدَمٍ قَادِمٌ .
وَعَلَى مَا خَلَفَ نَادِمٌ .

٥٦ (وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ) . أَيُّهَا النَّاسُ حَلُّوا أَنْفُسَكُمْ بِالطَّاعَةِ . وَالْأَسْوَأُ
قِتَاعُ الْخُفَافَةِ . وَاجْعَلُوا آخِرَتَكُمْ لِأَنْفُسِكُمْ . وَسَعِيكُمْ لِاسْتِقْرَارِكُمْ . وَأَعْلَمُوا
أَنَّكُمْ عَنْ قَلِيلٍ رَاحِلُونَ . وَإِلَى اللَّهِ صَارُونَ . وَلَا يُغْنِي عَنْكُمْ هُنَاكَ
إِلَّا صَالِحُ عَمَلٍ قَدْ مَثُودٌ . أَوْ حَسَنُ ثَوَابٍ حَزْمُودٌ . إِنَّكُمْ إِنَّمَا تُقَدِّمُونَ عَلَى
مَا قَدَّمْتُمْ . وَتَجَازُونَ عَلَى مَا أَسَافْتُمْ . فَلَا تُخَدَّعُكُمْ زَخَارِفُ دُنْيَا
دُنْيَةٍ . عَنْ مَرَاتِبِ جَنَّاتٍ عَالِيَةٍ . فَهَكَانَ قَدْ انْكَشَفَ الْقِنَاعُ وَارْتَفَعَ
الْأَرْتَابُ . وَلَاقَى كُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرَّهُ وَعَرَفَ مَثْوَاهُ وَمُنْقَلَبَهُ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

أَدِ يَا ذُلِّي وَيَا خَجَلِي إِنْ يَكُنْ مِنِّي دَنَا أَجَلِي
لَوْ بَذَلْتُ الرُّوحَ مُجْتَهِدًا وَنَفَيْتُ النُّومَ عَنْ مَقَلِي
كُنْتُ بِالتَّقْصِيرِ مُعْتَرِفًا خَائِفًا عَنْ خِيْبَةِ الْأَمَلِ
فَعَلَى الرَّحْمَنِ مُتَّكِلِي لَا عَلَى عِلْمِي وَلَا عَمَلِي

٥٧ قَالَ بَعْضُ الْمَارِفِينَ : إِذَا كَانَ أَبُوْنَا آدَمُ بَعْدَ مَا قِيلَ لَهُ : أَسْكُنْ
أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ . صَدَرَ مِنْهُ ذَنْبٌ وَاحِدٌ فَأَمَرَ بِالْخُرُوجِ مِنَ الْجَنَّةِ .
فَكَيْفَ نَرْجُو نَحْنُ دُخُولَهَا مَعَ مَا نَحْنُ مُقِيمُونَ عَلَيْهِ مِنَ الذُّنُوبِ الْمُتَابِعَةِ
وَالْخَطَايَا الْمُتَوَاتِرَةِ (لِبَاءُ الدِّينِ)

اجْعَلِ الْهِمَّةَ فِي الرُّوحِ وَالْهَزِيمَةَ فِي النَّفْسِ وَالْمَوْتَ فِي الْبَدَنِ لِأَنَّ

مَنْزِلَكَ الْقَبْرِ . فَأَهْلُ الْمَقَابِرِ يَنْظُرُونَكَ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ حَتَّى تَصِلَ إِلَيْهِمْ .
إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهِمْ بِلا زَادٍ
قَالَ شَاعِرٌ :

يَا ذَا الَّذِي وَلَدَتْكَ أُمُّكَ بَاكِئًا وَالنَّاسُ حَوْلَكَ يَضْحَكُونَ سُورًا
إِحْرِصْ عَلَى عَمَلٍ تَكُونُ بِهِ مَتًى يَكُونُ حَوْلَكَ ضَاحِكًا مَسْرُورًا
٥٨ رَوَى أَنَّ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ أُعْطِيَ شَرْبَةً مَاءً بَارِدٍ . فَلَمَّا أَخَذَ
الْقَدَحَ غُثِيَ عَلَى عَقْلِهِ وَسَقَطَ مِنْ يَدِهِ . فَلَمَّا أَفَاقَ قِيلَ لَهُ : مَا بَاكَ
يَا أَبَا سَعِيدٍ . قَالَ : إِنِّي ذَكَرْتُ أُمْنِيَّةَ أَهْلِ النَّارِ حِينَ يَقُولُونَ لِأَهْلِ
الْجَنَّةِ : أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ . قَالُوا : إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا
عَلَى الْكَافِرِينَ

رَوَى فِي وَصَايَا الْقِمَانِ الْحَكِيمِ لِأَبْنِهِ أَنَّهُ قَالَ : يَا بُنَيَّ لَا يَكُونَنَّ
الَّذِيكَ أَكْبَسَ مِنْكَ . يُنَادِي وَقْتُ السَّحَرِ وَأَنْتَ نَائِمٌ . لَقَدْ أَحْسَنَ
مَنْ قَالَ :

لَقَدْ هَنَفْتُ فِي جَنَحِ لَيْلٍ حَمَامَةً عَلَى فَنٍّ وَهَمًا وَإِنِّي لَنَائِمٌ
كَذَبْتُ وَبَيْتَ اللَّهِ لَوْ كُنْتُ عَاشِقًا لَمَّا سَبَقْتَنِي بِالْبُكَاءِ الْهَمَانُ
وَأَزْعَمُ أَنِّي هَائِمٌ ذُو صَبَابَةٍ لِرَبِّي وَلَا أَبْكِي وَتَبْكِي الْبَهَائِمُ

دعاء

٥٩ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ النِّعْمَةِ تَمَامَهَا . وَمِنَ الْعِصَةِ دَوَامَهَا . وَمِنَ
الرَّحْمَةِ شُمُولَهَا . وَمِنَ الْعَافِيَةِ حُصُولَهَا . وَمِنَ الْعَيْشِ ارْتِغَادَهُ . وَمِنَ

الْعُمُرَ أَسْعَدَهُ . وَمِنَ الْإِحْسَانِ أَمَّه . وَمِنَ الْإِنْعَامِ أَعَمَّهُ . وَمِنَ الْفَضْلِ
 أَعَذَّبَهُ . وَمِنَ اللَّطْفِ أَنْفَعَهُ . اللَّهُمَّ كُنْ لَنَا وَلَا تَكُنْ عَلَيْنَا . اللَّهُمَّ اخْتِمْ
 بِالسَّعَادَةِ آجَالَنَا . وَحَقِّقْ بِالزِّيَادَةِ آمَالََنَا . وَأَقْرِنِ بِالْعَافِيَةِ غَدُونا
 وَأَصَالََنَا . وَاجْعَلْ إِلَى رَحْمَتِكَ مَصِيرَنَا وَمَرْجِعَنَا . وَصَبِّ سَجَالَ غَدُوكَ
 عَلَى ذُنُوبِنَا . وَمِنْ عَلَيْنَا بِإِصْلَاحِ عُيُوبِنَا . وَاجْعَلِ التَّقْوَى زَادَنَا . وَفِي
 دِينِكَ اجْتِهَادَنَا . وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَاعْتِمَادَنَا . ثَبِّتْنَا عَلَى نَهْجِ الْإِسْتِقَامَةِ .
 وَأَعِزَّنَا فِي الدُّنْيَا مِنْ مُوجِبَاتِ النَّدَامَةِ . يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَخَفِّفْ عَنَّا ثِقَلَ
 الْأَوْزَارِ . وَارْزُقْنَا عَيْشَةَ الْأَبْرَارِ . وَاكْفِنَا وَأَصْرِفْ عَنَّا شَرَّ الْأَشْرَارِ .
 وَأَعْتَقِ رِقَابَنَا وَرِقَابَ آبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَعَشِيرَتَنَا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ
 النَّيِّرَانِ . بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ (أيها الولد للغزالي)

المرآة

٦٠ قَالَ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي الْأَغَانِي : لَمَّا رَأَى الْفَلَّاسِفَةُ تَابُوتَ
 الْإِسْكَندَرِ وَقَدْ أُخْرِجَ لِيُدفَنَ قَالَ بَعْضُهُمْ : كَانَ الْمَلِكُ أَمْسَرَ أَهْيَبَ
 مِنْهُ الْيَوْمَ . وَهُوَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْهُ أَمْسَ . وَقَالَ آخَرُ : سَكَنْتُ حَرَكَةَ
 الْمَلِكِ فِي لَذَاتِهِ . وَقَدْ حَرَكْنَا الْيَوْمَ فِي سَكُونِهِ جَزَعًا لِفَقْدِهِ . وَهَؤُذَا
 الْمَغْنِيَانِ أَخَذَهُمَا أَبُو الْعَتَاهِيَةِ بِرِثَاءِ ابْنِهِ عَلِيٍّ قَالَ :

بِكَيْتِكَ يَا عَلِيُّ بِدَمْعِ عَيْنِي فَمَا أَغْنَى الْبُكَاءُ عَائِلَتِكَ شَيْئًا
 وَكَانَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا
 قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي وَلَدٍ مَاتَ لَهُ :

بَلَيْتَ عِظَامُكَ وَالْأَسَى يَتَجَدَّدُ وَالصَّبْرُ يَنْقَدُ وَالْبُكَاءُ لَا يَنْقَدُ
يَا غَائِبًا لَا يُرْتَجَى لِإِيَابِهِ وَلِقَائِهِ دُونَ الْقِيَامَةِ مَوْعِدُ
مَا كَانَ أَحْسَنَ مُلْحَدًا ضَمَّتْهُ لَوْ كَانَ ضَمَّ أَبَاكَ ذَاكَ الْمُحَمَّدُ
بِالْيَاسِ أَسْأَلُو عَنْكَ لَا يَتَجَادِي هَيْهَاتَ أَيْنَ مِنَ الْحَزَنِ تَجَلَّدُ
٦١ قَالَ ابْنُ الْأَخْنَفِ يَرْتِي أَبْنَهُ :

وَلَمَّا دَعَوْتَ الصَّبْرَ بَعْدَكَ وَالْأَسَى
أَجَابَ الْأَسَى طَوْعًا وَلَمْ يُجِبِ الصَّبْرُ
فَإِنْ يَنْقَطِعُ مِنْكَ الرَّجَاءُ فَإِنَّهُ
سَيَبْقَى عَلَيْكَ الْحُزْنُ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ

وَقَالَتْ أَعْرَابِيَّةٌ تَرْتِي وَلَدَهَا :

يَا قَرَحَةَ الْقَلْبِ وَالْأَحْشَاءِ وَالْكَبِدِ
لَمَّا رَأَيْتُكَ قَدْ أَدْرَجْتَ فِي كَهْنٍ
أَيَقُنْتُ بَعْدَكَ أَنِّي غَيْرُ بَاقِيَةٍ
قَالَ أَعْرَابِيٌّ يَرْتِي أَبْنَهُ :

بُنِيَ لَبْنٌ صُنَّتْ جُفُونُ بَائِلِيهَا
لَقَدْ قُرِحَتْ مِنِّي عَلَيْكَ جُفُونُ
دَفَنْتُ بِكَفِّي بَعْضَ نَفْسِي فَأَصْبَحْتُ
وَالنَّفْسُ مِنْهَا دَافِنٌ وَدَفِينٌ
قَالَ الْعَتِي يَرْتِي بَعْضُ أَوْلَادِهِ :

أَصْحَتُ بِمُجْدِي الدَّمُوعِ رُسُومُ
وَالصَّبْرُ يُحَمَّدُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا
أَسَفًا عَلَيْكَ وَفِي الْفَوَادِ كُلُّومُ
إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومُ

الْبَابُ الثَّالِثُ

فِي الْحِكْمِ

٦٢ قَالَ الْحُكَمَاءُ : لَا يَطْلُبُ الرَّجُلُ حِكْمَةً إِلَّا بِحِكْمَةٍ عِنْدَهُ .
وَقَالُوا : إِذَا وَجَدْتُمْ الْحِكْمَةَ مَطْرُوحَةً عَلَى السِّبْكِ فَخْذُوهَا . وَقَالَ
زِيَادُ : أَيُّهَا النَّاسُ لَا يَمْنَعَنَّكُمْ سُوءُ مَا تَعْلَمُونَ مِنَّا أَنْ تَنْتَفِعُوا بِأَحْسَنِ
مَا تَسْمَعُونَ مِنَّا فَإِنَّ الشَّاعِرَ يَقُولُ :

إِعْمَلْ بِعِلْمِي وَإِنْ قَصُرْتُ فِي عَمَلِي

يَفْعَلْ قَوْلِي وَلَا يَضُرُّكَ تَقْصِيرِي

٦٣ قَالَ الرَّيَّاحِيُّ فِي خُطْبَتِهِ بِالْمَرْبِدِ : يَا بَنِي رِيَّاحٍ لَا تَحْقِرُوا صَغِيرًا
تَأْخُذُونَ عَنْهُ . فَإِنِّي أَخَذْتُ مِنَ اللَّيْلِ بِسَالَتِهِ . وَمِنَ الْحِمَارِ صَبْرَهُ .
وَمِنَ الْخَنْزِيرِ حِرْصَهُ . وَمِنَ الْغُرَابِ حَذَرَهُ . وَمِنَ الثَّعْلَبِ رَوَّغَانَهُ .
وَمِنَ السِّنُورِ ضَرَعَهُ . وَمِنَ الْقِرْدِ حِكَايَتَهُ . وَمِنَ الْكَلْبِ نُصْرَتَهُ .
وَمِنَ ابْنِ آوَى حَذَرَهُ . وَلَقَدْ تَعَلَّمْتُ مِنَ الْقَمَرِ سِيرَ اللَّيْلِ . وَمِنَ
الشَّمْسِ ظُهُورَ الْحَيْنِ بَعْدَ الْحَيْنِ (لابن عبد ربه)

٦٤ قَالَ كَعْبٌ : اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ فِي سَرَائِرِكُمْ كَمَا تَسْتَحْيُونَ مِنَ
النَّاسِ فِي عَلَانِيَتِكُمْ . وَقِيلَ : مَنْ يَسْتَحْيِي مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْيِي مِنْ
نَفْسِهِ فَلَا قَدْرَ لِنَفْسِهِ عِنْدَهُ . وَقَالَ رَجُلٌ لِلنُّعْمَانِ : أَوْصِنِي . فَقَالَ :
اسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ كَمَا تَسْتَحْيِي مِنْ رَجُلٍ مِنْ عَشِيرَتِكَ

٦٥ قَالَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ . لَا صَدِيقَ لِمُتْلَوْنٍ . وَلَا وَفَاءَ لِكَذُوبٍ .
وَلَا رَاحَةَ لِحُسُودٍ . وَلَا مَرْوَةَ لِدَنِيٍّ . وَلَا زَعَامَةً لِسَيِّئِ الْخُلُقِ
(مؤنس الوحيد للثعالبي)

٦٦ قِيلَ : تَجَنَّبْ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ لِتَخْلُصَ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ . تَجَنَّبْ مِنَ
الْحَسَدِ لِتَخْلُصَ مِنَ الْحُزَنِ . وَلَا تَجَالِسْ جَالِسَ السُّوءِ وَقَدْ تَخَلَّصْتَ مِنَ
الْمَلَامَةِ . وَلَا تَرْكَبِ الْمَعَاصِيَ وَقَدْ خَلَّصْتَ مِنَ النَّارِ . وَلَا تَجْمَعْ أَمْوَالَ
وَقَدْ اسْتَرَحْتَ مِنْ عِدَاوَةِ الْخُلُقِ
(للغزالي)

٦٧ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

بِقَدْرِ الْكَدِّ تُكَتَسِبُ الْمَعَالِي وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَى سَهَرَ اللَّيَالِي
يَغُوصُ الْبَحْرَ مَنْ طَلَبَ اللَّالِي وَيَحْظَى بِالسِّيَادَةِ وَالنَّوَالِ
وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَى مِنْ غَيْرِ كَدٍّ أَضَاعَ الْعُمَرَ فِي طَلَبِ الْأَحَالِ
٦٨ قَالَ بَعْضُهُمْ : دَخَاتُ عَلِيٍّ سَفِيَانُ الثُّورِيِّ بِكَدَّةٍ فَوَجَدَتْهُ مَرِيضًا
وَقَدْ شَرِبَ دَوَاءً . فَقُلْتُ لَهُ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ أَشْيَاءَ . فَقَالَ
لِي : قُلْ مَا بَدَأَ لَكَ . فَقُلْتُ لَهُ : أَخْبِرْنِي مِنَ النَّاسِ . قَالَ : الْفُقَهَاءُ . قُلْتُ
لَهُ : فَمَنِ الْمُلُوكُ . قَالَ : الزُّهَّادُ . قُلْتُ لَهُ : فَمَنِ الْأَشْرَافُ . قَالَ :
الْأَتْقِيَاءُ . قُلْتُ فَمَنِ الْغَوَّاءُ . قَالَ : مَنْ يَكْتُبُ الْحَدِيثَ وَيَأْكُلُ بِهِ
أَمْوَالَ النَّاسِ . قُلْتُ فَمَنِ السَّفِلَةُ . قَالَ : الظَّالِمَةُ أَوَّلِكَ هُمْ أَصْحَابُ
النَّارِ

رَوَى أَنَّ سَعِيدَ بْنَ عُمَرَ بْنَ حَذِيمٍ وَعَظَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَوْمًا . فَقَالَ

لَهُ عُمْرٌ : وَمَنْ يُطِيقُ ذَلِكَ . قَالَ : أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . مَا هُوَ إِلَّا أَنْ تَقُولَ قُتْلُ طَاعٍ . فَلَا يَجْسُرُ أَحَدٌ عَلَى مُخَالَفَتِكَ (نوادير القلوب)

٦٩ قَالَ أَبُو عَمْرٍو : وَلَمَّا اخْتَضِرَ ذُو الْأَيْصَعِ دَعَا ابْنَهُ أَسِيدًا . فَقَالَ لَهُ : يَا بُنَيَّ إِنَّ أَبَاكَ قَدْ فَنِيَ وَهُوَ حَيٌّ وَعَاشَ حَتَّى سَمِعَ الْعِشْرَ . وَإِنِّي مُوصِيكَ بِمَا إِن حَفِظْتَهُ بَلَغْتَ فِي قَوْمِكَ مَا بَلَغْتَهُ . فَاحْفَظْ عَنِّي : إِنْ جَانَبَكَ لِقَوْمِكَ يُحِبُّوكَ . وَتَوَاضَعَ لَهُمْ يَرْفَعُوكَ . وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ يُطِيعُوكَ . وَلَا تَسْتَأْثِرْ عَلَيْهِمْ بِشَيْءٍ يُسَوِّدُوكَ . وَاکْرِمْ صِغَارَهُمْ كَمَا تَكْرِمُ كِبَارَهُمْ يُكْرِمُكَ كِبَارَهُمْ . وَيَكْبُرُ عَلَى مَوَدَّتِكَ صِغَارُهُمْ . وَاسْمَعْ بِمَا لَكَ . وَأَعِزْ جَارَكَ . وَأَعِزْ مَنْ أَسْتَعَانَ بِكَ . وَأكْرِمْ ضَيْفَكَ . وَأَسْرِعِ النَّهْضَةَ فِي الصَّرِيحِ فَإِنَّ لَكَ أَجَلًا لَا يَعْدُوكَ . وَعَسَى وَجْهَكَ عَنْ مَسْئَلَةٍ أَحَدٍ شَيْئًا فَبِذَلِكَ يَتِمُّ سُودُوكَ (للأصبهاني)

٧٠ سُئِلَ بَعْضُ أَلْيَ كَهْمَاءَ : أَيُّ الْأُمُورِ أَشَدُّ تَأْيِيدًا لِلْعَقْلِ وَأَيُّهَا أَشَدُّ إِضْرَارًا بِهِ . فَقَالَ : أَشَدُّهَا تَأْيِيدًا لَهُ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ : مُشَاوَرَةُ الْعُلَمَاءِ . وَتَجَرِبَةُ الْأُمُورِ . وَحُسْنُ التَّثَبُّتِ . وَأَشَدُّهَا إِضْرَارًا بِهِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ : الْإِسْتِبْدَادُ . وَالتَّهَؤُنُ . وَالْعَجَلَةُ (لابن عبد ربّه)

٧١ قَالَ الشَّاعِرُ :

إِنَّ الْمَكَارِمَ أَخْلَاقٌ مُطَهَّرَةٌ فَالْدِّينُ أَوَّلُهَا وَالْعَقْلُ ثَانِيهَا
وَالْعِلْمُ ثَالِثُهَا وَالْحِلْمُ رَابِعُهَا وَالْجُودُ خَامِسُهَا وَالْعُرْفُ سَادِسُهَا
وَالْبِرُّ سَابِعُهَا وَالصَّبْرُ ثَامِنُهَا وَالشُّكْرُ تَاسِعُهَا وَاللَّيْنُ عَاشِيَهَا

وَالْعَيْنُ تَعْلَمُ مِنْ عَيْنِي مُحَدَّثَهَا . إِنْ كَانَ مِنْ حِزْبِهَا أَوْ مِنْ أَعَادِيهَا
وَالنَّفْسُ تَعْلَمُ أَنِّي لَا أَصَدِّقُهَا . وَلَسْتُ أُرْشِدُ إِلَّا حِينَ أُعْصِيهَا
٧٢ قَالُوا : ثَلَاثَةٌ لَا يُنْدَمُ عَلَى مَا سَلَفَ إِيَّاهُمْ . اللَّهُ فِي عَمَلٍ لَهُ
وَالْمَوْلَى الشُّكُورُ فِيمَا أَسْدَى إِلَيْهِ . وَالْأَرْضُ الْكَرِيمَةُ فِيمَا بُذِرَ فِيهَا .
وَقَالُوا : ثَلَاثَةٌ لَا بَقَاءَ لَهَا . ظِلُّ الْغَمَامِ . وَصُحْبَةُ الْأَشْرَارِ . وَالثَّنَاءُ
الْكَاذِبُ . وَقَالُوا : ثَلَاثَةٌ لَا تَكُونُ إِلَّا فِي ثَلَاثَةٍ . الْغَنَى فِي النَّفْسِ .
وَالشَّرَفُ فِي التَّوَاضُعِ . وَالْكَرَمُ فِي التَّقْوَى . وَقَالُوا : ثَلَاثَةٌ لَا تُعْرَفُ
إِلَّا فِي ثَلَاثَةٍ . ذُو الْبَأْسِ لَا يُعْرَفُ إِلَّا عِنْدَ الْإِقَاءِ . وَذُو الْأَمَانَةِ لَا
يُعْرَفُ إِلَّا عِنْدَ الْأَخْذِ وَالْعَطَاءِ . وَالْإِخْوَانُ لَا يُعْرَفُونَ إِلَّا عِنْدَ
النَّوَائِبِ

٧٣ قَالَ أَبُو بَرٍّ لِكَاتِبِهِ : إَعْلَمْ أَنَّ دَعَائِمَ الْمَقَالَاتِ أَرْبَعٌ . إِنْ التُّمِسَ
لَهَا خَامِسٌ لَمْ يُوجَدْ . وَإِنْ نَقَصَ مِنْهَا وَاحِدٌ لَمْ تَتِمَّ . وَهِيَ سُؤَالُكَ
الشَّيْءَ . وَأَمْرُكَ بِالشَّيْءِ . وَإِخْبَارُكَ عَنِ الشَّيْءِ . وَسُؤَالُكَ عَنِ الشَّيْءِ .
فَإِذَا طَلَبْتَ فَأَنْبِجْ . وَإِذَا سَأَلْتَ فَأَوْضِحْ . وَإِذَا أَمَرْتَ فَأَحْكَمْ . وَإِذَا
أَخْبَرْتَ فَحَقِّقْ . وَاجْمَعْ الْكَثِيرَ مِمَّا تُرِيدُ فِي التَّلِيلِ مِمَّا تَقُولُ (يُرِيدُ
الْكَلَامَ الَّذِي تَقُلُ حُرُوفُهُ وَتَكْثُرُ مَعَانِيهِ)

٧٤ قَالَتِ الْحَكَمَاءُ : الْإِخْوَانُ ثَلَاثَةٌ . أَخٌ يُخَاصُّ لَكَ وَدَّهُ .
وَيَبْذِلُ لَكَ رِفْدَهُ . وَيَسْتَفْرِغُ فِي مِهْمِكَ جُهْدَهُ . وَأَخٌ ذُو نِيَّةٍ يَقْتَصِرُ
بِكَ عَلَى حَسَنِ نِيَّتِهِ . دُونَ رِفْدِهِ وَمَعُونَتِهِ . وَأَخٌ يَتِمَّقُ لَكَ بِإِسَانِهِ .

وَيَتَشَاغَلُ عَنْكَ بِشَانِهِ . وَيُوسِعُكَ مِنْ كَذِبِهِ وَأَيَّامِهِ

٧٥ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ تَعَلَّمْ حُسْنَ الْإِسْتِمَاعِ كَمَا تَعَلَّمْ حُسْنَ الْحَدِيثِ . وَلْيَعَلِّمْ النَّاسُ أَنَّكَ أَحْرَصُ عَلَى أَنْ تَسْمَعَ مِنْكَ عَلَى أَنْ تَقُولَ . فَاحْذَرِ أَنْ تُسْرِعَ فِي الْقَوْلِ فَيَأْجِبُ عَنْهُ الرُّجُوعُ بِالْفِعْلِ . حَتَّى يَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّكَ عَلَى فِعْلٍ مَا لَمْ تَقُلْ أَقْرَبُ مِنْكَ إِلَى قَوْلٍ مَا لَمْ تَفْعَلْ (لَابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ)

٧٦ أُنْشِدَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمَعْلَمُ غَيْرُهُ هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ
تَصِفُ الدَّوَاءَ لِذِي السَّقَامِ وَذِي الضَّنَى

كَيْفَا يَصِحُّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمُ

وَنَزَاكَ تُصْلِحُ بِالرِّشَادِ عُقُولَنَا أَبَدًا وَأَنْتَ مِنَ الرِّشَادِ عَدِيمُ
فَأَبَدًا بِنَفْسِكَ فَأَنْهَاهَا عَنْ غِيَّهَا فَإِذَا أَنْتَ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمُ
فَهَبْنَاكَ يُثَبِّلُ مَا تَقُولُ وَيَهْتَدِي بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ
لَا نَبَهُ عَنْ خُلُقِي وَتَأْنِي مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

٧٧ قَالَ أَرِسْطَاطَالِسُ الْإِسْكَنْدَرِي : إِنَّ النَّاسَ إِذَا قَدَرُوا أَنْ يَقُولُوا
قَدَرُوا أَنْ يَفْعَلُوا . فَأَعْتَرَسَ مِنْ أَنْ يَقُولُوا . تَسَلَّمَ مِنْ أَنْ يَفْعَلُوا

٧٨ قَالَ الْعُتْبِيُّ : اجْتَمَعَتِ الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ عَلَى أَرْبَعِ كَلِمَاتٍ . قَالُوا :
لَا تَحْمِلَنَّ عَلَى قَلْبِكَ مَا لَا تُطِيقُ . وَلَا تَعْمَلَنَّ عَمَلًا لَيْسَ لَكَ فِيهِ مَنَفَعَةٌ .
وَلَا تَتَّقِ بِأَمْرَةٍ . وَلَا تَغْتَرَّ بِمَالٍ وَإِنْ كَثُرَ

٧٩ قَالَ لَقَمَانُ لِابْنِهِ : لَا تَزُكِّنْ إِلَى الدُّنْيَا وَلَا تَشْفَعْ قَلْبِكَ بِهَا
يَا بَنِيَّ لَمْ تُخْلَقْ لَهَا . وَمَا خَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا أَعْمُونَ عَلَيْهِ مِنْهَا فَإِنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ
نَعِيمَهَا ثَوَابًا لِلْمُطِيعِينَ . وَلَا بَلَاءَهَا عِقَابًا لِلْعَاصِينَ . يَا بَنِيَّ لَا تَصْحَكُ
مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ . وَلَا تَمْسُ فِي غَيْرِ أَرْبٍ . وَلَا تَسْأَلْ عَمَّا لَا يَعْنِيكَ . يَا بَنِيَّ
لَا تُضِعْ مَالَكَ وَتُضِلَّ مَالَ غَيْرِكَ . فَإِنَّ مَالَكَ مَا قَدَّمْتَ . وَمَالَ غَيْرِكَ
مَا تَرَكْتَ . يَا بَنِيَّ إِنَّهُ مَنْ رَحِمَ رَحِمَ . وَمَنْ يَصْحَبْ يَصْحَبْ . وَمَنْ يَقُلْ
الْخَيْرَ يَنْجُ . وَمَنْ يَقُلْ الْبَاطِلَ يَأْتُم . وَمَنْ لَا يَمْلِكْ لِسَانَهُ يَنْدَم .
يَا بَنِيَّ زَاكِمُ الْعُلَمَاءِ بِرُكْبَتِكَ . وَأَنْصِتْ إِلَيْهِمْ بِأَذْنِكَ . فَإِنَّ الْقَلْبَ
يَحْيَا بِنُورِ الْعُلَمَاءِ . كَمَا تَحْيَا الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ بِطَارِ السَّمَاءِ

٨٠ قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : مَا بَلَغَتْ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً قَالَ لِي أَبِي :
يَا بَنِيَّ قَدْ تَقَطَّعَتْ عَنْكَ شُرَائِعُ الصِّبَا . فَالْزِمِ الْحَيَاءَ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ .
وَلَا تَزَالِيهِ فَتَبِينَ مِنْهُ . وَلَا يَغُرَّنَّكَ مَنْ مَدَحَكَ بِمَا تَعْلَمُ خِلَافَهُ مِنْ
نَفْسِكَ . فَإِنَّهُ مَنْ قَالَ فِيكَ مِنَ الْخَيْرِ مَا لَمْ يَعْلَمْ إِذَارِضِي . قَالَ فِيكَ
مِنْ الشَّرِّ مِثْلَهُ إِذَا سَخِطَ . فَاسْتَأْنِسْ بِالْوَحْدَةِ مِنْ جُلَسَاءِ السُّوءِ تَسْلَمْ
مِنْ غِبِّ عَوَاقِبِهِمْ (لابن عبد ربه)

٨١ قَالَ أَبُو الْعَيْنَاءِ :

إِذَا أَعْجَبَتْكَ خِصَالُ أَمْرٍ فَكُنْهُ يَكُنْ بِنَاكَ مَا تُعْجِبُكَ
وَلَيْسَ عَلَى الْمَجْدِ وَالْمَكْرُمَاتِ حِجَابٌ إِذَا جُتِّهَتْ يُعْجِبُكَ
٨٢ مِنْ كَلَامِ أُمَيْرِئُسَ : إِيَّاهُمْ أَخْلَاكَ الْبَيْتَةُ فَإِنَّمَا إِذَا وَصَلَتْ

إِلَى حَاجَتِهَا مِنْ الدُّنْيَا كَانَتْ كَالْحُطْبِ لِلنَّارِ وَالْمَاءِ لِلسَّمَكِ . وَإِذَا
عَزَلَتْهَا عَنْ مَارِبِهَا وَحُلَّتْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا تَهْوَى انْطَفَأَتْ كَأَنْطَفَاءِ النَّارِ
عِنْدَ فِئْدَانِ الْحُطْبِ . وَهَلَكَتْ كَهَلَالِ السَّمَكِ عِنْدَ فِئْدَانِ الْمَاءِ
٣ . قَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِي :

إِذَا طَالَ بَتُّ النَّفْسِ يَوْمًا بِشَهْوَةٍ وَكَانَ إِلَيْهَا فِي الْخِلَافِ طَرِيقُ
فَخَائِفٍ هَوَاهَا مَا اسْتَطَعَتْ فَإِنَّمَا هَوَاهَا عَدُوٌّ وَالْخِلَافُ صَدِيقُ
٨٤ . وَمِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ نَقَلَهُ الشَّيْخُ الْمَفِيدُ فِي الْإِرْشَادِ : كُلُّ
قَوْلٍ لَيْسَ لِلَّهِ فِيهِ ذِكْرٌ فَهُوَ لَعْنٌ . وَكُلُّ صَبْتٍ لَيْسَ فِيهِ فِكْرٌ فَسَهْوٌ .
وَكُلُّ نَظَرٍ لَيْسَ فِيهِ اعْتِبَارٌ فَاهْوٌ .

٨٥ . وَمِنْ كَلَامِ الْحُكَمَاءِ . إِنْ مَرَّتْكَ الصَّغِيرَةُ وَمَرَّتْكَ الْكَبِيرَةُ
سَيَّانٍ . فَقِيلَ : وَكَيْفَ ذَلِكَ . فَقَالَ : الْجُرْأَةُ وَاحِدَةٌ . وَمَا عَفَّ عَنْ
الدَّرَّةِ . مَنْ يَسْرِقُ الدَّرَّةَ

٨٦ (سَانِحَةٌ) غَفْلَةُ الْقَلْبِ عَنِ الْحَقِّ مِنْ أَعْظَمِ الْعُيُوبِ . وَأكْبَرُ
الذُّنُوبِ . وَلَوْ كَانَتْ أَنَا مِنْ الْأَنَاتِ أَوْ لَحْمَةً مِنَ اللَّحْمَاتِ . حَتَّى إِنْ
أَهْلَ الْقُلُوبِ عَدُّوا الْمَافِلَ فِي أَنْ الْغَفْلَةَ مِنْ جُمْلَةِ الْكُفَّارِ . وَكَمَا يُعَاقِبُ
الْعَوَامُّ عَلَى سَيِّئَاتِهِمْ كَذَلِكَ يُعَاقِبُ الْخَوَاصُّ عَلَى غَفَلَاتِهِمْ . فَاجْتَنِبِ
الْإِخْتِلَاطَ بِأَصْحَابِ الْغَفْلَةِ عَلَى كُلِّ حَالٍ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ مِنْ
زُمَرَةِ أَهْلِ الْكَمَالِ

٨٧ . أَوْصَى بَعْضُ الْحُكَمَاءِ ابْنَهُ فَقَالَ : لِيَكُنْ عَقْلُكَ دُونَ دِينِكَ .

وَقَوْلِكَ دُونَ فِعْلِكَ . وَلِبَاسِكَ دُونَ قَدْرِكَ

٨٨ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : أَرْبَعٌ مِنْ خِصَالِ الْجَهْلِ . مَنْ غَضِبَ عَلَى مَنْ لَا يُرْضِيهِ . وَجَلَسَ إِلَى مَنْ لَا يُدْنِيهِ . وَتَفَاقَرَ إِلَى مَنْ لَا يُغْنِيهِ . وَتَكَلَّمَ بِمَا لَا يَنْبَغِيهِ

٨٩ قِيلَ لِحَكِيمٍ : إِنَّ الَّذِي قُتِلَهُ لِأَهْلِ مَدِينَةٍ كَذَا لَمْ يَقْبَلُوهُ . فَقَالَ : لَا يَلْزُمُنِي أَنْ يُقْبَلَ بَلْ يَلْزُمُنِي أَنْ يَكُونَ صَوَابًا
قَالَ حَكِيمٌ : لَا يَكُونُ الرَّجُلُ عَاقِلًا حَتَّى يَكُونَ عِنْدَهُ تَعْنِيفُ النَّاصِحِ
الْطَّفَ نَوْقًا مِنْ مَلَى الْكَاشِحِ (لِبَهَاءِ الدِّينِ)

٩٠ قَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيُّ :

إِذَا صَحِبْتَ الْمُلُوكَ فَأَلْبَسْ مِنَ التَّوَقِّيِ أَغْرَ مَلْبَسٍ
وَأَدْخُلْ إِذَا مَا دَخَلْتَ أَغْمَى وَأَخْرُجْ إِذَا مَا خَرَجْتَ أَخْرَسَ
٩١ قَالَ بَعْضُهُمْ : عَشِيرَتُكَ مِنْ أَحْسَنِ عَشَرَتِكَ . وَعَمَلُكَ مِنْ عَمَلِكَ
خَيْرُهُ . وَقَرِيبُكَ مِنْ قَرَبٍ مِنْكَ نَفْعُهُ

٩٢ قَالَ سُقْرَاطُ وَهُوَ تَلْمِيزُ فَيْثَاغُورَسَ الْحَكِيمِ : إِذَا أَقْبَاتِ
الْحِكْمَةَ خَدَمْتَ الشَّهَوَاتِ الْعُقُولَ . وَإِذَا أَدْبَرْتَ خَدَمْتَ الْعُقُولُ
الشَّهَوَاتِ

٩٣ مِنْ كَلَامِ الْحُكَمَاءِ : لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرَى الْقَذَى فِي عَيْنِ أَخِيهِ
وَلَا يَرَى الْجَذَعَ الْمُعْتَرِضَ فِي حَلْقِ نَفْسِهِ

٩٤ وَمِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ : لَوْلَا أَنَّهُ لَا يَسْتَحْفُ بِهِمُ السُّلْطَانُ

وَالْعَالِمُ وَالصَّادِقُ . فَمَنْ اسْتَخَفَّ بِالسَّاطَانِ ذَهَبَتْ دُنْيَاهُ . وَمَنْ
اسْتَخَفَّ بِالْعَالِمِ ذَهَبَ دِينُهُ . وَمَنْ اسْتَخَفَّ بِالصَّادِقِ ذَهَبَتْ مَرْوَتُهُ
(لبهاء الدين)

٩٥ أَنشَدَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

ثَلَاثَةٌ يُجْهَلُ مِقْدَارُهَا الْأَمْنُ وَالصِّدْقُ وَالْمَوْتُ
فَلَا تَتَّقِ بِالْمَالِ مِنْ غَيْرِهِمَا لَوْ أَنَّهُ دُرٌّ وَيَاقُوتُ
قِيلَ : لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَسْكُنَ بَلَدًا لَيْسَ فِيهِ خَمْسَةُ أَشْيَاءَ . سُلْطَانٌ
حَازِمٌ . وَقَاضٍ عَادِلٌ . وَطَيِّبٌ عَالِمٌ . وَنَهْرٌ جَارٌ . وَسُوقٌ قَائِمٌ
قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : ثَلَاثُ مَهَاكِكُ وَثَلَاثُ مُنْجِيَاتٍ . نَأْمًا
الْمَهَاكِكُ . فَشَحُّ مَطَاعٍ . وَهَوَى مُتَّبِعٍ . وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ . وَنَأْمًا
الْمُنْجِيَاتُ . فَخَشْيَةُ اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ . وَالنَّصْدُ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ .
وَالْعَدْلُ فِي الرِّضَاءِ وَالْغَضَبِ (لطائف العرب)

٩٦ قِيلَ : إِذَا أَقْبَلَتِ الدُّنْيَا عَلَى إِنْسَانٍ أَعَارَتْهُ مَخَاسِنَ غَيْرِهِ . وَإِذَا
أَدْبَرَتْ عَنْهُ سَلَبَتْهُ مَخَاسِنَ نَفْسِهِ . (رسالة آداب للمستعصمي)

٩٧ قِيلَ : مَا مِنْ خَصْلَةٍ تَكُونُ لِلْغَنِيِّ مَدْحًا إِلَّا وَتَكُونُ لِلْفَقِيرِ ذَمًّا .
فَإِنْ كَانَ حَلِيمًا قِيلَ : ذَلِيلٌ . وَإِنْ كَانَ شَجَاعًا قِيلَ : أَهْوَجٌ . وَإِنْ كَانَ
لِسِنًا قِيلَ : مَهْدَارٌ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِذَا كُنْتَ لَا تُرْجَى لِدَفْعِ مُلِمَةٍ وَلَمْ يَكُنْ فِي الْمَعْرُوفِ عِنْدَكَ مَطْمَعٌ

وَلَا أَنْتَ مِمَّنْ يُسْتَعَانُ بِجَاهِهِ . وَلَا أَنْتَ يَوْمَ الْحَشْرِ مِمَّنْ يُشْفَعُ
فَعِيشَتِكَ فِي الدُّنْيَا وَمَوْتُكَ وَاحِدٌ . وَعُودُ خِلَالٍ مِنْ وَصَالِكَ أَنْفَعُ
قَالَ عُمَرُ لِلْأَخْفِ بْنِ قَيْسٍ : مَنْ كَثُرَ ضَحْكُهُ قَلَّتْ هَيْبَتُهُ . وَمَنْ
اِكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ . وَمَنْ كَثُرَ مِرَاحُهُ . كَثُرَ سَقَطُهُ . وَمَنْ كَثُرَ
سَقَطُهُ . قَلَّ وَرَعُهُ . وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ . قَلَّ حَيَاؤُهُ . وَمَنْ ذَهَبَ حَيَاؤُهُ .
مَاتَ قَلْبُهُ

٩٨ قَالَ الْحَسَنُ : أَيُّهَا النَّاسُ نَافِسُوا فِي الْمَكَارِمِ . وَسَارِعُوا فِي
الْمَغَانِمِ . وَلَا تَحْتَسِبُوا بِمَعْرُوفٍ لَمْ تَعْمَلُوهُ . وَلَا تَكْسِبُوا بِالْمُطْلِ ذِمًّا .
وَأَعْلَمُوا أَنَّ حَوَائِجَ النَّاسِ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ . فَلَا تَنَالُوا النِّعَمَ فَتَحُولَ
نِقْمًا . وَأَنَّ أَجُودَ النَّاسِ مَنْ أُعْطِيَ مَنْ لَا يَرْجُوهُ . وَأَنَّ أَغْنَى النَّاسِ
مَنْ عَفَا مِنْ قُدْرَةٍ . وَمَنْ أَحْسَنَ أَحْسَنَ اللَّهِ إِلَيْهِ . وَاللَّهُ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ . وَقَالَ أَيْضًا : لَا تَتَكَلَّفْ مَا لَا تُطِيقُ . وَلَا تَتَعَرَّضْ لِمَا لَا
تُدْرِكُ . وَلَا تَعْدَ بِمَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ . وَلَا تُنْفِقْ إِلَّا بِقَدْرِ مَا تَسْتَفِيدُ .
وَلَا تَطْلُبْ مِنَ الْجَزَاءِ إِلَّا بِقَدْرِ مَا صَنَعْتَ . وَلَا تَفْرَحْ إِلَّا بِمَا نِلْتَ مِنْ
طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى . وَلَا تَتَنَاوَلَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ نَفْسَكَ أَهْلًا لَهُ

٩٩ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لَجَلِيسِي عَلِيٌّ ثَلَاثٌ . أَنْ أَرْمِيَهُ بِطَرْفِي إِذَا
أَقْبَلَ . وَأَنْ أَوْسَعَ لَهُ إِذَا جَلَسَ . وَأَضْغِي إِلَيْهِ إِذَا حَدَّثَ
١٠٠ أَوْصَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَجُلًا . فَقَالَ : لَا تَتَكَلَّمْ بِمَا لَا يَغْنِيكَ .
وَدَعِ الْكَلَامَ فِي كَثِيرٍ مِمَّا يَغْنِيكَ حَتَّى تَجِدَ لَهُ مَوْضِعًا . وَلَا تَمَارِئَنَّ

حَلِيمًا وَلَا سَفِيهًا . فَإِنَّ الْحَلِيمَ يُطْعِمُكَ . وَالسَّفِيهَ يُؤْذِيكَ . وَادْكُرْ أَخَاكَ
إِذَا تَوَارَى عَنْكَ بَمَا تُحِبُّ أَنْ يَذْكُرَكَ إِذَا تَوَارَيْتَ عَنْهُ . وَدَعُهُ مِمَّا
تُحِبُّ أَنْ يَدْعَكَ مِنْهُ فَإِنَّ ذَلِكَ الْعَدْلُ . وَاعْمَلْ عَمَلِ أَمْرِي يَعْلَمُ أَنَّهُ
مُجْزِي بِالْإِحْسَانِ مَاخُودٌ بِالْإِجْرَامِ .

١٠١ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ : كَمَالُ الْمَرْءِ فِي خِلَالِ ثَلَاثٍ . مُعَاشَرَةُ
أَهْلِ الرَّأْيِ وَانْفِطَانَةُ . وَمُدَارَاةُ النَّاسِ بِالْمُعَاشَرَةِ الْجَمِيلَةِ . وَالْإِقْتِصَادُ
مِنْ بُخْلِ وَإِسْرَافٍ

قَالَ بَرْزَجَهُرُ الْكِسْرِيُّ وَعِنْدَهُ أَوْلَادُهُ : أَيُّ أَوْلَادِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ .
قَالَ : أَرْغَبُهُمْ فِي الْأَدَابِ . وَأَجْزَعُهُمْ مِنَ الْعَارِ . وَأَنْظَرُهُمْ إِلَى
الطَّبَةِ الَّتِي فَوْقَهُمْ

١٠٢ قَالَ بِهِرَامُ جُورُ : يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ لَا يُضِيعَ التَّثَبُّتَ عِنْدَ مَا
يَقُولُ وَمَا يَفْعَلُ . فَإِنَّ الرُّجُوعَ عَنِ الْعَمَلِ أَحْسَنُ مِنَ الرُّجُوعِ عَنِ
الْكَلَامِ . وَالْعَطِيَّةُ بَعْدَ الْمَنْعِ خَيْرٌ مِنَ الْمَنْعِ بَعْدَ الْعَطِيَّةِ . وَالْإِقْدَامُ
عَلَى الْعَمَلِ بَعْدَ التَّائِي خَيْرٌ مِنَ الْإِمْسَاكِ عَنْهُ بَعْدَ الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ

١٠٣ وَقَالَ كِسْرِيُّ لِحُكَمَاءِ الْفَرَسِ وَقَدْ اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ : لَيْتَكُمْ كُلَّ
وَاحِدٍ مِنْكُمْ بِكَلِمَاتٍ وَلَا يَكْثُرُهَا . فَقَالَ أَحَدُهُمْ : خَيْرُ الْمُلُوكِ أَرْحَمُهُمْ
ذَرْعًا عِنْدَ الضِّيقِ . وَأَعَدُّهُمْ حُكْمًا عِنْدَ الْغَضَبِ . وَأَرْحَمُهُمْ إِذَا سَلَطَ .
وَأَبْعَدُهُمْ مِنَ الظُّلَمِ عِنْدَ الْثُدْرَةِ . وَأَطْلَبُهُمْ لِرِضَاءِ الرَّعِيَّةِ . وَأَبْسَطُهُمْ
وَجْهًا عِنْدَ الْمُسَاَلَةِ . فَقَالَ كِسْرِيُّ : حَسْبِيَ هَذَا لَا أُرِيدُ عَلَيْهِ مَزِيدًا

١٠٤ قَالَ بَعْضُ مُلُوكِ الْفُرْسِ لِمَازِئَتِهِ . أُوصِيكُمْ بِخَمْسَةِ أَشْيَاءَ فِيهَا رَاحَةٌ أَنْفُسِكُمْ . وَاسْتِقَامَةٌ أُمُورِكُمْ . أُوصِيكُمْ بِتَرْكِ الْمِرَاءِ . وَاجْتِنَابِ التَّنَافُخِ . وَالْإِصْطِبَارِ عَلَى الْقَنَاعَةِ . وَالرِّضَاءِ بِالْحُظُوظِ . وَأُوصِيكُمْ بِكُلِّ مَا لَمْ أَقُلْ مِمَّا يَجْمَلُ . وَأَنَّهَا كَمِ عَنْ كُلِّ مَا لَمْ أَقُلْ مِمَّا يَنْجُجُ .
 قَالَ ابْنُ السَّمَّالِ : الْكَمَالُ فِي خَمْسٍ . أَنْ لَا يَعِيبَ الرَّجُلُ أَحَدًا يَعِيبُ فِيهِ مِثْلُهُ . حَتَّى يُصْلِحَ ذَلِكَ الْعَيْبَ مِنْ نَفْسِهِ . فَإِنَّهُ لَا يَفْرُغُ مِنْ إِصْلَاحِ عَيْبٍ حَتَّى يَهْجُمَ عَلَى آخَرٍ . فَتَشْغَلُهُ عِيُوبُهُ عَنْ عِيُوبِ النَّاسِ .
 وَالثَّانِيَةُ أَنْ لَا يُطْلِقَ لِسَانَهُ وَيَدَهُ حَتَّى يَعْلَمَ أَفِي طَاعَةِ ذَلِكَ أَمٍ فِي مَعْصِيَةٍ . وَالثَّلَاثَةُ أَنْ لَا يَأْتِمِسَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَا يَعْلَمُ أَنَّهُ يُطَهِّرُهُمْ مِنْ نَفْسِهِ مِثْلُهُ . وَالرَّابِعَةُ أَنْ يَسْلَمَ مِنَ النَّاسِ بِاسْتِشْعَارِ مُدَارَاتِهِ وَتَوْفِيتِهِمْ حُقُوقَهُمْ . وَالْخَامِسَةُ أَنْ يُنْفِقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ . وَيُمِيسِكَ الْفَضْلَ مِنْ لِسَانِهِ .

١٠٥ قَالَ حَاتِمُ الزَّاهِدُ : إِذَا رَأَيْتَ مِنْ أَخِيكَ عَيْبًا فَإِنْ كَتَمْتَهُ عَنْهُ فَقَدْ خُنْتَهُ . وَإِنْ قُتِلَتْهُ لِغَيْرِهِ فَقَدْ اغْتَبَيْتَهُ . وَإِنْ وَاجَهْتَهُ فَقَدْ أَوْحَشْتَهُ . فَقَالَ لَهُ إِنْسَانٌ : فَمَا الَّذِي أَصْنَعُ . قَالَ : تَكْنِي عَنْهُ وَتَعْرِضْ بِهِ . وَتَجْمَلُهُ فِي جُمْلَةِ الْحَدِيثِ .

١٠٦ قَالَ ابْنُ وَهْبٍ : لَا يَكُونُ الرَّجُلُ عَاقِلًا حَتَّى يَكُونَ فِيهِ عَشْرُ خِصَالٍ : الْكِبَرُ مِنْهُ مَأْمُونًا . وَالْحَزَنُ فِيهِ مَأْمُولًا . يَتَّقِي بِأَهْلِ الْأَدَبِ مِنْ قَبْلِهِ فَهُوَ إِمَامٌ لِمَنْ بَعْدَهُ . وَحَتَّى يَكُونَ الذُّلُّ فِي طَاعَةِ اللَّهِ أَحَبَّ

إِلَيْهِ مِنَ الْعِزِّ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ . وَحَتَّى يَكُونَ الْفَقْرُ فِي الْحَلَالِ أَحَبَّ إِلَيْهِ
 مِنَ الْغِنَى فِي الْحَرَامِ . وَحَتَّى يَكُونَ عَيْشُهُ الْقَوْتُ . وَحَتَّى يَسْتَقْبِلَ
 الْكَثِيرَ مِنْ عَمَلِهِ . وَيَسْتَكْثِرَهُ مِنْ غَيْرِهِ . وَلَا يَتَبَرَّمُ بِطَلَبِ الْحَوَائِجِ
 قَبْلَهُ . وَأَنْ يَخْرُجَ مِنْ بَيْتِهِ فَلَا يَسْتَقْبِلُ أَحَدًا إِلَّا رَأَى أَنَّ لَهُ دَوْنَهُ
 (للمستعصي)

١٠٧ قَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ :

لَا تَحْقِرَنَّ عَدُوًّا فِي مُخَاصَمَةٍ وَلَوْ يَكُونُ ضَعِيفَ الْبَطْشِ وَالْجَلْدِ
 فَلِبَعُوضَةٍ فِي الْجُرْحِ الْمَدِيدِ يَدٌ تَنَالُ مَا قَصُرَتْ عَنْهُ يَدُ الْأَسَدِ
 ١٠٨ (مِنْ النَّهْجِ) . كَتَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْحَارِثِ الْأَهْمَدَانِيِّ :
 تَمَسَّكَ بِحَبْلِ الدِّينِ . وَأَتَصَحَّحَهُ وَأَجِلَّ حِلَالَهُ . وَحَرِّمَ حَرَامَهُ . وَصَدَّقَ
 بِمَا سَلَفَ مِنَ الْحَقِّ وَأَعْتَبَرَ بِمَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا مَا بَقِيَ مِنْهَا . فَإِنَّ بَعْضَهَا
 يُشَبِّهُ بَعْضًا وَآخِرَهَا لَا حِقِّ أَوَّلَهَا . وَكُلُّهَا حَائِلٌ مُفَارِقٌ . وَعَظِيمُ أَسْمِ
 اللَّهِ لَا تَذْكُرُهُ إِلَّا عَلَى حَقٍّ . وَكَثِيرُ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَمَا بَعْدَ الْمَوْتِ . وَلَا
 تَتَمَنَّ الْمَوْتَ إِلَّا بِشَرْطٍ وَثِيقٍ . وَأَحْذَرُ كُلِّ عَمَلٍ يَرْضَاهُ صَاحِبُهُ لِنَفْسِهِ .
 وَيَكْرَهُهُ لِعَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ . وَأَحْذَرُ كُلِّ عَمَلٍ يَعْمَلُ فِي السِّرِّ وَيُسْتَحْيَا
 مِنْهُ فِي الْعِلَانِيَةِ . وَأَحْذَرُ كُلِّ عَمَلٍ إِذَا سُئِلَ صَاحِبُهُ عَنْهُ أَنْكَرَهُ
 وَأَعْتَذَرَ مِنْهُ . وَلَا تَجْعَلْ عِرْضَكَ غَرَضًا لِنِبَالِ الْقَوْمِ . وَلَا تُحَدِّثْ
 بِكُلِّ مَا سَمِعْتَ فَكَفَى بِذَلِكَ كَذِبًا . وَلَا تَرُدَّ عَلَى النَّاسِ كُلِّ مَا حَدَّثُوكَ
 بِهِ فَكَفَى بِذَلِكَ جَهْلًا . وَكَثِيرُ الْغَيْظِ . وَأَحْلَمُ عِنْدَ الْغَضَبِ .

وَتَجَاوَزَ عِنْدَ الْقُدْرَةِ . وَأَضْفَحَ عَنِ الرِّزَّةِ تَكُنْ لَكَ الْعَاقِبَةُ . وَاسْتَصْلَحَ
 كُلَّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْكَ . وَلَا تَضِعْ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عِنْدَكَ .
 وَلَيَبْنَ عَلَيْكَ أَثَرُ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ . وَأَعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ الْمُؤْمِنِينَ
 أَفْضَلُهُمْ تَقْدِيمَةً مِنْ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ . وَأَنَّكَ مَا تُقَدِّمُ مِنْ خَيْرٍ
 يَبْقَى لَكَ ذَخِيرَةً . وَمَا تُؤَخِّرُ يَكُونُ لِغَيْرِكَ خَيْرُهُ . وَأَحْذَرُ صُحْبَةٍ مَنْ
 تَقْبَلُ رَأْيَهُ وَتُنْكِرُ عَمَلَهُ . فَإِنَّ الصَّاحِبَ مُعْتَبَرٌ بِصَاحِبِهِ . وَأَحْذَرُ مَنَازِلِ
 الْعَفَاةِ وَالْجَفَاءِ وَقِلَّةِ الْأَعْوَانِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ . وَأَقْصِرْ رَأْيَكَ عَلَى مَا
 يَنْعِيكَ . وَإِيَّاكَ وَمَقَاعِدَ الْأَسْوَاقِ فَإِنَّهَا تَحَاضِرُ الشَّيْطَانَ وَمَعَارِضُ
 الْفِتَنِ . وَأَطِيعِ اللَّهَ فِي كُلِّ أَمْرٍ فَإِنَّ طَاعَةَ اللَّهِ تَعَالَى فَاضِلَةٌ عَلَى مَا
 سِوَاهَا . وَإِيَّاكَ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ آتِيٌّ مِنْ رَبِّكَ فِي طَلَبِ
 الدُّنْيَا . وَإِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْأَشْرَارِ فَإِنَّ الشَّرَّ بِالشَّرِّ يَلْحَقُ . وَفِرَّ إِلَى
 اللَّهِ وَاجِبَ أَحِبَّاءِهِ . وَأَحْذَرِ الْغَضَبَ فَإِنَّهُ جُنْدٌ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ
 وَالسَّلَامُ

(إيهاء الدين العالمي)

نخبة من ارجوزة ابن مكناس

١٠٩ هَلْ مِنْ فِتْنٍ ظَرِيفٍ . مُعَاشِرٍ لَطِيفٍ . يَسْمَعُ مِنْ مَقَالِي . مَا يُرْخِصُ
 اللَّالِي . أَمْنَهُ وَصِيَّةً . سَارِيَةً سَرِيَّةً . تُبِيرُ فِي الدِّيَا حِي . كَلِمَةً السَّرَاجِ .
 رَشِيقَةً الْأَلْفَاظِ . تَسْهَلُ لِلْحِفَاطِ . جَادَتْ بِهَا الْقَرِيحَةُ . فِي مَعْرِضِ
 النَّصِيحَةِ . أَنَا الشَّفِيقُ النَّاصِحُ . أَنَا الْمَجْدُ الْمَارِحُ . إِنْ تَبَتَّغِ الْكَرَامَةَ .
 وَاطْلُبِ السَّلَامَةَ . أَسْأَلُكَ مَعَ النَّاسِ الْأَدَبَ . تَرَى مِنَ الدَّهْرِ الْعَجَبَ .

لِنْ لَهُمُ الْخُطَابَا. وَاعْتَمِدِ الْآدَابَا. تَلْ بِهَا الطَّلَابَا. وَتَسْخِرِ الْأَلْبَابَا.
وَلَا تُطَاوِلْ بِنَشْبٍ. وَلَا تُفَاخِرْ بِنَسَبٍ. فَأَمْرُ ابْنِ الْيَوْمِ. وَالْعَقْلُ
زَيْنُ الْقَوْمِ. مَا أَرَوْضُ السِّيَاسَةَ. إِصَاحِبِ الرِّئَاسَةَ. إِنْ شِئْتَ تَأْتِي
مُحْسِنًا. فَلَا تَقُلْ يَوْمًا أَنَا. أَعِزُّ فِي الْأَمَانَةِ. وَالْكَيسُ فِي الْقَطَانَةِ.
الْقَصْدُ بَابُ الْبَرَكَةِ. وَالْخَرْقُ دَاعِي الْهَلَاكَةِ. لَا تُغْضِبِ الْحَاسِبَا.
لَا تُوحِشِ الْأَنْبِيَا. لَا تَصْغَبِ الْخُصِيَا. لَا تُسْخِطِ الرِّئِيسَا. لَا تَكْثُرِ
الْعِتَابَا. تُقَرِّ الْأَصْحَابَا. فَكَثْرَةُ الْمَعَاتِبَةِ. تَدْعُو إِلَى الْعُجَانِبَةِ. وَإِنْ
حَلَّتْ مَجْلِسًا. بَيْنَ سَرَاةٍ رُؤَسَا. إِنْصِدِرْ رِضَا الْجَمَاعَةِ. وَكُنْ غَلَامَ
الطَّاعَةِ. وَدَارِهِمْ بِاللُّطْفِ. وَأَحْذَرْ وَبَالَ السُّخْفِ. وَأَخْتَصِرِ السُّوْلاً.
وَقَاتِلِ الْمَقَالَا. وَلَا تَكُنْ مُعَرِّبًا. وَلَا بَغِيضًا نَكِدًا. لَا تَحْمِلِ الطَّعَامَا.
وَالثَّقْلَ وَالْمُدَامَا. فَذَاكَ فِي الْوَلِيمَةِ. شِنَاعَةُ عَظِيمَةٍ. لَا يَرْضَاهَا آدَمِي.
غَيْرُ مَقِلٍّ عَادِمٍ. وَقُلْ مِنَ الْكَلَامِ. مَا لَاقَ بِالْمُدَامِ. كَرَاتِقِ الْأَشْعَارِ.
وَطَيْبِ الْأَخْبَارِ. وَأَتْرُكْ كَلَامَ السَّفِيلَةِ. وَالنَّكَتَ الْمُبْتَذَلَةَ. إِيَّاكَ
وَالنُّطْفِيَا. وَشُومَةَ الْوَبِيَا. وَلَا تَكُنْ مَبْذُولًا. وَلَا تَكُنْ مَلُودًا. أَلْجُلْ لَا
تَأْلُفْ. وَالْجُلْ لَا تَصْدِفْ. وَلَا تَقُلْ لِمَنْ تُحِبُّ. ضَيْفُ الْكَرَامِ
يَصْطَحِبُ. وَلَا تَكُنْ مُلْحَاخًا. وَاجْتَنِبِ الْمَزَاحَا. فَكَثْرَةُ الْمُجُونِ. نَوْعُ
مِنَ الْجُنُونِ. فَالشُّومُ فِي اللَّجَاجِ. وَالْحَرْقُ لَا يُدَاجِي. وَهَذِهِ الْوَصِيَّةُ.
الْأَنْبَسُ الْأَيَّةُ. أَخْتَارَهَا لِنَفْسِي. وَإِخْوَتِي وَجَنَسِي. فَمَا كُفَا وَصِيَّةُ.
تَصْنِيْعَهَا التَّحِيَّةُ. تَحْمِلُهَا الْكَرَامُ. إِلَيْكَ وَالسَّلَامُ

١١٠ إِنِّي نَاصِحُكَ بِبَعْضِ نَصَائِحِ أَقْبَلِهَا مِنِّي لِئَلَّا يَكُونَ عَلَيْكَ خَصَمًا عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . تَعْمَلُ مِنْهَا وَتَدَعُ مِنْهَا . وَأَمَّا مَا تَدَعُ فَلِأَوَّلِ أَنْ لَا تُنَاطِرَ أَحَدًا فِي مَسْئَلَةٍ مَا اسْتَطَعْتَ . لِأَنَّ فِيهَا آفَةً كَثِيرَةً وَإِثْمًا فِي نَفْعِهَا كَبِيرٌ إِذْ هِيَ مَنَبِعُ كُلِّ خُلُقٍ ذَمِيمٍ كَالرِّئَاءِ وَالْحَسَدِ وَالْكِبَرِ وَالْحَقْدِ وَالْعَدَاوَةِ وَالْمُبَاهَاةِ وَغَيْرِهَا . نَعَمْ لَوْ وَقَعَ مَسْئَلَةٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ شَخْصٍ أَوْ قَوْمٍ وَكَانَ إِرَادَتُكَ فِيهَا أَنْ تُظْهِرَ الْحَقَّ جَازَاكَ الْجَنَّةُ لَكِنَّ لِيْلِكَ الْإِرَادَةَ عَلَامَتَانِ . إِحْدَاهُمَا أَنْ لَا تَفْرُقَ بَيْنَ أَنْ يَكْشِفَ الْحَقُّ عَلَى لِسَانِكَ أَوْ عَلَى لِسَانِ غَيْرِكَ . وَثَانِيَتُهُمَا أَنْ يَكُونَ الْجَنَّةُ فِي الْخَلَاءِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِي الْمَلَأِ . وَالثَّانِي مِمَّا تَدَعُ وَهُوَ أَنْ تَحْذَرَ وَتَحْتَرِزَ مِنْ أَنْ تَكُونَ وَاعِظًا وَمُذَكِّرًا لِأَنَّ آفَتَهُ كَثِيرَةٌ إِلَّا أَنْ تَعْمَلَ بِمَا تَقُولُ أَوَّلًا ثُمَّ تَعِظَ بِهِ النَّاسَ فَتَفَكَّرَ فِيمَا قِيلَ لِبَعْضِهِمْ عِظَ نَفْسِكَ فَإِنْ أَتَعِظْتَ فَعِظِ النَّاسَ وَإِلَّا فَاسْتَحْيِ رَبَّكَ إِنْ أَتَيْتَ بِهَذَا الْعَمَلِ

وَأَمَّا مَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَفْعَلَهُ . فَلِأَوَّلِ أَنْ تَجْعَلَ مُعَامَلَتَكَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى . بِحَيْثُ لَوْ عَمِلَ مَعَكَ بِهَا عَبْدُكَ تَرْضَى بِهَا مِنْهُ . وَلَا يَضِيقُ خَاطِرُكَ عَلَيْهِ وَلَا تَغْضَبُ . وَمَا لَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ مِنْ عَبْدِكَ الْمُبَازِي فَلَا تَرْضَ بِهِ لِلَّهِ تَعَالَى وَهُوَ سَيِّدُكَ الْحَقِيقِيُّ . وَالثَّانِي كُلَّمَا عَمَلْتَ بِالنَّاسِ أَجْعَلْ كَمَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ مِنْهُمْ . لِأَنَّهُ لَا يَكْمُلُ إِيمَانُ الْعَبْدِ حَتَّى يُحِبَّ لِسَانُ النَّاسِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ . وَالثَّلَاثُ إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ

أَوْ طَالَعْتُهُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عِلْمًا يُصْلِحُ قَلْبَكَ وَيُزَكِّي نَفْسَكَ

(أيها الولد للغزالي)

(من كلام موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي)

١١١ قَالَ : يَنْبَغِي أَنْ تُحَاسِبَ نَفْسَكَ كُلَّ لَيْلَةٍ إِذَا أُوْتِيتَ إِلَى مَنَامِكَ . وَتَنْظُرَ مَا أَكْتَسَبْتَ فِي يَوْمِكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَتَشْكُرَ اللَّهَ عَلَيْهَا . وَمَا أَكْتَسَبْتَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَتَسْتَغْفِرَ اللَّهَ مِنْهَا وَتَقْلَعَ عَنْهَا . وَتُرَتِّبَ فِي نَفْسِكَ مَا تَعْمَلُهُ فِي غَدِكَ مِنَ الْحَسَنَاتِ . وَتَسْأَلَ اللَّهَ الْإِعَانَةَ عَلَى ذَلِكَ

وَقَالَ : أَوْصِيكَ أَلَّا تَأْخُذَ الْعُلُومَ مِنَ الْكُتُبِ وَإِنْ وَثِقْتَ مِنْ نَفْسِكَ بِقُوَّةِ الْفَهْمِ . وَعَلَيْكَ بِالْأَسْتَاذِينَ فِي كُلِّ عِلْمٍ تَطْلُبُ اكْتِسَابَهُ . وَلَوْ كَانَ الْأُسْتَاذُ نَافِعًا فَخُذْ عَنْهُ مَا عِنْدَهُ حَتَّى تَجِدَ أَكْمَلَ مِنْهُ . وَعَلَيْكَ بِتَعْظِيمِهِ وَتَرْجِيئِهِ وَإِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُفِيدَهُ مِنْ دُنْيَاكَ فَأَفْعَلْ . وَإِلَّا فَبِإِسَانِكَ وَثَنَاتِكَ . وَإِذَا قَرَأْتَ كِتَابًا فَأَحْرَصْ كُلَّ أَحْرَصٍ عَلَى أَنْ تَسْتَظْهِرَهُ وَتَعْلَمَ مَعْنَاهُ . وَتَوْهَّمْ أَنَّ الْكِتَابَ قَدْ عَدِمَ وَأَنَّكَ مُسْتَغْنٍ عَنْهُ وَلَا تَحْزَنْ لِمَقْتَدِهِ

وَإِذَا كُنْتَ مُكَبِّبًا عَلَى دِرَاسَةِ كِتَابٍ وَتَفَهُمِهِ فَإِيَّاكَ أَنْ تَشْتَبِلَ بِآخِرِ مَعَهُ . وَأَصْرِفِ الزَّهْنَ الَّذِي تُرِيدُ صَرْفَهُ فِي غَيْرِهِ إِلَيْهِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَشْتَبِلَ بِعِلْمَيْنِ دَفْعَةً وَاحِدَةً . وَوَاطِبْ عَلَى الْعِلْمِ الْوَاحِدِ سَنَةً أَوْ سَلْتَيْنِ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ . وَإِذَا قَضَيْتَ مِنْهُ وَطَرَكَ . فَأَنْتَقِلْ إِلَى عِلْمٍ آخَرَ

وَلَا تَظُنَّ أَنَّكَ إِذَا حَصَلَتْ عِلْمًا فَقَدْ اكْتَفَيْتَ . بَلْ تَحْتَاجُ إِلَى
مُرَاعَايَةِ لِنَفْسِكَ وَلَا يَنْقُصُ . وَمُرَاعَاةُ تَكُونُ بِالْمَذَاكِرَةِ وَالتَّفَكُّرِ
وَأَشْتِغَالِ الْمُبْتَدِئِ بِالْحَفِظِ وَالتَّعَلُّمِ وَمُبَاحَثَةِ الْأَفْرَانِ وَأَشْتِغَالِ
الْعَالِمِ بِالْتَّعْلِيمِ وَالضَّعِيفِ . وَإِذَا تَصَدَّقْتَ لِتَعْلِيمِ عِلْمٍ أَوْ لِلْمُنَاطَرَةِ
فِيهِ فَلَا تَزُجْ بِهِ غَيْرَهُ مِنَ الْعُلُومِ . فَإِنْ كَلَّ عِلْمٌ مَكْتَسَبٌ بِنَفْسِهِ مُسْتَعْنٍ
عَنْ غَيْرِهِ . فَإِنْ اسْتَعَانَتْكَ فِي عِلْمٍ بِعِلْمٍ عَجَزَ عَنْ اسْتِيفَاءِ أَقْسَامِهِ
كَمَنْ يَسْتَعِينُ بِالْعَمَلِ فِي أَمْرٍ آخَرَ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِ أَوْ جَوَلَ بَعْضُهَا

قَالَ : وَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَمْرَأَ التَّوَارِيخَ وَأَنْ يَطَّلِعَ عَلَى السَّيَرِ
وَتَجَارِبِ الْأُمَمِ . فَيَصِيرُ بِذَلِكَ كَأَنَّهُ فِي عُمْرِهِ الْقَصِيرِ قَدْ أَدْرَكَ الْأُمَمَ
الْحَالِيَةَ وَعَاصِرَهُمْ وَعَاشِرَهُمْ وَعَرَفَ خَيْرَهُمْ وَشَرَّهُمْ

قَالَ : وَيَنْبَغِي أَنْ يَكْثُرَ اتِّهَامُكَ لِنَفْسِكَ وَلَا تُحْسِنَ الظَّنَّ بِهِ .
وَتَعْرِضْ خَوَاطِرَكَ عَلَى الْعُلَمَاءِ وَعَلَى تَصَانِيفِهِمْ . وَتَثَبَّتْ وَلَا تَعْجَلْ
وَلَا تَعْجَبْ . فَمَعَ الْعَجَبِ الْعَثَارُ وَمَعَ الْإِسْتِبْدَادِ الزَّلَالُ . وَمَنْ لَمْ يَعْرِقْ
جَنِينَهُ إِلَى أَبْوَابِ الْعُلَمَاءِ لَمْ يُعْرِقْ فِي الْفَضِيلَةِ . وَمَنْ لَمْ يُخْجَاوَهُ لَمْ
يُجَاهِ النَّاسُ . وَمَنْ لَمْ يُبَكِّشُوهُ . لَمْ يُسَوِّدْ . وَمَنْ لَمْ يُحْتَمِلْ أَلَمَ التَّعَلُّمِ .
لَمْ يَذُقْ لَذَّةَ الْعِلْمِ . وَمَنْ لَمْ يَكْدَحْ . لَمْ يُفْلِحْ . وَإِذَا خَلَوْتَ مِنَ التَّعَلُّمِ
وَالْتَّفَكُّرِ فَحَرِّكْ لِسَانَكَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَبِتَسَابُحِهِ . وَخَاصَّةً عِنْدَ النَّوْمِ
فَيَتَشَرَّبُهُ لُبُّكَ وَيُهْجَنُ فِي خَيَالِكَ . وَتَتَكَلَّمُ بِهِ فِي مَنَامِكَ . وَإِذَا
حَدَّثَ لَكَ فَرَحٌ وَسُرُورٌ بِبَعْضِ أُمُورِ الدُّنْيَا فَادْكُرِ الْمَوْتَ وَسُرْعَةَ

الزَّوَالِ وَأَصْنَافِ الْمُنْغِصَاتِ . وَإِذَا أَخْزَنَكَ أَمْرٌ فَاسْتَرْجِعْ . وَإِذَا
 أَعْتَرَتْكَ غَفْلَةٌ فَاسْتَغْفِرْ . فَاجْعَلِ الْمَوْتَ نُصْبَ عَيْنِكَ وَالْعِلْمَ وَالشُّقَى
 زَادَكَ إِلَى الْآخِرَةِ . وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْصِيَ اللَّهَ تَعَالَى فَاطْلُبْ مَكَانًا
 لَا يَرَاكَ فِيهِ . وَأَعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ عُيُونُ اللَّهِ عَلَى الْعَبْدِ يَرَوْنَهُ خَيْرَهُ
 وَإِنْ أَخْفَاهُ . وَشَرَّهُ وَإِنْ سَتَرَهُ . فَبَاطِنُهُ مَكْشُوفٌ لِلَّهِ . وَاللَّهُ يَكْشِفُهُ
 لِعِبَادِهِ . فَعَلَيْكَ أَنْ تَجْعَلَ بَاطِنَكَ خَيْرًا مِنْ ظَاهِرِكَ . وَسِرِّكَ أَصَحَّ مِنْ
 عَلَانِيَتِكَ

وَلَا تَتَأَلَّمْ إِذَا أَعْرَضَتْ عَنْكَ الدُّنْيَا . وَلَوْ عَرَضَتْ لَكَ لَشَغَلَتْكَ
 عَنْ كَسْبِ الْفَضَائِلِ . وَقَلَّمَا يَتَعَلَّقُ فِي الْعِلْمِ ذُو الثَّرْوَةِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ
 شَرِيفَ الْهِمَّةِ جِدًّا . وَأَنْ يُثْرِيَ قَبْلَ تَحْصِيلِ الْعِلْمِ . وَإِنِّي لَا أَقُولُ :
 إِنَّ الدُّنْيَا تُعْرِضُ عَنْ طَالِبِ الْعِلْمِ بَلْ هُوَ الَّذِي يُعْرِضُ عَنْهَا . لِأَنَّ
 هِمَّتَهُ مُضْرُوفَةٌ إِلَى الْعِلْمِ فَلَا يَبْقَى لَهُ التَّفَاتُ إِلَى الدُّنْيَا . وَالْدُّنْيَا إِنَّمَا
 تَحْصُلُ بِمَحْرُصٍ وَفَكْرٍ فِي وُجُوهِهَا . فَإِذَا غَفَلَ عَنْ أَسْبَابِهَا لَمْ تَأْتِهِ .
 وَأَيْضًا فَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ تَشْرَفُ نَفْسُهُ عَنِ الصَّنَائِعِ الرَّذَلَةِ
 وَالْمَكَايِبِ الدَّنِيَّةِ . وَعَنْ أَصْنَافِ التِّجَارَاتِ . وَعَنِ التَّذَلُّلِ لِأَرْبَابِ
 الدُّنْيَا . وَالْوُقُوفِ عَلَى أَبْوَابِهِمْ . وَبَعْضِ إِخْوَانِنَا بَيَّنَّ :

مَنْ جَدَّ فِي طَلَبِ الْعُلُومِ أَفَادَهُ شَرَفُ الْعُلُومِ دَنَاءَةُ التَّحْصِيلِ
 وَجَمِيعُ طُرُقِ مَكَايِبِ الدُّنْيَا تَحْتَاجُ إِلَى فَرَاغٍ لَهَا . وَحِذْقٍ فِيهَا .
 وَصَرَفِ الزَّمَانِ إِلَيْهَا . وَالْمُشْتَغِلُ بِالْعِلْمِ لَا يَسْمَعُ شَيْءًا مِنْ ذَلِكَ .

وَأَمَّا يَنْتَظِرُ أَنْ تَأْتِيَهُ الدُّنْيَا بِلا سَبَبٍ . وَتَطْلُبُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطَّاهِرَا
 طَلَبَ مِثْلَهَا . وَهَذَا ظَلَمٌ مِنْهُ وَعُدْوَانٌ . وَلَكِنْ إِذَا تَمَكَّنَ الرَّجُلُ فِي
 الْعِلْمِ وَشَهْرَتِهِ خُطِبَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ . وَعُرِضَتْ عَلَيْهِ الْمَنَاصِبُ وَجَاءَتْهُ
 الدُّنْيَا صَاحِرَةً فَآخَذَ مَا أَهْدَتْهُ وَمَا وَجَّهَهُ مُوَفِّرٌ . وَعَرَضَهُ وَدِينَهُ مَصُونٌ
 وَأَعْلَمَ أَنْ لِلْعِلْمِ عِبَقَةٌ وَعَرَفَ أَنْ يَنَادِيَ عَلَى صَاحِبِهِ . وَنُورًا وَضِيَاءً
 يُشْرِقُ عَلَيْهِ وَيَدِلُّ عَلَيْهِ . كَتَاكِجٍ مِنْكَ لَا يَخْفَى مَكَانُهُ . وَلَا تُجْهَلُ
 بِضَاعَتُهُ . وَكَمَنْ يَمْشِي بِمِشْعَلٍ فِي لَيْلٍ مُدْلَجَةٍ . وَالْعَالِمُ مَعَ هَذَا
 مَحْبُوبٌ أَيْنَ مَا كَانَ . وَكَيْفَ مَا كَانَ لَا يَجِدُ إِلَّا مَنْ يَمِيلُ إِلَيْهِ . وَيُؤَثِّرُ
 قُرْبَهُ وَيَأْنِسُ بِهِ . وَيَرْتَاحُ بِمُدَانَايَةِ

وَأَعْلَمَ أَنَّ الْعُلُومَ تَغُورُ . ثُمَّ تَنْثَوِرُ . تَغُورُ فِي زَمَانٍ . وَتَفُورُ فِي
 زَمَانٍ . بِمَنْزِلَةِ النَّبَاتِ أَوْ عُيُونِ الْمِيَاهِ . وَتَنْتَقِلُ مِنْ قَوْمٍ إِلَى قَوْمٍ .
 وَمِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ

قَالَ : أَجْعَلْ كَلَامَكَ فِي الْأَقَابِ بِصِفَاتٍ أَنْ يَكُونَ وَجِيزًا
 فَصِيحًا فِي مَعْنَى مُهِمٍّ أَوْ مُسْتَحْسَنٍ . فِيهِ الْغَايَةُ مَا وَإِيَّاهُمْ كَثِيرٌ أَوْ قَلِيلٌ .
 وَلَا تَجْعَلْهُ مُهْمَلًا كَكَلَامِ الْجُمْهُورِ بَلْ رَفِّعْهُ عَنْهُمْ وَلَا تَبَاعِدْهُ عَنْهُمْ جِدًّا
 وَقَالَ : إِيَّاكَ وَالْمَذْرُوءَ الْكَلَامَ فِيمَا لَا يَعْنِي . وَإِيَّاكَ وَالسَّكُوتَ فِي
 مَحَلِّ الْحَاجَةِ وَرُجُوعِ النَّوْبَةِ إِلَيْكَ . إِمَّا لِاسْتِخْرَاجِ حَقٍّ . أَوْ اجْتِلَابِ
 مَوَدَّةٍ . أَوْ تَنْبِيهِ عَلَى فَضِيلَةٍ . وَإِيَّاكَ وَالصَّحِيحَ مَعَ كَلَامِكَ . وَكَثْرَةَ
 الْكَلَامِ . وَتَبْتِيرَ الْكَلَامِ . بَلْ أَجْعَلْ كَلَامَكَ سَرْدًا يَسْكُونُ وَوَقَارًا .

بِحَيْثُ يُسْتَشْعَرُ مِنْكَ أَنْ وَرَاءَ ذَلِكَ أَكْثَرُ مِنْهُ . وَأَنَّهُ عَنْ خَبْرَةٍ سَابِقَةٍ .
وَنَظَرٍ مُتَقَدِّمٍ

وَقَالَ : إِيَّاكَ الْغَلْظَةُ فِي الْحِطَابِ . وَالْجَفَاءُ فِي الْمُنَازَرَةِ فَإِنَّ
ذَلِكَ يَذْهَبُ بِهَيْجَةِ الْكَلَامِ وَيُسْقِطُ فَائِدَتَهُ . وَيُعَدِّمُ حَلَاوَتَهُ . وَيَجْلِبُ
الضَّغَائِنَ . وَيُخَيِّقُ الْمَوَدَّاتِ . وَيُصَيِّرُ الْقَارِئَ مُسْتَشْفِلًا . سَكُونُهُ أَشْهَى
إِلَى السَّمْعِ مِنْ كَلَامِهِ . وَيُشِيرُ النَّفْسَ عَلَى مُعَانَدَتِهِ وَيَبْسُطُ
الْأَلْسِنَ بِمُخَاشَنَتِهِ وَإِذْهَابِ حُرْمَتِهِ

وَقَالَ : لَا تَتَرَفَّعْ بِحَيْثُ تُسْتَنْقِلُ . وَلَا تَتَنَازَلْ بِحَيْثُ تُسْتَحْزَرُ
وَلْتُسْتَحْزَرُ . وَقَالَ : اجْعَلْ كَلَامَكَ كُلَّهُ جَدًّا . وَأَجِبْ مِنْ حَيْثُ تُعْقَلُ .
لَا مِنْ حَيْثُ تُعْتَادُ وَتَأَلَّفُ . وَقَالَ : أَنْتَرِخْ عَنْ عَادَاتِ الصَّبَا . وَتَجَرَّدْ
عَنِ الْمُلُوفَاتِ الطَّبِيعَةِ . وَاجْعَلْ كَلَامَكَ لَاهُوتِيًّا فِي الْغَالِبِ لَا يَنْفَكُ
عَنْ خَبَرٍ أَوْ قَوْلٍ حَكِيمٍ . أَوْ بَيْتٍ نَادِرٍ . أَوْ مَثَلٍ سَائِرٍ

وَقَالَ : تَجَنَّبِ الْوَقِيعَةَ فِي النَّاسِ . وَثَلَبِ الْمُلُوكَ وَالْغَالِظَةَ عَلَى
الْعَاشِرِ . وَكَثْرَةَ الْغَضَبِ . وَتَجَاوَزِ الْحَدَّ فِيهِ . وَقَالَ : أَسْتَبْكُ مِنْ
حِفْظِ الْأَشْعَارِ الْأَمْثَالِيَّةِ . وَالنَّوَادِرِ الْحِكْمِيَّةِ . وَالْمَعَانِي الْمُسْتَعْرَبَةِ

الْبَابُ الرَّابِعُ فِي الْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ

من دثر اللآلي لعلّي بن أبي طالب

١١٢ (١). إِيْمَانُ الْمَرْءِ يُعْرِفُ بِإِيْمَانِهِ . أَدَبُ الْمَرْءِ خَيْرٌ مِنْ ذَهَبِهِ .
 آدَاءُ الدِّينِ مِنَ الدِّينِ . أَحْسَنُ إِلَى الْمَسِيءِ تَسُدُّ . إِخْوَانُ هَذَا الزَّمَانِ
 جَوَاسِيْسُ الْعُيُوبِ . أَخُوكَ مِنْ وَاسَاكَ بِنَشَبٍ لَا مِنْ وَاسَاكَ بِنَسَبٍ .
 (ب) . بَشِّرْ نَفْسَكَ بِالظَّفَرِ بَعْدَ الصَّبْرِ . بَرَكَةُ الْمَالِ فِي آدَاءِ الزَّكَاةِ .
 بَعْجُ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ تَرْبُحُ . بُكَاءُ الْمَرْءِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى قُرَّةُ الْعَيْنِ .
 بَاكِرٌ تَسْعُدُ . بَطْنُ الْمَرْءِ عَدُوُّهُ . بَرَكَةُ الْعُمْرِ حَسَنُ الْعَمَلِ . بَلَاءُ
 الْإِنْسَانِ مِنَ اللِّسَانِ . بَشَاشَةُ الْوَجْهِ عَطِيَّةٌ ثَانِيَةٌ . (ت) . تَوَكَّلْ عَلَى
 اللَّهِ يَكْفِكَ . تَدَارَكَ فِي آخِرِ الْعُمْرِ مَا فَاتَكَ فِي أَوَّلِهِ . تَكَاسُلُ الْمَرْءِ
 فِي الصَّلَاةِ مِنْ ضَعْفِ الْإِيْمَانِ . تَغَافَلَ عَنِ الْمَكْرُوهِ تَوَقَّرَ . (ث) ثُلْمَةُ
 الدِّينِ مَوْتُ الْعُلَمَاءِ . ثَبَاتُ الْمُلْكِ بِالْعَدْلِ . ثَوَابُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِنْ
 نَعِيمِ الدُّنْيَا . ثَنَاءُ الرَّجُلِ عَلَى مُعْطِيهِ مُسْتَرِيدٌ . (ج) . جُدْ بِمَا تَجِدُ .
 جَوْلَةُ الْبَاطِلِ سَاعَةٌ وَجَوْلَةُ الْحَقِّ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ . جَوْدَةُ الْكَلَامِ
 فِي الْإِخْتِصَارِ . جَلِيسُ الْمَرْءِ مِثْلُهُ . جَلِيسُ الْمَرْءِ غَنِيْمَةٌ . جَالِسُ الْفُقَرَاءِ
 تَرْدُ شُكْرًا . جَلَّ مَنْ لَا يَمُوتُ . (ح) . حَيَاةُ الْمَرْءِ سِتْرُهُ . حُمُوضَاتُ
 الطَّعَامِ . خَيْرٌ مِنْ حُمُوضَاتِ الْكَلَامِ . (خ) . خَفِ اللَّهَ تَأْمَنَ غَيْرَهُ .

خَالَفَ نَفْسَكَ تَسْتَرَحْ . خَيْرُ الْأَصْحَابِ مَنْ يَدُوكَ عَلَى الْخَيْرِ . خَلِيلُ
الْمَرْءِ دَلِيلُ عَقْلِهِ . خَوْفُ اللَّهِ يَجْلُو الْقَلْبَ . خُلُو الْقَلْبِ خَيْرٌ مِنْ مَلَأِ
الْكَيْسِ . خَيْرُ الْمَالِ مَا أَتَقَى فِي سَبِيلِ اللَّهِ . (د) . دَلِيلُ عَقْلِ الْمَرْءِ
فِعْلُهُ وَدَلِيلُ عِلْمِهِ قَوْلُهُ . دَوَامُ السُّرُورِ بَرُوءُ الْإِخْوَانِ . دَوْلَةُ
الْأَرْذَالِ آفَةُ الرِّجَالِ . دِينَ الرَّجُلِ حَدِيثُهُ . دَوْلَةُ الْمُلُوكِ فِي الْعَدْلِ .
دَارٍ مِنْ جَفَاكَ تَحْجِيلاً . دُمَّ عَلَى كَظَمِ الْغَيْظِ تَحْمَدُ عَوَاقِبَكَ . (ذ) . ذَنْبُ
وَاحِدٍ كَثِيرٌ وَذِكْرٌ وَآلُ طَاعَةٍ قَلِيلٌ . ذِكْرُ الْأَوْلِيَاءِ يُنْزِلُ الرَّحْمَةَ .
ذَائِلُ الْخَلْقِ عَزِيزٌ عِنْدَ اللَّهِ . ذِكْرُ الْمَوْتِ جَلَاءُ الْقَلْبِ . ذِكْرُ الشَّبَابِ
حَسْرَةٌ . (ر) . رُؤْيَا الْحَبِيبِ جَلَاءُ الْعَيْنِ . رَفَاهِيَةُ الْعَيْشِ فِي الْأَمْنِ .
رَسُولُ الْمَوْتِ الْوَلَادَةُ . (ز) . زِيَارَةُ الْحَبِيبِ إِطْرَاءُ الْمَحَبَّةِ . زَوَايَا
الدُّنْيَا مَشْحُونَةٌ بِالزَّوَايَا . زِيَارَةُ الضُّعَفَاءِ مِنَ التَّوَاضُّعِ . زِينَةُ الْبَاطِنِ
خَيْرٌ مِنْ زِينَةِ الظَّاهِرِ . (س) . سِيرَةُ الْمَرْءِ تُتْلَى عَنْ سِرِّيَّتِهِ . سُمُو
الْمَرْءِ التَّوَاضُّعُ . (ش) . شَيْنُ الْعِلْمِ الصَّافُ . شَمْرُوا فِي طَلَبِ الْجَنَّةِ .
شَيْبَتُكَ نَاعِيكَ . شَحِيمٌ غَنِيٌّ أَفْقَرُ مِنْ فَقِيرٍ سَخِيٍّ . (ص) . صِدْقُ الْمَرْءِ
مَنْجَاتُهُ . صِحَّةُ الْبَدَنِ فِي الصَّوْمِ . الصَّبْرُ يُورِثُ الظَّفَرَ . صَلَاةُ اللَّيْلِ
بِهَاءُ النَّهَارِ . صَلَاحُ الْإِنْسَانِ . فِي حِفْظِ اللِّسَانِ . صَاحِبُ الْأَخْيَارِ .
تَأْمَنُ الْأَشْرَارَ . صَمْتُ الْجَاهِلِ سِتْرُهُ . صَلَاحُ الدِّينِ فِي الْوَرَعِ وَفَسَادُهُ
فِي الطَّمَعِ . (ض) . ضَلَّ سَعْيِي مَنْ رَجَا غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى . ضَرْبُ الْحَبِيبِ
أَوْجَعُ . ضَلَّ مَنْ رَكَنَ إِلَى الْأَشْرَارِ . (ط) . طَابَ مَنْ وَثِقَ بِاللَّهِ . طَلَبُ

الْأَدَبِ أَوَّلَى مِنْ طَلَبِ الذَّهَبِ . (ظ) . ظَلَمُ الْمَرْءُ يَصْرَعُهُ . ظُلَامَةٌ
 الْمَظْلُومِ لَا تَضِيعُ . ظَمًا أَمَالٍ أَشَدُّ مِنْ ظَمِ الْمَاءِ . ظَلَّ عُمَرُ الظَّالِمَ قَصِيرٌ .
 وَظَلَّ عُمَرُ الْكَرِيمَ فَسِيحٌ . (ع) . عِشْ قَعًا تَكُنْ مَلِكًا . عَيْبُ الْكَلَامِ
 تَطْوِيلُهُ . عَاقِبَةُ الظَّالِمِ وَخِيَمَةٌ . (غ) . غَدَرَكَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى الْإِسَاءَةِ .
 (ف) . فَازَ مَنْ ظَفَرَ بِالْدِّينِ . فَخَرُ الْمَرْءُ بِفَضْلِهِ . أَوَّلَى مِنْ فَخْرِهِ بِأَصْلِهِ .
 فَازَ مَنْ سَلِمَ مِنْ شَرِّ نَفْسِهِ . فَسَدَتْ نِعْمَةٌ مِنْ كَفَرَهَا . (ق) . قَبُولُ
 الْحَقِّ مِنَ الدِّينِ . (ك) . كَلَامُ اللَّهِ دَوَاءُ الْقَلْبِ . كُفِّرَانَ النِّعْمَةِ
 مُزِيلُهَا . كَفَى بِالشَّيْبِ دَاءً . كَمَالَ الْعِلْمِ فِي الْجَانِمِ . (ل) . لَيْزُ الْكَلَامِ
 قَيْدُ الْقُلُوبِ . (م) . مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ . كَثُرَ مَلَامُهُ . مَجَاسُ الْعِلْمِ
 رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ . مُصَاحَبَةُ الْأَشْرَارِ زُكُوبُ الْأَجْرِ . (ن) .
 نَسْيَانُ الْمَوْتِ صَدَأُ الْقَلْبِ . نَمَّ آمِنًا تَكُنْ فِي أَمَدِ الْقُرْشِ . نَضْرَةٌ
 الْوَجْهِ فِي الصِّدْقِ . (و) . وَلَايَةُ الْآخِثِ سَرِيعَةُ الزَّوَالِ . وَحْدَةُ
 الْمَرْءِ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ السُّوءِ . (هـ) . هَمُّ السَّعِيدِ آخِرَتُهُ وَهَمُّ الشَّقِيِّ
 دُنْيَاؤُهُ . هَلَاكُ الْمَرْءِ فِي الْعُجْبِ . هَرَبُكَ مِنْ نَفْسِكَ أَنْفَعُ مِنْ هَرَبِكَ
 مِنَ الْأَسَدِ . (لا) . لَا دِينَ لِمَنْ لَا مَرْوَةَ لَهُ . لَا فَقْرَ الْعَاقِلِ . (ي) .
 يَعْمَلُ النَّمَامُ فِي سَاعَةِ فِتْنَةِ أَشْهُرٍ . يَسُودُ الْمَرْءُ قَوْمَهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ

نبذة

من كتاب غرر الحكم ودرر الكلم لجمعة عبد الواحد بن محمد بن كلام علي بن أبي طالب

١١٣ (١) . الدِّينُ يَعِصِمُ . الدُّنْيَا تُسْلِمُ . الصِّيَانَةُ رَأْسُ الْمَرْوَةِ . الْحَقُّ

سَيْفٌ قَاطِعٌ . أَلْعَجْبُ عُنْوَانُ الْحَمَاقَةِ . أَلْبَشَاشَةُ حَبْلُ الْمَوَدَّةِ . أَلِارْتِقَاءُ
إِلَى الْفَضَائِلِ صَعْبٌ . أَلِالْخُطَاطُ إِلَى الرِّذَائِلِ سَهْلٌ . أَلِسْكُوتٌ عَنْ
الْأَحَقِّ جَوَابُهُ . إِمَامٌ عَادِلٌ . خَيْرٌ مِنْ مَطَرٍ وَابِلٍ . أَلْمُحْسِنُ حَيٌّ وَإِنْ
نُقِلَ إِلَى مَنَازِلِ الْأَمْوَاتِ . أَلْعَاقِلُ إِذَا سَكَتَ فَكَّرَ . وَإِذَا نَطَقَ ذَكَرَ
وَإِذَا نَظَرَ اُعْتَبَرَ . أَلْدَّاعِي بِالْعَمَلِ كَالْقَوْسِ بِلا وَتَرٍ . إِعْجَابُ الرَّجُلِ
بِنَفْسِهِ عُنْوَانُ ضَعْفِ عَمَلِهِ . أَحْسَنُ الْجُودِ عَفْوٌ بَعْدَ مَقْدَرَةٍ . (ب) .
بُرْكَوْبُ الْأَهْوَالِ . تَكْسَبُ الْأَمْوَالُ . بِالسَّخَاءِ يُسْتَرُّ الْعُيُوبُ . (ت) .
تَكَلَّمُوا تَعْرِفُوا فَإِنَّ الْمَرْءَ مَحْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ . (ث) . ثَوْبُ التَّقَى أَشْرَفُ
الْمَلَابِسِ . ثَوْبُ الْآخِرَةِ يُنْسِي مَشَقَّةَ الدُّنْيَا . ثَرْوَةُ الْعَاقِلِ فِي عِلْمِهِ
وَثَرْوَةُ الْجَاهِلِ فِي مَالِهِ . ثَلَاثٌ يُوجِبْنَ الْمَحَبَّةَ الدِّينُ وَالتَّوَاضُّعُ وَالسَّخَاءُ .
(ج) . جِهَادُ النَّفْسِ أَفْضَلُ الْجِهَادِ . (ح) . حُسْنُ الْأَدَبِ يُسْتَرُّ قُبْحُ
النَّسَبِ . حَلَاوَةُ الظَّفَرِ تَعُوْ مَرَارَةَ الصَّبْرِ . حَدُّ الْإِسَانِ يَقْطَعُ
الْأَوْصَالَ . (خ) . خَيْرُ الثَّنَاءِ مَا جَرَى عَلَى اللِّسَانِ الْأَخْيَارِ . (د) . دَوَامُ
الْفِتَنِ . مِنْ أَعْظَمِ الْمُحْجَنِ . (ر) . رَبُّ سَكُوتٍ أَبْلَغُ مِنْ كَلَامٍ .
(ز) . زَلَّةُ الْعَالَمِ كَأَنْكَسَارِ السَّفِينَةِ تَفْرُقُ وَتُفْرِقُ مَعَهَا غَيْرَهَا .
زَخَارِفُ الدُّنْيَا تُفْسِدُ الْعُقُولَ الضَّعِيفَةَ . (س) . سِلَاحُ اللَّئَامِ قُبْحُ
الْكَلَامِ . سَمْعُ الْأُذُنِ لَا يَنْفَعُ مَعَ غَفْلَةِ الْقَلْبِ . (ش) . شَرُّ النَّاسِ مَنْ
لَا يُبَالِي أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ مُسِيئًا . شَيْئَانِ لَا يُعْرَفُ فَضْلُهُمَا إِلَّا مِنْ
فَقْدِهِمَا الشَّبَابُ وَالْعَافِيَةُ . (ص) . صَمْتُكَ حَتَّى تُسْتَنْطَقَ أَجْمَلُ مِنْ

نُطِقَكَ حَتَّى تُسَكَّتَ . صَوْمُ النَّفْسِ عَنْ لَذَاتِ الدُّنْيَا أَفْضَلُ الصِّيَامِ .
صَدْرُ الْعَاقِلِ صُنْدُوقُ سِرِّهِ . (ض) . ضَعْفُ فَحْرِكَ وَأَحْطَطُ كِبْرِكَ
وَكَمَا تَزْدَعُ تَحْصُدُ وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ . ضَعْفُ الْبَصَرِ لَا يَضُرُّ مَعَ اسْتِنَادَةِ
الْبَصِيرَةِ . (ط) . طُوبَى لِمَنْ غَلَبَ نَفْسَهُ وَلَمْ تَغْلِبْهُ . وَمَلَكَ هَوَاهُ
وَلَمْ يَمْلِكْهُ . طَلَبُ الشَّيْءِ بِغَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ خُرْقٌ . (ظ) . ظَنُّ الْعَاقِلِ
أَصَحُّ مِنْ يَقِينِ الْجَاهِلِ . ظَرْفُ الرَّجُلِ تَنْزُهُهُ عَنِ الْحَارِمِ وَمُبَادَرَتُهُ
إِلَى الْمَكَارِمِ . (ع) . عَلَيْكَ بِالْآخِرَةِ تَأْتِكَ الدُّنْيَا صَاحِرَةً . عِنْدَ
الْإِمْتِحَانِ يَكْرُمُ الْمَرْءُ أَوْ يِهَانُ . عَجِبْتُ لِعَامِرٍ دَارَ الْفَنَاءِ وَتَارِكٍ دَارَ
الْبَقَاءِ . عَجِبْتُ لِمَنْ يَجْهَلُ نَفْسَهُ كَيْفَ يَعْرِفُ رَبَّهُ . عَبْدُ الشَّهْوَةِ أَذْلُ
مِنْ عَبْدِ الرِّقِّ . عَبْدُ الْمَطَامِعِ أَسِيرٌ لَا يُفَكُّ أَسْرَهُ . عَاشِرُ أَهْلِ
الْفَضَائِلِ تَنْبُلُ . عِدَاوَةُ الْأَقَارِبِ أَمْسٌ مِنْ لَسَعِ الْعَقَارِبِ . (غ) .
غَايَةُ الْمَعْرِفَةِ أَنْ يَعْرِفَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ . غِنَى الْمُؤْمِنِ بِاللَّهِ . غِنَى الْعَاقِلِ
فِي حِكْمَتِهِ . غِنَى الْجَاهِلِ فِي قُنَيْتِهِ . (ف) . فِي الذِّكْرِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ .
فِي رِضَا اللَّهِ نَيْلُ الْمَطْلُوبِ . فِي الدُّنْيَا عَمَلٌ وَلَا حِسَابٌ . فِي الْآخِرَةِ
الْحِسَابُ وَلَا عَمَلٌ . فِي الْأَسْتِشَارَةِ عَيْنُ الْهُدَايَةِ . فَقَدْ الْبَصَرَ أَهْوَنُ مِنْ
فَقْدِ الْبَصِيرَةِ . (ق) . قَدْ يَبْعُدُ الْقَرِيبُ . قَدْ يَلِينُ الصَّابُ . قَلَّةُ الْأَكْمَلِ
تَتَمُّ كَثِيرًا مِنْ أَعْلَالِ الْجِسْمِ . قُلُ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ عَلَيْكَ . قَلِيلُ الْحَقِّ
يُدْفَعُ كَثِيرَ الْبَاطِلِ كَمَا أَنَّ قَلِيلَ النَّارِ يُحْرِقُ كَثِيرَ الْخُطْبِ . (ك) . كُلُّ
طَيْرٍ يَأْوِي إِلَى شَكْلِهِ . كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِيَانِهِ . كُلُّ

وَعَاءٌ يَضِيقُ بِمَا جُعِلَ فِيهِ إِلَّا الْعَالَمَ فَإِنَّهُ يَتَّسِعُ . كَمْ يُفْتَحُ بِالصَّبْرِ مِنْ
 غَلْقٍ . كَيْفَ يَنْجُو مِنَ اللَّهِ هَارِبُهُ . كَيْفَ يَسْلَمُ مِنَ الْمَوْتِ طَالِبُهُ . كُنْ
 عَالِمًا نَاطِقًا أَوْ مُسْتَمِعًا وَاعِيًا . كَلَامُ الرَّجُلِ مِيزَانُ عَقْلِهِ . كُلَّمَا قَارَبْتَ
 أَجَلًا . فَأَحْسِنْ عَمَلًا . (ل) . لَيْسَ مِنْ عَادَةِ الْكِرَامِ . تَأْخِيرُ الْإِنْعَامِ .
 لِلشَّدَائِدِ تَذَخُّرُ الرِّجَالِ . (م) . مَنْ تَوَقَّرَ وَقِرَ . وَمَنْ تَكَبَّرَ حَقَّرَ . مَنْ
 اسْتَشَارَ الْعَاقِلَ مَلَكَ . مَنْ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ . مَا حَقَرَ نَفْسَهُ إِلَّا عَاقِلٌ .
 مَا أَعْجَبَ بِرَأْيِهِ إِلَّا جَاهِلٌ . (ن) . نِعَمَ الْإِدَامُ الْجُوعُ . (هـ) . هُدًى مَنْ
 أَطَاعَ رَبَّهُ . وَخَافَ ذَنْبَهُ . هَلَكَ أَمْرُهُ لَا يَعْرِفُ قُدْرَهُ . هَانَتْ عَلَيْهِ
 نَفْسُهُ مَنْ أَمَرَ عَلَيْهِ لِسَانُهُ . (و) . وَقَرُّوا كِبَارَكُمْ تَوَقَّرْكُمْ صِغَارُكُمْ .
 وَقَارُ الشَّيْبِ أَجْمَلُ مِنْ نَضَارَةِ الشَّبَابِ . (لا) . لَا تَتَّقَنَّ بَعْدَ مَنْ لَا
 دِينَ لَهُ . لَا تَعُدْ مَا تَعْجُزُ عَنِ الْوَفَاءِ بِهِ . لَا تَتَّقِ بَيْنَ يَدَيْكَ سِرَّكَ . لَا
 يَسْتَرْقِكَ الطَّمَعُ فَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرًّا . (ي) . يُسْتَدَلُّ عَلَى الْكَرِيمِ
 بِحُسْنِ بَشْرِهِ وَبَذَلِ خَيْرِهِ . يُسْتَدَلُّ عَلَى إِدْبَارِ الدُّوَلِ بِأَرْبَعٍ تَضِييعُ
 الْأُصُولَ وَالْتِمَسُّكَ بِالْفُرُوعِ وَتَقْدِيمُ الْأَرْذَالِ وَتَأْخِيرُ الْأَفَاضِلِ .
 يَبْلُغُ الصَّادِقُ بِصِدْقِهِ . مَا لَا يَبْلُغُهُ الْكَاذِبُ بِأَحْتِيَالِهِ

نخبة امثال انتقاها الابشيهي

١١٤ (١) . إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ . حَلَّ الْبَلَاءُ . إِذَا أَصْطَنَعْتَ الْمَعْرُوفَ
 فَاسْتَرَهُ وَإِذَا أَصْطَنِعَ إِلَيْكَ فَأَنْشَرَهُ . أَفْضَلُ النَّاسِ مَنْ لَمْ تُفْسِدِ
 الشَّهْوَةُ دِينَهُ . أَفْضَلُ الْمَعْرُوفِ إِغَاثَةُ الْمُتَهَوِّفِ . أَظْهَرُ النَّاسِ مَحَبَّةً

أَحْسَنُهُمْ لِقَاءً . إِيَّاكَ وَفُضُولَ الْكَلَامِ فَإِنَّهُ يُظْهِرُ مِنْ عُيُوبِكَ مَا بَطَنَ .
وَيُحَرِّكُ مِنْ عَدُوِّكَ مَا سَكَنَ . (ب) بِالتَّائِي تَسْهِيلُ الْمَطَالِبِ . بِخَفْضِ
الْجَانِبِ تَأْنِسُ النَّفُوسُ . (ث) . ثَمَرَةُ الْعُلُومِ الْعَمَلُ بِالْمَعْلُومِ . (ح) .
الْحَازِمُ مَنْ حَفِظَ مَا فِي يَدِهِ . وَلَمْ يُؤَخِّرْ شُغْلَ يَوْمِهِ لِغَدِهِ . حَقُّ يَضْرُ .
خَيْرٌ مِنْ بَاطِلٍ يَسُرُّ . (خ) خَيْرُ النَّاسِ مَنْ أَخْرَجَ الْحَرْصَ مِنْ قَلْبِهِ .
وَعَصَى هَوَاهُ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ . خَيْرُ الْمَالِ مَا أَخَذَ مِنَ الْحَلَالِ . وَصُرِفَ فِي
النَّوَالِ . (ر) الرِّفْقُ مِفْتَاحُ الرِّزْقِ . (ش) . شَرُّ النَّاسِ مَنْ يَنْصُرُ
الظَّالِمَ وَيَخْذُلُ الْمَظْلُومَ . (ص) . صَاحِبُ الْعَقْلِ مَغْبُوطٌ . صَدَاقَةُ
الْجَاهِلِ تَعَبٌ . (ع) عِلْمٌ لَا يَنْفَعُ . كَدَوَاءٌ لَا يَنْجِعُ . عِظَةُ الْمُسِيِّ بِحُسْنِ
أَفْعَالِكَ . وَدَلٌّ عَلَى الْجَمِيلِ بِجَمِيلِ خِلَالِكَ . عَثْرَةُ الرَّجُلِ تَزِيلُ
الْقَدَمَ . وَعَثْرَةُ اللِّسَانِ تَزِيلُ النِّعَمَ . الْعَجَلَةُ أُخْتُ النَّدَامَةِ . (ق) . قَدْ
خَاطَرَ مَنْ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ . (ك) . كَلَامُ الْمَرْءِ بَيَانُ فَضْلِهِ وَتَرْجَمَانُ عَقْلِهِ .
كُلُّ يَنْفِرُ مِنْ ضِدِّهِ وَيَمِيلُ إِلَى جَنْبِهِ . (ل) . لَا تَفْتَحْ بَابًا يُعْيِيكَ
سَدُّهُ . اللِّسَانُ سَيْفٌ قَاطِعٌ لَا يُؤْمَنُ حَدُّهُ . وَالْكَلَامُ سَهْمٌ نَافِذٌ لَا
يُمْكِنُ رَدُّهُ . لَا يَجِدُ الْعَجُولُ فَرَحًا وَلَا الْعَظُوبُ سُرُورًا وَلَا الْمُلُولُ
صَدِيقًا . لَا يَخْلُو الْمَرْءُ مِنْ وَدُودٍ يَمْدَحُ وَعَدُوٍّ يَبْذَحُ . (م) . مَنْ طَاعَ
هَوَاهُ . بَاعَ دِينَهُ بِدُنْيَاهُ . مَنْ لَزِمَ الطَّمَعَ عَدِمَ الْوَرَعَ . مَنْ قَرَّبَ السَّفَلَةَ
وَأَطْرَحَ ذَوِي الْأَحْسَابِ وَالْمُرُوءَاتِ اسْتَحَقَّ الْخِذْلَانَ . مَنْ عَفَا تَفَضَّلَ .
مَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ فَقَدْ حَلَمَ . مَنْ حَامَ فَقَدْ صَبَرَ . مَنْ صَبَرَ فَقَدْ ظَفَرَ . مَنْ

أَكْثَرَ مِنْ مَقَالِهِ سَمٍ . وَمِنْ سُؤَالِهِ حَرَمَ . مَنْ أَعْجَبَ بِعَمَلِهِ حَبِطَ أَجْرُهُ .
 مَنْ رَجَعَ فِي هَيْبَتِهِ بَالِغٌ فِي خِسَّتِهِ . مَنْ جَادَ بِمَالِهِ جَلَّ . وَمَنْ جَادَ
 بِعَرَضِهِ ذَلَّ . مَنْ حَفَرَ حَفِيرًا لِأَخِيهِ كَانَ حَتْفُهُ فِيهِ . مَنْ قَالَ مَا لَا
 يَنْبَغِي سَمِعَ مَا لَا يَشْتَهِي . مَنْ لَزِمَ الرُّقَادَ عَدِمَ الْمُرَادَ . مَنْ نَظَرَ فِي
 الْعَوَاقِبِ . سَلِمَ مِنَ النَّوَائِبِ . مَنْ أَسْرَعَ فِي الْجَوَابِ . أَخْطَأَ فِي
 الصَّوَابِ . مَنْ حَسَنَتْ خِصَالُهُ . طَابَ وَصَالُهُ . مَنْ عُرِفَ بِشَيْءٍ
 نُسِبَ إِلَيْهِ . (ن) نُصْرَةُ الْحَقِّ شَرَفٌ . وَنُصْرَةُ الْبَاطِلِ سَرَفٌ

نخبة امثال اوردها بهاء الدين العاملي في الكشكول

١١٥ (ا) . إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا تُرِيدُ فَارِدٌ مَا يَكُونُ . إِذَا هَرَبَ الزَّاهِدُ مِنَ
 النَّاسِ فَاطْلَبَهُ . إِذَا ذَكَرَ جَلِيسُكَ عِنْدَكَ أَحَدًا بِالسُّوءِ فَأَعْلَمْ أَنَّكَ
 ثَانِيهِ . أَفْضَلُ الزَّادِ مَا تُرَوِّدُ لِلْمَعَادِ . إِنْ سَلِمْتَ مِنَ الْأَسَدِ فَلَا تَطْمَعُ
 فِي صَيْدِهِ . أَوَّلُ الْمَعْرِفَةِ الْإِخْتِبَارُ . أَيْسَرُ شَيْءٍ الدُّخُولُ فِي الْعِدَاوَةِ
 وَأَصْعَبُ شَيْءٍ الْخُرُوجُ مِنْهَا . (ب) . بَعْضُ الْكَلَامِ . أَقْطَعُ مِنَ
 الْحَسَامِ . (ت) . أَلْتَقَى مُلْجِمٌ . (خ) . خَيْرُ أَهْلِكَ مَنْ كَفَاكَ . خَيْرُ
 سِلَاحِكَ مَا وَقَاكَ . (د) . الدَّالُّ عَلَى الْخَيْرِ كِفَاؤُهُ . (ر) . رَبُّ أَكَلَةٍ
 تَمْنَعُ أَكَلَاتِ . الرِّفْقُ يَمُنُّ وَالْحَرْقُ شُوْمٌ . (س) . السَّعِيدُ مَنْ وَعَظَ
 بِنُغَيْرِهِ . (ص) . صَغِيرُ الشَّرِّ يُوشِكُ أَنْ يَكْبُرَ . (ع) . عِنْدَ الْغَايَةِ يُعْرَفُ
 السَّبْقُ . (ق) . قَبْلَ الرَّمَايَةِ تَمْلَأُ الْكِنَانُ . الْقَرِيبُ مِنْ قَرَبٍ نَفْعُهُ .
 الْقَوْلُ يَنْفُذُ مَا لَا يَنْفُذُ الْإِبْرُ . قِيدُوا النِّعَمَ بِالشُّكْرِ . (ك) . كَلْبُ

جَوَّالٌ خَيْرٌ مِنْ أَسَدٍ رَابِضٍ . كُلُّ مَبْذُولٍ . مَمْلُولٍ . كُلُّ مَمْنُوعٍ مَرْغُوبٌ
 فِيهِ . كُلُّ وَعَاءٍ يَضِيقُ بِنَا جُعِلَ فِيهِ إِلَّا وَعَاءُ الْعِلْمِ فَإِنَّهُ يَتَّسِعُ . (ل) . لَا
 تُبْلَغُ الْغَايَاتُ بِالْأَمَانِيِّ . لِكُلِّ عَمَلٍ ثَوَابٌ . لِكُلِّ زَمَانٍ رِجَالٌ . لِكُلِّ
 سِرٍّ مُسْتَوْدَعٌ . لَيْسَ مِنْكَ مَنْ غَشَّكَ . (م) . مَا حَكَ جِلْدَكَ مِثْلُ
 ظَفْرِكَ . مَنْ أَفْسَدَ بَيْنَ اثْنَيْنِ فَعَلَى يَدَيْهِمَا هَلَاكُهُ . مَنْ جَرَى فِي
 عِنَانِ أَمَلِهِ عَثَرَتْ رِجْلُهُ بِأَجَلِهِ . مَنْ رَفَعَكَ فَوْقَ قَدْرِكَ فَأَتَقَهُ . مَنْ
 لَانَ عُودُهُ كَثُفَتْ أَغْصَانُهُ . مَنْ لَمْ تُصْلِحْهُ الْكَرَامَةُ أَصْلَحْهُ الْهُوَانُ .
 مَنْ يَزْرَعِ الْمَعْرُوفَ يَحْصِدِ الشُّكْرَ

١١٦ أَيْبَاتُ تَمَثَّلُ بِهَا الْعَرَبُ إِشْعَرَاءَ مُخْتَلَفِينَ :

إِذَا جَاءَ مُوسَى وَأَلْقَى الْعَصَا فَقَدْ بَطَلَ السِّحْرُ وَالسَّاحِرُ
 إِذَا كَانَ رَبُّ الْبَيْتِ بِالْذُّفِّ مُوَلَعًا فَشِيَّةُ أَهْلِ الْبَيْتِ كُلِّهِمُ الرَّقْصُ
 إِذَا مَا أَرَادَ اللَّهُ إِهْلَاكَ نَمْلَةٍ سَمَتْ بِجَنَاحِهَا إِلَى الْجَوِّ تَصْعَدُ
 أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مُنِعَا وَالشَّيْءُ يُرْغَبُ فِيهِ حِينَ يَمْتَنِعُ
 أَقَلُّ طَرَفِي لَا أَرَى غَيْرَ صَاحِبٍ يَمِيلُ مَعَ النِّعَمَاءِ حَيْثُ تَمِيلُ
 إِلَّا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا نَحَالَةَ زَائِلٌ
 إِنَّ الْفُسَادَ ضِدُّهُ الصَّلَاحُ وَرَبُّ جِدِّ جَرُّهُ الْمَزَاحُ
 أَمْنِي عَلَى الزَّمَانِ مُحَالًا أَنْ تَرَى مُقَاتِلَي طَلَمَةَ حُرٍّ
 إِذَا ضَاعَ شَيْءٌ بَيْنَ أُمٍّ وَبَنَاتِهَا فَإِحْدَاهُمَا يَأْصَاحُ لَا شَكَّ آخِذُهُ
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَرْءَ تَدْوَى يَمِينُهُ فَيَقْطَعُهَا عَمْدًا لَيْسَامَ سَائِرُهُ

إِنَّكَ لَوْ تَسْتَشِقُّ السَّحِيحَا وَجَدْتَهُ أَتَقَنَ شَيْءٌ رِيحَا
 أَنْتَهَزَ الْفُرْصَةَ فِي حِينِهَا وَالْتَقَطَ الْجَوْزَ إِذَا يُنْثَرُ
 أَيُّهَا السَّائِلُ عَمَّا قَدْ مَضَى هَلْ جَدِيدٌ مِثْلُ مَلْبُوسِ خَلْقٍ
 أَقَرُّ بِذَنْبِكَ ثُمَّ أَطْلُبْ تَجَاوُزَنَا عَنْهُ فَإِنَّ جُجُودَ الذَّنْبِ ذَنْبَانِ
 إِذَا أُمْتَحَنَ الدُّنْيَا لَيْبٌ تَكْشَفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ
 جَرَبْتُ دَهْرِي وَأَهْلِيهِ فَمَا تَرَكْتُ لِي التَّجَارِبُ فِي وَدِّ أَمْرِي غَرَضًا
 حَسْبُكَ مِمَّا تَبْتَغِيهِ الْقُوَّةُ مَا أَكْثَرَ الْقُوَّةَ لِمَنْ يَمُوتُ
 حَيَّاكَ مَنْ لَمْ تَكُنْ تَرْجُو تَحِيَّتَهُ لَوْلَا الدَّرَاهِمُ مَا حَيَّاكَ إِنْسَانُ
 الْخَيْرُ لَا يَأْتِيكَ مُتَّصِلًا وَالشَّرُّ يَسْبِقُ سَيْلَهُ الْمَطَرُ
 رَبِّ مَهْزُولٍ سَمِينٍ عِرْضُهُ وَسَمِينِ الْجِسْمِ مَهْزُولُ الْحَسَبِ
 الرِّزْقُ يُخْطِئُ بَابَ عَاقِلٍ قَوْمِهِ وَيَبِيتُ بَوَابًا بِبَابِ الْأَحْمَقِ
 سَتَبَدِي أَلَا يَأْمُ مَا كُنْتُ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَرُودِ
 ضَاقَتْ وَلَوْ لَمْ تَضِقْ لَمَّا أَنْفَرَجَتْ وَالْعُسْرُ مِفْتَاحُ كُلِّ مَيْسُورٍ
 الْعَنْزُ لَا يَسْمَنُ إِلَّا بِالْعَلْفِ لَا يَسْمَنُ الْعَنْزُ بِقَوْلِ ذِي لُطْفٍ
 فَإِنْ تَكُ فِي صَدِيقٍ أَوْ عَدُوٍّ تُخْبِرُكَ الْعُيُونُ عَنِ الصِّمِيرِ
 فَاقْطَعْ حَبَائِلَ خَلٍّ لَا دَلَالِمُهُ فَرُبَّمَا ضَاقَتْ الدُّنْيَا بِإِثْنَيْنِ
 الْقَمَرُ فِيمَا جَاوَزَ الْكَفَافَا مَنْ أَتَقَى اللَّهَ رَجَا وَخَافَا
 فِي كُلِّ مُسْتَحْسَنٍ عَيْبٌ بِلَا رَيْبٍ مَا يَسْلَمُ الذَّهَبُ إِلَّا بِرَيْدٍ مِنْ عَيْبٍ
 فَلَوْ كَانَ حَمْدُ يُخْلِدُ الْمَرْءَ لَمْ تَمُتْ وَلَكِنْ حَمْدُ الْمَرْءِ غَيْرُ مُخْلِدٍ

قَدَّرَ لِرَجُلِكَ قَبْلَ الْخَطْوِ مَوْضِعَهَا
 قَدْ يُدْرِكُ أُنْتَانِي حُسْنَ حَاجَتِهِ
 قَدْ يُنْعِمُ اللَّهُ بِالْبُلُوَى وَإِنْ عَظُمَتْ
 قَدْ يُدْرِكُ الشَّرَفَ الْفَتَى وَرِدَاؤُهُ
 كَانَ يُقَالُ مَنْ أَتَى خَوَانَا
 كَذَا قَضَى اللَّهُ فَكَيْفَ أَصْنَعُ
 الْكَلْبُ لَا يُذْكَرُ فِي مَجْلِسٍ
 كُنْتُ فِي كُرْبَتِي أَفِرُّ إِلَيْهِمْ
 إِكْلَ إِنْسَانٍ طَبِيعَتَانِ
 إِكْلَ شَيْءٍ مَعْدِنٍ وَجَوْهَرٍ
 إِكْلَ مَا يُؤْذِي وَإِنْ قَلَّ أَلَمْ
 لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَّاحَ بِمَيْتٍ
 مَا أُنْتَفَعَ الْمَرْءُ بِمِثْلِ عَقْلِهِ
 مَا زَالَتِ الدُّنْيَا لَنَا دَارَ أَدَى
 مَا كُنْتُ لَوْ أَكْرَمْتُ أَسْتَعْصِي
 مَا بَالُ مَنْ لَيْسَتْ لَهُ حَاجَةٌ
 مَا عَاشَ مَنْ عَاشَ مَذْمُومًا خَصَا إِلَهُ
 مَا كَلَّفَ اللَّهُ نَفْسًا فَوْقَ طَاقَتِهَا
 مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي بَيْتِهِ طَعَامُ
 فَمَنْ عَلا زَلَقًا عَنْ غِرَّةِ رَجُلَا
 وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَالُ
 وَيَبْتَلِي اللَّهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنِّعَمِ
 خَلَقَ وَجِبُ قِمِيصِهِ مَرْقُوعٌ
 مِنْ غَيْرِ أَنْ يُدْعَى إِلَيْهِ هَانَا
 أَلْصَقْتُ إِنْ ضَاقَ الْكَلَامُ أَوْسَعُ
 إِلَّا تَرَاهُ عِنْدَ مَا يُذْكَرُ
 فَهَمُّ كُرْبَتِي فَأَيْنَ الْفَرَادُ
 خَيْرٌ وَشَرٌّ وَهَمَا ضِدَّانِ
 وَأَوْسَطُ وَأَصْغَرُ وَأَكْبَرُ
 مَا أَطْوَلَ اللَّيْلَ عَلَى مَنْ لَمْ يَنْمِ
 إِنَّمَا أَلَمْتُ مَيْتُ الْأَحْيَاءِ
 وَخَيْرُ ذُخْرِ الْمَرْءِ حُسْنُ فِعْلِهِ
 مَمْرُوجَةٌ الصَّفْوِ بِالْوَانِ الْمَذَى
 لَا يَهْرُبُ الْكَلْبُ مِنَ الْقُرْصِ
 يَكُونُ أَنْفًا بَيْنَ عَيْنَيْنِ
 وَلَمْ يَمُتْ مَنْ يَكُنْ بِالْخَيْرِ مَذْكُورًا
 وَلَا تَجُودُ يَدٌ إِلَّا بِمَا تَجِدُ
 فَمَا لَهُ فِي بَيْتِهِ مَقَامُ

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِرُهُ
 مَنْ يَزْرَعِ الْخَيْرَ يَحْصِدْ مَا يُسِرُّ بِهِ
 هَنَّاكُمْ اللَّهُ بِالْدُّنْيَا وَمَتَّعْكُمْ
 وَأَقْنَعْ بِمَا أُوتِيَتْهُ تَلِ الْمُنَى
 وَإِذَا سَخَطَتْ لِضَرِّ حَالِكٍ مَرَّةً
 وَاللَّهُ أَرْحَمُ بِالْعِبَادِ فَلَا تَسْلُ
 وَأَحْسِنْ فَإِنَّ الْمَرْءَ لَا بُدَّ مَيِّتٍ
 وَمَا لِلْمَرْءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ
 وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالْأَهْلَالِ وَضَوْوهِ
 وَقَدْ تَسْلُبُ الْأَيَّامُ حَالَاتِ أَهْلِهَا
 وَمَا لِأَمْرٍ طُولُ الْخُلُودِ وَإِنَّمَا
 وَالْمَرْءُ يَفْرَحُ بِالْأَيَّامِ يَقْطَعُهَا
 وَإِذَا زَعَتْ عَنِ الْغَوَايَةِ فَلْيَكُنْ
 وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغِبَتْهَا
 وَمَا الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ إِلَّا كَمَا تَرَى
 وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا الْأَصْغَرَانِ لِسَانُهُ
 وَكَيْفَ تُرِيدُ أَنْ تُدْعَى حَكِيمًا
 وَتَرَى النَّاسَ كَثِيرًا فَإِذَا
 وَكَمْ مِنْ فَتَى يَمْسِي وَيُصْبِحُ آمِنًا
 لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
 وَزَارِعُ الشَّرِّ مَنْكُوسٌ عَلَى الرَّاسِ
 بِمَا نَحِبُ أَكْثَرُ مِنْهَا وَرِضَاهُ
 وَإِذَا دَهَنَتْكَ مِلْمَةٌ فَتَصَبَّرْ
 وَرَأَيْتَ نَفْسَكَ قَدْ عَدَتْ فَتَصَبَّرْ
 بَشَرًا تَعِشْ عَيْشَ الْكِرَامِ وَتُؤْجِرْ
 وَإِنَّكَ تَحْزِي بِمَا كُنْتَ سَاعِيَا
 إِذَا مَا عُدَّ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ
 يُوَافِي تَمَامَ الشَّهْرِ ثُمَّ يَغِيبُ
 وَتَعْدُو عَلَى أَسَدِ الرِّجَالِ الشُّعَالُ
 يُخَادُّهُ طُولُ الشَّاءِ فَيَخَادُّ
 وَكُلُّ يَوْمٍ مَضَى يُدْنِي مِنَ الْأَجَلِ
 لِلَّهِ ذَلِكَ النَّزْعُ لَا لِلنَّاسِ
 وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَفْعُ
 رَزِيَّةٌ مَالٍ أَوْ فِرَاقُ حَبِيبٍ
 وَمَعْقُولُهُ وَالْجِسْمُ خَلْقٌ مُصَوَّرٌ
 وَأَنْتَ إِكْلٌ مَا تَهْوَى تَبُوعُ
 عُدَّ أَهْلُ الْعَقْلِ قَلُّوا فِي الْعَدَدِ
 وَقَدْ نَسِجْتَ أَكْفَانَهُ وَهُوَ لَا يَذْرِي

وَمَنْ يَكُ ذَا فَمِ مَرِيضٍ يَجِدُ مُرًّا بِهِ الْمَاءُ الزُّلَالَا
وَإِكْلَ شَيْءٍ آفَةٌ مِنْ جَنْبِهِ حَتَّى الْحَدِيدُ سَطَا عَلَيْهِ الْمُبَرَّدُ
وَمَنْ سَرَهُ أَنْ لَا يَرَى مَا يَسُوهُ فَلَا يَتَّخِذُ شَيْئًا يَخَافُ لَهُ فَقْدًا
يَزِيدُ تَفَضُّلاً وَآزِيدُ شُكْرًا وَذَلِكَ دَأْبُهُ أَبَدًا وَدَأْبِي
وَيُطَلَبُ الْإِنْسَانُ مِنْ فِعْلِهِ فَفِعْلُهُ عَنْ أَصْلِهِ يُخْبَرُ

الْبَابُ الْخَامِسُ

فِي الْأَمْثَالِ عَنِ السِّنَةِ الْحَيَوَانَاتِ

الشعاب والديك

١١٧ حَكِي أَنَّ الثَّعْلَبَ مَرَّ فِي الشَّجَرِ بِشَجَرَةٍ فَرَأَى فَوْقَهَا دِيكًا .
فَقَالَ لَهُ : أَمَا تَنْزِلُ نُصَلِّي جَمَاعَةً . فَقَالَ : إِنَّ الْإِمَامَ نَائِمٌ خَلْفَ
الشَّجَرَةِ فَأَيْقِظُهُ . فَظَرَ الثَّعْلَبُ فَرَأَى الْكَلْبَ وَوَلَّى هَارِبًا . فَنَادَاهُ
الْدِّيكُ مَا تَأْتِي لِنُصَلِّي . فَقَالَ : قَدْ أَتَيْتُكَ وَضُوءِي فَأَصْبِرْ حَتَّى أَجِدَ
لِي وَضُوءًا وَأَرْجِعَ

الأسد والثعلب والذئب النمام

١١٨ ذَكَرَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي آخِرِ كِتَابِ الْأَذْكِيَاءِ . قَالَ : مَرِضَ
الْأَسَدُ فَعَادَتْهُ السَّبَاعُ وَالْوُحُوشُ مَا خَلَا الثَّعْلَبَ فَنَمَّ عَلَيْهِ الذَّئْبُ .
فَقَالَ الْأَسَدُ : إِذَا حَضَرَ فَأَعْلِمْنِي . فَلَمَّا حَضَرَ الثَّعْلَبُ أَعْلَمَهُ الذَّئْبُ

بِذَلِكَ . وَكَانَ قَدْ أَخْبَرَ بِمَا قَالَهُ الذَّبُّ . فَقَالَ الْأَسَدُ : أَيْنَ كُنْتَ
يَا أَبَا الْفَوَارِسِ . فَقَالَ : كُنْتُ أَطْلُبُ لَكَ الدَّوَاءَ . قَالَ : وَآيَ شَيْءٍ
أَصَبْتَهُ . قَالَ : قِيلَ لِي : خَرَزَةٌ فِي عُرْقُوبِ أَبِي جَعْدَةَ . قَالَ : فَضَرَبَ
الْأَسَدُ بِيَدِهِ فِي سَاقِ الذَّبِّ فَأَذَمَاهُ . وَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا . وَخَرَجَ دَمُهُ
يَسِيلُ عَلَى رِجْلَيْهِ . وَأَنْسَلَ الثَّعْلَبُ . فَهَرَّ بِهِ الذَّبُّ فَأَذَاهُ : يَا صَاحِبَ
الْحَنْفِ الْأَحْمَرِ إِذَا قَعَدْتَ عِنْدَ الْمُلُوكِ فَأَنْظِرْ مَا يَخْرُجُ مِنْكَ . فَإِنَّ
الْمُجَالِسَ بِالْأَمَانَاتِ

رجل وقبرة

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ يَكُونُ وَابِصَةً تَسْمَعُ يَتَخَدَّعُ لِكُلِّ شَيْءٍ
١١٩ رَجُلٌ صَادَقُ قُبْرَةٍ . فَقَالَتْ لَهُ : مَا تُرِيدُ أَنْ تَصْنَعَ بِي . قَالَ :
أَذْبَحُكَ وَأَكْكُكَ . قَالَتْ : وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَشْمِنُ وَلَا أَغْنِي مِنْ جُوعٍ .
وَلَا أَشْفِي مِنْ قَرَمٍ . وَلَكِنِّي أُعْلِمُكَ ثَلَاثَ خِصَالٍ هِيَ خَيْرُ لَكَ مِنْ
أَكْلِي : أَمَّا الْوَاحِدَةُ فَأُعْلِمُكَ إِيَّاهَا وَأَنَا عَلَى يَدِكَ . وَالثَّانِيَةُ إِذَا
صُرْتُ عَلَى الشَّجَرَةِ . وَالثَّالِثَةُ إِذَا صِرْتُ عَلَى الْجَبَلِ . قَالَ : نَعَمْ .
فَقَالَتْ وَهِيَ عَلَى يَدِهِ : لَا تَأْسَفَنَّ عَلَى مَا قَاتَكَ . فَخَلَّى عَنْهَا . فَلَمَّا
صَارَتْ عَلَى الشَّجَرَةِ قَالَتْ لَهُ : لَا تُصَدِّقْ بِمَا لَا يَكُونُ . فَلَمَّا صَارَتْ
عَلَى الْجَبَلِ قَالَتْ : يَا شَقِيُّ لَوْ ذَبَحْتَنِي لَوَجَدْتَنِي فِي حَوْصَلَتِي دُرَّةً
وَرَنْهَاجًا عِشْرُونَ مِثْقَالًا . قَالَ : فَعَضَّ عَلَى شَفَتَيْهِ وَتَلَهَّفَ ثُمَّ قَالَ : هَاتِي
الْثَّالِثَةَ . قَالَتْ : قَدْ نَسِيتِ الثَّانِيَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ فَكَيْفَ أُعْلِمُكَ الثَّالِثَةَ .

قَالَ : وَكَيْفَ ذَلِكَ . قَالَتْ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ : لَا تَأْسَفَنَّ عَلَى مَا فَاَتَكَ .
وَقَدْ تَأْسَفْتَ عَلَى وَأَنَا فُتُّكَ . وَقُلْتُ لَكَ : لَا تُصَدِّقْ بِأَلَا يَكُونُ وَقَدْ
صَدَّقْتَ . فَإِنَّكَ لَوْ جَمَعْتَ عِظَامِي وَلَحْمِي وَرِيشِي لَمْ يَبْلُغْ عِشْرِينَ
مِثْقَالًا . فَكَيْفَ يَكُونُ فِي حَوْصَلَتِي دُرَّةٌ وَزَنْهَا كَذَلِكَ (للشريشي)

الكلب والطبل

١٢٠ حُكِيَ أَنَّ كَلْبًا كَانَ مِنْ عَادَتِهِ إِذَا سَمِعَ صَوْتَ طَبْلٍ فِي مَكَانٍ
يَذْهَبُ إِلَيْهِ وَيُظَنُّ أَنَّ فِيهِ عُرْسًا أَوْ وَليمةً . فَعَمِلَ النَّاسُ حيلةً عَلَى
ذَلِكَ الْكَلْبِ وَتَوَاطَوْا بِأَنْ يَضْرِبُوا الطَّبْلَ فِي قَرَيَتَيْنِ كُلَّمَا أَتَى
الْكَلْبُ إِلَى مَضْرِبِ الطَّبْلِ يُسَكَّتُ وَيُضْرَبُ فِي الْقَرْيَةِ الْأُخْرَى .
فَفَعَلُوا ذَلِكَ . فَجَعَلَ الْكَلْبُ يَجْرِي بَيْنَ الْقَرَيَتَيْنِ كُلَّمَا جَاءَ قَرْيَةً مِنْهُمَا
أَسْكَتُوا الطَّبْلَ وَضْرِبَ فِي الْقَرْيَةِ الْأُخْرَى . وَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى
مَاتَ الْكَلْبُ جَائِعًا عَطْشَانًا (أنيس الجليس السيوطي)

الصيد والصدقة

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ لَا يُمَيِّزُ بَيْنَ الْأُمُورِ

١٢١ حُكِيَ أَنَّ صَيَّادًا كَانَ فِي بَعْضِ أَخْلَجَانٍ يَصِيدُ فِيهِ السَّمَكَ فِي
زَوْرَقٍ . فَرَأَى ذَاتَ يَوْمٍ فِي أَرْضِ الْمَاءِ صَدَقَةً تَتَلَاأُ حُسْنًا . فَتَوَهَّهَهَا
جَوْهَرًا لَهُ قِيَمَةٌ . وَكَانَ قَدْ أَلْقَى شَبَكَتَهُ فِي الْبَحْرِ فَأَشْتَمَلَتْ عَلَى سَمَكَةٍ
كَانَتْ قُوَّةُ يَوْمِهِ فَخَالَهَا وَقَذَفَ نَفْسَهُ فِي الْمَاءِ لِيَأْخُذَ الصَّدَقَةَ . فَلَمَّا
أَخْرَجَهَا وَجَدَهَا فَارِغَةً لَا شَيْءَ فِيهَا مِمَّا ظَنَّ . فَدِيمَ عَلَى تَرَاكُمَا فِي يَدِهِ

لِلطَّمَعِ وَتَأْسَفَ عَلَى مَا فَاتَهُ . فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي تَنَحَّى عَنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ وَأَلْقَى شَبَكَّتَهُ فَأَصَابَ حُوتًا صَغِيرًا . وَرَأَى أَيْضًا صَدَقَةً سَنِيَّةً فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا وَسَاءَ ظَنُّهُ بِهَا فَتَرَكَهَا . فَأَجْتَازَ بِهَا بَعْضُ الصَّيَّادِينَ فَأَخَذَهَا فَوَجَدَ فِيهَا دُرَّةً تُسَاوِي أَمْوَالًا (كَلِيلَةً وَدَمْنَةً)

العصفور والفخ

١٢٢ حَكِي أَنْ عَصْفُورًا مَرَّ بِفَخٍّ . فَقَالَ الْعَصْفُورُ : مَا لِي أَرَاكَ مُتَبَاعِدًا عَنِ الطَّرِيقِ . فَقَالَ الْفَخُّ : أَرَدْتُ الْعُزْلَةَ عَنِ النَّاسِ لِأَمْنٍ مِنْهُمْ وَيَأْمَنُوا مِنِّي . فَقَالَ الْعَصْفُورُ : فَمَا لِي أَرَاكَ مُقِيمًا فِي التُّرَابِ . فَقَالَ : تَوَاضَعًا . فَقَالَ الْعَصْفُورُ : فَمَا لِي أَرَاكَ نَاحِلَ الْجِسْمِ . فَقَالَ : نَهَيْتَنِي الْعِبَادَةَ . فَقَالَ الْعَصْفُورُ : فَمَا هَذَا الْحَبْلُ الَّذِي عَلَى عَاتِقِكَ . قَالَ : هُوَ مَلْبَسُ النُّسَاكِ . فَقَالَ الْعَصْفُورُ : فَمَا هَذِهِ الْعَصَا . قَالَ : أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهْشُرُ بِهَا عَلَى غَنَمِي . فَقَالَ الْعَصْفُورُ : فَمَا هَذَا الْقَمْحُ الَّذِي عِنْدَكَ . قَالَ : هُوَ فَضْلُ قَوْتِي أَعَدَدْتُهُ لِفَقِيرٍ جَائِعٍ أَوْ ابْنِ سَبِيلٍ مُنْقَطِعٍ . فَقَالَ الْعَصْفُورُ : إِنِّي ابْنُ سَبِيلٍ وَجَائِعٌ فَهَلْ لَكَ أَنْ تُطْعِمَنِي . قَالَ : نَعَمْ دُونَكَ . فَلَمَّا أَلْقَى مِنْقَارَهُ أَمْسَكَ الْفَخُّ بِعُنُقِهِ . فَقَالَ الْعَصْفُورُ : بئسَ مَا اخْتَرْتَ لِنَفْسِكَ مِنَ الْغَدْرِ وَالْخَدِيعَةِ . وَالْأَخْلَاقِ الشَّنِيعَةِ . وَلَمْ يَشْعُرِ الْعَصْفُورُ إِلَّا وَصَاحِبُ الْفَخِّ قَدْ قَبَضَ عَلَيْهِ . فَقَالَ الْعَصْفُورُ فِي نَفْسِهِ : بِحَقِّ قَالَتِ الْحُكْمَاءُ : مَنْ تَهَوَّرَ نَدِمَ . وَمَنْ حَذَرَ سَلِمَ . وَكَيْفَ لِي بِالْخُلَاصِ . وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ (لِلشِّبْرَاوِيِّ)

الغراب والسنور والنمر

١٢٣ إِنَّ غُرَابًا وَسَنُورًا كَانَا مُتَاخِيَيْنِ . فَبَيْنَمَا هُمَا تَحْتَ شَجَرَةٍ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ إِذْ رَأَى بَاغِيًّا مُقْبِلًا عَلَى تِلْكَ الشَّجَرَةِ الَّتِي كَانَا تَحْتَهَا . وَلَمْ يَعْلَمَا بِهِ حَتَّى صَادَ قَرِيبًا مِنَ الشَّجَرَةِ . فَطَارَ الْغُرَابُ إِلَى أَعْلَى الشَّجَرَةِ وَبَقِيَ السَّنُورُ مُتَحِيرًا . فَقَالَ لِلْغُرَابِ : يَا خَلِيلِي هَلْ عِنْدَكَ حِيلَةٌ فِي خَلَاصِي كَمَا هُوَ الرَّجَاءُ فِيكَ . فَقَالَ لَهُ الْغُرَابُ : إِنَّمَا تَلْتَمِسُ الْإِخْوَانُ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِمْ فِي الْحِيلَةِ عِنْدَ زُؤُلِ الْمَكْرُوهِ بِهِمْ . وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

إِنَّ صَدِيقَ الْحَقِّ مَنْ كَانَ مَعَكَ وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ
وَمَنْ إِذَا رَيْبُ الزَّمَانِ صَدَعَكَ شَتَّتَ فِيكَ نَفْسَهُ لِيَجْمَعَكَ
وَكَانَ قَرِيبًا مِنَ الشَّجَرَةِ رِعَاةٌ مَعَهُمْ كِلَابٌ . فَذَهَبَ الْغُرَابُ حَتَّى ضَرَبَ بِجَنَاحِهِ وَجْهَ الْأَرْضِ وَنَعَقَ وَصَاحَ . ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ وَضَرَبَ بِجَنَاحِهِ وَجْهَ بَعْضِ الْكِلَابِ . وَارْتَفَعَ قَلِيلًا وَتَبِعَهُ الْكِلَابُ . وَصَارَتْ فِي أَثَرِهِ فَرَفَعَ الرَّاعِي رَأْسَهُ فَرَأَى طَائِرًا يَطِيرُ قَرِيبًا مِنَ الْأَرْضِ وَيَقَعُ قَتْبَعَهُ . وَصَادَ الْغُرَابُ لَا يَطِيرُ إِلَّا بِقَدْرِ النُّجَاةِ وَالْخَلَاصِ مِنَ الْكِلَابِ . وَيُطْمَعُهَا فِي أَنْ تَفْتَرِسَهُ . ثُمَّ ارْتَفَعَ قَلِيلًا . وَتَبِعَهُ الْكِلَابُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الشَّجَرَةِ الَّتِي تَحْتَهَا النَّمِرُ . فَلَمَّا رَأَتْ الْكِلَابُ النَّمِرَ وَبَتَّ عَلَيْهِ قَوْلَى هَارِبًا . وَكَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ يَأْكُلُ الْقِطَّ فَتَجَامَيْتُهُ ذَلِكَ الْقِطُّ بِحِيلَةِ صَاحِبِهِ الْغُرَابِ
(الف ليلة وليلة)

١٢٤ حُكِيَ أَنَّهُ كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ عَابِدٌ ضَاقَتْ عَلَيْهِ مَعِيشَتُهُ .
فَخَرَجَ إِلَى الصَّحْرَاءِ يَعْبُدُ اللَّهَ وَيَسْأَلُهُ أَنْ يُعْطِيَهُ شَيْئًا . فَنُودِيَ ذَاتَ
يَوْمٍ : أَيُّهَا الْعَابِدُ مَدِّ يَدَكَ وَخُذْ . فَمَدَّ يَدَهُ فَوَضَعَ عَلَيْهَا ذَرَّتَانِ كَانَهُمَا
كُوكَبَانِ ضِيَاءٍ . فَجَاءَ بِهِمَا إِلَى مَنْزِلِهِ وَقَالَ لِأَمْرَأَتِهِ : قَدْ أَمِنَّا مِنَ
الْفَقْرِ . ثُمَّ إِنَّهُ رَأَى ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي مَنَامِهِ أَنَّهُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَى فِيهَا قَصْرًا .
فَقِيلَ لَهُ : هَذَا قَصْرُكَ . فَرَأَى فِيهِ أَرِيكَتَيْنِ مُتَقَابِلَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا مِنْ
الذَّهَبِ الْآخَرُ وَالْأُخْرَى مِنَ الْفِضَّةِ . وَسَفْتُهُمَا مِنَ اللَّوْلُو وَقِيلَ لَهُ :
إِحْدَاهُمَا مَقْعَدُكَ وَالْأُخْرَى مَقْعَدُ امْرَأَتِكَ . فَنَظَرَ إِلَى سَفْتِهِمَا فَإِذَا
فِيهِ مَوْضِعٌ خَالٍ مَقْدَارُ ذُرَّتَيْنِ . فَقَالَ : مَا بَالُ هَذَا الْمَوْضِعِ خَالِيًا .
فَقِيلَ : لَمْ يَكُنْ خَالِيًا وَإِنَّمَا أَنْتَ تَعْبُجَاتُ فِي الدُّنْيَا الدُّرَّتَيْنِ وَهَذَا
مَوْضِعُهُمَا . فَأَنْتَبَهَ مِنْ مَنَامِهِ بَاكِيًا وَأَخْبَرَ امْرَأَتَهُ بِذَلِكَ . فَقَالَتْ لَهُ
زَوْجَتُهُ : أَنْ أَدْعُ اللَّهَ وَأَسْأَلَهُ حَتَّى يَرُدَّهَا مَكَانَهُمَا . فَخَرَجَ إِلَى
الصَّحْرَاءِ وَهِيَ فِي كَفِّهِ وَصَارَ يَدْعُو اللَّهَ وَيَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهَا .
وَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى أَخَذَتَا مِنْ كَفِّهِ وَنُودِيَ أَنْ : رَدَدْنَاهُمَا إِلَى
مَكَانِهِمَا

(للقليوبي)

بطتان وسلخفاة

١٢٥ قِيلَ : كَانَ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ غَدِيرٌ عَظِيمٌ وَقَدْ سَكَنَتْ فِيهِ
بَطَّتَانِ وَسُلْخَفَاةٌ . وَوَقَعَتْ الْأُلْفَةُ بَيْنَهُمْ . وَأَسْتَأْنَسَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ

فَاتَّفَقَ أَنْ غِيضَ أَمْنَاءُ فَيَسَ الْغَدِيرُ . فَجَاءَتِ الْبَطْطَانُ عِنْدَ السُّخْفَاةِ
وَقَالَتَا : إَعْلَمِي أَيَّتَهُمَا الصَّدِيقَةُ الْمَشْفِقَةُ أَنَّ حَالِ الدُّنْيَا الدُّنْيَةُ آخِرُهَا
الْفَرْقَةُ وَالْمَطْيَعَةُ . وَقَدْ يَسَ مَاءُ الْغَدِيرِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ حَيَاةِ
الْمَخْلُوقَاتِ وَقَدْ أَنَّ الرِّجْلَ وَوَقَعَ الشَّتُّ بَيْنَنَا . فَلَمْ نَجِدْ إِلَّا الْإِنْتِقَالَ
إِلَى غَدِيرٍ آخَرَ . فَلَمَّا سَمِعَتِ السُّخْفَاةُ هَذَا الْكَلَامَ بَكَتْ وَنَادَتْ
بِالْوَيْلِ وَالشُّبُورِ وَقَالَتْ : أَيَّتَهُمَا الصَّدِيقَتَانِ الْمَشْفِقَتَانِ فَمَا حِيلَتِي أَنْ أَذْهَبَ
مَعَكُمَا . وَمَا سَبَبُ أَنْ أَكُونَ مَعَكُمَا . قَالَتِ الْبَطْطَانُ : نَأْخُذُكَ مَعَنَا
وَلَكِنَّا نَخَافُ أَنْ تَتَكَلَّمِي لِأَنَّكَ لَمْ تَمْلِكِي لِسَانَكَ . قَالَتِ السُّخْفَاةُ :
الآنَ عَهْدْتُ أَنْ لَا أَنْطِقَ . فَقَالَتِ الْبَطْطَانُ : إِذَا رَأَى الْخَلْقُ أَنَّنا
هَمانَا وَطَرْنَا بِكَ وَتَعَجَّبَ كُلُّهُمْ عَلَى طَيْرَانِنَا بِكَ وَأَخْبَرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا
فَعَلَيْكَ أَنْ تَصْبِرِي وَلَا تَتَكَلَّمِي بِشَيْءٍ . وَلَا تَنْسِي قَوْلَ الْقَضَاءِ :
إِنَّهُ مَنْ صَمَتَ نَجَا . وَقَوْلُهُمْ : الْبَلَاءُ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ . وَإِنْ لَمْ تَصْبِرِي
وَتَكَلَّمْتِ بِشَيْءٍ فَلَا تَلُومِينَ إِلَّا نَفْسَكَ . وَيَكُونُ ذَنْبُكَ عَلَيْكَ . فَلَمَّا
سَمِعَتِ السُّخْفَاةُ كَلَامَهُمَا قَالَتْ : لَا أَتَكَلَّمُ أَبَدًا بَلْ أَتَمَسَّكَ بِذِكْرِ اللَّهِ
فَلَنْ أَكُومَ الْيَوْمَ إِنْسِيًا . فَلَمَّا أَخَذَتِ الْبَطْطَانُ عَهْدًا عَلَى السُّخْفَاةِ اتَّيَا
بِقَضِيبٍ وَقَالَتَا لِلْسُّخْفَاةِ : أَمْسِكِي وَسَطَ الْقَضِيبِ بِفَمِكَ وَضَمِّي
شَفَتَيْكَ مُحْكَمًا . فَفَعَلَتِ السُّخْفَاةُ مَا قَالَتَا . ثُمَّ أَخَذَتِ الْبَطْطَانُ بِطَرَفِي
الْقَضِيبِ عَلَى عُقْبِهِمَا . ثُمَّ طَارَتَا فِي السَّمَاءِ مَعَ السُّخْفَاةِ . فَرَأَى بَعْضُ
النَّاسِ ذَلِكَ وَأَخْبَرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا . وَبَادَرُوا : يَا عَجَبًا . أَنْظَرُوا كَيْفَ

حَمَلَتِ الْبَطْنَانِ السُّخْفَاةَ . ثُمَّ إِنَّ السُّخْفَاةَ تَمَمَتْ كَلَامَ النَّاسِ . فَصَبَرَتْ
سَاعَةً فَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى الصَّبْرِ مِنْ كَثْرَةِ تَعْجِبِ الْخَلْقِ . فَأَجَابَتْهُمْ : لَمْ
تُحِبُّونَ مِنْ أَمْرِنَا . أَمَا لَكُمْ تَرَوْنَ كَيْفَ حَمَلَتْنِي الْبَطْنَانِ . وَمَا كَانَ بَعْدَ
أَنْ تَكَلَّمْتُ إِلَّا أَنْ وَقَعْتُ عَلَى الْخَضِيضِ فَهَلَكْتُ (للسيوطي)

اعْمى ومقعد

١٢٦ قَالُوا : إِنَّ أَعْمَى وَمُقْعِدًا كَانَا فِي قَرْيَةٍ بَفَقْرٍ وَضُرٍّ لَا قَائِدَ
لِلْأَعْمَى وَلَا حَامِلَ لِلْمُقْعِدِ . وَكَانَ فِي الْقَرْيَةِ رَجُلٌ يُطْعِمُهُمَا فِي كُلِّ
يَوْمٍ أَحْتِسَابًا بِقُوَّتِهِمَا مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ . فَلَمْ يَزَلَا فِي عَافِيَةٍ إِلَى
أَنْ هَلَكَ الْمُحْتَسِبُ . فَأَقَامَا بَعْدَهُ أَيَّامًا فَأَشْتَدَّ جُوعُهُمَا وَبَلَغَ الضَّرَرُ
مِنْهُمَا جُهْدَهُ . فَاجْتَمَعَ رَأْيُهُمَا عَلَى أَنْ يَحْمِلَ الْأَعْمَى الْمُقْعِدَ . فَبَدَّلَهُ
الْمُقْعِدُ عَلَى الطَّرِيقِ بِبَصَرِهِ . وَاسْتَقْبَلَ الْأَعْمَى بِحِمْلٍ الْمُقْعِدَ وَيَدُورَانِ
فِي الْقَرْيَةِ لِيَسْتَطِيعَا أَنْ يَأْكُلَا . فَفَعَلَا فَفَجَعَ أَمْرُهُمَا . وَلَوْ لَمْ يَفْعَلَا هَلَكَ
(للطراشوي)

الحيهتان

١٢٧ زَعَمُوا أَنَّ حَمَامَتَيْنِ ذَكَرًا وَأُنْثَى مَلَأَا عُشَّهُمَا مِنَ الْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ .
فَقَالَ الذَّكَرُ لِلْأُنْثَى : إِنَّا إِذَا وَجَدْنَا فِي الصَّخَارِيِّ مَا نَعِيشُ بِهِ فَلَسْنَا
نَأْكُلُ مِمَّا هُنَا شَيْئًا . فَإِذَا جَاءَ الشِّتَاءُ وَلَمْ يَكُنْ فِي الصَّخَارِيِّ شَيْءٌ
رَجَعْنَا إِلَى مَا فِي عُشِّنَا فَأَكَلْنَاهُ . فَرَضِيَتْ الْأُنْثَى بِذَلِكَ وَقَالَتْ لَهُ :
نَعَمْ مَا رَأَيْتَ . وَكَانَ ذَلِكَ الْحَبُّ نَدِيًّا حِينَ وَضَعَاهُ فِي عُشِّهِمَا . فَأَنْطَلَقَ

الذَّكْرُ قَغَابَ . فَلَمَّا جَاءَ الصَّيْفُ يَبِسَ الْحَبُّ وَصَبَّرَ . فَلَمَّا رَجَعَ
الذَّكْرُ رَأَى الْحَبُّ نَاقِصًا . فَقَالَ : أَلَيْسَ كُنَّا أَجْمَعًا رَأَيْنَا عَلَى أَنْ لَا
نَأْكُلَ مِنْهُ شَيْئًا فَلَمْ أَكَلْتِهِ . فَجَعَلَتْ تَحْلِفُ أَنَّهَا مَا أَكَلَتْ مِنْهُ شَيْئًا
وَجَعَلَتْ تَعْتَذِرُ إِلَيْهِ . فَلَمْ يُصَدِّقْهَا وَجَعَلَ يَقْرُهَا حَتَّى مَاتَتْ . فَلَمَّا
جَاءَتِ الْأَمْطَارُ وَدَخَلَ الشِّتَاءُ تَدَدَّى الْحَبُّ وَامْتَلَأَ الْعُشُّ كَمَا كَانَ .
فَلَمَّا رَأَى الذَّكْرُ ذَلِكَ تَدَدَّمَ . ثُمَّ أَضْطَجَعَ إِلَى جَانِبِ حَمَامَتِهِ وَقَالَ :
مَا يَنْفَعُنِي الْحَبُّ وَالْعُشُّ بَعْدَكَ . إِذْ طَلَبْتُكَ فَلَمْ أَجِدْكَ وَلَمْ أَقْدِرْ
عَالِيكَ . وَإِذَا فَكَّرْتُ فِي أَمْرِكَ وَعَلِمْتُ أَنِّي قَدْ ظَلَمْتُكَ وَلَا أَقْدِرُ
عَلَى تَدَارُكِ مَا فَاتَ . ثُمَّ اسْتَمَرَّ عَلَى حُزْنِهِ . فَلَمْ يَطْعَمْ طَعَامًا وَلَا شَرَبَ آبًا
حَتَّى مَاتَ إِلَى جَانِبِهَا

(كَلْبِيَّةٌ وَدَمْنَةٌ)

العابد والكاتب

١٢٨ إِنَّهُ كَانَ فِي جَبَلِ أَلْبَانِ رَجُلٌ مِنَ الْعِبَادِ مُنْزَوِيًا عَنِ النَّاسِ فِي
غَارٍ فِي ذَلِكَ الْجَبَلِ . وَكَانَ يَصُومُ النَّهَارَ وَيَأْتِيهِ كُلَّ لَيْلَةٍ رَغِيفٌ يُنْظَرُ
عَلَى نِصْفِهِ وَيَسْتَحِرُّ بِالنِّصْفِ الْآخَرِ . وَكَانَ عَلَى ذَلِكَ مُدَّةَ طَوِيلَةٍ لَا
يَنْزِلُ مِنَ ذَلِكَ الْجَبَلِ أَصَلًا . فَأَتَفَقَ أَنْ أَنْقَطَعَ عَنْهُ الرِّغِيفُ لَيْلَةً
مِنَ اللَّيَالِي فَأَشْتَدَّ جُوعُهُ وَقَلَّ هُجُوعُهُ . فَصَلَّى الْعِشَاءَ بَيْنَ وَبَاتِ تِلْكَ
الَّيْلَةِ فِي أَنْتِظَارِ شَيْءٍ يَدْفَعُ بِهِ الْجُوعَ فَسَامَ يَتَسَرَّاهُ شَيْءٌ . وَكَانَ فِي
أَسْفَلِ ذَلِكَ الْجَبَلِ قَرْيَةٌ سُكَّانُهَا نَصَارَى . فَعِنْدَ مَا أَصْبَحَ الْعَابِدُ نَزَلَ
إِلَيْهِمْ وَاسْتَطْعَمَ شَيْخًا مِنْهُمْ فَأَعْطَاهُ رَغِيفَيْنِ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ فَأَخَذَهُمَا

وَتَوَجَّهَ إِلَى الْجَبَلِ . وَكَانَ فِي دَارِ ذَلِكَ الشَّيْخِ النَّصْرَانِيَّ كَلْبٌ جَرَبُ
 مَهْزُولٌ فَلَحِقَ الْعَابِدَ وَنَجَّ عَلَيْهِ وَتَعَلَّقَ بِأَذْيَالِهِ . فَأَلْقَى إِلَيْهِ الْعَابِدُ رَغِيفًا
 مِنْ ذِيْنِكَ الرَّغِيفَيْنِ لِيَسْتَعْلِفَ بِهِ عَنْهُ . فَأَكَلَ الْكَلْبُ ذَلِكَ الرَّغِيفَ .
 وَلَحِقَ الْعَابِدَ مَرَّةً أُخْرَى وَأَخَذَ فِي النَّبَاحِ وَالْهَرِيرِ . فَأَلْقَى إِلَيْهِ الْعَابِدُ
 الرَّغِيفَ الْآخَرَ فَأَكَلَهُ . وَلَحِقَهُ تَارَةً أُخْرَى وَأَشْتَدَّ هَرِيرُهُ وَتَشَبَّثَ
 بِذَيْلِ الْعَابِدِ وَمَرْقَةٍ . فَقَالَ الْعَابِدُ : سُبْحَانَ اللَّهِ إِنِّي لَمْ أَرِ كَلْبًا أَقَلَّ حَيَاءً
 مِنْكَ . إِنَّ صَاحِبَكَ لَمْ يُعْطِنِي إِلَّا رَغِيفَيْنِ وَقَدْ أَخَذْتُهُمَا مِنِّي . مَاذَا
 تَطْلُبُ بِهِرِيرِكَ وَمَقْزِقِ ثِيَابِي . فَأَنْطَقَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ الْكَلْبَ فَقَالَ :
 لَسْتُ أَنَا قَلِيلُ الْحَيَاءِ . إِنْ عَلِمْتُ أَنِّي رَبِيتُ فِي دَارِ ذَلِكَ النَّصْرَانِيَّ
 أَحْرُسُ غَنَمَهُ وَأَحْفَظُ دَارَهُ . وَأَقْفَعُ بِمَا يَدْفَعُهُ لِي مِنْ عِظَامٍ أَوْ خُبْزٍ .
 وَرُبَّمَا لَسِيْنِي فَأَبْقَى أَيَّامًا لَا أَكُلُ شَيْئًا . بَلْ رُبَّمَا يَمُضِي عَلَيْنَا أَيَّامٌ لَا
 يَجِدُ هُوَ لِنَفْسِهِ شَيْئًا وَلَا لِي . وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ أَفَارِقْ دَارَهُ مُذْ عَرَفْتُ
 نَفْسِي وَلَا تَوَجَّهْتُ إِلَى بَابٍ غَيْرِهِ . بَلْ كَانَ دَائِبِي أَنَّهُ إِنْ حَصَلَ شَيْءٌ
 شَكَرْتُ وَإِلَّا صَبَرْتُ . وَأَمَّا أَنْتَ فَبِأَنْقِطَاعِ الرَّغِيفِ عَنْكَ لَيْلَةٌ
 وَاحِدَةٌ لَمْ يَكُنْ عِنْدَكَ وَلَا كَانَ مِنْكَ تَحْمَلُ حَتَّى تَوَجَّهْتَ مِنْ بَابِ
 رَازِقِ الْعِبَادِ إِلَى بَابِ إِنْسَانٍ . فَأَيُّنَا أَقَلُّ حَيَاءً أَنَا أَمْ أَنْتَ . فَلَمَّا
 سَمِعَ الْعَابِدُ ذَلِكَ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى رَأْسِهِ وَخَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ

(إلهاء الدين)

تاجر ومستودع عنده

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ أَخَذَ بِثَارِدٍ بِمِثْلِ مَا تُثَرِّبُهُ
 ١٢٩ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ بِأَرْضِ كَذَا تَاجِرٌ . وَأَنَّهُ أَرَادَ الْخُرُوجَ يَوْمًا إِلَى
 بَعْضِ الْوُجُوهِ ابْتِغَاءَ الرِّزْقِ . وَكَانَ عِنْدَهُ مِئَةٌ مِنْ حَدِيدًا . فَأَوْدَعَهَا
 رَجُلًا مِنْ إِخْوَانِهِ وَذَهَبَ فِي وَجْهَتِهِ . ثُمَّ قَدِمَ بَعْدَ ذَلِكَ بِمُدَّةٍ . فَجَاءَ
 وَاتَّخَسَ الْحَدِيدَ . فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : قَدْ أَكَلْتَهُ الْجُرْذَانُ . فَقَالَ : قَدْ
 سَمِعْتُ أَنَّهُ لَا شَيْءَ أَقْطَعُ مِنْ أَنْيَابِهَا لِلْحَدِيدِ . فَفَرَّحَ الرَّجُلُ بِتَصْدِيقِهِ
 مَا قَالَ وَأَدَّعَى . ثُمَّ إِنَّ التَّاجِرَ خَرَجَ فَلَقِيَ وَلَدًا لِلرَّجُلِ . فَأَخَذَهُ وَذَهَبَ
 بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ . فَجَاءَ الرَّجُلُ مِنَ الْغَدِ . فَقَالَ : هَلْ عِنْدَكَ عِلْمٌ بِأَبْنِي .
 قَالَ : لَمَّا خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِكَ بِالْأَمْسِ رَأَيْتُ بَارِيًا قَدْ اخْتَطَفَ صَبِيًّا .
 فَلَمَّاهُ أَبْنُكَ . فَلَطَمَ الرَّجُلُ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَ يَا قَوْمُ : هَلْ تَسْمَعُونَ أَوْ
 رَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرَاةَ تَخْتَطِفُ الصَّبِيَّانَ . فَقَالَ : نَعَمْ إِنَّ أَرْضًا تَأْكُلُ جُرْذَانَهَا
 مِئَةً مِنْ حَدِيدٍ لَيْسَ بِعَجَبٍ أَنْ تَخْتَطِفَ بُرَاتِهَا الْقَلِيلَةَ . قَالَ الرَّجُلُ :
 أَكَلَتْ حَدِيدَكَ وَهَذَا ثَمَنُهُ . فَأَرَدَ عَلَى ابْنِي
 بَرَاءَةً وَقَرًا .

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ لَا يَتَعِظُ بِكَلَامِ غَيْرِهِ فَيَغَامِرُ بِنَفْسِهِ فَيَعْطُ
 ١٣٥ زَعَمُوا أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْقِرَدَةِ كَانُوا سُكَّانًا فِي جَبَلٍ . فَأَلْتَمَسُوا
 فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ ذَاتِ رِيَّاحٍ وَأَمْطَارٍ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا . فَرَأَوْا بِرَاعَةً تَطِيرُ
 كَأَنَّهَا شَرَارَةٌ نَارٍ فَظَنُّوْهَا نَارًا . فَجَمَعُوا حَطَبًا كَثِيرًا وَالْقُوَّةَ عَلَيْهَا .

وَجَعَلُوا يَنْفُخُونَ طَمَآ أَن يُوقِدُوا نَارًا يَصْطَلُونَ بِهَا . وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُمْ
طَائِرٌ عَلَى شَجَرَةٍ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَقَدْ رَأَى مَا صَنَعُوا . فَجَعَلَ
يُنَادِيهِمْ وَيَقُولُ : لَا تَتَّبِعُوا . فَإِنَّ الَّذِي رَأَيْتُمْهُ أَيْسَ بِنَارٍ . فَلَمَّا طَالَ
ذَلِكَ عَلَيْهِ . عَزَمَ عَلَى الْقُرْبِ مِنْهُمْ لِيُنْهَاهُمْ عَنْهُمْ فِيهِ . فَرَّ بِهِ رَجُلٌ
فَعَرَفَ مَا عَمَدَ إِلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ : لَا تَأْتَمِسْ تَقْوِيمَ مَا لَا يَسْتَقِيمُ . فَإِنَّ
الْحَجَرَ الْمَانِعَ الَّذِي لَا يَنْقَطِعُ لَا تُجَرَّبُ عَلَيْهِ السُّيُوفُ . وَالْعُودَ الَّذِي لَا
يُخْنِي لَا يَعْمَلُ مِنْهُ الْقَوْسُ . فَلَا تَتَّبِعْ . فَأَبَى الطَّائِرُ أَنْ يُطِيعَهُ .
وَتَقَدَّمَ إِلَى الْقِرْدَةِ لِيُعْرِفَهُمْ أَنَّ الْإِرَاعَةَ أَيْسَتْ بِنَارٍ . وَإِذَا بِأَحَدِهِمْ
تَمَآوَلَهُ وَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ فَمَاتَ

شريكان

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ أَلْتَمَسَ صَلَاحَ نَفْسِهِ بِفَسَادِ غَيْرِهِ
١٣١ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ لِتَاجِرٍ شَرِيكٌ . فَاسْتَأْجَرَ حَانُوتًا وَجَعَلَ لِمَتَاعَهُمَا
فِيهِ . وَكَانَ أَحَدُهُمَا قَرِيبَ الْمَنْزِلِ مِنَ الْحَانُوتِ . فَأَضْمَرَ فِي نَفْسِهِ أَنْ
يَسْرِقَ عَدْلًا مِنْ أَعْدَالِ رَفِيقِهِ . وَفَكَّرَ الْحِيلَةَ فِي ذَلِكَ وَقَالَ : إِنْ
أَتَيْتُ لَيْلًا لَمْ أَمِنْ أَنْ أَجْلَ أَحَدَ أَعْدَالِي أَوْ إِحْدَى رُزْمِي وَلَا أَعْرِفُهَا .
فَيَذْهَبُ عَنَّا وَيَتَعَبِي بِاطِلًا . فَأَخَذَ رِدَاءَهُ وَالْقَاهُ عَلَى مَا أَضْمَرَ أَخَذَهُ
مِنْ أَعْدَالِ شَرِيكِهِ وَأَنْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ . وَجَاءَ رَفِيقُهُ بَعْدَ ذَلِكَ
لِيُصْلِحَ الْأَعْدَالَ فَوَجَدَ رِدَاءَ شَرِيكِهِ عَلَى بَعْضِ أَعْدَالِهِ . فَقَالَ : هَذَا
رِدَاءُ صَاحِبِي وَلَا أَحْسَبُهُ إِلَّا قَدْ نَسِيَهُ . وَمَا الرَّأْيُ أَنْ أَدْعَهُ هَهُنَا .

وَلَكِنْ أَجْعَلُهُ عَلَى رِزْمِهِ فَلَعَلَّهُ يَسْبِقُنِي إِلَى الْخَانُوتِ فَيَجِدُهُ حَيْثُ يُحِبُّ .
ثُمَّ أَخَذَ الرِّدَاءَ وَالْقَادَ عَلَى أَحَدِ أَعْدَالِ رَفِيقِهِ وَأَقْفَلَ الْخَانُوتَ وَمَضَى
إِلَى مَنْزِلِهِ . فَلَمَّا هَجَمَ اللَّيْلُ أَتَى رَفِيقَهُ وَمَعَهُ رَجُلٌ قَدْ وَاطَّاهُ عَلَى مَا
عَزَمَ عَلَيْهِ . وَضَمِنَ لَهُ جُمْلًا عَلَى حَمْلِهِ . فَصَارَ إِلَى الْخَانُوتِ وَالْتَمَسَ
الْإِزَارَ فِي الظُّلْمَةِ . حَتَّى إِذَا حَسَّ بِهِ أَحْتَمَلَ الْعِدْلَ الَّذِي تَحْتَهُ وَأَخْرَجَهُ
هُوَ وَالرَّجُلُ . وَجَعَلَا يَتَرَاوَحَانِ عَلَى حِمْلِهِ حَتَّى أَتَى مَنْزِلَهُ وَهُوَ يَخِطُّ
تَعْبًا فَرَزَحَ . فَلَمَّا أَصْبَحَ أَفْتَقَدَهُ وَإِذَا بِهِ بَعْضُ مَتَاعِهِ . فَندِمَ أَشَدَّ
النَّدَمِ . ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى الْخَانُوتِ فَوَجَدَ شَرِيكَهُ قَدْ سَبَقَهُ إِلَيْهِ وَفَقَدَ
الْعِدْلَ وَجَلَسَ مُنْقَمًا يَقُولُ : سَوْءَ تَأْمِنَ رَفِيقِي صَالِحٌ قَدْ أَتَمَّنَنِي عَلَى
مَا إِلَيْهِ وَخَافَنِي فِيهِ . مَاذَا تَكُونُ حَالِي عِنْدَهُ وَأَنْتَ أَشْكُ فِي تَهْمَتِهِ
إِيَّايَ . وَلَكِنْ قَدْ وَطَّئْتُ نَفْسِي عَلَى غَرَامَتِهِ . فَقَالَ لَهُ الْخَائِنُ : يَا أَخِي
لَا تَغْتَمَ . فَإِنَّ الْخِيَانَةَ شَرُّ مَا عَمِلَ الْإِنْسَانُ وَالْمَكْرَ وَالْخُدْيَةَ لَا يُودِيَانِ
إِلَى خَيْرٍ . وَصَاحِبُهُمَا مَعْرُورٌ أَبَدًا . وَمَا عَادَ وَبَالَ الْبَغْيِ إِلَّا عَلَى
صَاحِبِهِ . وَأَنَا أَحَدُ مَنْ مَكَرَ وَخَدَعَ . فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : كَيْفَ كَانَ
ذَلِكَ . فَأَخْبَرَهُ بِخَبْرِهِ . فَأَضْرَبَ الرَّجُلُ عَنْ تَوْبِخِهِ وَقَبِلَ مَعذِرَتَهُ .
وَنَدِمَ هُوَ غَايَةَ النَّدَامَةِ

رجل وابن عرس

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ لَا يَتَشَبَّثُ فِي أَمْرِهِ بَلَى يَهْجُمُ عَلَى أَعْمَالِهِ بِالْأَهْجَلَةِ
١٣٢ زَعَمُوا أَنَّ رَجُلًا كَانَ لَهُ غُلَامٌ . وَاتَّفَقَ يَوْمًا أَنَّ أُمَّرَأَتَهُ قَالَتْ

لَهُ : أَقْعُدْ عِنْدَ ابْنِكَ حَتَّى أَذْهَبَ إِلَى الْحَمَامِ فَأَغْتَسِلَ وَأَتْبِرَعَ الْعَوْدَةَ .
ثُمَّ انْطَلَقَتْ وَخَلَّفَتْ زَوْجَهَا وَالْغُلَامَ . فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَهُ رَسُولُ الْمَلِكِ
يَسْتَدْعِيهِ . وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يَخْلُفُهُ عِنْدَ ابْنِهِ غَيْرَ ابْنِ عَرَسٍ . وَكَانَ دَاجِنًا
عِنْدَهُ وَقَدْ رَبَّاهُ صَغِيرًا . فَهُوَ عِنْدَهُ عَدِيلٌ وَلَدِهِ . فَتَرَكَهُ الرَّجُلُ عِنْدَ
الصَّبِيِّ وَأَغْلَقَ عَلَيْهِمَا الْبَيْتَ وَذَهَبَ مَعَ الرَّسُولِ . فَخَرَجَ مِنْ بَعْضِ
أَحْجَارِ الْبَيْتِ حَيَّةٌ سَوْدَاءٌ . فَدَنَتْ مِنَ الْغُلَامِ فَضَرَبَهَا ابْنُ عَرَسٍ
فَمَتَّاهَا . ثُمَّ قَطَعَهَا وَأَمْتَلَأَ فِيهِ مِنْ دَمِهَا . ثُمَّ جَاءَ الرَّجُلُ وَفَتَحَ الْبَابَ .
فَاسْتَمَعَ لَهُ ابْنُ عَرَسٍ كَأَلْمَشِيرِ لَهُ بِمَا صَنَعَ . فَلَمَّا رَأَاهُ مُلَوَّنًا بِالدَّمِ طَارَ
عَقْلُهُ . وَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ خَنَقَ وَلَدَهُ . وَلَمْ يَتَثَبَّتْ فِي أَمْرِهِ وَلَمْ يَتَرَوْ فِيهِ
حَتَّى يَعْلَمَ حَقِيقَةَ مَا جَرَى . وَكَانَ عَجَلًا عَلَى ابْنِ عَرَسٍ الْمُسْكِينِ بِضَرْبَةِ
عُكَازٍ كَانَ فِي يَدِهِ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ فَوَقَعَ بَيْتًا . ثُمَّ لَمَّا دَخَلَ رَأَى الْغُلَامَ
سَلِيمًا حَيًّا وَعِنْدَهُ أَسْوَدٌ مُقَطَّعٌ . فَفَرَمَ الْقِصَّةَ وَتَبَيَّنَ لَهُ سُرُّ فِعْلِهِ فِي
الْعَجَلَةِ . فَاطْمَنَّ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَ : لَيْتَنِي لَمْ أَرْزُقْ هَذَا الْوَلَدَ . وَلَمْ أَغْدُرْ
هَذَا الْغَدْرَ . ثُمَّ دَخَلَتْ زَوْجَتُهُ فَوَجَدَتْهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ . فَقَالَتْ لَهُ :
مَا شَأْنُكَ . فَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ وَحُسْنَ فِعْلِ ابْنِ عَرَسٍ وَسُوءَ مُكَافَأَتِهِ لَهُ .
فَقَالَتْ : هَذَا ثَمَرَةُ الْعَجَلَةِ

فَلَمَّا وَارَبُ

وَمَوْمَلٌ مِنْ صَرْفِ الْأَذَى عَنْ قَوْمِهِ بِحِيلَتِهِ
زَعَمُوا أَنَّ أَرْضًا مِنْ أَرْضِي الْفَيْلَةِ تَابَعَتْ عَلَيْهَا السِّنُونُ

وَأَجْدَبَتْ . وَقَلَّ مَاؤُهَا وَغَارَتْ عُيُونُهَا . وَذَوَى نَبَاتُهَا وَيَبَسَ شَجَرُهَا .
فَأَصَابَ الْقَيْلَةَ عَطَشٌ شَدِيدٌ . فَشَكُونَ ذَلِكَ إِلَى مَلِكِهَا فَأَرْسَلَ الْمَلِكُ
رُسُلَهُ وَرَوَّادَهُ فِي طَلَبِ الْمَاءِ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ . فَرَجَعَ إِلَيْهِ بَعْضُ الرُّسُلِ
فَأَخْبَرَهُ قَائِلًا : قَدْ وَجَدْتُ بِمَكَانٍ كَذَا عَيْنًا يُقَالُ لَهَا عَيْنُ الْقَمَرِ
كَثِيرَةُ الْمَاءِ فَتَوَجَّهَ مَلِكُ الْقَيْلَةِ بِأَصْحَابِهِ إِلَى تِلْكَ الْعَيْنِ لِيَشْرَبَ مِنْهَا
هُوَ وَفِيلَتُهُ . وَكَانَتْ الْعَيْنُ فِي أَرْضِ الْأَرَابِ فَوُطِئَتْ وَهُنَّ فِي
أَجْزَائِهِنَّ فَهَلَكَ مِنْهُنَّ كَثِيرٌ . فَاجْتَمَعْنَ إِلَى مَلِكِهَا فَقُلْنَ لَهُ : قَدْ عَلِمْتَ
مَا أَصَابَنَا مِنَ الْقَيْلَةِ . فَقَالَ : لِيُخْضِرْ كُلُّ ذِي رَأْيٍ رَأْيَهُ . فَتَقَدَّمَتْ
وَاحِدَةٌ مِنَ الْأَرَابِ يُقَالُ لَهَا فَيْرُوزُ . وَكَانَ الْمَلِكُ يَعْرِفُهَا بِحُسْنِ الرَّأْيِ
وَالْأَدَبِ . فَقَالَتْ : إِنْ رَأَى الْمَلِكُ أَنْ يَبْعَثَنِي إِلَى الْقَيْلَةِ وَيُرْسِلَ مَعِيَ
أَمِينًا أَيْرَى وَيَسْمَعَ مَا أَقُولُ وَيَرْفَعَهُ إِلَى الْمَلِكِ . فَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ : أَنْتِ
أَمِينَةٌ وَنَرْضَى بِقَوْلِكَ . فَأَنْطَلَقِي إِلَى الْقَيْلَةِ وَبَاغِي عَنَّا مَا تُرِيدِينَ .
وَأَعْلَمِي أَنَّ الرُّسُولَ بِرَأْيِهِ وَعَقْلِهِ وَإِيْنِهِ وَفَضْلِهِ يُخْبِرُ عَنْ عَقْلِ الْمُرْسِلِ .
فَعَلَيْكَ بِالْإِيْنِ وَالْمَوَاتَاةِ . فَإِنَّ الرُّسُولَ هُوَ الَّذِي يُبَيِّنُ الصَّدُورَ إِذَا
رَفِقَ . وَيُخَشِّنُ الصَّدُورَ إِذَا خَرَقَ . ثُمَّ إِنَّ الْأَرَابَ أَنْطَلَقَتْ فِي لَيْلَةٍ
قَمَرَاءَ حَتَّى أَتَتْ إِلَى الْقَيْلَةِ . وَكَرِهَتْ أَنْ تَدْنُو مِنْهُنَّ خِشَافَةً أَنْ يَطَّأَنَهَا
بِأَرْجُلِهِنَّ . فَيَقْتُلْنَهَا وَإِنْ كُنَّ غَيْرَ مُتَعَمِّدَاتٍ . ثُمَّ أَشْرَفَتْ عَلَى الْجَبَلِ
وَنَادَتْ مَلِكَ الْقَيْلَةِ وَقَالَتْ لَهُ : إِنَّ الْقَمَرَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ وَالرُّسُولُ غَيْرُ
مَلُومٍ فِيمَا يُبَاغُ وَإِنْ أَغْلَظَ فِي الْقَوْلِ . قَالَ مَلِكُ الْقَيْلَةِ : فَمَا الرِّسَالَةُ .

قَالَتْ : يَقُولُ لَكَ . إِنَّهُ مِنْ عَرَفَ قُوَّتَهُ عَلَى الضَّعْفَاءِ فَأَغْتَرَّ بِذَلِكَ
بِالْأَقْوِيَاءِ كَانَتْ قُوَّتُهُ وَبِالْأَعْلِيَاءِ . وَأَنْتَ قَدْ عَرَفْتَ فَضْلَ قُوَّتِكَ عَلَى
الدَّوَابِّ فَغَرَّكَ ذَلِكَ . فَعَمِدَتْ إِلَى الْعَيْنِ الَّتِي تُسَمَّى بِأَسْمَى فَوَرَدَتْهَا
وَكَدَّرَتْهَا . فَأَرْسَلَنِي إِلَيْكَ لِأُنْذِرَكَ أَنْ لَا تَعُودَ إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ .
وَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ أَغْشَى بَصَرَكَ وَأَتَلَفَ نَفْسَكَ . وَإِنْ كُنْتُ فِي
شَكٍّ مِنْ رِسَالَتِي . فَهَلُمَّ إِلَى الْعَيْنِ مِنْ سَاعَتِكَ فَإِنِّي مُوَافِيكَ إِلَيْهَا .
فَعَجَبَ مَلِكُ الْفِيلَةِ مِنْ قَوْلِ الْأَرْبِ فَأَنْطَاقَ إِلَى الْعَيْنِ مَعَ فَيْرُوزِ
الرَّسُولِ . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا رَأَى ضَوْءَ الْقَمَرِ فِيهَا . فَقَالَتْ لَهُ فَيْرُوزُ
الرَّسُولِ : خُذْ بِخُرْطُومِكَ مِنَ الْمَاءِ فَأَغْسِلْ بِهِ وَجْهَكَ وَاسْتَجِدْ لِلْقَمَرِ .
فَادْخُلِ الْفِيلُ خُرْطُومَهُ فِي الْمَاءِ فَتَحَرَكَ . فَخَيَّلَ لَهُ أَنَّ الْقَمَرَ ارْتَعَدَ .
فَقَالَ : مَا شَأْنُ الْقَمَرِ ارْتَعَدَ . أَرَادَ غَضَبَ مِنْ إِدْخَالِي حِجْمَتِي فِي الْمَاءِ .
قَالَتْ الْأَرْبُ : نَعَمْ . فَسَجَدَ الْفِيلُ لِلْقَمَرِ مَرَّةً أُخْرَى . وَتَابَ إِلَيْهِ مِمَّا
صَنَعَ وَشَرَطَ أَنْ لَا يَعُودَ إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ هُوَ وَلَا أَحَدٌ مِنَ الْفِيلَةِ

أَرْبُ وَاسِدُ

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ دَفَعَ الْمَكْرُوهَ بِرَأْيِهِ وَأَحْسَنَ تَدْبِيرَهُ وَحِيلَتَهُ
١٣٤ زَعَمُوا أَنَّ أَسَدًا كَانَ فِي أَرْضٍ أَرِيضَةٍ كَثِيرَةِ الْمِيَاهِ وَالْعُشْبِ .
وَكَانَ فِيهَا مِنَ الْوُحُوشِ فِي سَعَةِ الْمِيَاهِ وَالْمَرْعَى كَثِيرٌ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ
يَنْفَعُهَا ذَلِكَ لِحُوفِهَا مِنْ أَسَدٍ كَانَ مُسْتَبِدًّا بِالْأَمْرِ فِيهَا . فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ
وَقَالَتْ لَهُ : إِنَّكَ تُصِيبُ مِنَّا الدَّابَّةَ بَعْدَ الْجُهْدِ وَالْتَعَبِ . وَقَدْ رَأَيْنَا

لَكَ، رَأْيًا فِيهِ صَاحُ لَكَ وَأَمْنٌ لَنَا . فَإِنْ أَنْتَ أَمَنْتَنَا وَلَمْ تُخَفِّنَا فَلَكَ عَلَيْنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ دَابَّةٌ نَبْعَثُ بِهَا إِلَيْكَ فِي وَقْتِ غَدَائِكَ . فَرَضِيَ الْأَسَدُ بِذَلِكَ وَصَاحَ الْوُحُوشَ عَلَيْهِ . وَوَفَيْنَ هُنَّ لَهُ إِلَى أَنْ أَصَابَتِ الْقُرْعَةُ أَرْبَابًا . فَقَالَتِ الْوُحُوشُ : إِنْ أَنْتِ رَفِقْتِ بِي فِيمَا لَا يَضُرُّكِ رَجَوْتُ أَنْ أُرِيحَكِ مِنَ الْأَسَدِ . فَقَالَتْ : وَمَا الَّذِي تُكَلِّفِينَا مِنَ الْأُمُورِ . قَالَتْ : تَأْمُرُنَ الَّذِي يَنْطَلِقُ بِي إِلَى الْأَسَدِ أَنْ يَمْلِكَنِي رَيْثَمَا أُبْطِئُ عَلَيْهِ بَعْضَ الْإِبْطَاءِ . فَقُلْنَ لَهَا : ذَلِكَ لَكَ . فَأَنْطَلَقَتِ الْأَرْبَابُ مُتَبَاطِئَةً حَتَّى جَاوَزَتِ الْوَقْتَ الَّذِي كَانَ يَتَعَدَّى فِيهِ الْأَسَدُ . ثُمَّ تَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ وَحَدَّهَا رُويْدًا وَقَدْ جَاعَ وَغَضِبَ . فَقَامَ مِنْ مَكَانِهِ نَحْوَهَا . فَقَالَ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلَتْ . قَالَتْ : أَنَا رَسُولُ الْوُحُوشِ إِلَيْكَ بَعَثْتَنِي وَمَعِيَ أَرْبَابُكَ فَتَتَّبِعْنِي أَسَدُ فِي بَعْضِ تِلْكَ الطَّرِيقِ فَأَخَذَهَا مِنِّي غَضَبًا . وَقَالَ : أَنَا أَوَّلَى بِهَذِهِ الْأَرْضِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْوُحُوشِ . فَقُلْتُ : إِنَّ هَذَا غَدَاءُ الْمَلِكِ أَرْسَلَتْ بِهِ الْوُحُوشَ مَعِيَ إِلَيْهِ فَلَا تَغْضَبْنِيهِ . فَسَبَّكَ وَشَتَمَكَ . فَأَقْبَلْتُ مُسْرِعَةً إِلَيْكَ لِأَخْبِرَكَ . فَقَالَ الْأَسَدُ : أَوْ فِي زَمَنِي غَاصِبٌ أَنْطَلِقَ مَعِيَ فَأَرِيَنِي مَوْضِعَ هَذَا الْأَسَدِ . فَأَنْطَلَقْتُ إِلَى جُبٍ فِيهِ مَاءٌ غَامِرٌ صَافٍ . فَأُطْلَعْتُ فِيهِ وَقَالَتْ : هَذَا الْمَكَانُ . فَتَطَلَّعَ الْأَسَدُ فَرَأَى ظِلَّهُ وَظِلَّ الْأَرْبَابِ فِي الْمَاءِ فَلَمْ يَشْكُ فِي قَوْلِهَا . ثُمَّ وَثَبَ إِلَيْهِ لِيُقَاتِلَهُ فَفَرَّقَ فِي الْجُبِّ . فَأَنْقَلَبَتِ الْأَرْبَابُ إِلَى الْوُحُوشِ فَأَعْلَمَتْهُنَّ صَدِيعُهَا بِالْأَسَدِ

(كليله ودمنه)

الْبَابُ السَّادِسُ فِي الْفَضَائِلِ وَالنَّقَائِصِ

الصَّبْرُ

١٣٥ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : الصَّبْرُ عَشْرَةُ أَقْسَامٍ . الصَّبْرُ عَنْ شَهْوَةِ
الْبَطْنِ يُسَمَّى قَنَاعَةً وَضِدُّهُ الشَّرُّ . وَالصَّبْرُ عَنْ شَهْوَةِ الْجَسَدِ يُسَمَّى
عِفَّةً وَضِدُّهُ الشَّبَقُ . وَالصَّبْرُ عَلَى الْمُعْصِيَةِ يُسَمَّى صَبْرًا وَضِدُّهُ الْجَزَعُ .
وَالصَّبْرُ عَلَى الْغَنَاءِ يُسَمَّى ضَبْطَ النَّفْسِ وَضِدُّهُ الْبَطَرُ . وَالصَّبْرُ عِنْدَ
الْقِتَالِ يُسَمَّى الشَّجَاعَةِ وَضِدُّهُ الْجُبْنُ . وَالصَّبْرُ عِنْدَ الْغَضَبِ يُسَمَّى حِلْمًا
وَضِدُّهُ الْحُمُقُ . وَالصَّبْرُ عِنْدَ النَّوَائِبِ يُسَمَّى سَعَةً الصَّدْرِ وَضِدُّهُ
الضَّخِيرُ . وَالصَّبْرُ عَلَى حِفْظِ السِّرِّ يُسَمَّى الْكُتْمَانَ وَضِدُّهُ الْحَرْقُ . وَالصَّبْرُ
عَنْ فُضُولِ الْمَعِيشَةِ يُسَمَّى الزُّهْدَ وَضِدُّهُ الْحِرْصُ . وَالصَّبْرُ عِنْدَ تَوَقُّعِ
الْأُمُورِ يُسَمَّى التَّوَدُّةَ وَضِدُّهُ الطَّيْشُ (لِلْقَالِيُونِي)

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا جَاءَ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ بَعْضِهِمْ :
بَنَى اللَّهُ الْأَخْيَارَ بَيْتًا سَمَاوُهُ هُمُومٌ وَأَخْرَانُ وَحِيطَانُهُ الضُّرُّ
وَأَدْخَلَهُمْ فِيهِ وَأَغْلَقَ بَابَهُ وَقَالَ لَهُمْ مِفْتَاحُ بَابِكُمْ الصَّبْرُ
قَالَ آخَرُ :

إِصْبِرْ قَلِيلًا وَكُنْ بِاللَّهِ مُعْتَصِمًا وَلَا تُعَاجِلْ فَإِنَّ الْعَجْزَ بِالْعَجَالِ
الصَّبْرُ مِثْلُ اسْمِهِ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ لَكِنْ عَوَاقِبُهُ أَحْلَى مِنْ الْعَسَلِ

١٣٦ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الصَّبْرُ صَبْرَانِ . صَبْرٌ عَلَى مَا تَكْرَهُ

وَصَبْرٌ عَمَّا تُحِبُّ . وَالثَّانِي أَشَدُّهَا عَلَى النَّفْسِ (إيهاء الدين)

مِنَ الدِّيَوَانِ الْمُنْسُوبِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ :

إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْأَيَّامِ تَجَرِبَةً لِلصَّبْرِ عَاقِبَةً مَحْمُودَةً الْأَرْ

لَا تَصْجِرُنَّ وَلَا يَدْخُوكَ مَعْجِزَةٌ فَالْبُحْبُوحُ يَهْلِكُ بِبَنِّ الْعَجْزِ وَالصَّجَرُ

لَا مَرَأَةَ مِنَ الْعَرَبِ :

أَيُّهَا الْإِنْسَانُ صَبْرًا إِنَّ بَعْدَ الْعُسْرِ يُسْرًا

إِشْرَبِ الصَّبْرَ وَإِنْ كَانَ مِنْ الصَّبْرِ أَمْرًا

١٣٧ شَكَا رَجُلٌ إِلَى جَعْفَرِ الصَّادِقِ أَذِيَّةَ جَارِهِ . فَقَالَ لَهُ : أَصْبِرْ

عَلَيْهِ . قَالَ : يَتَسَبَّنِي إِلَى الذَّلِيلِ . قَالَ : إِنَّمَا الذَّلِيلُ مَنْ ظَلَمَ

(المستعصي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي سَالِبٍ :

إِصْبِرْ قَلِيلًا فَبَعْدَ الْعُسْرِ يُسِيرُ وَكُلُّ أَمْرٍ لَهُ وَقْتُ وَتَدْبِيرُ

وَلِلْمُهَيِّمِينَ فِي حَالَاتِنَا نَظْرُ وَفَوْقَ تَدْبِيرِنَا لِلَّهِ تَدْبِيرُ

قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِذَا مَا أَتَاكَ الدَّهْرُ يَوْمًا بِنَكْبَةٍ فَأَفْرِغْ لَهَا صَبْرًا وَأَوْسِعْ لَهَا صَدْرًا

فَإِنَّ تَصَارِيفَ الزَّمَانِ عَجِيبَةٌ فَيَوْمًا تَرَى يُسْرًا وَيَوْمًا تَرَى عُسْرًا

قَالَ آخَرُ :

وَكَمْ غَمْرَةٍ هَاجَتْ بِأَمْوَاجِ غَمْرَةٍ تَلْقَيْتُهَا بِالصَّبْرِ حَتَّى تَجَلَّتْ

وَكَانَتْ عَلَى الْأَيَّامِ نَفْسِي عَزِيزَةً فَلَمَّا رَأَتْ صَبْرِي عَلَى الدَّلَالَةِ ذَاتَ
 ١٣٨ قَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَّاضٍ : أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ يَذُوقِي اللَّهُ الدُّنْيَا
 عَمَّنْ يُحِبُّ وَيَمِرُّهَا عَلَيْهِمْ تَارَةً بِالْجُوعِ وَمَرَّةً بِالْحَاجَةِ . كَمَا تَصْنَعُ الْأُمُّ
 الشَّقِيقَةَ يُولِدُهَا تَفْطِمُهُ بِالصَّبْرِ مَرَّةً وَبِالْحُضْضِ أُخْرَى وَإِنَّمَا يُرِيدُ
 صَلَاحَهُ (لِبَهَاءِ الدِّينِ)

أَنْشَدَ بَعْضُهُمْ :

وَإِذَا بُلِيتَ بِعُسْرَةٍ فَالْبَسْ لَهَا صَبْرَ الْكَرِيمِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَحْزَمُ
 لَا تَشْكُونَ إِلَى الْعِبَادِ فَإِنَّمَا تَشْكُو الرَّحِيمَ إِلَى الَّذِي لَا يَرْحَمُ
 وَقَالَ آخَرُ :

وَأَصْبِرْ إِذَا مَا شِئْتَ إِكْلِيلَ الْهَنَاءِ فَبِغَيْرِ حُسْنِ الصَّبْرِ لَنْ تَهْكُلَهُ
 فَإِذَا كَرِهْتَ الصَّبْرَ فَأَعْلَمْ أَنَّكَ كَرِهْتَ بَانَ تَكُونُ مُكْلَلًا
 قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

مَا أَحْسَنَ الصَّبْرَ فِي الدُّنْيَا وَأَجْلَاهُ عِنْدَ الْإِلَهِ وَأَنْجَاهُ مِنَ الْجَزَعِ
 مَنْ شَدَّ بِالصَّبْرِ كَفًّا عِنْدَ مُوَلِّهِ أَلَوْتْ يَدَاهُ بِحَبْلِ غَيْرِ مُنْقَطِعِ
 قَالَ آخَرُ :

أَمَّا وَالَّذِي لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ غَيْرُهُ وَمَنْ لَيْسَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ لَهُ كَفْوُ
 لَنْ كَانَ بَدْءُ الصَّبْرِ مَرًّا مَذَاقُهُ لَقَدْ يُجْتَنَى مِنْ بَعْدِهِ الثَّمَرُ الْخُلُوعُ
 قَالَ مُحَمَّدُ الْأَبْيُورْدِيُّ :

تَكَّرَ لِي دَهْرِي وَلَمْ يَدِرْ أَتَنِي أَعِزُّ وَأَهْوَالُ الزَّمَانِ تَهُونُ

وظَلَّ يُرِينِي الْخُطْبَ كَيْفَ أَعْتَدَاؤُهُ وَبِتُ أُرِيهِ الصَّبْرَ كَيْفَ يَكُونُ
 ١٣٩ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: أَعْلَمُوا أَنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْأُمُورِ بِمَنْزِلَةِ
 الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ. إِذَا فَارَقَ الرَّأْسُ الْجَسَدَ فَسَدَ الْجَسَدُ. وَإِذَا فَارَقَ
 الصَّبْرُ الْأُمُورَ فَسَدَتِ الْأُمُورُ. وَلِلَّهِ مِنْ قَالَ:

عَلَى قَدَرِ فَضْلِ الْمَرْءِ تَأْتِي خُطُوبُهُ وَيُحْمَدُ مِنْهُ الصَّبْرُ مِمَّا يُصِيبُهُ
 فَمَنْ قَلَّ فِيهَا يَلْتَقِيهِ أَصْطِبَارُهُ فَقَدْ قَلَّ فِيهَا يَلْتَقِيهِ نَصِيبُهُ
 قَالَ الشُّبْرَاوِيُّ:

وَإِذَا مَسَّكَ الزَّمَانُ بَضْرٍ عَظُمَتْ دُونَهُ الْخُطُوبُ وَجَلَتْ
 وَأَتَتْ بَعْدَهُ نَوَابُ أُخْرَى سَمَتْ نَفْسُكَ الْحَيَاةُ وَمَلَتْ
 فَاصْطَبِرْ وَانْتَظِرْ بُلُوغَ الْأَمَانِي فَالْزَايَا إِذَا تَوَالَتْ تَوَلَّتْ
 قَالَ مُحَمَّدُ الْوَرَّاقُ:

الدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى حَالَةٍ لَكِنَّهُ يُقْبِلُ أَوْ يُدِيرُ
 فَإِنْ تَلَقَّاكَ بِمَكْرُوهِهِ فَاصْبِرْ فَإِنَّ الدَّهْرَ لَا يَصْبِرُ

١٤٠ (مِنْ كِتَابِ أُنَيْسِ الْعُقَلَاءِ). إِنْ عَلِمَ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ.
 وَالْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ. وَالنَّصْرَ مَعَ الْعُسْرِ. قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ:
 بِمِفْتَاحِ عَزِيمَةِ الصَّبْرِ تُعَالَجُ مَغَالِيقُ الْأُمُورِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: عِنْدَ
 أَسْدَادِ الْفَرَجِ تَبْدُو مَطَالِعُ الْفَرَجِ (لِبِهَاءِ الدِّينِ)
 وَلِلَّهِ دَرٌّ مَنْ قَالَ:

الصَّبْرُ مِفْتَاحُ مَا يُرْجَى وَكُلُّ صَعْبٍ بِهِ يَهُونُ

فَاصْبِرْ وَإِنْ طَأَتْ أَلْيَالِي فَرُبَّمَا أَمْكَنَ الْحُرُونُ
وَرُبَّمَا نِيلَ بِأَصْطِبَارٍ مَا قِيلَ هَيْبَاتٍ لَا يَكُونُ
قَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِي :

تَحْمَلُ أَخَاكَ عَلَى مَا بِهِ فَمَا فِي أَسْتِقَامَتِهِ مَطْمَعُ
وَأَنِّي لَهُ خُلُقٌ وَاحِدٌ وَفِيهِ طَبَائِعُهُ الْأَرْبَعُ

قَالَ غَيْرُهُ :

دَعِ الْأَيَّامَ تَفْعَلْ مَا تَشَاءُ وَطِبْ نَفْسًا إِذَا نَزَلَ الْبَلَاءُ
وَلَا تَجْزَعْ لِحَادِثَةِ الْأَيَّامِ فَمَا لِحَوَادِثِ الدُّنْيَا بَقَاءُ
إِذَا مَا كُنْتَ ذَا قَلْبٍ قُنُوعٍ فَأَنْتَ وَمَالُكَ الدُّنْيَا سَوَاءُ

قَالَ آخَرُ :

إِذْفَعْ بِصَبْرِكَ حَادِثَ الْأَيَّامِ وَتَرَجَّ لُطْفَ الْوَاحِدِ الْعَالَمِ
لَا تَيَاسَنَّ وَإِنْ تَضَاقَ كَرْبُهَا وَرَمَاكَ رَيْبُ صُرُوفِهَا بِسِهَامِ
فَلَهُ تَعَالَى بَيْنَ ذَلِكَ فُرْجَةٌ تَخْفَى عَلَى الْأَبْصَارِ وَالْأَوْهَامِ
كَمْ مِنْ نَحْيٍ بَيْنَ أَطْرَافِ الْقَنَا وَفَرِيسَةٍ سَلِمَتْ مِنَ الضَّرْعَامِ

للحلم

١٤١ قِيلَ لِقَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ : مَا الْحِلْمُ . قَالَ : أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ .
وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ . وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ . قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :
حِلْمُكَ عَلَى السَّفِيهِ يُكْثِرُ أَنْصَارَكَ عَلَيْهِ . قَالُوا : لَا يَظْهَرُ الْحِلْمُ إِلَّا
مَعَ الْإِنْتِصَارِ . كَمَا لَا يَظْهَرُ الْعَفْوُ إِلَّا مَعَ الْإِقْتِدَارِ . وَقَالُوا : مَا قَرِنَ

شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ أَزَيْنُ مِنْ حِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ . وَمِنْ عَفْوٍ إِلَى قُدْرَةٍ . قَالَ
مُعاويةُ : إِنِّي لَا أَسْتَعِي مِنْ رَبِّي أَنْ يَكُونَ ذَنْبُ أَعْظَمَ مِنْ عَفْوِي . أَوْ
جَهْلُ أَكْبَرَ مِنْ حِلْمِي . أَوْ عَوْرَةُ لَا أَوَارِيهَا بِسِتْرِي . وَقَالَ الْمُورِقُ
الْعَجَلِيُّ : مَا تَكَلَّمْتُ فِي الْغَضَبِ بِكَلِمَةٍ نَدِمْتُ عَلَيْهَا فِي الرِّضَا
(لابن عبد ربه)

قَالَ النَّوَاجِي :

يُخَاطِبُنِي السَّفِيهُ بِكُلِّ قُبْحٍ وَأَكْرَهُ أَنْ أَكُونَ لَهُ مُجِيبًا
يَزِيدُ سَفَاهَةً وَأَزِيدُ حِلْمًا كَعُودٍ زَادَهُ الْإِحْرَاقُ طِيبًا
١٤٢ قَالَتِ الْحَكَمَاءُ : يُدْرِكُ بِالرِّفْقِ مَا لَا يُدْرِكُ بِالْعَنْفِ . أَلَا
تَرَى أَنَّ الْمَاءَ عَلَى لِينِهِ يَمْطَعُ الْحَجَرَ عَلَى شِدَّتِهِ . وَقَالَ أَشْجَعُ السُّلَمِيِّ
لِجَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى : مَا كَادَ يُدْرِكُ بِالرِّجَالِ وَلَا بِالْمَالِ مَا أَدْرَكْتَ بِالرِّفْقِ .
وَقَالَ النَّابِغَةُ :

الرِّفْقُ يَمُنُّ وَالْأَنَاءُ سَعَادَةٌ فَاسْتَأْنِ فِي رِفْقٍ تُلَاقِ مُجَاجِمًا
قَالَ أَشْجَعُ الْعَبْدِ الْمَلِكِ : إِنَّكَ عَلَى إِيقَاعِ مَا لَمْ تُوقِعْ أَقْدَرُ مِنْكَ
عَلَى رَدِّ مَا أَوْقَعْتَ . وَأَخَذَ ذَلِكَ الشَّاعِرُ فَقَالَ :
فَدَاوَيْتُهُ بِالْحِلْمِ وَالْمُرُءُ قَادِرٌ عَلَى سَهْمِهِ مَا دَامَ فِي كَفِّهِ السَّهْمُ
(لشعالي)

قِيلَ لِهَشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ : تَطْمَعُ فِي الْخِلَافَةِ وَأَنْتَ بَخِيلٌ جَبَانٌ .
قَالَ : وَلَمْ لَا أَطْمَعُ فِيهَا وَأَنَا حَلِيمٌ عَفِيفٌ
(لابي الفرج)

١٤٣. قَالَ الْبُخْتَرِيُّ :

تَنَاسَ ذُنُوبَ قَوْمِكَ إِنْ حَفِظَ الذُّمُّ نُوبٍ إِذَا قَدُمْنَ مِنْ الذُّنُوبِ
قِيلَ : الْأَعْتِرَافُ . يَزُولُ بِهِ الْأَقْتِرَافُ . لَا عِشْبَ مَعَ إِقْرَارٍ . وَلَا
ذَنْبَ مَعَ اسْتِغْفَارٍ . الْمَعْتَرِفُ بِالْجُرِيرَةِ مُسْتَحِقٌّ لِلْغَفِيرَةِ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ
حَازِمٍ :

إِذَا مَا أَمَرُوا مِنْ ذَنْبِهِ جَاءَ تَائِبًا إِلَيْكَ فَلَمْ تَغْفِرْ لَهُ فَلَاكَ الذَّنْبُ
قَالَ كُلُّوْمُ بْنُ عَمْرِو بْنِ إِصْدِيقٍ لَهُ أَنْكَرَ ذَنْبًا : إِمَّا أَنْ تُقِرَّ بِذَنْبِكَ
فَيَكُونَ إِقْرَارُكَ حُجَّةً لَنَا فِي الْعَفْوِ . وَإِلَّا قَطِبَ نَفْسًا بِالْإِتِّظَارِ مِنْكَ
أَقْرَرِ بِذَنْبِكَ ثُمَّ أَطْلُبْ تَجَاوُزَنَا عَنْهُ فَإِنَّ جُودَ الذَّنْبِ ذَنْبَانِ
قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصَّوَلِيُّ :

وَكُنْتُ إِذَا الصَّدِيقُ أَرَادَ غِيظِي وَأَشْرَقَنِي عَلَى شَرْقِ بَرِيقٍ
غَفَرْتُ ذُنُوبَهُ وَصَفَحْتُ عَنْهُ خِشْيَةً أَنْ أَعِيشَ بِمَا لَصَدِيقٍ
١٤٤ أَتَى الْمَنْصُورُ رَجُلًا أَذْنَبَ . فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ
وَالْإِحْسَانِ . فَإِنْ أَخَذْتَ فِي غَيْرِي بِالْعَدْلِ فَخُذْ فِيَّ بِالْإِحْسَانِ . فَعَفَا
عَنْهُ . قَالَ أَبُو فِرَاسٍ :

إِنْ لَمْ تَخَافَ عَنِ الذُّنُوبِ بِ وَجَدْتَهَا فِينَا كَثِيرَةً
لَكِنَّ عَادَتَكَ الْجَمِيَّةَ لَمْ أَنْ تَنْصُضْ عَلَى الْجُرِيرَةِ

(للشعالي)

دَخَلَ ابْنُ حَزِيمٍ عَلَى الْمُهْدِيِّ وَقَدْ عَتَبَ عَلَى بَعْضِ أَهْلِ الشَّامِ

وَأَرَادَ أَنْ يَفْزُوهُمْ جَيْشًا . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيكَ بِالْعَفْوِ عَنْ
الْمُذْنِبِ وَالتَّجَاوُزِ عَنِ الْمَسِيءِ . فَلَأَنَّ يُطِيعَكَ الْعَرَبُ طَاعَةً مَحَبَّةً خَيْرٌ
لَكَ مِنْ أَنْ تُطِيعَكَ طَاعَةً خَوْفٍ (لابن عبد ربه)

لَمَّا ظَفِرَ الْمَأْمُونُ بِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَهْدِيِّ شَاوَرَ فِيهِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ
الْأَحْوَلُ الْوَزِيرَ . فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ قَتَلْتَهُ فَلَاكَ نُظْرَاءُ . وَإِنْ
عَفَوْتَ فَمَا لَكَ تَظِيرٌ (وفیات الاعيان لابن خلكان)

العدل

١٤٥ إَعْلَمُ أَنَّ الْعَدْلَ مِيزَانُ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْأَرْضِ الَّذِي يُؤْخَذُ بِهِ
لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ وَالْحَقِّ مِنَ الْمُبْطِلِ . وَأَعْلَمُ أَنَّ عَدْلَ الْمَلِكِ
يُوجِبُ مَحَبَّتَهُ وَجَوْرُهُ يُوجِبُ الْإِفْتِرَاقَ عَنْهُ . قِيلَ : دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ
تَحْمِلُ عَلَى الْغَمَامِ وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ . وَسَأَلَ الْإِسْكَنْدَرُ حُكَمَاءَ
أَهْلِ بَابِلَ : أَيُّمَا أَبْلَغُ عِنْدَكُمْ الشَّجَاعَةُ أَمْ الْعَدْلُ . قَالُوا إِذَا اسْتَعْمَلْنَا
الْعَدْلَ اسْتَغْنَيْنَا بِهِ عَنِ الشَّجَاعَةِ . وَيُقَالُ : عَدْلُ السُّلْطَانِ . أَنْفَعُ مِنْ
خِصْبِ الزَّمَانِ (للابشيحي)

١٤٦ إِنَّ السُّلْطَانَ إِذَا عَدَلَ انْتَشَرَ الْعَدْلُ فِي رَعِيَّتِهِ . وَأَقَامُوا الْوَزْنَ
الْقِسْطَ وَتَعَاطَوْا الْحَقَّ فِيمَا بَيْنَهُمْ . وَلَزِمُوا قَوَائِينَ الْعَدْلِ . فَهَاتَ
الْبَاطِلُ وَذَهَبَتْ رُسُومُ الْجَوْرِ . وَانْتَعَشَتْ قَوَائِينُ الْحَقِّ . فَأَرْسَلَتْ
السَّمَاءُ غِيَاثَهَا وَأَخْرَجَتْ الْأَرْضُ بَرَكَاتَهَا . وَنَمَتْ تِجَارَتُهُمْ . وَرَكَتْ
زُرُوعُهُمْ . وَتَنَاسَلَتْ أَنْعَامُهُمْ . وَدَرَّتْ أَرْضَانُهُمْ . وَرَخِصَتْ أَسْعَارُهُمْ .

وَأَمْتَلَأَتْ أَوْعِيَّتَهُمْ . فَوَاسَى الْبَخِيلُ . وَأَفْضَلَ الْكَرِيمُ . وَقَضَيْتِ
الْحَقُوقُ . وَإِذَا جَارَ السُّلْطَانُ أَنْتَشَرَ الْجَوْرُ فِي الْبِلَادِ وَعَمَّ الْعِبَادُ .
فَرَقَّتْ أَدْيَانُهُمْ . وَأَضْهَعَتْ مُرُوءَاتِهِمْ . وَفَشَتْ فِيهِمُ الْمَعَاصِي .
وَذَهَبَتْ أَمَانَاتُهُمْ . وَتَضَعَضَتِ النُّفُوسُ . وَقَطِطَ الْقُلُوبُ . فَمَنَعُوا
الْحَقُوقَ . وَتَعَاظُوا الْبَاطِلَ . وَبَحَسُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ . فَرُفِعَتْ مِنْهُمْ
الْبَرَكَةُ . وَأَمْسَكَتِ السَّمَاءُ غِيَاثَهَا . وَلَمْ تَخْرُجِ الْأَرْضُ زَرْعَهَا وَنَبَاتَهَا .
وَقَلَّ فِي أَيْدِيهِمُ الْخُطَامُ . وَقَطُّوا وَأَمْسَكُوا الْفَضْلَ الْمَوْجُودَ . وَتَنَاجَرُوا
عَلَى الْمُنْقُودِ . فَمَنَعُوا الزَّكَّاتِ الْمَفْرُوضَةَ . وَبَخَلُوا بِالْمُؤَاسَاةِ الْمُسْنُونَةِ .
وَقَبَضُوا أَيْدِيَهُمْ عَنِ الْمَكَارِمِ . وَتَنَازَعُوا الْمِقْدَارَ اللَّاطِيفَ وَتَجَاحَدُوا
الْقَدَرَ الْخَسِيسَ . فَفَشَتْ فِيهِمُ الْأَيْمَانُ الْكَاذِبَةُ . وَالْحِيلُ فِي الْبَيْعِ .
وَالْخِدَاعُ فِي الْمَعَامَلَةِ . وَالْمَكْرُ وَالْحِيلَةُ فِي الْقَضَاءِ وَالْإِقْتِضَاءِ . وَمَنْ
عَاشَ كَذَلِكَ فَبَطَنَ الْأَرْضَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ظَهَرِهَا (الطرطوشي)

قَالَ أَرْدَشِيرُ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ إِنَّ الْمُلْكَ وَالْعَدْلَ أَخَوَانِ لَا غِنَى
بِأَحَدِهِمَا عَنْ صَاحِبِهِ . فَالْمُلْكُ أَسُّ وَالْعَدْلُ حَارِسٌ . فَمَا لَمْ يَكُنْ لَهُ
أَسٌّ فَهُدُومٌ . وَمَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَارِسٌ فَضَائِعٌ (ابن عبد ربه)

الوفاء

١٤٧ قَالَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُونُسَ الثَّقَفِيُّ : مَا خَلَقْتُ إِلَّا فَرِيْتُ . وَمَا
وَعَدْتُ إِلَّا وَفِيْتُ (المقزويني)

قَالُوا : مَنْ تَحَلَّى بِالْوَفَاءِ . وَتَحَلَّى عَنِ الْجَفَاءِ . فَذَلِكَ مِنْ إِخْوَانِ

الصفاء . وقالوا : ألوفاة ضالة كثير ناشدها . قليل واجدها . كما قيل :
الوفاة من شيم الكرام . والغدر من خلائق اللئام
(الكثر المدفون للسيوطي)

قال بعض الشعراء في أهل زمانه :

ذهب ألوفاة ذهاب أمس الذاهب فالتأس بين محالف وموارب
يفشون بينهم المودة والصفاء وقلوبهم محشوة بمقارب
١٤٨ قالوا : وعد الكريم نهد . ووعد اللئيم تسويف . قال عمر
ابن الحارث : كانوا في قديم الزمان يفعلون ولا يقولون . ثم صاروا
يقولون ويفعلون . ثم صاروا يقولون ولا يفعلون
قال زياد الأنجم :

لله درك من فتى لو كنت تفعل ما تقول
لا خير في كذب الجوا د حبذا صدق النجیل

الصدقة والخنة

١٤٩ قيل : المرء كثير بأخيه . قال الأخنف بن قيس : خير
الإخوان من إن استغيت عنه لم يزدك في المودة . وإن أحتجت إليه
لم ينقصك . وإن كثرت عضدك . وإن استرفدت رفقك . وأنشد
أحمد بن أبان :

إذا أنا لم أصبر على الذنب من أخ وكنت أجاريه فأين التفاضل
وأكن أدأويه فإن صغ سرتني وإن هو أعيا كان فيه تحامل

قَالَ آخِرُ :

وَأَيْسَ أَخِي مَنْ وَدَّني بِإِسَانِهِ وَلَكِنْ أَخِي مَنْ وَدَّني وَهُوَ غَائِبٌ
وَمَنْ مَالُهُ مَالِي إِذَا كُنْتُ مُعْدِمًا وَمَالِي لَهُ إِنْ أَعُوزْتَهُ النَّوَائِبُ
قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ :

إِصْحَبْ ذَوِي الْفَضْلِ وَأَهْلَ الدِّينِ فَأَمْرٌ مَسُوبٌ إِلَى الْقَرِينِ
قَالَ طَرْفَةُ بْنُ الْعَبْدِ :

إِذَا كُنْتُ فِي قَوْمٍ فَصَاحِبُ خِيَارِهِمْ
وَلَا تَصْحَبِ الْأَرْدَا فَرَدَى مَعَ الرَّدِيِّ
عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلَّ عَنْ قَرِينِهِ

فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَتَقَرِّي
١٥٠ قِيلَ ابْزَرْجَمَهَرُ : مَنْ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَخُوكَ أَمْ صَدِيقُكَ . فَقَالَ :
مَا أَحَبُّ أَخِي إِلَّا إِذَا كَانَ لِي صَدِيقًا . وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ :
الْقَرَابَةُ تُقْطَعُ . وَالْمَعْرُوفُ يُكْفَرُ . وَمَا رَأَيْتُ كَتَمًا رُبَّ الْقُلُوبِ
قَالَ بَعْضُ الْأَكْبَارِ : يَنْبَغِي أَنْ تَسْتَنْبِطَ لِرِزْلَةِ أَخِيكَ سَبْعِينَ
عُذْرًا . فَإِنْ لَمْ يَقْبَلْهُ قَلْبُكَ فَقُلْ لِقَلْبِكَ : مَا أَقْسَاكَ . يَعْتَذِرُ إِلَيْكَ
أَخُوكَ سَبْعِينَ عُذْرًا فَلَا تَقْبَلْ عُذْرَهُ فَإِنَّ الْمَعْتُوبَ لَا هُوَ
قَالَ الْمُبَرَّدُ :

مَا الْقُرْبُ إِلَّا لِمَنْ صَحَّتْ مَوَدَّتُهُ
وَلَمْ يَخْنُكْ وَلَيْسَ الْقُرْبُ لِلنَّسَبِ

كَمْ مِنْ قَرِيبٍ دَوِّي الصَّدْرِ مُضْطَظِّنِ
وَمِنْ بَعِيدٍ سَلِيمٍ غَيْرِ مُقْتَرِبِ
قَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ :

وَأَيْسَ الَّذِي يَقَالُكَ بِالْبَشْرِ وَالرِّضَا وَإِنْ غِبْتَ عَنْهُ أَلَمْتُكَ عَقَارِبُهُ
قَالَ بَشَّارُ :

تَوَدُّ عَدُوِّي ثُمَّ تَزْعُمُ أَنَّي صَدِيقُكَ إِنَّ الرَّاْيَ مِنْكَ لَعَازِبُ
وَلَيْسَ أَخِي مَنْ وَدَّني رَأْيَ عَيْنِهِ وَلَكِنْ أَخِي مَنْ وَدَّني وَهُوَ غَائِبُ
١٥١ مِمَّا أَوْصَى بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَوْلَادُهُ : يَا بَنِي عَاشِرُوا النَّاسَ
عِشْرَةً إِنْ غِبْتُمْ حَنُوا إِلَيْكُمْ . وَإِنْ قُدِّمْتُمْ بَكُوا عَلَيْكُمْ . يَا بَنِي : إِنْ
الْقُلُوبُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ تَتَلَاخِظُ بِالْمُودَةِ وَتَتَنَاجَى بِهَا وَكَذَلِكَ هِيَ فِي
الْبَغْضِ . فَإِذَا أَحْبَبْتُمُ الرَّجُلَ مِنْ غَيْرِ خَيْرٍ سَبَقَ مِنْهُ إِلَيْكُمْ فَأَرْجُوهُ .
وَإِذَا أَبْغَضْتُمُ الرَّجُلَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ سَبَقَ مِنْهُ إِلَيْكُمْ فَاحْذَرُوهُ
قَالَ الطُّغْرَايُ :

أَخَاكَ أَخَاكَ فَهُوَ أَجَلٌ ذَخِرَ إِذَا نَابَتْكَ نَائِبَةُ الزَّمَانِ
وَإِنْ بَانَتِ إِسَاءَتُهُ فَهَبَهَا لِمَا فِيهِ مِنَ الشِّيمِ الْحَسَنِ
تُرِيدُ مَهْذَبًا لَا عَيْبَ فِيهِ وَهَلْ عَوْدٌ يَفُوحُ بِلَا دُخَانَ
قَالَ الْعَطْوِيُّ :

صُنِ الْوَدَّ إِلَّا عَنِ الْأَكْرَمِينَ وَمَنْ يُؤَاخَاثِهِ تَشْرَفُ
وَلَا تَغْتَرَّرْ مِنْ ذَوِي خِلَةٍ وَإِنْ مَوَّهُوا نَكَ أَوْ زَخَرَفُوا

١٥٢ قَالَ يَزْرَجْمَهُ: مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَخٌ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي أُمُورِهِ وَيَبْذُلُ
نَفْسَهُ وَمَالَهُ فِي شِدَّتِهِ فَلَا يَعُدُّ نَفْسَهُ مِنَ الْأَحْيَاءِ. مِنْ كَلَامِ بَعْضِ
الْعَارِفِينَ: الْأَخُ الصَّالِحُ خَيْرٌ مِنْ نَفْسِكَ. لِأَنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ.
وَالْأَخُ الصَّالِحُ لَا يَأْمُرُ إِلَّا بِالْخَيْرِ. فِي الْحَبَرِ: الْمَرْءُ كَثِيرُ أَخِيهِ.
وَيُقَالُ: الرَّجُلُ بَلَاءُ إِخْوَانٍ كَالشِّمَالِ بِلَايَمِينَ. وَيُقَالُ: مَنْ اتَّخَذَ
إِخْوَانًا. كَانُوا لَهُ أَعْوَانًا. وَقَالَ الْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ: التَّارِكُ لِلْإِخْوَانِ
مَثْرُوكٌ. وَقَالَ شَيْبٌ بْنُ شَيْبَةَ: عَلَيْكَ بِالْإِخْوَانِ فَإِنَّهُمْ زِينَةٌ فِي
الرِّخَاءِ. وَوَعْدَةٌ عِنْدَ الْبَلَاءِ
(لبهاء الدين)

قَالَ الشَّاعِرُ:

تَكَثَّرَ مِنَ الْإِخْوَانِ مَا اسْتَطَعْتَ إِنَّهُمْ عِمَادٌ إِذَا اسْتَجَدَّتْهُمْ وَظَهِيرٌ
وَمَا بِكَ كَثِيرٌ أَلْفُ خَلٍّ وَصَاحِبٍ وَإِنَّ عَدُوًّا وَاحِدًا أَكْثَرُ
١٥٣ وَقَالَ الْعَتَبِيُّ: لِقَاءُ الْإِخْوَانِ نُزْهَةٌ الْقُلُوبِ. وَقَالَ ابْنُ عَائِشَةَ
الْقُرَشِيُّ: مُجَالَسَةُ الْإِخْوَانِ سَلَاةٌ لِلْأَخْرَانِ. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ:
إِنَّ فِي لِقَاءِ الْإِخْوَانِ لَغَنَمًا وَإِنْ قَلَّ

(ظرائف اللطائف لأبي نصر المقدسي)

وَقِيلَ لِأَبِي بَنْ أُمَيْيْمٍ: مَا تُحِبُّ لِلصَّدِيقِ. فَقَالَ: ثَلَاثٌ خِلَالٍ.
كَيْتَانِ حَدِيثِ الْخَلْوَةِ. وَالْمُؤَاسَاةُ عِنْدَ الشَّدَةِ. وَإِقَالَةُ الْعَثَرَةِ
(للمستعصمي)

١٥٤ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ: عَلَيْكَ بِصُحْبَةِ مَنْ إِنْ صَحِبْتَهُ زَانَكَ.

وَإِنْ غِبْتَ عَنْهُ صَانِكَ . وَإِنْ أُخْتِجْتَ إِلَيْهِ مَا نَكَ . وَإِنْ رَأَى مِنْكَ
خَلَّةً سَدَّهَا . أَوْ حَسَنَةً عَدَّهَا . وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ : مِنْ حُقُوقِ
الْمُودَّةِ اخْذُ عَمَلِ الْإِخْوَانِ . وَالْإِغْضَاءُ عَنْ تَقْصِيرٍ إِنْ كَانَ . وَقِيلَ :
خَيْرُ الْإِخْوَانِ مَنْ إِذَا لَسِيتَ ذَنْبَكَ لَمْ يَقْرَأَكَ بِهِ . وَمَعْرُوفُهُ عِنْدَكَ
لَمْ يَمْنَعْ عَلَيْكَ بِهِ (للشريشي)

قَالَ الْإِسْكَنْدَرُ : انْتَفَعْتُ بِأَعْدَائِي أَكْثَرَ مِمَّا انْتَفَعْتُ بِأَصْدِقَائِي
لِأَنَّ أَعْدَائِي كَانُوا يُعَيِّرُونِي وَيَكْشِفُونَ لِي عُيُوبِي وَيُنَبِّهُونِي بِذَلِكَ عَلَى
الْخَطَاءِ فَاسْتَدْرَكُهُ . وَكَانَ أَصْدِقَائِي يُزَيِّنُونَ لِي الْخَطَاءَ وَيُسْتَجْعِمُونِي
عَلَيْهِ (الآداب السلطانية للفخري)

وَلِلَّهِ دَرَأِي حَيَّانُ الْأَنْدَلُسِيِّ :
عِدَائِي لَهُمْ فَضْلٌ عَلَيَّ وَمِنَّةٌ فَلَا أَذْهَبَ الرَّحْمَانُ عَنِّي الْأَعَادِيَا
هُمْ يَبْحَثُوا عَنْ زَلَّتِي فَاجْتَنَبْتُهَا وَهُمْ نَافَسُونِي فَانْتَسَبْتُ الْمَعَالِيَا

المشورة

١٥٥ سِئِلَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَيُّ الْأُمُورِ أَشَدُّ تَأْيِيدًا لِلْعَقْلِ وَأَيُّهَا
أَشَدُّ إِضْرَارًا بِهِ . فَقَالَ : أَشَدُّهَا تَأْيِيدًا لَهُ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ . مُشَاوَرَةُ
الْعُلَمَاءِ . وَتَجَرِبَةُ الْأُمُورِ . وَحَسَنُ التَّثَبُّتِ . وَأَشَدُّهَا إِضْرَارًا بِهِ ثَلَاثَةُ
أَشْيَاءَ . الْإِسْتِبْدَادُ . وَالْتِهَانُ . وَالْعَجَلَةُ . كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ
يَقُولُ : رَأَى الشَّيْخُ أَحْسَنُ مِنْ جَلْدِ الْغُلَامِ . قَالَ الْعَبَّاسِيُّ : قِيلَ لِرَجُلٍ
مِنْ عَبَسٍ مَا أَكْثَرَ صَوَابَكُمْ . قَالَ : نَحْنُ أَلْفُ رَجُلٍ وَفِينَا حَازِمٌ وَاحِدٌ .

فَتَحْنُ نَشَاوَرُهُ فَكُنَّا أَلْفُ حَازِمٍ . قَالَ الشَّاعِرُ :
الرَّأْيُ كَاللَّيْلِ مُسَوِّدًا جَوَانِبُهُ وَاللَّيْلُ لَا يَتَجَلَّى إِلَّا بِاصْبَاحِ
فَاضْتَمَّ مَصَابِيحَ آرَاءِ الرِّجَالِ إِلَى مِصْبَاحِ رَأْيِكَ تَرْدُدُ ضَوْءُ مِصْبَاحِ
قَالَ الْأَرَجَانِيُّ :

إِقْرِنِ بِرَأْيِكَ رَأْيَ غَيْرِكَ وَاسْتَشِرْ فَالْحَقُّ لَا يَخْفَى عَلَى الْإِثْمَانِ
لِلْمَرْءِ مِرَآةٌ تُرِيهِ وَجْهَهُ وَيَرَى قَفَاهُ بِجَمْعِ بَرَأَيْنِ
١٥٦ قَالَ حَكِيمٌ : إِذَا شَاوَرْتَ الْعَاقِلَ صَارَ عَقْلُهُ لَكَ . وَقَالَ الْعِتَابِيُّ :
الْمَشُورَةُ عَيْنُ الْهَدَايَةِ . وَقَدْ خَاطَرَ مَنْ اسْتَعْنَى بِرَأْيِهِ . وَقَالَ ابْنُ
الْمُعْتَرِّ : الْمَشُورَةُ رَاحَةٌ لَكَ وَتَعَبٌ لِغَيْرِكَ . وَمَنْ أَكْثَرَ الْمَشُورَةِ لَمْ
يَنْدَمْ عِنْدَ الصَّوَابِ مَا دَحَا وَعِنْدَ الْخَطَا عَازِرًا (لَابِي نَصْرِ الْمَقْدِسِيِّ)

كتمان السر

١٥٧ قَالَ أَنُوشَرَوَانُ : مَنْ حَصَّنَ سِرَّهُ فَلَهُ بِتَخْصِينِهِ خَصَائِلَانِ .
الظَّفَرُ بِحَاجَتِهِ . وَالسَّلَامَةُ مِنَ السَّطَوَاتِ . وَقِيلَ : كُلَّمَا كَثُرَتْ خُرَانُ
الْأَسْرَارِ زَادَتْ ضَيَاعًا . وَقِيلَ : أَنْفَرْدُ بِسِرِّكَ لَا تُودِعُهُ حَازِمًا فَيَزِلَّ .
وَلَا جَاهِلًا فَيُخَوِّنَ (اللَّابِشِيهِي)

وَقَالَ كَعْبُ بْنُ سَعْدٍ الْغَنَوِيُّ :

وَلَسْتُ بِمُبْدِي الرِّجَالِ سِرِّي وَلَا أَنَا عَنْ أَسْرَارِهِمْ بِمَسَائِلِ
وَقَالَ آخَرُ :

يَا ذَا الَّذِي أُوْدِعَنِي سِرَّهُ لَا تَرْجُ أَنْ تَسْمَعَهُ مِنِّي

لَمْ أَجْرِهِ قَطُّ عَلَى فِكْرَتِي كَأَنَّهُ لَمْ يَجْرِ فِي أُذُنِي
قَالَ ابْنُ الْخَطِيرِ :

لَا يَكْتُمُ السِّرَّ إِلَّا كُلُّ ذِي رِثْمَةٍ وَالسِّرُّ عِنْدَ خِيَارِ النَّاسِ مَكْتُومٌ
فَالسِّرُّ عِنْدِي فِي بَيْتٍ لَهُ غَلَقٌ صَاعَتْ مَفَاتِيحُهُ وَأَبَابُ مَخْتُومٌ
قَالَ أَبُو الْحَاسَنِ الشَّوَّازُ فِي شَخْصٍ لَا يَكْتُمُ السِّرَّ وَقَدْ أَجَادَ فِيهِ :
لِي صَدِيقٌ غَدَا وَإِنْ كَانَ لَا يَنْطِقُ إِلَّا بِغَيْبَةٍ أَوْ مُحَالٍ
أَشْبَهَ النَّاسَ بِالصَّدَى إِنْ تَحَدَّثَهُ حَدِيثًا أَعَادَهُ فِي الْحَالِ

الصمت وحفظ اللسان

١٥٨ سُبُلُ سُلُوفٍ : أَيُّ شَيْءٍ أَضْعَبُ عَلَى الْإِنْسَانِ . قَالَ :
الْإِمْسَاكُ عَنِ الْكَلَامِ بِمَا لَا يَنْبَغِيهِ . شَتَمَ رَجُلٌ سَخِيسَ الْحَكِيمِ
فَأَمْسَكَ عَنْهُ . فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ . فَقَالَ : لَا أَدْخُلُ حَرْبًا أَلْغَابُ فِيهَا
أَشْرُ مِنْ الْمَغْلُوبِ . وَمِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ . لَا تَتَّبِعْ هَيْبَةَ السُّكُوتِ
بِالرَّخِيسِ مِنَ الْكَلَامِ . قَالَ أَرِسْطَاطَالِيْسُ : إِيخْتِصَارُ الْكَلَامِ طِي
الْمُعَانِي . وَقِيلَ لَهُ : مَا أَحْسَنَ مَا حَمَلَهُ الْإِنْسَانُ . قَالَ : السُّكُوتُ . وَمِنْ
كَلَامِ الْحُكَمَاءِ : يُسْتَدَلُّ عَلَى عَقْلِ الرَّجُلِ بِقَلَّةِ مَقَالِهِ . وَعَلَى فَضْلِهِ
بِكَثْرَةِ اخْتِمَالِهِ (لبهاء الدين)

١٥٩ أَجْتَمَعَ أَرْبَعَةُ مُلُوكٍ فَتَكَلَّمُوا . فَقَالَ مَلِكُ الْفُرْسِ : مَا نَدِمْتُ
عَلَى مَا لَمْ أَقُلْ مَرَّةً وَنَدِمْتُ عَلَى مَا قُلْتُ مَرَارًا . وَقَالَ قَيْصَرُ : أَنَا عَلَى
رَدِّ مَا لَمْ أَقُلْ أَقْدَرُ مِنِّي عَلَى رَدِّ مَا قُلْتُ . وَقَالَ مَلِكُ الصِّينِ : مَا لَمْ

أَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ مَّا كُنْتُ بِهَا مَلَكْتُي . وَقَالَ مَلِكُ الْهِنْدِ :
 الْعَجَبُ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ إِنْ رُفِعَتْ ضُرَّتْ وَإِنْ لَمْ تُرْفَعْ لَمْ تَنْفَعْ
 (كَالِيلَه وَدَمْنَه)

١٦٠ ذَكَرَ ابْنُ خَلِّكَانَ أَنَّ رَجُلًا كَانَ يُجَالِسُ الشَّعْبِيَّ وَيُطِيلُ
 الصَّمْتَ . فَقَالَ لَهُ الشَّعْبِيُّ يَوْمًا : أَلَا تَتَكَلَّمُ . فَقَالَ : أَصَبْتُ فَأَسْلَمُ .
 وَاسْمَعُ فَأَعْلَمُ . إِنَّ حَظَّ الْمَرْءِ فِي أَذُنِهِ لَهُ وَفِي لِسَانِهِ لِغَيْرِهِ (الدِّمِيرِي)
 قَالَ ابْنُ السِّكِّيتِ :

يُصَابُ الْفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ بِإِسَانِهِ
 وَلَيْسَ يُصَابُ الْمَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرَّجُلِ
 فَعَثْرَتُهُ بِالْقَوْلِ تَذْهَبُ رَأْسَهُ
 وَعَثْرَتُهُ بِالرَّجْلِ تَبْرَأُ عَلَى مَهْلٍ

١٦١ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : النَّدَمُ عَلَى الصَّمْتِ خَيْرٌ مِنَ النَّدَمِ عَلَى
 الْقَوْلِ . وَمِنْ فُصُولِ ابْنِ الْمُعْتَزِّ : مَنْ أَخَافَهُ الْكَلَامُ أَجَارَهُ الصَّمْتُ .
 وَقَالَ أَيْضًا : الْخَطَأُ بِالصَّمْتِ يُخْتَمُ . وَالْخَطْلُ بِمِثْلِهِ لَا يُكْتَمُ
 وَقَالَ آخَرُ :

الصَّمْتُ يُكْسِبُ أَهْلَهُ صِدْقَ الْمَوَدَّةِ وَالْمَحَبَّةِ
 وَالْقَوْلُ يَسْتَدْعِي لَصًا حِبِّهِ الْمَذَمَّةَ وَالْمُسَبَّةَ
 فَارْغَبْ عَنِ الْقَوْلِ وَلَا يَهْتَاجْ مِنْكَ إِلَيْهِ رَغْبَةٌ

١٦٢ وَيُقَالُ : مِنْ عَلَامَاتِ الْعَاقِلِ حُسْنُ سَمَتِهِ . وَطُولُ صَمَتِهِ . وَقَالَ

بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَوَّلُ الْعِلْمِ الصَّمْتُ . وَالثَّانِي حُسْنُ الْإِسْتِمَاعِ .
وَالثَّالِثُ الْحِفْظُ . وَالرَّابِعُ الْعَمَلُ بِهِ . وَالْخَامِسُ نُشْرُهُ . كَانَ يُقَالُ :
مَقْتُلُ الرَّجُلِ بَيْنَ فَكَّيْهِ . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ : اللِّسَانُ أَجْرَحُ
جَوَارِحِ الْإِنْسَانِ . وَقَالَ آخَرُ : اللِّسَانُ سَبْعُ صَغِيرِ الْجُرْمِ .

(لابي نصر المقدسي)

سَمِعْتُ بَعْضَ الشُّيُوخِ يَقُولُ : أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً وَكَثْرُهُمْ عَنَاءً .
مَنْ لَهُ لِسَانٌ مُطْلَقٌ . وَقَلْبٌ مُطَبَّقٌ . فَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْكُتَ وَلَا
يُحْسِنُ أَنْ يَتَكَلَّمَ . (الكثر المدفون)

قَالَ نَصْرُ بْنُ شُمَيْلٍ :

وَإِذَا بُلِيتُ بِجَاهِلٍ مُتَحَبِّبٍ لِي تَجِدُ الْفَحَالَ مِنْ الْأُمُورِ صَوَابًا
أَوَّلِيَّتُهُ مِنِّي السُّكُوتَ وَرُبَّمَا كَانَ السُّكُوتُ عَنِ الْجَوَابِ جَوَابًا
قَالَ فِيلَسُوفٌ : كَمَا أَنَّ الْأَيَّةَ تَتَحَنَّنُ بِإِطْنَانِهَا فَيَعْرِفُ صَحِيحُهَا أَوْ
مَكْسُورُهَا . كَذَلِكَ الْإِنْسَانُ يَعْرِفُ حَالَهُ بِمَنْطِقِهِ (لبهاء الدين)

١٦٣ شَاوَرَ مُعَاوِيَةُ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ فِي اسْتِخْلَافِهِ يَزِيدَ . فَسَكَتَ
عَنْهُ فَقَالَ : مَا لَكَ لَا تَقُولُ . فَقَالَ : إِنْ صَدَقْنَاكَ أَنْتَ خَطَنَاكَ . وَإِنْ
كَذَبْنَاكَ أَنْتَ خَطَنَا اللَّهَ . فَخُطَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَهْوَنُ عَلَيْنَا مِنْ مُخْطِطِ اللَّهِ .
فَقَالَ لَهُ : صَدَقْتَ

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : لِسَانُ الْعَاقِلِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ فَإِذَا أَرَادَ
الْكَلَامَ تَفَكَّرَ . فَإِنْ كَانَ لَهُ قَال . وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ سَكَتٌ . وَقَلْبُ

الْأَحَقُّ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ . فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُولَ قَالَ (لابن عبد ربه)
قَالَ زُهَيْرُ :

كَأَيِّنْ تَرَى مِنْ مُعْجِبٍ لَكَ صَامِتٍ زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ
إِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فَوَادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالْدَّمِ

الكذب

١٦٤ الْكَذِبُ هُوَ الْإِخْبَارُ عَلَى خِلَافِ الْوَاقِعِ . قَالَ بَعْضُهُمْ : لَوْ
لَمْ أَدْعِ الْكَذِبَ تَوَرَّعًا . تَرَكَتُهُ تَصْنَعًا (الكنز المدفون للسيوطي)
قَالَ عُمَرُ : عَلَيْكَ بِالصِّدْقِ وَإِنْ قَتَلَكَ . وَمَا أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي
ذَلِكَ .

عَلَيْكَ بِالصِّدْقِ وَلَوْ أَنَّهُ أَحْرَقَكَ الصِّدْقُ بِنَارِ الْوَعِيدِ
وَأَنْبَغَ رِضَا الْمَوْلَى فَأَغْبَى الْوَرَى مَنْ أَسْخَطَ الْمَوْلَى وَأَرْضَى الْعَبِيدَ
وَقِيلَ : لِكُلِّ شَيْءٍ حِلْيَةٌ وَحِلْيَةُ النُّطْقِ الصِّدْقُ (للابشيهي)
١٦٥ قَالَ عَلِيُّ بْنُ عُبَيْدَةَ : الصِّدْقُ رَبِيعُ الْقَلْبِ . وَزَكَاةُ الْخَلْقَةِ .
وَعَمْرَةُ الْمَرْوَةِ . وَشُعَاعُ الصَّبْرِ . وَعَنْ جَلَالَةِ الْقَدْرِ عِبَارَتُهُ . وَإِلَى
اعْتِدَالِ وَزَنِ الْعَقْلِ يُنْسَبُ صَاحِبُهُ . قَالَ بَعْضُ الْفَلَسِيفَةِ : الْكَذَّابُ
وَأَلَمْتُ سِوَاهُ . لِأَنَّ فَضِيلَةَ الْحَيِّ النُّطْقُ فَإِذَا لَمْ يُوثِقْ بِكَلَامِهِ فَقَدْ بَطَلَتْ
حَيَاتُهُ . قَالَ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ : الْكَذَّابُ لِحْصٌ . لِأَنَّ اللَّحْصَ يَسْرِقُ
مَالَكَ . وَالْكَذَّابُ يَسْرِقُ عَقْلَكَ . وَلَا تَأْمَنْ مِنْ كَاذِبٍ لَكَ أَنْ يَكْذِبَ
عَلَيْكَ . وَمَنْ أَعْتَابَ غَيْرَكَ عِنْدَكَ فَلَا تَأْمَنْ أَنْ يَغْتَابَكَ عِنْدَ غَيْرِكَ

حَسْبُ الْكَذُوبِ مِنْ أُمَّهَا فَهَ بَعْضُ مَا يُحْكِي عَلَيْهِ
مَا إِنْ سَمِعْتُ بِكَذِبَةٍ مِنْ غَيْرِهِ لَسِبْتُ إِلَيْهِ
(زهر الآداب للصيروني)

التواضع والكبر

١٦٦ قِيلَ لِبَعْضِهِمْ : مَا التَّوَاضُّعُ . فَقَالَ : اجْتِلَابُ الْمُجْدِ وَاجْتِسَابُ
الْوَدِّ . فَقِيلَ : مَا الْكِبَرُ . فَقَالَ اجْتِسَابُ الْبُغْضِ . وَقِيلَ : التَّوَاضُّعُ
أَحَدُ مَصَائِدِ الشَّرَفِ . مَنْ لَمْ يَتَضَعُ عِنْدَ نَفْسِهِ . لَمْ يَرْتَفِعْ عِنْدَ غَيْرِهِ
نَظَرَ مُطَرِّفٌ إِلَى الْمُهَابِ وَعَلَيْهِ حَالَةٌ يَسْتَحِبُّهَا . فَقَالَ : مَا هَذِهِ الْأُشْيَاءُ
الَّتِي يُبْغِضُهَا اللَّهُ تَعَالَى . فَقَالَ : أَوْ مَا تَعْرِفُنِي . قَالَ : بَلَى أَوَّلَكَ مَادَّةَ
مَذِرَةٍ وَآخِرَكَ جِيفَةَ قَدِيرَةٍ . فَلَمْ يَعُدْ إِلَى تِلْكَ الْأُشْيَاءِ بَعْدَ ذَلِكَ .
وَنَظَرَ الْحَسَنُ إِلَى رَجُلٍ يَخْطُرُ فِي نَاحِيَةِ السُّجْدِ . فَقَالَ : اُنْظُرُوا إِلَى
هَذَا لَيْسَ مِنْهُ عُضْرٌ إِلَّا وَاللَّهِ عَلَيْهِ فِيهِ نَمَّةٌ وَالشَّيْطَانُ فِيهِ أُمْبَةٌ
وَأَشْتَرَى رَجُلٌ شَيْئًا فَرَّ بِسَلْمَانَ وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدَائِنِ فَلَمْ يَعْرِفْهُ .
فَقَالَ : أَجِئْتَ مَعِيَ هَذَا يَا عَلِيجُ فَحَمَلَهُ . فَكَانَ مَنْ يَتَلَقَّاهُ يَقُولُ : ادْفَعْهُ
إِلَى أَبِيهِ الْأَمِيرِ . فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا الْعَلِيجُ . وَالرَّجُلُ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ
وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَرُدَّهُ عَلَيْهِ . فَأَبَى حَتَّى حَمَلَهُ إِلَى مَقَرِّهِ (للشاهلي)

قَالَ بَعْضُهُمْ :

مَثَلُ الْمُجْدِ الَّذِي تَطْلُبُهُ مَثَلُ الظِّلِّ الَّذِي يَمْشِي مَعَكَ
أَنْتَ لَا تُدْرِكُهُ مُتَبِعًا فَإِذَا وَلَيْتَ عَنْهُ تَبِعَكَ

١٦٧ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ لِبَعْضِ الْوُزَرَاءِ : إِنَّ تَوَاضُعَكَ فِي شَرَفِكَ أَشْرَفُ لَكَ مِنْ شَرَفِكَ . قَالَ بَعْضُهُمْ :
وَمِنْ الْبَلَوَى الَّتِي لَيْسَ لَهَا فِي النَّاسِ كُنْهٌ
أَنَّ مَنْ يَعْرِفُ شَيْئًا يَدَّعِي أَكْثَرَ مِنْهُ

(لبهاء الدين)

قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ :

عَجِبْتُ لِلْإِنْسَانِ فِي فَخْرِهِ وَهُوَ غَدَا فِي قَبْرِهِ يُقْبَرُ
أَصْبَحَ لَا يَمْلِكُ تَقْدِيمَ مَا يَرْجُو وَلَا تَأْخِيرَ مَا يَحْذَرُ
حُكِيَ أَنَّ الْمَنْصُورَ كَانَ جَالِسًا فَالَحَ عَلَيْهِ الذُّبَابُ حَتَّى أَضْجَرَ .
فَقَالَ : أَنْظِرُوا مَنْ بِالْبَابِ مِنَ الْعُلَمَاءِ . فَقَالُوا : مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ .
فَدَعَا بِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ : هَلْ تَعْلَمُ لِأَيِّ حِكْمَةٍ خَاقَ اللَّهُ الذُّبَابَ . قَالَ :
لِيُذِلَّ بِهِ الْجَبَّارَةَ . قَالَ : صَدَقْتَ . ثُمَّ أَجَارَهُ (اللابشيهي)

١٦٨ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَحَقُّ مَنْ كَانَ لِكَبِيرٍ مُجَانِبًا . وَ لِلْإِعْجَابِ
مُبَايِنًا . مَنْ جَلَّ فِي الدُّنْيَا قَدْرُهُ . وَعَظُمَ فِيهَا خَطَرُهُ . لِأَنَّهُ يَسْتَقِلُّ بِعَالِي
هَمَّتِهِ كُلِّ كَثِيرٍ . وَيَسْتَصْغِرُ مَعَهَا كُلِّ كَبِيرٍ

وَرَدَّ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ السَّمَاءِيَّةِ : عَجَبًا لِمَنْ قِيلَ فِيهِ مِنْ
الْخَيْرِ مَا لَيْسَ فِيهِ فَفَرَحَ . وَقِيلَ فِيهِ مِنَ الشَّرِّ مَا هُوَ فِيهِ فَغَضِبَ

(للعالمي)

الحسد

١٦٩ قِيلَ : الْحَسَدُ أَنْ تَتَمَنَّى زَوَالَ نِعْمَةٍ غَيْرِكَ . الْحَسَدُ أَوَّلُ ذَنْبٍ
عَصَى اللَّهُ بِهِ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ . قَالَ ابْنُ الْمُنَقَّرِ : الْحَسَدُ وَالْخِرْصُ
دِعَامَتَا الذُّنُوبِ . فَالْخِرْصُ أَخْرَجَ آدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ . وَالْحَسَدُ نَقْلُ إِبْلِيسَ
عَنْ جِوَارِ اللَّهِ . وَقَالَ أَيْضًا : لِلَّهِ دَرُّ الْحَسَدِ مَا أَعْدَلُهُ يَقْتُلُ الْحَاسِدَ قَبْلَ
أَنْ يَصِلَ إِلَى الْمُحْسُودِ . وَقِيلَ : الْحُسُودُ لَا يَسُودُ (لِلشَّعَالِي)
قَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِّ :

أَلْجُدُ وَالْحَسَادُ مَقْرُونَانِ إِنْ ذَهَبُوا فَذَاهِبُ
وَلَيْتَ مَلَكَتِ أَلْجُدُ لَمْ تَمْلِكْ مَوَدَّاتِ الْأَقَارِبِ
١٧٠ قَالَ بَعْضُهُمْ : أَكْظَمُ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللَّهِ الْحَسَدُ وَالْحَاسِدُ مُضَادٌّ
لِنِعْمَةِ اللَّهِ . خَارِجٌ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ . تَارِكٌ لِعَهْدِ اللَّهِ . وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : كُلُّ
إِنْسَانٍ أَقْدَرُ أَنْ أَرْضِيهِ إِلَّا حَاسِدَ نِعْمَةٍ فَلَا يُرْضِيهِ إِلَّا زَوَالُهَا . وَكَانَ
يُقَالُ : أَلْجُدُ دَاءٌ دَوِيٌّ . وَيُقَالُ : مَنْ كَثُرَ حِقْدُهُ دَوِيٌّ قَلْبُهُ . وَيُقَالُ :
أَلْجُدُ مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ . وَيُقَالُ : حُلُّ عَقْدِ أَلْجُدِ . يَنْتَظِمُ الْكَعْبُودُ
أَلُودٌ (لَا بِي نَصْرُ الْمَقْدِسِيِّ)

قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ قَضِيَّةٍ طَوَّيْتُ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودٍ
لَوْلَا اشْتِعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ مَا كَانَ يُعْرَفُ طِيبُ عَرَفِ الْعُودِ

ذم الغيبة

١٧١ إَعْلَمَنَّ أَنَّ الْغَيْبَةَ مِنْ أَقْبَحِ الْقَبَائِحِ وَأَكْثَرِهَا اُنْتِشَارًا فِي النَّاسِ حَتَّى لَا يَسْلَمَ مِنْهَا إِلَّا الْقَلِيلُ مِنَ النَّاسِ . وَخِي ذِكْرُكَ الْإِنْسَانَ بِمَا يَكْرَهُ وَلَوْ بِمَا فِيهِ . سَوَاءٌ كَانَ فِي دِينِهِ أَوْ بَدَنِهِ أَوْ نَفْسِهِ أَوْ خَاتَمِهِ أَوْ خُلُقِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِهِ . سَوَاءٌ ذَكَرْتَهُ بِقُضَاكَ أَوْ بِكِتَابِكَ أَوْ رَمَزْتَ إِلَيْهِ بِعَيْنِكَ أَوْ يَدِكَ أَوْ رَأْسِكَ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ . وَقِيلَ لِلرَّبِّيعِ : أَنْ خَيْتُمْ : مَا زَالَ تَعِيبُ أَحَدًا . فَقَالَ : لَسْتُ عَنْ نَفْسِي رَاضِيًا فَأَتَفَرَّغَ لَذَمِ النَّاسِ . وَأَنْشَدَ :

لِنَفْسِي أَنْبِي لَيْسَ أَنْبِي غَيْرَهَا لِنَفْسِي مِنْ نَفْسِي عَنِ النَّاسِ شَاغِلُ
١٧٢ اِسْتَعِ مِنْ ذَمِّ مَنْ لَوْ كَانَ حَاضِرًا لَبَاءَتْ فِي مَدْحِهِ . وَمَدَحُ مَنْ لَوْ كَانَ غَائِبًا لَسَارَعَتْ إِلَى ذَمِّهِ . وَمِنْ كَلَامِهِمْ : كَمَا أَنَّ الذَّبَابَ يَتَّبِعُ مَوَاضِعَ الْجُرُوحِ فَيَنْصَكِّيهَا وَيَجْتَنِبُ الْمَوَاضِعَ الصَّحِيحَةَ . كَذَلِكَ الْأَشْرَارُ يَتَّبِعُونَ الْمَعَائِبَ فَيَذْكُرُونَهَا وَيَذْفُونُ الْمُحَاسِنَ

(إيهاء الدين)

١٧٣ إَعْلَمَنَّ أَنَّهُ كَمَا يُحْرَمُ عَلَى الْمُقْتَابِ ذِكْرُ الْغَيْبَةِ كَذَلِكَ يُحْرَمُ عَلَى السَّامِعِ اسْتِمَاعُهَا . فَجِبُّ عَلَى مَنْ يَسْتَمِعُ إِنْسَانًا يَبْتَدِي بِغَيْبَةٍ أَنْ يَنْهَاهُ إِنْ لَمْ يَخَفْ ضَرَرًا . فَإِنْ خَافَهُ وَجَبَ عَلَيْهِ الْإِنْكَارُ بِقَلْبِهِ وَمُفَارَقَةُ ذَلِكَ الْجُلُوسِ إِنْ تَمَكَّنَ مِنْ مُفَارَقَتِهِ

(للابشيهي)

سَمِعَ عَلِيٌّ رَجُلًا يَقْتَابُ آخَرَ عِنْدَ ابْنِهِ الْحَسَنِ فَقَالَ : يَا بُنَيَّ تَرَهُ

سَمِعَكَ عَنْهُ فَإِنَّهُ نَظَرَ إِلَى أَخْبَثِ مَا فِي وَعَايِهِ فَأَفْرَغَهُ فِي وَعَايِكَ
(لله استعصم)

قَالَ الشَّيْرَاوِيُّ :

وَسَمِعَكَ صُنْ عَنْ سَمَاعِ الْقَبِيحِ كَصَوْنِ اللِّسَانِ عَنِ النُّطْقِ بِهِ
فَإِنَّكَ عِنْدَ سَمَاعِ الْقَبِيحِ شَرِيكٌ لِقَائِلِهِ فَأَنْتَبِهْ

الملاح

١٧٤ قَالَ بَعْضُ حُكَمَاءِ الْعَرَبِ : الْمَرْاحُ يُذْهِبُ الْمَهَابَةَ وَيُورِثُ
الضَّغِينَةَ أَوْ الْمَهَانَةَ . وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ : الْمَرْاحُ يَأْكُلُ الْهَيْبَةَ كَمَا تَأْكُلُ
النَّارُ الْحَطَبَ . وَمَنْ كَثُرَ مَرْاحُهُ لَمْ يَزَلْ فِي اسْتِخْفَافٍ بِهِ وَحِقْدٍ عَلَيْهِ
قَالَ نَاصِحُ الدِّينِ بْنِ الدَّهَّانِ :

لَا تَجْعَلِ الْهَزْلَ دَأْبًا فَهُوَ مَنْقُصَةٌ وَالْجِدُّ تَعْلُوبَةٌ بَيْنَ الْوَرَى الْقِيمِ
وَلَا يَغُرَّنَكَ مِنْ مَلِكٍ تَبَسُّمُهُ مَا سَحَّتِ السُّحُبُ إِلَّا حِينَ تَبْتَسِمُ
١٧٥ كَانَ يُقَالُ : الْإِفْرَاطُ فِي الْمَرْحِ مُجُونٌ وَالْإِقْتِصَادُ فِيهِ ظَرَفَةٌ .
وَيُقَالُ : الْمَرْحُ فِي الْكَلَامِ . كَالْعِلْجِ فِي الطَّعَامِ . وَقَدْ نَظَّمَهُ أَبُو الْفَتْحِ
الْبُسْتِيُّ فَقَالَ :

أَفِدْ طَبْعَكَ الْمَكْدُودَ بِالْهَمِّ رَاحَةً قَلِيلًا وَعَلَلَهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَرْحِ
وَلَكِنْ إِذَا أَعْطَيْتَهُ الْمَرْحَ فَلْيَكُنْ بِمِقْدَارِ مَا تُعْطِي الطَّعَامَ مِنَ الْعِلْجِ
(لأبي نصر المقدسي)

الكرم

١٧٦ الْجُودُ سَهْوَةٌ الْبَذْلُ وَسُقُوطُ شَحِّ النَّفْسِ . وَقَدْ قِيلَ فِي كَرِيمٍ :
يَا وَاحِدَ الْعَرَبِ الَّذِي أَضْحَى وَلَيْسَ لَهُ نَظِيرُ
لَوْ كَانَ مِثْلَكَ آخَرُ مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا فَتِيرُ

(الكنز المدفون)

قَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ حَكِيمُ الْعَرَبِ : ذَلُّوا أَخْلَاقَكُمْ لِذِمِّ طَالِبٍ .
وَقُودُوهَا إِلَى الْحَمِيدِ . وَعَلِّمُوهَا الْمَكَارِمَ . وَصَلُّوا مَنْ رَغِبَ إِلَيْكُمْ .
وَتَحَلَّلُوا بِالْجُودِ يُلَيْسَ كُمْ الْحَبَّةُ . وَلَا تَعْتَقِدُوا الْجَنَلَ فَتَعْبَجَلُوا الْفَقْرَ

(لابن عبد ربه)

قَالَ أَبُو تَمَّامٍ يَصِفُ الْخَلِيفَةَ الْمُعْتَصِمَ :

تَعَوَّدَ بَسْطَ الْكَفِّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْقِبَاضًا لَمْ تُطْعَمْهُ أُنَامِلُهُ
هُوَ الْبَحْرُ مِنْ أَيِّ التَّوَاحِي أَيْتَهُ فَلَجَّتْهُ الْمَعْرُوفُ وَالْجُودُ سَاحِلُهُ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ رُوحِهِ لَجَادَ بِهَا فَلَيْتَقَى اللَّهَ سَائِلُهُ
١٧٧ قَالُوا : أَلَسْنِي مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِبَذْلِهِ مُتَبَرِّعًا بِعَطَائِهِ . لَا
يَلْتَمِسُ عَرَضَ دُنْيَا فَيَحْبِطَ عَمَلُهُ . وَلَا طَلَبَ مَكَاافَةٍ فَيَسْقُطَ شُكْرُهُ .
وَيَكُونُ مِثْلَهُ فِيمَا أُعْطِيَ مِثْلَ الصَّائِدِ الَّذِي يُلْقِي الْحَبَّ لِلطَّيَّارِ لَا يُرِيدُ
نَفْعَهُ وَلَكِنْ نَفْعَ نَفْسِهِ . وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : مَنْ أَجُودُ النَّاسِ .
قَالَ : مَنْ جَادَ مِنْ قِلَّةٍ . وَصَانَ وَجْهَ السَّائِلِ عَنِ الْمَذَلَّةِ (لبهاء الدين)
قَالَ أَبُو الْحُسَيْنِ الْجَزَارِيُّ فِي الْحَثِّ عَلَى الْإِنْفَاقِ :

إِذَا كَانَ لِي مَالٌ عَلاَمَ أَصُونُهُ وَمَا سَادَ فِي الدُّنْيَا مِنْ الْجُلْدِ دِينُهُ
وَمَنْ كَانَ يَوْمًا ذَا يَسَارٍ فَإِنَّهُ خَلِيقٌ لِعَمْرِي أَنْ تَجُودَ يَمِينُهُ
١٧٨ قَالَ بَعْضُهُمْ : الْجُودُ أَشْرَافُ الْأَخْلَاقِ . وَأَنْفَسُ الْأَعْلَاقِ .
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِ : الْجُودُ حَارِسُ النَّفْسِ مِنَ الدَّمِّ . وَقَالَ آخَرُ : الْأَسْخِيَاءُ
يَعْبُدُهُمُ الْمَالُ . وَالْجُلَّاءُ يَعْبُدُونَهُ . وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : لَوْ كَانَ شَيْءٌ
يُشَبِّهُ الرُّبُوبِيَّةَ لَقُلْتُ : الْجُودُ . وَيُقَالُ : مَنْ جَادَسَادَ . وَمَنْ يَجُلُ رَذُلُ .
وَقَالَ عُمَرُ : أَلَسَيِّدَ الْجَوَادِ حِينَ يُسْأَلُ . وَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ :

أَنْتَ لِلْمَالِ إِذَا أَمْسَكَتَهُ فَإِذَا أَنْفَقْتَهُ فَلَا مَالُ لَكَ
قَالَ شَاعِرٌ يَمْدَحُ بَعْضَ الْخُلَفَاءِ :

بَنَتْ الْمَكَارِمُ وَسَطَ كَفِّكَ مَنَزِلًا وَجَعَلَتْ مَا لَكَ لِلْأَنَامِ مُبَاحًا
إِذَا الْمَكَارِمُ أَغْلَقَتْ أَبْوَابَهَا كَانَتْ يَدَاكَ لِقُلُوبِهِمَا مِفْتَاحًا
١٧٩ كَتَبَ كِسْرَى إِلَى هُرْمُزَ : أَسْتَقْبِلْ كَثِيرَ مَا تُعْطِي . وَأَسْتَكَثِرْ
قَلِيلَ مَا تَأْخُذُ . فَإِنَّ ثُرَّةَ عَيْنِ الْكَرِيمِ فِيمَا يُعْطَى . وَقُرَّةَ عَيْنِ الْيَتِيمِ فِيمَا
يَأْخُذُ . وَلَا تَجْعَلِ الشَّحِيحَ لَكَ مُعِينًا . وَلَا الْكَذَّابَ أَمِينًا . فَإِنَّهُ لَا إِعَانَةَ
مَعَ شَحِيحٍ وَلَا أَمَانَةَ مَعَ كَذِبٍ . وَالسَّلَامُ (لِلْمُسْتَعْصِمِ)
وَأَنْشَدَ أَعْرَابِيٌّ :

وَكَمْ قَدَرًا يَنَامُ مِنْ فُرُوعٍ كَثِيرَةٍ تَمُوتُ إِذَا لَمْ تُخَيِّبْهُنَّ أَصُولُ
وَلَمْ أَرَ كَالْمَعْرُوفِ أَمَّا مَذَاقُهُ فَخَلُّوْهُ وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُ

الشكر

١٨٠ الشُّكْرُ الثَّنَاءُ عَلَى الْمُحْسِنِ بِذِكْرِ إِحْسَانِهِ . وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ
 الشَّيْبَانِيُّ : كُنْتُ أَرَى رَجُلًا مِنْ وَجْهِ أَهْلِ الْكُوفَةِ لَا يَجِفُّ لُحْيُهُ . وَلَا
 يَسْتَرِيحُ قَلْبُهُ . فِي طَلَبِ حَوَائِجِ النَّاسِ وَإِدْخَالِ الْمُرَافِقِ عَلَى الضَّعِيفِ .
 فَقُلْتُ لَهُ : أَخْبِرْنِي عَنْ الْحَالِ الَّتِي هَوَّنَتْ عَلَيْكَ هَذَا التَّعَبَ فِي الْقِيَامِ
 بِحَوَائِجِ النَّاسِ مَا هِيَ . قَالَ : قَدْ وَاللَّهِ سَمِعْتُ تَغْرِيدَ الْأَطْيَارِ . بِالْأَشْجَارِ
 فِي فُرُوعِ الْأَنْجَارِ . وَسَمِعْتُ خُفُوقَ أَوْتَارِ الْعِيدَانِ . وَتَرْجِيعَ أَصَوَاتِ
 الْفَيَّكَانِ . فَمَا طَرَبْتُ مِنْ صَوْتٍ قَطُّ طَرَبِي مِنْ ثَنَاءٍ حَسَنٍ بِلِسَانِ
 حَسَنٍ عَلَى رَجُلٍ قَدْ أَحْسَنَ . وَمَا سَمِعْتُ أَحْسَنَ مِنْ شُكْرِ حُرٍّ
 لِرَجُلٍ حُرٍّ (للشريشي)

١٨١ قَالَ سُلَيْمَانُ التَّمِيمِيُّ : إِنَّ اللَّهَ أَنْعَمَ عَلَى عِبَادِهِ بِقَدْرِ قُدْرَتِهِ .
 وَكَثَرَتْهُمْ مِنَ الشُّكْرِ بِقَدْرِ طَائِفَتِهِمْ . قِيلَ : الشُّكْرُ أَفْضَلُ مِنَ النِّعَمِ
 لِأَنَّهُ يَبْقَى وَالنِّعَمُ تَفْنَى . وَقِيلَ : الشُّكْرُ زِيَادَةٌ فِي النِّعَمِ . وَأَهَانٌ مِنْ
 النِّقَمِ . وَقَالُوا : كُفِّرُ النِّعْمَةِ يُوجِبُ زَوَالَهَا . وَشُكْرُهَا يُوجِبُ الْمَزِيدَ
 فِيهَا . وَقَالُوا : مَنْ حَمَدَكَ فَقَدْ وَفَّاكَ حَقَّ نِعْمَتِكَ . وَقَالُوا : إِذَا قَصُرَتْ
 يَدَاكَ عَنِ الْمُسْكَاةِ فَلْيَطْلُ إِسَانُكَ بِالشُّكْرِ . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ
 الْأَوَاقِدِيُّ : دَخَلْتُ عَلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدِ الْبَرْمَكِيِّ فَقُلْتُ : إِنَّ هَهُنَا قَوْمًا
 يَشْكُرُونَ لَكَ مَعْرُوفًا . فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ يَشْكُرُونَ مَعْرُوفًا فَكَيْفَ
 أَنَا شُكْرُ شُكْرِهِمْ (لأبن عبدربه)

١٨٢ الْقَنَاعَةُ إِلَّا كُتِفَاءً بِالْمَوْجُودِ . وَتَرَكَ التَّشَوُّقَ إِلَى الْمُنْقُودِ
 قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ لِأَبْنِهِ : يَا بَنِيَّ الْعَبْدُ حُرٌّ إِذَا قَنَعَ . وَالْحُرُّ عَبْدٌ
 إِذَا طَمِعَ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالْقَلِيلِ لَمْ يَكْتَفِ بِالْكَثِيرِ .
 وَمِنْ فُضُولِ ابْنِ الْمُعْتَرِّ : أَعَرَفُ النَّاسِ بِاللَّهِ مَنْ رَضِيَ بِمَا قَسَمَ لَهُ .
 وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

إِنْ كَانَ لَا يُغْنِيكَ مَا يَكْفِيكَ فَكُلْ مَا فِي الْأَرْضِ لَا يُغْنِيكَ
 قَالَ غَيْرُهُ :

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَعِيدًا فَلَا تَكُنْ عَلَى حَالَةٍ إِلَّا رَضِيتَ بِدُونِهَا
 وَمَنْ طَلَبَ الْعَالِيَاءَ مِنَ الْعَيْشِ لَمْ يَزَلْ حَقِيرًا وَفِي الدُّنْيَا أَسِيرَ غُبُونِهَا
 ١٨٣ قَالُوا : الْغَنِيُّ مَنْ أَسْتَغْنَى بِاللَّهِ . وَالْفَقِيرُ مَنْ أَفْقَرَ إِلَى النَّاسِ
 وَقَالُوا : لَا غَنِيَّ إِلَّا غَنَى النَّفْسِ (لَا بِنَ عِبْدِ رَبِّهِ)
 قَالَ النَّوَوِي :

وَجَدْتُ الْقَنَاعَةَ أَصْلَ الْغِنَى فَصِرْتُ بِأَذْيَالِهَا مُتَمَسِّكٌ
 فَلَا ذَا يَرَانِي عَلَى بَابِهِ وَلَا ذَا يَرَانِي بِهِ مُنْهَمِكٌ
 وَعِشْتُ غَنِيًّا بِلَا دِرْهَمٍ أَمْرٌ عَلَى النَّاسِ شَبَهَ الْمَلِكِ
 نَظَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ عِنْدَ مَوْتِهِ وَهُوَ فِي قَصْرِهِ إِلَى قَصَارٍ
 يَضْرِبُ بِالثَّوْبِ الْمَغْسَلَةِ . فَقَالَ : يَا لَيْتَنِي كُنْتُ قَصَّارًا وَلَمْ أَتَقَلَّدِ
 الْخِلَافَةَ . فَبَلَغَ كَلَامُهُ أَبَا حَاتِمٍ . فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَهُمْ إِذَا

حَضَرَهُمُ الْمَوْتُ يَتَمَنَّوْنَ مَا تُحْنُ فِيهِ . وَإِذَا حَضَرَ نَا الْمَوْتَ لَمْ نَتَمَنَّ
مَا هُمْ فِيهِ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَقْدِرُ الصُّعُودُ يَكُونُ الْهَبُوطُ فَإِيَّاكَ وَالرُّتَبَ الْعَالِيَةَ
وَكُنْ فِي مَكَانٍ إِذَا مَا سَقَطَتْ تَقُومُ وَرِجَالَكَ فِي عَافِيَةٍ
١٨٤ كَانَ أَنْوَشَرُ وَأَنْ يُمَسِّكَ عَنْ الطَّعَامِ وَهُوَ يَشْتَهِيهِ وَيَقُولُ : تَتْرُكُ
مَا تُحِبُّ لِئَلَّا نَقَعَ فِيمَا نَكْرَهُ . كَانَ سُقْرَاطُ الْحَكِيمُ قَلِيلَ الْأَكْلِ
خَشِنَ اللَّبَاسِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْفَلَاسِفَةِ : أَنْتَ تَحْسَبُ أَنَّ الرَّحْمَةَ
لِكُلِّ ذِي رُوحٍ وَاجِبَةٌ وَأَنْتَ ذُو رُوحٍ فَلَا تَرْحَمُهَا . فَكَتَبَ لَهُ سُقْرَاطُ
فِي جَوَابِهِ : إِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ أَكُلَ لِأَعِيشَ . وَأَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَعِيشَ
لِتَأْكُلَ . وَالسَّلَامُ

١٨٥ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ : إِذَا طَلَبْتَ الْعِزَّ فَاطْلُبْهُ بِالطَّاعَةِ .
وَإِذَا أَرَدْتَ الْغِنَى فَاطْلُبْهُ بِالْقَنَاعَةِ . فَمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ عَزَّ نَصْرُهُ . وَمَنْ
لَزِمَ الْقَنَاعَةَ زَالَ فَقْرُهُ . قَالَ أَرِسْطُو : الْقُنْيَةُ يَنْبُوعُ الْأَخْزَانِ . نَظَمَهُ
أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِي بِقَوْلِهِ :

يَقُولُونَ مَالَكَ لَا تَقْتَنِي مِنْ أُمَالٍ ذُخْرًا يُفِيدُ الْغِنَى
فَقُلْتُ وَأَفْحَمْتُهُمْ فِي الْجَوَابِ لَسَلَا أَخَافَ وَلَا أَحْزَنَا
(لبهاء الدين)

البطنة

١٨٦ قَالُوا : الْبِطْنَةُ تُذْهِبُ الْفِطْنَةَ . رَأَى أَبُو الْأَسْوَدُ الدَّوْلِيُّ

رَجُلًا يَلْقَمُ لَقْمًا مُنْكَرًا . فَقَالَ : كَيْفَ اسْمُكَ . قَالَ : لُقْمَانُ . قَالَ :
 صَدَقَ الَّذِي سَمَّاكَ . وَرَأَى أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا سَمِينًا . فَقَالَ لَهُ : أَرَى عَلَيْكَ
 قِطْفَةً مِنْ تَسْجِ أَضْرَاسِكَ . قِيلَ لِبَزْرَجَمَهَرٍ : أَيُّ وَقْتٍ فِيهِ الطَّعَامُ
 أَضْلَحُ . قَالَ : أَمَّا لِمَنْ قَدَّرَ فَإِذَا جَاعَ . وَلِمَنْ لَمْ يَتَدَبَّرْ فَإِذَا وَجَدَ . قِيلَ
 لِبَعْضِهِمْ : مَا أَفْضَلُ الدَّوَاءِ . قَالَ : أَنْ تَرْفَعَ يَدَكَ عَنِ الطَّعَامِ وَأَنْتَ
 تَشْتَهِيهِ . قَالُوا : أَحْذَرُوا الْبِطْنَةَ فَإِنَّ الْكَثْرَ الْعِلَلُ إِنَّمَا تَتَوَلَّدُ مِنْ فَضُولِ
 الطَّعَامِ .
 (لابن عبد ربه)

ذم النبذ

١٨٧ جَاءَ فِي الْمُبْهَجِ : الْحُمْرُ مُصْبَاحُ السُّرُورِ . وَلَكِنَّهَا مِفْتَاحُ الشُّرُورِ .
 وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : أَشْرَبُ مَعْنَا . فَقَالَ : أَنَا لَا أَشْرَبُ مَا يَشْرَبُ
 عَمَلِي . وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ : النَّبِذُ كِيمَاءُ الطَّرَبِ . فَقَالَ : نَعَمْ وَلَكِنَّهُ دَاعِيَةُ
 الْحَرْبِ . قَالَ يَزِيدُ الْمُهَلَّبِيُّ :

لَعَمْرُكَ مَا يُحْصَى عَلَى النَّاسِ شَرُّهَا وَإِنْ كَانَ فِيهَا لَذَّةٌ وَهَنَاءُ
 مَرَارًا تُرِيكَ أَلْغِي رُشْدًا وَتَارَةً تُخِيلُ أَنَّ الْمُحْسِنِينَ أَسَاؤًا
 وَأَنَّ الصَّدِيقَ الْمَاحِضَ الْوُدَّ مُبْغِضٌ وَأَنَّ مَدِيحَ الْمَادِحِينَ هِجَاءُ
 وَجَرَّبْتُ إِخْوَانَ النَّبِذِ فَقَلَّمَا يَدُورُ لِإِخْوَانِ النَّبِذِ إِخَاءُ

العزلة

١٨٨ يُقَالُ : الْعُزْلَةُ عَنِ النَّاسِ تُوَقِّي الْعِرْضَ . وَتُبْقِي الْجَلَالََةَ .
 وَتَسْتُرُ الْفَاقَةَ . وَقَالَ مَكْحُولٌ : إِنْ كَانَ الْفَضْلُ فِي الْجَمَاعَةِ . فَإِنَّ

السَّلامَةُ فِي الْوَحْدَةِ وَالْعُزْلَةِ . قَالَ الْجُرْجَانِيُّ :

مَا تَطَعَّمْتُ لَذَّةَ الْعَيْشِ حَتَّى صِرْتُ فِي وَحْدَتِي لِكُنِّي جَلِيسًا
إِنَّمَا الدُّلُّ فِي مُدَاخَلَةِ النَّاسِ فَدَعَهَا وَكُنْ كَرِيمًا رَئِيسًا
لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أَجَلُّ مِنَ الْعِلْمِ فَلَا أَتَّبِعِي سِوَاهُ أُنَيْسًا
(لأبي نصر المقدسي)

١٨٩ الْعُزْلَةُ عَنِ الْخَلْقِ هِيَ الطَّرِيقُ الْأَقْوَمُ الْأَسَدُ . وَفِرٌّ مِنْ
الْحَقِّ فِرَارُكَ مِنَ الْأَسَدِ . فَطُوبَى لِمَنْ لَا يَعْرِفُونَهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْفَضَائِلِ
وَالْمَزَايَا . لِأَنَّهُ سَالِمٌ مِنَ الْأَلَامِ وَالرَّزَايَا . فَأَحْبَسْ نَفْسَكَ فِي زَاوِيَةِ
الْعُزْلَةِ . فَإِنَّ عُزْلَةَ الْمَرْءِ عِزُّهُ . قِيلَ لِبَعْضِ الزُّهَّادِ : إِلَى أَيِّ شَيْءٍ
أَفْضَتْ بِكُمْ الْخُلُوءَةُ . فَقَالَ : إِلَى الْأَنْسِ بِاللَّهِ تَعَالَى
وَلِلَّهِ دَرٌّ مَنْ قَالَ :

أَنْتَ بِوَحْدَتِي وَلَزِمْتَ بَيْتِي فَطَابَ الْأَنْسُ لِي وَصَفَا السُّرُورُ
وَأَدَّبَنِي الزَّمَانُ فَلَا أَبَالِي بِأَنِّي لَا أَزَارُ وَلَا أَزُورُ
وَأَنْتَ بِسَائِلٍ مَا عِشْتُ يَوْمًا أَسَارَ الْجُنْدُ أَمْ رَكِبَ الْأَمِيرُ
قِيلَ لِذِعْبِلِ الشَّاعِرِ : مَا الْوَحْشَةُ عِنْدَكَ . فَقَالَ : النَّظَرُ إِلَى النَّاسِ
ثُمَّ أُنْشِدَ :

مَا أَكْثَرَ النَّاسَ لَا بَلَّ مَا أَقْلَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَقُلْ قَنَدًا
إِنِّي لَا أَفْتَحُ عَيْنِي حِينَ أَفْتَحُهَا عَلَى كَثِيرٍ وَلَكِنْ لَا أَرَى أَحَدًا
(لبهاء الدين)

الْبَابُ السَّابِعُ فِي الذِّكَاةِ وَالْأَدَبِ

العقل

١٩٠ قَالَ حَكِيمٌ : الْعَقْلُ أَشْرَفُ الْأَحْسَابِ . وَأَخْصَنُ مَعْقِلٍ . قَالَ
آخَرُ : أَشَدُّ التَّاقَةِ عَدَمُ الْعَقْلِ . وَقَالَ آخَرُ : كُلُّ شَيْءٍ إِذَا كَثُرَ
رُخْصَ إِلَّا الْعَقْلَ فَإِنَّهُ كُلَّمَا كَثُرَ غَلَا . قَالَ الشَّاعِرُ :

يَعْدُ رَفِيعَ الْقَوْمِ مَنْ كَانَ عَاقِلًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي قَوْمِهِ بِحَسِيبٍ
إِذَا حَلَّ أَرْضًا عَاشَ فِيهَا بِعَمَلِهِ وَمَا عَاقِلٌ فِي بَلَدَةٍ بَغْرِبٍ
(لأبي نصر المقدسي)

١٩١ إِفْتَخَرَ بَعْضُ الْأَغْنِيَاءِ عِنْدَ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ بِالْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ .
وَبِزَخَارِفِ الْمَالِ الْمُسْتَفَادِ . فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ الْحَكِيمُ : إِنْ كَانَ فِي هَذِهِ
فَخْرٌ فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ أَفْخَرُ لَهَا لَا أَنْتَ . وَإِنْ كَانَ أَبَاؤُكَ كَمَا ذَكَرْتَ
أَشْرَافًا فَأَفْخَرُ لَهُمْ لَا أَنْتَ (للنخري)

١٩٢ إَعْلَمُوا أَنَّ الْعَاقِلَ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ . وَإِنْ كَانَ دَمِيمَ الْمَنْظَرِ حَقِيرَ
الْخَطَرِ دَنَى الْمَنْزِلَةِ رَثَّ الْهَيْئَةِ . وَأَنَّ الْجَاهِلَ مَنْ عَصَى اللَّهَ تَعَالَى . وَإِنْ
كَانَ جَمِيلَ الْمَنْظَرِ عَظِيمَ الْخَطَرِ شَرِيفَ الْمَنْزِلَةِ حَسَنَ الْهَيْئَةِ فَصِيحًا
نَطُوقًا . فَأَلْقَرْدَةُ وَالْخَنَازِيرُ أَعْقَلُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ عَصَاةٍ . وَلَا تَغْتَرُّوا
بِعَظِيمِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِيَّاكُمْ فَإِنَّهُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (أحياء علوم الدين)

١٩٣ قَالَ أَنْوَشِرَوَانُ : إِنَّ الْعَاقِلَ أَقْرَبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ .
وَالْعَقْلُ كَالشَّمْسِ فِي الدُّنْيَا . وَهُوَ قَلْبُ الْحَسَنَاتِ . وَالْعَقْلُ حَسَنٌ فِي
كُلِّ أَحَدٍ وَهُوَ فِي الْأَكْبَارِ وَالزُّعْمَاءِ أَحْسَنُ . وَالْعَقْلُ فِي جَسَدِ
الْإِنْسَانِ كَالرُّطُوبَةِ فِي الشَّجَرَةِ . لِأَنَّ الشَّجَرَةَ مَا دَامَتْ رُطْبَةً طَرِيَّةً
كَانَ الْخَلْقُ مِنْ رَأْتِحَتِهَا وَنَشَرَ أَزْهَارُهَا وَطِيبَ ثَمَارُهَا وَنَضَارَتِهَا
وَطَرَأَتْهَا فِي سُرُورٍ وَغِبْطَةٍ وَزَهَّةٍ وَفَرَحَةٍ . فَإِذَا جَفَّتْ رُطُوبَتُهَا وَقَلَّتْ
نَضَارَتُهَا فَلَا تَصْلُحُ حِينَئِذٍ لِسُورِ الْقَطْعِ وَالْإِحْرَاقِ وَالْقَلْعِ . قَالَ أَيْضًا :
لَيْسَ لِلْمَلِكِ وَلَا لِرَعِيَّةٍ خَيْرٌ مِنَ الْعَقْلِ . فَإِنَّ بَضِيَاءَهُ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْقَبِيحِ
وَالْمَلِيحِ . وَالْجَيِّدِ وَالرَّدِيِّ . وَالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ . وَالصِّدْقِ وَالْكَذِبِ
(التبر المسبوك للغزالي)

العلم وشرفه

١٩٤ قِيلَ : الْعُلَمَاءُ فِي الْأَرْضِ كَالنُّجُومِ فِي السَّمَاءِ . لَوْلَا الْعِلْمُ
لَكَانَ النَّاسُ كَالْبَهَائِمِ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الْعِلْمُ حَيَاةُ الْقُلُوبِ
وَمِصْبَاحُ الْأَبْصَارِ . وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ فِي فُصُولِهِ : الْجَاهِلُ صَغِيرٌ وَإِنْ
كَانَ شَيْخًا . وَالْعَالِمُ كَبِيرٌ وَإِنْ كَانَ حَدَثًا . وَقَالَ أَيْضًا : مَا مَاتَ مِنْ
أَحْيَا الْعُلُومِ . قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ خُذِ الْعِلْمَ مِنْ أَفْوَاهِ
الرِّجَالِ فَإِنَّهُمْ يَكْتُبُونَ أَحْسَنَ مَا يَسْمَعُونَ . وَيَحْفَظُونَ أَحْسَنَ مَا
يَكْتُبُونَ . وَيَقُولُونَ أَحْسَنَ مَا يَحْفَظُونَ (لابي نصر المقدسي)

١٩٥ لَمَّا وَلِيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَقَدْ عَلَيْهِ الْوُفُودُ مِنْ كُلِّ بَلَدٍ .

فَوَفَدَ عَلَيْهِ الْحِجَازِيُّونَ فَتَقَدَّمَ مِنْهُمْ غُلَامٌ لِلْكَلامِ . وَكَانَ حَدِيثَ السِّنِّ .
 فَقَالَ عُمَرُ : لِيَنْطِقْ مَنْ هُوَ أَسْنُ مِنْكَ . فَقَالَ الْغُلَامُ : أَصْلَحَ اللَّهُ أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ . إِنَّمَا الْمَرْءُ بِأَصْغَرِيهِ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ . فَإِذَا مَنَعَ اللَّهُ الْعَبْدَ لِسَانًا
 لَا فِظًا وَقَلْبًا حَافِظًا فَقَدْ اسْتَحَقَّ الْكَلَامَ . وَلَوْ أَنَّ الْأَمْرَ يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ بِالسِّنِّ لَكَانَ فِي الْأُمَّةِ مَنْ هُوَ أَحَقُّ مِنْكَ بِجِئْسِكَ هَذَا .
 فَتَعَجَّبَ عُمَرُ مِنْ كَلَامِهِ . وَسَأَلَ عَنْ سِنِّهِ فَإِذَا هُوَ ابْنُ إِحْدَى عَشْرَةَ
 سَنَةً . فَتَمَثَّلَ عُمَرُ عِنْدَ ذَلِكَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ :

تَعْلَمُ فَلَيْسَ الْمَرْءُ يُوَلَّدُ عَالِمًا وَلَيْسَ أَخُو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلٌ
 وَإِنْ كَبِيرَ الْقَوْمِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ صَغِيرٌ إِذَا اُلْتَفَتَ عَلَيْهِ الْمُحَافِلُ
 ١٩٦ قِيلَ لِبِرْزَجَهْرَ : أَيُّ الْأَكْتِسَابِ أَفْضَلُ . قَالَ : الْعِلْمُ وَالْأَدَبُ
 كَزَنْزَانٍ لَا يَنْغَدَانِ . وَبِرَّاجَانٍ لَا يَطْفَأَانِ وَحُلَّتَانٍ لَا تَبْلَيَانِ . مَنْ
 نَالَهُمَا أَصَابَ الرُّشَادَ . وَعَرَفَ طَرِيقَ الْمَعَادِ . وَعَاشَ رَفِيعًا بَيْنَ الْعِبَادِ
 (للقميرواني)

قَالَ الشَّيْرَاوِيُّ :

الْعِلْمُ أَنْفَسُ ذُخْرٍ أَنْتَ ذَاخِرُهُ

مَنْ يَدْرُسُ الْعِلْمَ لَمْ تَدْرُسْ وَمَا خِرُهُ

أَقْبَلْ عَلَى الْعِلْمِ وَأَسْتَقْبِلْ مَقَاصِدَهُ

فَأَوَّلُ الْعِلْمِ إِقْبَالُ وَآخِرُهُ

١٩٧ قِيلَ لِلْخَالِدِ بْنِ أَحْمَدَ : أَيُّهُمَا أَفْضَلُ الْعِلْمُ أَوِ الْأَلُ . قَالَ : الْعِلْمُ .

قِيلَ لَهُ : فَمَا بَالُ الْعُلَمَاءِ يَزْدَحْمُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْمُلُوكِ . وَالْمُلُوكُ لَا يَزْدَحْمُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْعُلَمَاءِ . قَالَ : ذَلِكَ لِمَعْرِفَةِ الْعُلَمَاءِ بِحَقِّ الْمُلُوكِ وَجَهْلِ الْمُلُوكِ بِحَقِّ الْعُلَمَاءِ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

الْعِلْمُ يُجَيِّ قُلُوبَ الْمَيِّتِينَ كَمَا

تُجَيِّ الْبِلَادُ إِذَا مَا مَسَّهَا الْمَطَرُ

وَالْعِلْمُ يُجْلُو الْعَمَى عَنْ قَابِ صَاحِبِهِ

كَمَا يُجْلِي سَوَادَ الظُّلْمَةِ الْقَمَرُ

(لابن عبد ربّه)

١٩٨ قَالَ الْجَاهِظُ : دَخَلْتُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ أَمِيرِ بَغْدَادَ فِي أَيَّامِ وَلَايَتِهِ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الدِّيَّانِ وَالنَّاسُ مُثَلُّ بَيْنَ يَدَيْهِ كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرَ . ثُمَّ دَخَلْتُ إِلَيْهِ بَعْدَ مَدَّةٍ وَهُوَ مَعزُولٌ وَهُوَ جَالِسٌ فِي خِزَانَةِ كُتُبِهِ وَحَوَالِيهِ الْكُتُبُ وَالْدَّفَاتِرُ وَالْحَابِرُ وَالْمَسَاطِرُ فَمَارَأَيْتُهُ أَهْيَبَ مِنْهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ

(للبخري)

قَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ :

مَنْ يَعْدَمُ الْعِلْمَ يُظْلِمُ عَقْلُهُ أَبَدًا نَزَادُ أَشْبَهَ مَا نَلَقَاهُ بِالنَّعَمِ
كَمْ مِنْ نَفُوسٍ غَدَتْ لِلَّهِ مُخْلِصَةً بِالْعِلْمِ فِي صَفْحَةِ الْقِرْطَاسِ وَالْقَامِ
وَالْعَقْلُ يَمْسُ وَنُورُ الْعِلْمِ مُنْبِثُ مِنْهَا وَهِيَ ثَمَارُ الْفَضْلِ فَأَقْتَرِمَ

شرائط العلم

١٩٩ قَالُوا : لَا يَكُونُ الْعَالِمُ عَالِمًا حَتَّى تَكُونَ فِيهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ . لَا

يَحْتَرُّ مَنْ دُونَهُ . وَلَا يَحْسَدُ مَنْ فَوْقَهُ . وَلَا يَأْخُذُ عَلَى الْعِلْمِ ثَمًّا . وَمَدَحَ
خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ رَجُلًا فَقَالَ : كَانَ بَدِيعَ الْمَنْطِقِ . جَزَلَ الْأَلْفَاظِ .
عَرَبِيَّ اللِّسَانِ . قَلِيلَ الْحَرَكَاتِ . حَسَنَ الْإِشَارَاتِ . حُلُوَ الشَّمَائِلِ .
كَثِيرَ الطَّلَاوَةِ صَمُوتًا وَقُورًا . قَالَ الشَّافِعِيُّ :

أَخِي لَا تَنَالِ الْعِلْمَ إِلَّا بِسِتَةٍ سَأُنَبِّئُكَ عَنْ تَفْصِيلِهَا بِدَيَانِ
ذَكَاءٍ وَحِرْصٍ وَاجْتِهَادٍ وَبَلَّغَةٍ وَصُحْبَةٍ أَسْتَاذٍ وَطُولِ زَمَانٍ
٢٠٠ كَانَ حَمْزَةُ مِنْ خُطَبَاءِ الْعَرَبِ وَمِنْ عُلَمَاءِ زَمَانِهِ . ضَرَبَ بِهِ
الْمَثْلُ فِي الْقَصَاحَةِ وَطُولِ الْعُمُرِ . سَأَلَهُ مُعَاوِيَةُ يَوْمًا عَنْ أَشْيَاءَ فَأَجَابَهُ
عَنْهَا . فَقَالَ لَهُ : بِمِ نَّتِ الْعِلْمَ . قَالَ : بِلِسَانٍ سَوُولٍ . وَقَلْبٍ عَقُولٍ .
ثُمَّ قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : إِنَّ لِلْعِلْمِ آفَةً وَإِضَاعَةً وَنَكْدًا وَاسْتِجَاعَةً .
فَآفَتُهُ النِّسْيَانُ . وَإِضَاعَتُهُ أَنْ تُحَدِّثَ بِهِ غَيْرَ أَهْلِهِ . وَنَكْدُهُ الْكَذِبُ
فِيهِ وَاسْتِجَاعَتُهُ أَنْ صَاحِبَهُ مِنْهُمْ لَا يَشْبَعُ أَبَدًا (الدهيري)

آفات العلم

٢٠١ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْأَعْلَامِ : مَنْ أَرْدَادَ فِي الْعِلْمِ رُشْدًا . وَلَمْ
يَزِدْ فِي الدُّنْيَا زُهْدًا . فَقَدْ أَرْدَادَ مِنْ اللَّهِ بُعْدًا . وَمِنْ كَلَامِ بَعْضِ
الْأَكْبَارِ : إِذَا لَمْ يَكُنِ الْعَالِمُ زَاهِدًا فِي الدُّنْيَا فَهُوَ عُقُوبَةٌ لِأَهْلِ
زَمَانِهِ . قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِذَا أُوتِيَ عِلْمًا فَلَا تُطْفِئِ نُورَ الْعِلْمِ
بِظُلْمَةِ الذُّنُوبِ فَتَبْقَى فِي الظُّلْمَةِ يَوْمَ يَسْمَى أَهْلُ الْعِلْمِ بِنُورِ عِلْمِهِمْ .
قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : لَسْتَ مُنْتَفِعًا بِمَا تَعْلَمُ مَا لَمْ تَعْمَلْ بِمَا تَعْلَمُ . فَإِنْ

زِدَتْ فِي عِلْمِكَ فَأَنْتَ مِثْلُ رَجُلٍ حَزَمَ حُزْمَةً مِنْ حَطَبٍ وَأَرَادَ حَمَلَهَا
فَلَمْ يُطِقْ فَوَضَعَهَا وَزَادَ عَلَيْهَا (لِبِهَاءِ الدِّينِ)
قَالُوا : لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوا عِلْمَهُمْ لَسَادُوا أَهْلَ الدُّنْيَا .
لَكِنْ وَضَعُوهُ غَيْرَ مَوْضِعِهِ فَقَصَرَ فِي حَقِّهِمْ أَهْلُ الدُّنْيَا . قَالَ حَكِيمٌ :
أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِشَرِّ النَّاسِ . قَالُوا : بَلَى . قَالَ : الْعُلَمَاءُ إِذَا فَسَدُوا
(لَا بِنَ عَبْدِ رَبِّهِ)

٢٠٢ قَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِّ : الْعِلْمُ جَمَالٌ لَا يُخْفَى . وَنَسَبٌ لَا يُجْنَى . وَقَالَ
أَيْضًا : زَلَّةُ الْعَالِمِ كَأَنْكَسَارِ سَفِينَةٍ تَتَفَرَّقُ وَيَفْرَقُ مَعَهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ .
قَالَ غَيْرُهُ : إِذَا زَلَّ الْعَالِمُ زَلَّ بَرَزَتِهِ عَالَمٌ . قَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِّ : الْمُتَوَاضِعُ
فِي طَلَابِ الْعِلْمِ أَكْثَرُهُمْ عِلْمًا كَمَا أَنَّ الْمَكِينَ الْمُتَخَفِّضَ أَكْثَرُ الْبِقَاعِ
مَاءً . إِذَا عَلِمْتَ فَلَا تَذْكُرْ مَنْ دُونَكَ مِنَ الْجُهَالِ . وَادْكُرْ مَنْ فَوْقَكَ
مِنَ الْعُلَمَاءِ . وَقَالَ أَيْضًا : مَاتَ خَزَانَةُ الْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءُ . وَعَاشَ
خَزَانَةُ الْعِلْمِ وَهُمْ أَمْوَاتٌ . مِثْلُ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ كَكَنْزٍ لَا يُنْفَقُ مِنْهُ
(لِلْقِيَرَوَانِيِّ)

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْبَطَّايُوسِيُّ الْتَحْوِيُّ :
أَخُو الْعِلْمِ حَيٌّ خَالِدٌ بَعْدَ مَوْتِهِ
وَأَوْصَالُهُ تَحْتَ التُّرَابِ رَمِيمٌ
وَذُو الْجَهْلِ مَيِّتٌ وَهُوَ مَاشٍ عَلَى الثَّرَى
يُظَنُّ مِنَ الْأَحْيَاءِ وَهُوَ عَدِيمٌ

الادب

٢٠٣ قَالَ شَيْبُ بْنُ شُبَّةَ : اُطْلُبُوا الْأَدَبَ فَإِنَّهُ مَادَّةُ الْعَقْلِ وَدَلِيلُ
عَلَى الْمُرُوءَةِ . وَصَاحِبُ فِي الْغُرَبَةِ . وَمُؤْنِسُ فِي الْوَحْشَةِ . وَصَلَةُ فِي
الْمَجْلِسِ . قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِيَدِيهِ : عَالِيكُمْ بِطَلَبِ الْأَدَبِ
فَإِنَّكُمْ إِنِ احْتَجَجْتُمْ إِلَيْهِ كَانَ لَكُمْ مَالًا . وَإِنِ اسْتَعْنَيْتُمْ عَنْهُ كَانَ لَكُمْ
جَمَالًا . وَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ : إِذَا أَكْرَمَكَ النَّاسُ مَالٌ أَوْ لِسَانٌ فَلَا يُجِبُكَ
ذَلِكَ . فَإِنَّ الْكِرَامَةَ تَزُولُ بِزَوَالِهِمَا . لِيُجِبَكَ إِذَا أَكْرَمَكَ لَدِينٍ أَوْ أَدَبٍ
قَالَ الشَّافِعِيُّ :

عِلْمِي مَعِيَ حَيْثُمَا يَمُوتُ يَنْفَعُنِي
قَلْبِي وَعَاءُ لَهُ لَا يَطْنُ صُنْدُوقِ

إِنْ كُنْتُ فِي أَلَيْتِ كَانَ الْعِلْمُ فِيهِ مَعِيَ
أَوْ كُنْتُ فِي السُّوقِ كَانَ الْعِلْمُ فِي السُّوقِ

٢٠٤ قَالَ بَرْزَجَهْرُ : الْجَهْلُ هُوَ الْمَوْتُ الْأَكْبَرُ . وَالْعِلْمُ هُوَ الْحَيَاةُ
الشَّرِيفَةُ . مَنْ أَكْثَرَ أَدَبُهُ شَرُفَ وَإِنْ كَانَ وَضِيعًا . وَسَادَ وَإِنْ كَانَ
غَرِيبًا . وَارْتَفَعَ صِيَتُهُ وَإِنْ كَانَ خَامِلًا . وَكَثُرَتْ حَوَائِجُ النَّاسِ إِلَيْهِ
وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا (السيوطي)

قَالَ بَعْضُهُمْ :

السَّعْيُ سَعْيٌ وَلَوْ كَانَتْ مَخَالِبُهُ وَالْكَافُ كُفٌّ وَلَوْ بَيْنَ السَّيِّئِ رَيْ
وَهْ كَذَا الذَّهَبُ الْإِبْرِيذُ خَالِطُهُ صَفَرُ الْخَاسِ فَكَانَ الْفَضْلُ الذَّهَبُ

لَا تَنْظُرَنَّ لِأَثْوَابٍ عَلَى أَحَدٍ إِنْ رُمْتَ تَعْرِفَهُ فَأَنْظُرِي إِلَى الْأَدَبِ
فَالْعُودُ لَوْ لَمْ تَفْخُ مِنْهُ رَوَائِحُهُ لَمْ يَفْرِقِ النَّاسُ بَيْنَ الْعُودِ وَالْحَطَبِ
دَخَلَ أَبُو الْعَالِيَةِ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَأَقْعَدَهُ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ وَأَقْعَدَ
رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ تَحْتَهُ . فَرَأَى سُوءَ نَظَرِهِمْ إِلَيْهِ وَجَهْوَةَ وُجُوهِهِمْ .
فَقَالَ : مَا لَكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ نَظَرَ الشَّيْخِ إِلَى الْغَرِيمِ الْمُنْطَلِسِ . هَكَذَا
الْأَدَبُ يُشْرِفُ الصَّغِيرَ عَلَى الْكَبِيرِ . وَيَرْفَعُ الْمَمْلُوكَ عَلَى الْمَوْلَى . وَيُقْعِدُ
الْعَبْدَ عَلَى الْأَسِيرَةِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

مَا لِي عَمَلِي وَهَمَّتِي حَسْبِي مَا أَنَا مَوْلَى وَلَا أَنَا عَرَبِي
إِذَا أَتَيْتُمْنِي مِنْتُمْ إِلَى أَحَدٍ فَإِنِّي مِنْتُمْ إِلَى أَدَبِي

(اللابشيهي)

٢٠٥ دَخَلَ سَالِمُ بْنُ مَخْرُومٍ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَتَخَلَّى لَهُ عَنِ
الصَّدْرِ . فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ . فَقَالَ : إِذَا دَخَلَ عَلَيْكَ مَنْ لَا تَرَى لَكَ
عَلَيْهِ فَضْلًا فَلَا تَأْخُذْ عَلَيْهِ شَرَفَ الْمَنْزِلَةِ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

أَيُّهَا الْفَاخِرُ جَهْلًا بِالْحَسَبِ إِنَّمَا النَّاسُ لِأَمٍّ وَلَأَبٍ
إِنَّمَا الْفَخْرُ بِعَقْلِ رَاجِحٍ وَبِأَخْلَاقٍ حَسَنٍ وَأَدَبٍ
قَالَ آخَرُ :

لَا تَذْخِرْ غَيْرَ الْمَالِ مَ فَإِنَّهَا نِعَمُ الدَّخَائِرِ
فَالْمَرْءُ لَوْ رَجَحَ الْبَقَا مَعَ الْجَهْلَةِ كَانَ خَاسِرًا
دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ مُوَدَّبُ الْوَائِقِ عَلَى الْوَائِقِ . فَأُظْهِرَ إِسْكَرَامَهُ

وَأَكْثَرُ إِعْظَامِهِ . فَقِيلَ لَهُ : مَنْ هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : هَذَا أَوَّلُ
مَنْ فَتَقَ لِسَانِي بِذِكْرِ اللَّهِ . وَأَدْنَانِي مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ

تأديب الصغير

٢٠٠ قَالَتِ الْحُكَمَاةُ : مَنْ أَدَّبَ وَلَدَهُ صَغِيرًا سَرَّ بِهِ كَبِيرًا . وَقَالُوا :
أَطْعِمِ الطَّيْنَ مَا كَانَ رَطْبًا . وَأَعْدِلِ الْعُودَ مَا كَانَ لَدْنًا . وَقَالَ صَالِحُ
ابْنُ عَبْدِ الْقَدُوسِ :

وَإِنَّ مَنْ أَدَّبَتْهُ فِي الصَّبَا كَالْعُودِ يُسْقَى الْمَاءُ فِي غَرْبِهِ
حَتَّى تَرَاهُ مُورِقًا نَاضِرًا بَعْدَ الَّذِي أَبْصُرْتَ مِنْ يُبْسِهِ
وَالشَّيْخُ لَا يَتْرُكُ أَخْلَاقَهُ حَتَّى يُوَارَى فِي ثَرَى رَمْسِهِ
إِذَا ارْعَوَى عَادَ لَهُ جَهْلُهُ كَذِي الضَّنَى عَادَ إِلَى نُكْسِهِ
مَا تَبَلَّغَ الْأَعْدَاءُ مِنْ جَاهِلٍ مَا يَبْلُغُ الْجَاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ
قَالَ بَعْضُهُمْ فِي سُوءِ تَرْبِيَةِ صَغِيرٍ :

فَيَا عَجَبًا لِمَنْ رَبَّيْتُ طِفْلًا أَلْقَمَهُ بِأَطْرَافِ الْبَنَانِ
أَعْلَمَهُ الرِّمَاطَةَ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا أَشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي
أَعْلَمَهُ الْقُوَّةَ كُلَّ وَقْتٍ فَلَمَّا طَرَّ شَارِبُهُ جَفَانِي
وَكَمْ عِلْمَتُهُ نَظَمَ الْقَوَافِي فَلَمَّا قَالَ قَفِيَّةً هَجَانِي

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاةَ : الْحَيَاءُ فِي الصَّبِيِّ خَيْرٌ مِنَ الْخَوْفِ . لِأَنَّ
الْحَيَاءَ يَدُلُّ عَلَى الْعَقْلِ . وَالْخَوْفَ يَدُلُّ عَلَى الْجَبَنِ (لابن عبد ربه)

ما ينبغي للولد في تربية ابنه

٢٠٧ يَنْبَغِي لِلْوَالِدِ أَنْ لَا يَسْهُوَ عَنْ تَأْدِيبِ وَلَدِهِ . وَيُحَسِّنَ عِنْدَهُ الْحَسَنَ . وَيَقْبِجَ عِنْدَهُ الْقَبِيحَ . وَيُحَيِّثَهُ عَلَى الْمَكَارِمِ وَعَلَى تَعَلُّمِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ . وَيَضْرِبَهُ عَلَى ذَلِكَ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

لَا تَسْهُ عَنْ أَدَبِ الصَّغِيرِ وَإِنْ شَكَ أَلَمْ أَتَّعِبْ
وَدَعَ الْكَبِيرَ وَشَأْنَهُ كَبَرُ الْكَبِيرِ عَنِ الْأَدَبِ

٢٠٨ قَالَ ابْنُ عُثْبَةَ يُوصِي مُوَدَّبَ وَلَدِهِ : إِيكَنْ أَوَّلُ إِصْلَاحِكَ بَنِي إِصْلَاحِكَ لِنَفْسِكَ . فَإِنْ عُيُوبُهُمْ مَعْقُودَةٌ بِعَيْبِكَ . فَالْحَسَنُ عِنْدَهُمْ مَا فَعَلْتَ . وَالْقَبِيحُ مَا تَرَكْتَ . عَلَّمَهُمُ الدِّينَ وَلَا تَمْلَهُمْ فِيهِ فَيَتْرَكُوهُ . وَلَا تَتْرِكْهُمْ مِنْهُ فَيَهْجُرُوهُ . وَرَوِّهِمْ مِنَ الشَّعْرِ أَتَقَهُ . وَمِنَ الْكَلَامِ أَشْرَفَهُ . وَلَا تُخْرِجْهُمْ مِنْ عِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ حَتَّى يُحْكَمُوهُ . فَإِنْ أَرَادَ حَامَ الْكَلَامِ فِي السَّمْعِ مَضَلَّةً لِبَنِيهِمْ . تَهْدِدْهُمْ بِي وَأَدِيبْهُمْ دُونِي . وَكُنْ كَالطَّيِّبِ الَّذِي لَا يَجْعَلُ بِالْذَّوَاءِ قَبْلَ مَعْرِفَةِ الدَّاءِ . وَجَنِّبْهُمْ مُحَادَثَةَ السُّفَهَاءِ . وَرَوِّهِمْ سِيرَ الْحُكَمَاءِ (كِتَابُ الدَّرَارِيِّ لِكُلِّ الدِّينِ الْحَلَبِيِّ)

٢٠٩ أَوْصَى الرَّشِيدُ مُوَدَّبَ وَلَدِهِ الْأَمِينِ فَقَالَ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ دَفَعَ إِلَيْكَ مُهْجَةً نَفْسِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ . فَصَيِّرْ يَدَكَ عَلَيْهِ مَبْسُوطَةً وَطَاعَتَكَ عَلَيْهِ وَاجِبَةً . أَقْرَأْهُ كُتُبَ الدِّينِ . وَعَرِّفْهُ الْأَثَارَ . وَرَوِّهِ الْأَشْعَارَ . وَعَلِّمَهُ السُّنَنَ وَبَيِّنْهُ مَوَاقِعَ الْكَلَامِ . وَأَمْنَهُ أَصْحَابَكَ إِلَّا فِي أَوْقَاتِهِ . وَلَا تَمُرُّ بِكَ سَاعَةٌ إِلَّا وَأَنْتَ مُغْتَنِمٌ فِيهَا فَايِدَةً تُفِيدُهُ

يَا هَا مِنْ غَيْرٍ أَنْ تَحْرُقَ بِهِ غُشِيَتَ ذَهْنَهُ . وَلَا تَعْنِ فِي مُسَاحَتِهِ فَيَسْتَحْلِي
الْفَرَاغَ وَيَأْتِيَهُ . وَقَوْمُهُ مَا اسْتَطَعَتْ بِالْقُرْبِ وَالْمَدْلَانِيَةِ . فَإِنْ أَبَاهَا
فَعَلَيْكَ بِالشَّدَةِ وَالْغِلَظَةِ (المشريدشي)

رقة الادب في الظاهر

٢١٠ قَالَ أَبُو حَفْصٍ : حُسْنُ الْأَدَبِ فِي الظَّاهِرِ غُنَوَانُ حُسْنِ
الْأَدَبِ فِي الْبَاطِنِ . قِيلَ لِأَبِي وَائِلٍ : أَيُّكُمْ أَكْبَرُ أَنْتَ أَمْ الرَّبِيعُ
ابْنُ خَيْثَمٍ . قَالَ : أَنَا أَكْبَرُ مِنْهُ سِنًا . وَهُوَ أَكْبَرُ مِنِّي عَمَلًا
قَالَ رَجَاءُ بْنُ حَيَاةٍ لِعَبْدِ الْعَزِيزِ : مَا رَأَيْتُ أَكْرَمَ أَدَبًا وَلَا أَكْرَمَ
عَشِيرَةً مِنْ أَيْكَ . سَمَرْتُ عِنْدَهُ لَيْلَةً فَبَدَأَ نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ غُشِيَ
الْمُصْبَاحُ وَنَامَ الْعُلَامُ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ غُشِيَ الْمُصْبَاحُ وَنَامَ
الْعُلَامُ فَلَوْ أَذِنْتَ لِي أَصْلَحْتُهُ . فَقَالَ : إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ مَرْوَةِ الرَّجُلِ أَنْ
يَسْتَحْدِمَ ضَيْفَهُ ثُمَّ حَطَّ رِذَاءَهُ عَنْ مَنْكِبِيهِ ، وَقَامَ إِلَى الدَّيَّةِ . فَصَبَّ
مِنَ الزَّيْتِ فِي الْمُصْبَاحِ وَأَشْخَصَ الْقَتِيلَةَ . ثُمَّ رَجَعَ فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ
قَالَ بَعْضُهُمْ فِي مُعَاشَرَةِ الْأَدَبَاءِ :

وَكُنْ مِنْ جَاهِلٍ أَمْسَى أَدِيبًا بِصُحْبِهِ تَأَذَّرَ وَغَدَا إِمَامًا
كَلَّمَ الْجَبْرَ ثُمَّ تَحَاوَا مَذَاقُهُ إِذَا سَحِبَ الْغَمَامَا

الادب في الحديث والاستماع

٢١١ قَالَتِ الْحَكَمَاءُ : رَأْسُ الْأَدَبِ كُلِّهِ حُسْنُ الْفَهْمِ وَالْفَهْمُ .

وَالْإِصْفَاءُ لِلْمُتَكَلِّمِ . قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ لِابْنِهِ : يَا ابْنِي تَعَلَّمْ حُسْنَ
الِاسْتِمَاعِ كَمَا تَعَلَّمْ حُسْنَ الْحَدِيثِ . وَاعْلَمْ النَّاسُ أَنَّكَ أَحْرَصُ عَلَى
أَنْ تَسْمَعَ مِنْكَ عَلَى أَنْ تَقُولَ . فَاحْذَرِ أَنْ تَسْرَعَ فِي الْقَوْلِ فِيمَا يَجِبُ
عَنْهُ الرُّجُوعُ بِالْفِعْلِ . قَالُوا : مِنْ حُسْنِ الْأَدَبِ أَنْ لَا تُغَابِ أَحَدًا
عَلَى كَلَامِهِ . وَإِذَا سُئِلَ غَيْرُكَ فَلَا تَجِبْ عَنْهُ . وَإِذَا حَدَّثَ بِحَدِيثٍ فَلَا
تَنَازِعْهُ إِيَّاهُ . وَلَا تَقْتَحِمْ عَلَيْهِ فِيهِ . وَلَا تَرِدْ أَنَّكَ تَعْلَمُهُ

يُقَالُ إِنَّ هِشَامًا كَتَبَ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ : مِنْ هِشَامِ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْمَلِكِ الطَّاغِيَةِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ : مَا ظَنَنْتُ أَنَّ الْمَلُوكَ تَسْبُّ .
وَمَا الَّذِي يُؤْمِنُكَ أَنْ أُجِيبَكَ : مِنْ مَلِكِ الرُّومِ إِلَى الْمَلِكِ الْمَذْمُومِ

الادب في المجالسة

٢١٢ قَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ : إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ بَيْتًا فَلْيَجْلِسْ حَيْثُ
أَجْلَسَهُ أَهْلُهُ . قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ : مَا مَدَدْتُ رِجْلِي قَطُّ بَيْنَ يَدَيَّ
جَلِيسِي . وَلَا قُمْتُ حَتَّى يَقُومَ . وَقَالَ أَيْضًا : لَجَلِيسِي عَلَى ثَلَاثٍ . إِذَا
دَنَا رَجَبْتُ بِهِ . وَإِذَا جَلَسَ وَسَّعْتُ لَهُ . وَإِذَا حَدَّثَ أَقْبَلْتُ عَلَيْهِ .
قَالَ زِيَادٌ : إِيَّاكَ وَصُدُورُ الْجُلُوسِ وَإِنْ صَدَرَكَ صَاحِبُهَا فَإِنَّهَا مَجْلِسُ
قُلَمَةٍ . وَلَئِنْ أُدْعِيَ مِنْ بَعْدٍ إِلَى قُرْبٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْصَى مِنْ
قُرْبٍ إِلَى بَعْدٍ . قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ : لَا تَسْرِعْ إِلَى أَرْفَعِ مَوْضِعٍ فِي
الْمَجْلِسِ فَالْمَوْضِعُ الَّذِي تُحِطُّ إِلَيْهِ خَيْرٌ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي تُحِطُّ مِنْهُ

(لابن عبد ربه)

٢١٣ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : بَعَثَنِي أَبِي إِلَى الْمُتَمِّدِ فِي شَيْءٍ .
فَقَالَ لِي : اجْلِسْ . فَاسْتَعْظَمْتُ ذَلِكَ . فَأَعَادَ . فَأَعْتَذَرْتُ بِأَنِّ ذَلِكَ
لَا يَجُوزُ . فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنْ تَرَكَ أَدَبَكَ فِي الْقَبُولِ مِنِّي خَيْرٌ مِنْ أَدَبِكَ
فِي خِلَافِي

دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ فَاسْتَحْسَنَ لَفْظَهُ
وَأَدَبَهُ . فَقَالَ لَهُ : سَلْ حَاجَتَكَ . فَقَالَ : يُقِيكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
وَيَزِيدُ فِي سُلْطَانِكَ . فَقَالَ : سَلْ حَاجَتَكَ فَلَيْسَ فِي كُلِّ وَقْتٍ
يُمْكِنُ أَنْ يُؤْمَرَ لَكَ بِذَلِكَ . فَقَالَ : وَلِمَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَوَاللَّهِ مَا
أَخَافُ بُحْلَكَ . وَلَا أَسْتَقْصِرُ أَجَالَكَ . وَلَا أَعْتَمُّ مَالَكَ . وَإِنْ عَطَاءُكَ
لَزِينٌ . وَمَا بَأْمَرِي بِذَلِكَ وَجْهَهُ إِلَيْكَ نَقْصٌ وَلَا شَيْنٌ . فَأَعْجَبَ الْمَنْصُورُ
كَلَامَهُ . وَاشْتَى عَلَيْهِ فِي أَدَبِهِ وَوَصَلَهُ

٢١٤ وَقَفَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ بَابَ مُعَاوِيَةَ
فَإِذْ مِنَ الْأَخْنَفِ ثُمَّ أَحْمَدُ بْنُ أَشْعَثَ . فَاسْرَعَ مُحَمَّدٌ فِي مَشْيِهِ حَتَّى
دَخَلَ قَبْلَ الْأَخْنَفِ . فَلَمَّا رَأَاهُ مُعَاوِيَةُ . قَالَ لَهُ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَذِنْتُ لَكَ
قَبْلَكَ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ تَدْخُلَ قَبْلَهُ . وَإِنَّا كَمَا نَلِي أُمُورَكُمْ كَذَلِكَ نَلِي
أَدَبَكُمْ . وَمَا تَرِيدُ مُتَرِيدٌ إِلَّا لِنَقْصِ يَجِدُهُ مِنْ نَفْسِهِ (لِلْمُسْتَعْصِمِ)
وَمِنْ الْأَدَبِ إِلَّا تَنْتَابَ صَاحِبًا فَتُثْقِلَ عَلَيْهِ . قَالَ الثَّعَالِبِيُّ :

عَلَيْكَ بِإِقْلَالِ الزِّيَارَةِ إِنَّمَا

إِذَا كَثُرَتْ كَانَتْ إِلَى الْعَجْرِ مَسْلَكًا

فَإِنِّي رَأَيْتُ الْغَيْثَ يُسَامُ دَائِمًا
وَيُسَالُ بِالْأَيْدِي إِذَا هُوَ أَمْسَكَ

الادب في المشاة

٢١٥ قَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ : مَا شِئْتُ الْمُؤْمُونَ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ فِي
بُسْتَانٍ مُؤَنِّسَةٍ بِنْتِ الْمُهْدِيِّ . فَكُنْتُ مِنَ الْجَانِبِ الَّذِي يَسْتُرُهُ مِنَ
الشَّمْسِ . فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى آخِرِهِ وَأَرَادَ الرُّجُوعَ أَرَدْتُ أَنْ أَدُورَ إِلَى
الْجَانِبِ الَّذِي يَسْتُرُهُ مِنَ الشَّمْسِ . فَقَالَ : لَا تَفْعَلْ وَلَكِنْ كُنْ بِحَاكٍ
حَتَّى أَسْتُرَكَ كَمَا سَتَرْتَنِي . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ قَدَرْتُ أَنْ أَقِيكَ
حَرَّ النَّارِ لَمَعْتُ فَكَيْفَ الشَّمْسِ . فَقَالَ : لَيْسَ هَذَا مِنْ كَرَمِ الصُّحْبَةِ .
وَمَشَى سَاتِرًا لِي مِنَ الشَّمْسِ كَمَا سَتَرْتَنِي (لأبن عبد ربه)

الادب في الأكل

٢١٦ قَالَ الْغَزَالِيُّ : إِذَا حَضَرَ الطَّعَامُ فَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَبْتَدِيَ
فِي الْأَكْلِ وَمَعَهُ مَنْ يَسْتَحِقُّ التَّقَدُّمَ عَلَيْهِ لِكِبَرِهِ أَوْ زِيَادَةِ فَضْلِهِ .
إِلَّا أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمُتَبَوِّعُ الْمُقْتَدِي بِهِ . فَحِينَئِذٍ يَنْبَغِي أَنْ لَا يُطَوِّلَ
عَلَيْهِمْ إِلَّا تَنْظَارًا إِذَا اجْتَمَعُوا لِلْأَكْلِ . وَيَنْبَغِي أَنْ لَا يَسْكُتَ عَلَى
الطَّعَامِ . وَلَكِنْ يَتَكَلَّمُ عَلَيْهِ بِالْمَعْرُوفِ وَبِالْحَدِيثِ عَنِ الصَّالِحِينَ وَأَهْلِ
الْأَدَبِ فِي الْأَطْعَمَةِ . قَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ : أَحْسَنُ الْأَكْلَيْنِ مَنْ
لَا يَجُوجُ صَاحِبَهُ إِلَى تَفْقُدِهِ فِي الْأَكْلِ . وَيَنْبَغِي لِمَنْ قَدَّمَ لَهُ أَخُوهُ
الطَّعَامَ أَنْ يَقْبَلَهُ وَلَا يَرُدَّهُ (للمستعصي)

الكتاب والقلم

٢١٧ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الْقَلَمُ صَانِعُ الْكَلَامِ يُفْرِغُ مَا يَجْمَعُهُ الْقَلْبُ ، وَيَصُوغُ مَا يَسِيكُهُ الْأَلْبُ
قَالَ بَعْضُهُمْ مُلَغَزًا فِي قَلَمٍ :

وَسَاكِنِ رَمْسٍ طَعْمُهُ عِنْدَ رَأْسِهِ إِذَا ذَاقَ مِنْ ذَاكَ الطَّعَامِ تَكَلَّمَ
يَقُومُ وَيَمْشِي صَامِتًا مُتَكَلِّمًا وَيَرْجِعُ مَنْ فِي الْقَبْرِ مِنْهُ مُقَوِّمًا
وَلَيْسَ بِحَيٍّ يَسْتَحِقُّ كَرَامَةً وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ يَسْتَحِقُّ التَّرْحَمَ
قَالَ الْعَتَابِيُّ : بِيكَاؤُ الْقَلَمِ تَبْتِيسُ الْكُتُبِ . وَالْأَقْلَامُ مَطَايَا الْقَطَنِ .
قَالَ أَرِسْطَاطَالِيْسُ : عُقُولُ الرِّجَالِ تَحْتَ سِنِّ أَقْلَامِهِمْ . قَالَ ثُمَامَةُ
أَبْنُ أُشْرَسَ : مَا أَثَرَتْهُ الْأَقْلَامُ . لَمْ تَطْمَعْ فِي دِرَاسَتِهِ الْأَيَّامُ

٢١٨ قِيلَ فِي الْكِتَابِ : إِنَّهُ الْجَلِيسُ الَّذِي لَا يُنَافِقُ وَلَا يَلُ . وَلَا
يُعَاتِبُكَ إِذَا جَفَوْتَهُ وَلَا يُفْشِي سِرَّكَ . قَالَ بَعْضُهُمْ فِي فَضِيلَتِهِ :
جَالِيسُ الْأَنْبِيَاءِ يَأْمَنُ النَّاسُ شَرَّهُ وَيَذْكُرُ أَنْزَاعَ الْمَكَارِمِ وَالْأَنْهَى
وَيَأْمُرُ بِالْإِحْسَانِ وَالْبِرِّ وَالْتَقَى وَيَنْهَى عَنِ الطُّغْيَانِ وَالشَّرِّ وَالْأَذَى

الشعر

٢١٩ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : رَوُّوا أَوْلَادَكُمْ الشِّعْرَ تَعَذِّبَ السِّنُّهُمْ .
فَإِنَّ أَفْضَلَ صِنَاعَاتِ الرَّجُلِ الْأَبْيَاتُ مِنَ الشِّعْرِ . يُقَدِّمُهَا فِي حَاجَتِهِ
يَسْتَعِظُ بِهَا قَلْبُ الْكَرِيمِ . وَيَسْتَمِيلُ بِهَا قَلْبُ اللَّئِيمِ . وَقَالَ أَيْضًا :
الشِّعْرُ جَزَلٌ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ يُسَكِّنُ بِهِ الْغَيْظُ . وَتُطْفَأُ بِهِ النَّارَةُ .

وَيَبْلُغُ لَهُ الْقَوْمُ فِي نَادِيهِمْ . وَيُعْطَى بِهِ السَّائِلُ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ :
الشَّعْرُ عِلْمُ الْعَرَبِ وَدِيُونُهَا فَتَعَلَّمُوهُ
كَانَ بَنُو أَنْفِ النَّاقَةِ يُعَيَّبُونَ بِهَذَا الْإِسْمِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ حَتَّى قَالَ
فِيهِمْ الْخَطِيئَةُ :

قَوْمُ هُمُ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ وَمَنْ يُسَاوِي بِأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنْبَا
فَعَادَ هَذَا الْإِسْمُ فُخْرًا لَهُمْ وَشَرَفًا فِيهِمْ (لَا بَنَ عَبْدِ رَبِّهِ)
٢٢٠ قِيلَ لِبَعْضِ الشُّعْرَاءِ : مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ . قَالَ : الذَّائِبَةُ إِذَا
رَهَبَ . وَزُهَيْرٌ إِذَا رَغَبَ . وَجَرِيدٌ إِذَا غَضِبَ . وَعَنْتَرَةٌ إِذَا رَكِبَ .
قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ لِلْفَرَزْدَقِ : مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ . قَالَ :
كَفَّارُكَ بِأَبْنِ النَّصْرَانِيَّةِ إِذَا مَدَحَ . (يُرِيدُ الْأَخْطَلُ شَاعِرَ بَنِي أُمَيَّةِ
النَّصْرَانِيِّ) (الْأَغَانِي)

أَلْبَابُ الثَّامِنُ

فِي اللَّطَائِفِ

٢٢١ رَأَى الْإِسْكَندَرُ سَمِيًّا لَهُ لَا يَزَالُ يَنْهَزِمُ فِي الْحُرُوبِ فَقَالَ لَهُ :
يَا هَذَا إِمَّا أَنْ تُغَيِّرَ فِعْلَكَ أَوْ تُغَيِّرَ اسْمَكَ
٢٢٢ بَعَثَ مَلِكٌ إِلَى عَبْدٍ لَهُ مَا لَكَ لَا تَخْدُمُنِي وَأَنْتَ عَبْدِي .
فَأَجَابَهُ : لَوْ أُعْتَبِرْتَ لَعَلِمْتَ أَنَّكَ عَبْدُ عَبْدِي . لِأَنَّكَ تَتَّبِعُ الْهَوَى
فَأَنْتَ عَبْدُهُ وَأَنَا أَمْلِكُهُ فَهُوَ عَبْدِي (لِلْمُسْتَعْصِمِيِّ)

٢٢٣ قَالَتْ بُنُو تَمِيمٍ لِسَلَامَةَ بْنِ جَنْدَلٍ : نَجِدْنَا بِشَعْرِكَ . قَالَ : أَفْعَلُوا حَتَّى أَقُولَ (لابن عبد ربه)

٢٢٤ سَأَلَ حَكِيمٌ غُلَامًا مَعَهُ سِرَاجٌ : مِنْ أَيْنَ تَجِيءُ ؟ أَلَا تَارُ بَعْدَ مَا تَنْطَفِئُ ؟ فَقَالَ : إِنْ أَخْبَرْتَنِي إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ أَخْبَرْتُكَ مِنْ أَيْنَ تَجِيءُ

٢٢٥ قَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ فِي أَعْيَى أَغْلَظٍ فِي كَلَامِهِ :

كَيْفَ يَرْجُوا الْحَيَاءُ مِنْهُ صَدِيقٌ وَمِمَّا كَانَ الْحَيَاءُ مِنْهُ خَرَابٌ

٢٢٦ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ الْجَعْدِيُّ أَخِرُ مُلُوكِ بَنِي أُمَيَّةٍ كَتَبَ إِلَى عَامِلٍ لَهُ أَهْدَى إِلَيْهِ غُلَامًا أَسْوَدَ فَقَالَ : لَوْ عَلِمْتَ عَدَدًا أَقَلَّ مِنْ وَاحِدٍ وَلَوْ نَا شَرًّا مِنْ السَّوَادِ لَأَهْدَيْتَهُ وَالسَّلَامُ

٢٢٧ وَصِيفُ التُّرْكِيِّ وَالِي الشَّامِ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَرَكِبَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ ابْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتُ فَعَزَّاهُ بِأَخْبَارٍ وَأَمْثَالٍ . ثُمَّ أَصِيبَ مُحَمَّدٌ بِمُصِيبَةٍ فَرَكِبَ إِلَيْهِ وَصِيفٌ فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا جَعْفَرٍ أَنَا رَجُلٌ أَعْجَبِي لَا أَذْري مَا أَقُولُ لَكَ . وَلَكِنْ أَنْظِرْ مَا عَزَّيْتَنِي بِهِ ذَلِكَ الْيَوْمَ فَعَزَّ بِهِ نَفْسَكَ الْآنَ . فَاسْتَظَرَفَ النَّاسُ كَلَامَهُ (لطائف الوزراء)

الاعرابي والسنور

٢٢٨ صَادَ أَعْرَابِيٌّ سِنُورًا وَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُ . فَاقْبَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ : مَا هَذَا السِّنُورُ . وَلَقْبَهُ آخِرُ فَقَالَ : مَا هَذَا الْقَطُّ . ثُمَّ لَقْبَهُ آخِرُ فَقَالَ : مَا هَذَا الْهَرُّ . ثُمَّ لَقْبَهُ آخِرُ فَقَالَ : مَا هَذَا الضِّيَّوْنُ . ثُمَّ لَقْبَهُ آخِرُ فَقَالَ : مَا هَذَا الْخَيْدَعُ . ثُمَّ لَقْبَهُ آخِرُ فَقَالَ : مَا هَذَا الْخَيْطَلُ . ثُمَّ لَقْبَهُ

آخِرُ فَقَالَ : مَا هَذَا الدَّمُ . فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ فِي نَفْسِهِ : أَجْمَلُهُ وَأَبْيَعُهُ
فَيَجْعَلُ اللَّهُ لِي فِيهِ مَا لَا كَثِيرًا . فَلَمَّا أَتَى السُّوقَ قِيلَ لَهُ : بِكُمْ هَذَا .
قَالَ : بِمَا تَتَى دِرْهَمٌ . فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُ يُسَاوِي نِصْفَ دِرْهَمٍ . فَرَمَى
بِهِ ثُمَّ قَالَ : مَا أَكْثَرَ أَسْمَاءَ دُ وَأَقْلَ ثَمَنَهُ (للدميري)

٢٢٩ حَكِي أَنَّ الْحُجَّاجَ اشْتَرَى غُلَامَيْنِ أَحَدَهُمَا أَسْوَدُ وَالْثَانِي أَبْيَضُ .
فَقَالَ لَهُمَا فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ : كُلُّ وَاحِدٍ يَمْدَحُ نَفْسَهُ وَيَذُمُّ رَفِيقَهُ
فَقَالَ الْأَسْوَدُ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمِسْكَ لَا شَيْءَ مِثْلُهُ وَأَنَّ بَيَاضَ اللَّيْلِ خَيْرٌ مِنْ بَيَاضِ دِرْهَمٍ
وَأَنَّ سَوَادَ الْعَيْنِ لَا شَيْءَ نُورِهَا وَأَنَّ بَيَاضَ الْعَيْنِ لَا شَيْءَ فَاغَامٍ
وَقَالَ الْأَبْيَضُ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْبَذَرَ لَا شَيْءَ مِثْلُهُ وَأَنَّ سَوَادَ الْفَحْمِ خَيْرٌ مِنْ بَيَاضِ دِرْهَمٍ
وَأَنَّ رَجَالَ اللَّهِ بَيَضٌ وَجُوهُهُمْ وَلَا شَيْءَ أَنَّ السُّودَ أَهْلُ جَهَنَّمَ
فَضْحِكَ صَاحِبُهُمَا وَأَجَازَهُمَا (ألف ليلة و ليلة)

٢٣٠ حَكِي أَنَّ هَارُونَ الرَّشِيدَ نَازِلًا حَضَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ بَعْضُ أَهْلِ
الْمَغْرِبِ قَالَ لَهُ : يُقَالُ إِنَّ الدُّنْيَا بِمَثَابَةِ طَائِرٍ ذَنَبُهُ الْمَغْرِبُ . فَقَالَ
الرَّجُلُ : صَدَقُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنَّهُ طَاوُسٌ . فَضَحِكَ الرَّشِيدُ
وَتَعَجَّبَ مِنْ سُرْعَةِ جَوَابِ الرَّجُلِ وَأَنْتَصَارِهِ لِقَطْرِهِ
(نفح الطيب للمقري)

١٣١ قَالَ بَعْضُهُمْ مُلْغَزًا فِي مِيزَانٍ :

وَقَاضٍ قَدْ قَضَى فِي الْأَرْضِ عَدْلًا لَهُ كَفٌّ وَلَيْسَ لَهُ بَنَانٌ
رَأَيْتُ النَّاسَ قَدْ قَبِلُوا قَضَاهُ وَلَا نُطِقُ لَهُ بِهِ وَلَا يَبْكَانُ
وَقَدْ أَحْسَنَ أَبُو سَرْفٍ مُلْغِزًا فِي إِبْرَةٍ :

ضَيْلَةُ الْجِسْمِ لَهَا فِعْلٌ مَتِينُ السَّبَبِ
حَافِرُهَا فِي رَأْسِهَا وَعَيْنُهَا فِي الذَّنَبِ

٢٣٢ أَعْتَقَ عَمْرُو بْنُ عُثْبَةَ غُلَامًا لَهُ كَبِيرًا. فَقَامَ إِلَيْهِ عَبْدٌ صَغِيرٌ.
فَقَالَ : أَذْكَرُنِي يَا مَوْلَايَ ذَكَرَكَ اللَّهُ بِمُخَيْرٍ . فَقَالَ : إِنَّكَ لَمْ تَحْتَرِفْ .
فَقَالَ : إِنَّ النَّخْلَةَ قَدْ تُجْتَنَى زَهْوًا . قَبْلَ أَنْ تَصِيرَ مَعْوًا . فَقَالَ : قَاتَلَكُ
اللَّهُ لَقَدْ اسْتَعْتَمْتُ وَأَحْسَنْتَ . وَقَدْ وَهَبْتُكَ لَوَاهِيكَ . كُنْتَ أَمْسَرَ
لِي وَالْيَوْمَ مِنِّي

دعوة أكرم بن صيفي لأولاده

٢٣٣ دَعَا أَكْرَمُ بْنُ صَيْفِي أَوْلَادَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ . فَاسْتَدْعَى إِضْمَامَةً مِنَ
السَّهَامِ . فَتَقَدَّمَ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَكْسِرَهَا . فَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ عَلَى
كَسْرِهَا . ثُمَّ بَدَّدَهَا فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ أَنْ يَكْسِرُوهَا . فَاسْتَسْهَلُوا كَسْرَهَا .
فَقَالَ : كُونُوا مُجْتَمِعِينَ لِيُعْجِزَ مَنْ نَاوَأَكُمْ عَنْ كَسْرِكُمْ كَعَجِزِكُمْ عَنْ
كَسْرِهَا مُجْتَمِعَةً . فَإِنَّكُمْ إِنْ تَفَرَّقْتُمْ سَهَلَ كَسْرُكُمْ
كُونُوا جَمِيعًا يَا بَنِي إِذَا اعْتَرَى خَطْبٌ وَلَا تَفَرَّقُوا أَحَادًا
تَأْتِي الْقِدَاحُ إِذَا اجْتَمَعَ تَكْسُرًا وَإِذَا افْتَرَقَ تَكْسُرَتْ أَفْرَادًا
٢٣٤ قَالَ الشَّعْبِيُّ : وَجَّهَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ فَلَمَّا انْصَرَفْتُ

دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مَخْتُومًا . فَلَمَّا قَرَأْتُ عَبْدُ الْمَلِكِ رَأَيْتُهُ تَغَيَّرَ . فَقَالَ :
يَا شُعْبِي أَعْلَمْتَ مَا كَتَبَ هَذَا النَّذْلُ . قُلْتُ : لَا . قَالَ : إِنَّهُ كَتَبَ :
يَأْبَغِي لِلْعَرَبِ أَنْ لَا تُبَالِكَ إِلَّا مَنْ أَرْسَلَتْ بِهِ إِلَيَّ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ لَمْ يَرْكَ فَكَّانَ يَعْرِفُ فَضْلَكَ . وَإِنَّهُ حَسَدَكَ عَلَى
أَسْتَحْدَامِكَ مِنِّي . فَسَرَّيَ عَنْهُ (لِلثَعَالِي)

٢٣٥ لَمَّا عَلَا أَمْرُ يَعْقُوبَ بْنِ لَيْثٍ أَرْتَفَعَ قَدْرُهُ . وَظَهَرَ اسْمُهُ وَذِكْرُهُ .
وَمَلَكَ كِرْمَانَ وَسِجِسْتَانَ . وَكَانَ الْخَلِيفَةُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ الْمُعْتَمِدُ .
فَكَتَبَ إِلَى يَعْقُوبَ : إِنَّكَ كُنْتَ رَجُلًا صَفَارًا فَمِنْ أَيْنَ تَعْلَمْتَ تَذْيِيرَ
الْمَمَالِكِ . فَرَدَّ يَعْقُوبُ إِلَيْهِ جَوَابًا وَقَالَ : إِنَّ الْمَوْلَى الَّذِي أَعْطَانِي
الدَّوْلَةَ أَعْطَانِي التَّذْيِيرَ (لِلغَزَالِي)

الاعرابي الشاعر والخلِيفة

٢٣٦ اسْتَدْعَى بَعْضُ الْخُلَفَاءِ شُعْرَاءَ مِصْرَ . فَصَادَفَهُمْ شَاعِرٌ فَقِيرٌ بِيَدِهِ
جَرَّةٌ فَارِغَةٌ ذَاهِبًا بِهَا إِلَى الْبَحْرِ لِيَأْخُذَ بِهَا مَاءً . فَتَبِعَهُمْ إِلَى أَنْ وَصَلُوا إِلَى
دَارِ الْخُلَافَةِ . فَبَالَغَ الْخَلِيفَةُ فِي إِكْرَامِهِمْ وَالْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ . وَرَأَى ذَلِكَ
الرَّجُلَ وَالْجَرَّةَ عَلَى كَتِفِهِ وَنَظَرَ إِلَى ثِيَابِهِ الرِّثَّةِ وَقَالَ : مَنْ أَنْتَ وَمَا
حَاجَتُكَ . فَأَنْشَدَ :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ شَدُّوا رِحَالَهُمْ إِلَى بَحْرِكَ الطَّامِي أَتَيْتُ بِجَرَّتِي
فَقَالَ الْخَلِيفَةُ : أُمْلَأُوا لَهُ الْجَرَّةَ ذَهَبًا وَفِضَّةً . فَحَسَدَهُ بَعْضُ
الْحَاضِرِينَ وَقَالَ : هَذَا فَقِيرٌ مَجْنُونٌ لَا يَعْرِفُ قِيَمَةَ هَذَا الْمَالِ وَرُبَّمَا

أَتَقَّهَ وَضِيعَهُ . فَقَالَ الْخَلِيفَةُ : هُوَ مَا لَهُ يَفْعَلُ بِهِ مَا شَاءَ . قُلْتُ لَهُ :
ذَهَبًا وَخَرَجَ إِلَى الْبَابِ فَفَرَّقَ الْجَمِيعَ . وَبَلَغَ الْخَلِيفَةُ ذَلِكَ فَاسْتَدْعَاهُ
وَعَاتَبَهُ عَلَى ذَلِكَ . فَقَالَ :

يَجُودُ عَلَيْنَا الْخَيْرُونَ بِمَا لَهُمْ . وَنَحْنُ بِمَا لِي الْخَيْرِينَ نَجُودُ
فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ . وَأَمَرَ أَنْ تُقَالُ لَهُ عَشْرَ مَرَّاتٍ وَقَالَ : الْحَسَنَةُ
بِعَشْرَةِ أَمْثَالِهَا (حلبة الكمية للنواحي)

٢٣٧ أَلَحَّ رَجُلٌ عَلَى الْأَخْنَفِ بِالشَّتْمِ . فَلَمَّا فَرَّغَ قَالَ لَهُ : هَلْ لَكَ
فِي الْغَدَاءِ . فَإِنَّكَ مُدُّ الْيَوْمِ تَحْدُو بِجَمَالٍ يُقَالُ . وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : إِنْ
قُلْتَ وَاحِدَةً لَتُسَمِّنَ عَشْرًا . فَقَالَ : وَأَنْتَ إِنْ قُلْتَ عَشْرًا لَمْ تَسْمَعْ
وَاحِدَةً (للابشيهي)

٢٣٨ قَالَ شَرَفُ الدَّوْلَةِ بْنُ مُنْقِذٍ مُغَزَاً فِي الزُّنْبُورِ وَالنَّحْلِ :
وَمُعَرِّدِينَ تَرَنَّمًا فِي مَجَالِسٍ فَتَقَاهُمَا لِأَذَاهُمَا الْأَقْوَامُ
هَذَا يَجُودُ بِمَا يَجُودُ بَعْكَسِهِ هَذَا فَيُحْمَدُ ذَا وَذَاكَ يَلَامُ
٢٣٩ جَاءَتْ أَمْرَأَةٌ إِلَى قَيْسِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عِبَادَةَ فَقَالَتْ لَهُ : مَشَتْ
جُرْذَانُ بَيْتِي عَلَى الْعَفَاءِ . فَقَالَ : سَادَعْتُهُمْ يَثْبُونُ وَثُوبَ الْأَسْوَدِ .
ثُمَّ أَرْسَلَتْ لَهُمَا مَا مَلَأَ الْبَيْتَ مِنْ سَائِرِ الْحُبُوبِ وَالْأَطْعِمَةِ . (وَالْعَفَاءُ
الْتَرَابُ . وَمُرَادُهَا أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ فِي بَيْتِهَا شَيْءٌ يَأْكُلُهُ النَّارُ)

شقيق والبطيخة

٢٤٠ اشْتَرَى شَقِيقُ الْبَلْخِي بَطِيخَةً لِأَمْرَأَتِهِ . فَوَجَدَتْهَا غَيْرَ طَيِّبَةٍ

فَفَضَيْتُ . فَقَالَ لَهَا : عَلَى مَنْ تَغْضِبِينَ . أَعَلَى الْبَائِعِ . أَمْ عَلَى الْمُشْتَرِي .
 أَمْ عَلَى الزَّارِعِ . أَمْ عَلَى الْخَالِقِ . فَأَمَّا الْبَائِعُ فَلَوْ كَانَ مِنْهُ لَكَانَ أَصِيبَ
 شَيْءٌ يُرْغَبُ فِيهِ . وَأَمَّا الْمُشْتَرِي فَلَوْ كَانَ مِنْهُ لَأَشْتَرَى أَحْسَنَ الْأَشْيَاءِ .
 وَأَمَّا الزَّارِعُ فَلَوْ كَانَ مِنْهُ لَأَنْبَتَ أَحْسَنَ الْأَشْيَاءِ . فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا غَضَبُكَ
 عَلَى الْخَالِقِ فَأَتَيْتُ اللَّهَ وَأَرْضَيْتُ بِقَضَائِهِ (للقليوبي)

اسحاق الموصلي عند البرامكة

٢٤١ قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمُوَصِّلِيُّ : دَعَانِي يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ فَدَخَلْتُ
 عَلَيْهِ فَوَجَدْتُ الْفَضْلَ وَجَعْفَرَ وَوَلَدَيْهِ جَالِسِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ
 إِسْحَاقُ : أَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَهْمُومًا فَأَرَدْتُ الصُّبُوحَ لِأَتَسَلَّى فَغَنَنِي صَوْتًا
 لَعَلِّي أَرْتَاحُ لَهُ فَغَنَيْتُهُ :

إِذَا نَزَلُوا بِطُحَاءِ مَكَّةَ أَثَرَيْتُ يَحْيَى وَبِالْفَضْلِ بَنِي يَحْيَى وَجَعْفَرَ
 فَمَا خَلَقْتُ إِلَّا لِحُودِ أَكْثَرِهِمْ وَأَرْجَاهُمْ إِلَّا لِأَعْوَادِ مَنْبَرِ
 فَسْرٍ وَأَمْرِي بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . وَأَمْرِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ
 وَلَدَيْهِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَحَمَلْتُ أُمَالًا وَأَنْصَرَفْتُ (لِلنَّوْاجِي)

الروم بموت أحد الخلفاء

٢٤٢ لَمَّا مَاتَ بَعْضُ الْخُلَفَاءِ تَحَشَّشَتِ الرُّومُ وَاحْتَشَدَتْ وَاجْتَمَعَتْ
 مُلُوكُهَا وَقَالُوا : الْآنَ يَسْتَقِلُّ الْمُسْلِمُونَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ فَنُكِنَّا الْغُرَّةَ
 فِيهِمْ وَالْوَثْبَةَ عَلَيْهِمْ . وَضَرَبُوا فِي ذَلِكَ مُشَاوَرَاتٍ . وَتَرَا جَعُوا فِيهِ
 بِالْمَنَظَرَاتِ . وَاجْتَمَعُوا عَلَى أَنَّهُ فُرْصَةُ الدَّهْرِ . وَثُغْرَةُ النَّحْرِ . وَكَانَ رَجُلٌ

مِنْهُمْ مِنْ ذَوِي الرَّأْيِ وَالْمَعْرِفَةِ غَائِبًا عَنْهُمْ فَقَالُوا : مِنْ الْحَزْمِ عَرَضُ
الرَّأْيِ عَلَيْهِ . فَلَمَّا أَخْبَرُوهُ بِمَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ قَالَ : لَا أَرَى ذَلِكَ صَوَابًا .
فَسَأَلُوهُ عَنْ عِلَّةِ ذَلِكَ . فَقَالَ : غَدًا أَخْبِرُكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فَلَمَّا أَصْبَحُوا
غَدُوا عَلَيْهِ الْوَعْدِ وَقَالُوا : لَقَدْ وَعَدْتَنَا . نَالَ : نَعَمْ . فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ كُلِّ بَيْنِ
عَظِيمَيْنِ قَدْ أَعَدَّهُمَا . ثُمَّ حَرَّشَ بَيْنَهُمَا وَأَبَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى
الْآخِرِ فَنَاقَوا بِنَارِهَا حَتَّى سَالَتْ دِمَاؤُهُمَا . فَلَمَّا بَلَغَ الْغَايَةَ فَتَحَ بَابَ
بَيْتِ عِنْدَهُ وَأَرْسَلَ مِنْهُ عَلَى الْكَابِئِينَ ذِيئًا عِنْدَهُ قَدْ أَعَدَّهُ . فَلَمَّا أَبْصَرَاهُ
تَرَكَ مَا كَانَا عَلَيْهِ وَتَأَلَّفَتْ قُلُوبُهُمَا . وَوَتَّابَا جَمِيعًا عَلَى الذِّبِّ فَنَالَا
مِنْهُ مَا أَرَادَا . ثُمَّ أَقْبَلَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِ الْجَمْعِ فَقَالَ لَهُمْ : مَثَلُكُمْ مَعَ
الْمُسْلِمِينَ مَثَلُ هَذَا الذِّبِّ مَعَ الْكِلَابِ لَا يَزَالُ الْمَرْجُ وَالْقِتَالُ بَيْنَهُمْ
وَتَأَلَّفُوا عَلَى الْعَدُوِّ . نَأْتَحَسِنُوا غَوْلَهُ وَتَفَرَّقُوا عَنْ رَأْيِهِ

الرَّشِيدُ وَالذِّكِّي

٢٤٣ يُحْكِي أَنَّ رَجُلًا أَسْتَاذَنَ هَارُونَ الرَّشِيدَ فَقَالَ : إِنِّي أَصْنَعُ مَا
تَعْجِزُ الْخَلَائِقُ عَنْهُ . فَقَالَ الرَّشِيدُ : هَاتِ . فَأَخْرَجَ أَنْبُوبَةً فَصَبَّ فِيهَا
إِبْرَءِدَةً . ثُمَّ وَضَعَ وَاحِدَةً فِي الْأَرْضِ . وَقَامَ عَلَى قَدَمَيْهِ وَجَعَلَ يَدْمِي
إِبْرَةَ إِبْرَةٍ مِنْ قَامَتِهِ فَتَقَعُ كُلُّ إِبْرَةٍ فِي عَيْنِ الْإِبْرَةِ الْمَوْضُوعَةِ حَتَّى فَرَّغَ
دَسْتَهُ . فَأَمَرَ الرَّشِيدَ بِضَرْبِهِ مِائَةً سَوْطٍ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ دِينَارٍ .
فَسُئِلَ عَنْ جَمْعِهِ بَيْنَ الْكِرَامَةِ وَالْمَدْوَانِ فَقَالَ : وَعَاتُهُ لِحُودَةِ ذِكَايِهِ .
وَأَدَبَتُهُ لِكِي لَا يَصْرِفَ فَرَطَ ذِكَايِهِ فِي الْفُضُولِ

الملك وسائق الحمار

٢٤٤ مَرَّ بَعْضُ الْمُلُوكِ بِغُلَامٍ يَسُوقُ حِمَارًا غَيْرَ مُنْعَبِثٍ وَقَدْ عَنَفَ عَلَيْهِ فِي السُّوقِ فَقَالَ : يَا غُلَامُ ارْفُقْ بِهِ . فَقَالَ الْغُلَامُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ فِي الرِّفْقِ بِهِ مَضَرَّةٌ عَلَيْهِ . قَالَ : وَمَا مَضَرَّتُهُ . قَالَ : يَطُولُ طَرِيقُهُ وَيَشْتَدُّ جُوعُهُ . وَفِي الْعُنْفِ بِهِ إِحْسَانٌ إِلَيْهِ . قَالَ : وَمَا الْإِحْسَانُ إِلَيْهِ . قَالَ : يَخْفُ حِمْلُهُ وَيَطُولُ أَكْلُهُ . قَالَ : فَأَعْجِبَ الْمَلِكُ بِكَلَامِهِ وَقَالَ لَهُ : قَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِأَنْفِ دِرْهَمٍ . فَقَالَ : رِزْقٌ مَقْدُورٌ . وَوَاهِبٌ مَأْجُورٌ . قَالَ : وَقَدْ أَمَرْتُ بِإِثْبَاتِ أُنْثَىكَ فِي جَيْشِي . فَقَالَ : كُفَيْتُ مَوُونَةً . وَرَزِقْتُ بِهَا مَعُونَةً . قَالَ : لَوْلَا أَنَّكَ حَدِيثُ السِّنِّ لَأَسْتَوَزَرْتُكَ . قَالَ : أَنْ يَبْدَمَ الْفَضْلُ مَنْ رَزَقَ الْعَقْلُ . قَالَ : فَهَلْ تَصْلُحُ لَذَلِكَ . قَالَ : إِنَّمَا يَكُونُ الْمَدْحُ وَالذَّمُّ بَعْدَ التَّجَرُّبَةِ . وَلَا يَرِفُ إِلَّا إِنْسَانٌ نَفْسَهُ حَتَّى يَبْلُوهَا . قَالَ : فَاسْتَوَزَرَهُ فَوَجَدَهُ ذَا رَأْيٍ صَائِبٍ وَفَهْمٍ رَجِيبٍ وَمَشُورَةٍ تَقَعُ مَوَاقِعَ التَّوْفِيقِ

(للطاهر طوشي)

٢٤٥ فَرَّ حِمَاسٌ عَنِ الْعَدُوِّ مِنْهُمْ مَا يَوْمَ الْخَنْدَمَةِ . فَلَامَتُهُ أَمْرَاتُهُ . فَقَالَ :

إِنَّكَ لَوْ شَهِدْتَ يَوْمَ الْخَنْدَمَةِ	إِذْ فَرَّ صَفْوَانٌ وَفَرَّ عِصْمَرَمَةٌ
إِذْ لَحِقُونَا بِالسُّيُوفِ الْأَسَامَةِ	يَقَامُ كُلُّ سَاعِدٍ وَجُمُوعَةٍ
ضَرْبًا فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا غَمَمَةً	لَمْ تَنْطِقْ فِي الْيَوْمِ أَدْنَى كَلِمَةٍ

عمر بن الخطاب والضيامة

٢٤٦ بَعَثَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى عَمْرِو بْنِ مَعْدِي كَرِبَ أَنْ يَبْعَثَ
إِلَيْهِ بِسَيْفِهِ الْمَعْرُوفِ بِالضُّمَامَةِ . فَبَعَثَ بِهِ إِلَيْهِ . فَلَمَّا ضَرَبَ بِهِ
وَجَدَهُ دُونَ مَا كَانَ يَبْلُغُهُ عَنْهُ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ . فَرَدَّ عَلَيْهِ : إِنَّمَا
بَعَثْتُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالسَّيْفِ وَلَمْ أَبْعَثْ بِالسَّاعِدِ الَّذِي يَضْرِبُ بِهِ
إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيَّ عِنْدَ الرَّشِيدِ

٢٤٧ قَالَ الْأَضْمَعِيُّ : كُنْتُ عِنْدَ الرَّشِيدِ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ
الْمُوصِلِيُّ فَأَنْشَدَهُ :

وَأَمْرَةٌ بِالْجُلِّ قُلْتُ لَهَا أَقْصِرِي فَلَيْسَ إِلَيَّ مَا تَأْمُرِينَ سَبِيلُ
فِعَالِي فِعَالُ الْمُكْثَرِينَ تَجْمُلًا وَمَا لِي كَمَا قَدْ تَعْلَمِينَ قَلِيلُ
فَكَيْفَ أَخَافُ الْفَقْرَ أَوْ أَحْرَمُ الْغَنَى وَرَأَيْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَمِيلُ
فَقَالَ : لِلَّهِ آيَاتٌ تَأْتِيَنَا بِهَا مَا أَحْسَنَ أَصُولَهَا . وَأَيُّنَ فُضُولَهَا . وَأَقْلَّ
فُضُولَهَا . يَا غُلَامُ أَعْطَاهُ عِشْرِينَ أَلْفًا . قَالَ : وَاللَّهِ لَا أَخَذْتُ مِنْهَا دِرْهَمًا .
قَالَ : وَلَمْ . قَالَ : لِأَنَّ كَلَامَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خَيْرٌ مِنْ شِعْرِي .
قَالَ : أَعْطَوْهُ أَرْبَعِينَ أَلْفًا . قَالَ الْأَضْمَعِيُّ : فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَصِيدُ لِدِرَاهِمٍ
الْمُلُوكِ مِنِّي

٢٤٨ كَتَبَ أَبُو دُلَامَةَ إِلَى بَعْضِ وُلاَةِ الْكُوفَةِ رُقْعَةً فِيهَا هَذِهِ
الْآيَاتُ :

إِذَا جِئْتَ الْأَمِيرَ فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ الرَّحِيمِ

فَلَمَّا بَعْدَ ذَلِكَ فِي غَرِيمٍ مِنْ الْأَنْصَارِ قُبِحَ مِنْ غَرِيمٍ
 لَزُومٍ مَا عَلِمْتُ لِبَابِ دَارِي لَزُومِ الْكَلْبِ أَصْحَابِ الرَّقِيمِ
 لَهُ مِائَةٌ عَلَى وَنِصْفُ أُخْرَى وَنِصْفُ النَّصْفِ فِي صَكِّ قَدِيمٍ
 دَرَاهِمٍ مَا انْتَفَعْتُ بِهَا وَلَكِنْ وَصَلْتُ بِهَا شُيُوخَ بَنِي قَيْمٍ
 قَالَ فَبِعَثَ إِلَيْهِ بِمِائَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ (الشريشي)

ازهر وابو جعفر المنصور

٢٤٩ رَوَى الشَّيْبَانِيُّ قَالَ : كَانَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ أَيَّامَ بَنِي أُمَيَّةٍ
 إِذَا دَخَلَ دَخَلَ مُسْتَتْرًا . فَكَانَ يَجْلِسُ فِي حَلَقَةِ أَزْهَرِ السَّمَانِ
 الْمُحَدِّثِ . فَلَمَّا أَفْضَتْ الْخِلَافَةُ إِلَيْهِ قَدِمَ عَلَيْهِ أَزْهَرُ فَرَحَّبَ بِهِ وَقَرَّبَهُ
 وَقَالَ لَهُ : مَا حَاجَتُكَ يَا أَزْهَرُ . قَالَ : دَارِي مُنْهَدِمَةٌ . وَعَلَيَّ أَرْبَعَةُ
 أَلْفٍ دِرْهَمٍ . فَوَصَلَهُ بِأَثْنِي عَشَرَ أَلْفًا وَقَالَ : قَدْ قَضَيْتُكَ حَاجَتَكَ
 يَا أَزْهَرُ فَلَا تَأْتِنَا طَالِبًا . فَأَخَذَهَا وَارْتَحَلَ فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ سَنَةٍ أَتَاهُ .
 فَلَمَّا رَأَاهُ أَبُو جَعْفَرٍ قَالَ : مَا جَاءَ بِكَ يَا أَزْهَرُ . قَالَ : جِئْتُكَ مُسَلِّمًا .
 قَالَ : قَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِأَثْنِي عَشَرَ أَلْفًا وَأَذْهَبُ فَلَا تَأْتِنَا طَالِبًا وَلَا
 مُسَلِّمًا . فَأَخَذَهَا وَمَضَى . فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ سَنَةٍ أَتَاهُ . فَقَالَ : مَا جَاءَ
 بِكَ يَا أَزْهَرُ . قَالَ : أَتَيْتُ عَائِدًا . قَالَ : إِنَّهُ يَقَعُ فِي خَلْدِي أَنَّكَ
 جِئْتَ طَالِبًا . قَالَ : مَا جِئْتُ إِلَّا عَائِدًا . قَالَ : قَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِأَثْنِي
 عَشَرَ أَلْفًا . وَأَذْهَبُ فَلَا تَأْتِنَا طَالِبًا وَلَا مُسَلِّمًا وَلَا عَائِدًا . فَأَخَذَهَا
 وَانْصَرَفَ . فَلَمَّا مَضَتْ السَّنَةُ أَقْبَلَ . فَقَالَ لَهُ : مَا جَاءَ بِكَ يَا أَزْهَرُ .

قَالَ : دُعَاءُ كُنْتُ أَسْتَعِيذُكَ تَدْعُو بِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جِئْتُ لِأَكْتُبَهُ .
فَضَحِكَ أَبُو جَعْفَرٍ وَقَالَ : إِنَّهُ دُعَاءُ غَيْرُ مُسْتَجَابٍ . وَذَلِكَ أَنِّي قَدْ
دَعَوْتُ اللَّهَ بِهِ أَنْ لَا أَرَاكَ فَلَمْ يَسْتَجِبْ لِي وَقَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِأَثْنَيْ عَشَرَ
أَلْفًا . وَتَعَالَى مَتَى شِئْتَ فَقَدْ أَعْيَانِي فِيكَ الْحِيلَةُ

٢٥٠ أَبُطَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُحْيَى عَنِ الدِّیَوَانِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْمُتَوَكِّلُ
يَتَعَرَّفُ خَبْرَهُ فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

عَلِيلٌ مِنْ مَكَانَيْنِ مِنْ الْإِفْلَاسِ وَالذِّينِ
فَفِي هَذَيْنِ لِي شُغْلٌ وَحَسْبِي شُغْلُ هَذَيْنِ
فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِأَلْفِ دِينَارٍ

المستعطي بالحلم

٢٥١ قَالَ الْعُتْبِيُّ : دَخَلَ ابْنُ دَعْبِلَ عَلَى بَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ لَمَّا وَلى
الْكُوفَةَ فَقَعَدَ بَيْنَ السِّمَاطَيْنِ ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنِّي رَأَيْتُ رُؤْيَا
فَأُذِّنُ لِي فِي قِصَصِهَا . فَقَالَ : قُلْ . فَقَالَ :

أَغْفَيْتُ قَبْلَ الصُّبْحِ نَوْمَ مُسَهَّدٍ فِي سَاعَةٍ مَا كُنْتُ قَبْلُ أَنْامُهَا
فَرَأَيْتُ أَنَّكَ جَدْتَ لِي بِوَصِيْفَةٍ مَرْسُومَةٍ حَسَنٍ عَلَيَّ قِيَامُهَا
رَبِّدْرَةٍ حَمَلْتُ إِلَيَّ وَبَغْلَةً شَهْبَاءَ نَاجِيَةً يَصْرُحُ لِحَامُهَا
قَالَ لَهُ بَشْرُ بْنُ مَرْوَانَ : كُلُّ شَيْءٍ رَأَيْتَ فَهُوَ عِنْدِي إِلَّا الْبَغْلَةَ فَإِنَّهَا
دَهْمَاءُ فَارِهَةٍ . قَالَ : بَرَأْتُ مِنْ نَسَبِي إِنْ كُنْتُ رَأَيْتُهَا إِلَّا دَهْمَاءَ إِلَّا
أَنِّي غَلَطْتُ

٢٥٢ قَالَ الْبُطَيْنُ الشَّاعِرُ : قَدِمْتُ عَلَى ابْنِ يَحْيَى الْأَرْمِينِيِّ فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ :

رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ أَنِّي رَاكِبٌ فَرَسًا وَبِي وَصِيفٌ وَفِي صَكِّي دَنَانِيرُ
فَقَالَ قَوْمٌ لَهُمْ حِذْقٌ وَمَعْرِفَةٌ رَأَيْتَ خَيْرًا وَالْأَحْلَامُ تَعْبِيرُ
رُؤْيَاكَ فَسِرْ غَدًا عِنْدَ الْأَمِيرِ تَجِدُ تَعْبِيرَ ذَلِكَ وَفِي الْقَالِ التَّبَاشِيرُ
فَجِئْتُ مُسْتَبْشِرًا مُسْتَشْعِرًا فَرَحًا وَعِنْدَ مِثْلِكَ لِي بِالْفِعْلِ تَبْشِيرُ
قَالَ : فَوَقَّعَ لِي فِي أَسْفَلِ كِتَابِي أَضْعَافَ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ
الْأَحْلَامِ بَعَالَمِينَ ثُمَّ أَمَرَ لِي بِكُلِّ شَيْءٍ ذَكَرْتُهُ فِي آيَاتِي وَرَأَيْتُهُ فِي
مَنَامِي

٢٥٣ مَدَحَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ أَمِيرًا فَخَيَّبَهُ . فَأَنشَدَهُ :

لَيْنَ أَخْطَأْتُ فِي مَدْحِكَ مَا أَخْطَأْتُ فِي مَنْعِي
لَقَدْ أَحَلَّتْ أَمَالِي بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ

السَّائِلُ وَعَبِيدُ اللَّهِ بَنُ عَبَّاسٍ

٢٥٤ مِنْ جُودِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ آتَاهُ سَائِلٌ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ فَقَالَ لَهُ : صَدِّقْ فَإِنِّي نَبِئْتُ أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ أُعْطِيَ سَائِلًا أَلْفَ دِرْهَمٍ . فَأَعْتَذَرَ إِلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ : وَإِنَّ أَنَا مِنْ عُبَيْدِ اللَّهِ . قَالَ : أَيْنَ أَنْتَ مِنْهُ فِي الْحَسَبِ أَمْ فِي كَثْرَةِ الْمَالِ . قَالَ : فِيهِمَا . قَالَ : أَمَّا الْحَسَبُ فِي الرَّجُلِ فَمُرُوءَتُهُ وَفِعْلُهُ . وَإِذَا شِئْتَ فَعَلْتَ . وَإِذَا فَعَلْتَ كُنْتَ حَسِيبًا . فَأَعْطَاهُ أَلْفِي دِرْهَمٍ وَأَعْتَذَرَ إِلَيْهِ مِنْ حَنِيقِ الْحَالِ . فَقَالَ لَهُ السَّائِلُ :

إِنْ لَمْ تَكُنْ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ فَأَنْتَ خَيْرٌ مِنْهُ . وَإِنْ كُنْتَ هُوَ
فَأَنْتَ الْيَوْمَ خَيْرٌ مِنْكَ أَمْسٍ . فَأَعْطَاهُ أَلْفًا أُخْرَى . فَقَالَ السَّائِلُ :
هَذِهِ هَزَّةٌ كَرِيمٍ حَسِيبٍ . وَاللَّهِ لَقَدْ نَقَرْتَ حَبَّةَ قَلْبِي فَأَفْرَغْتَهَا فِي
قَلْبِكَ فَمَا أَخْطَأْتُ إِلَّا بِاعْتِرَاضِ الشَّدِيدِ مِنْ جَوَانِحِي
٢٥٥ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ مُطِيرٍ : أُنْشِدْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ طَاهِرٍ أَبِيًّا تَاكُنْتُ
مَدَحْتُ بِهَا بَعْضَ الْوَلَاةِ وَهِيَ :

لَهُ يَوْمٌ بُوسٌ فِيهِ لِلنَّاسِ أَبُوْسٌ وَيَوْمٌ نَعِيمٌ فِيهِ لِلنَّاسِ أَنْعَمُ
فَيَقْطُرُ يَوْمَ الْجُودِ مِنْ كَفِّهِ النَّدَى وَيَقْطُرُ يَوْمَ الْبُوسِ مِنْ كَفِّهِ الدَّمَ
فَلَوْ أَنَّ يَوْمَ الْبُوسِ لَمْ يَثْنِ كَفَّهُ
عَنِ النَّاسِ لَمْ يُضْجِعْ عَلَى الْأَرْضِ مُجْرِمُ
وَلَوْ أَنَّ يَوْمَ الْجُودِ فَرَّغَ كَفَّهُ

لِبَذْلِ النَّدَى مَا كَانَ بِالْأَرْضِ مُعْذِمُ
فَقَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ : كَمْ أَعْطَاكَ . قُلْتُ : خَمْسَةَ آلَافٍ . قَالَ : فَقَبِلْتَهَا .
قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ لِي : أَخْطَأْتُ . مَا ثَمَنُ هَذِهِ إِلَّا هَائَةَ أَلْفٍ
٢٥٦ قَالَ الْعُتْبِيُّ : سَمِعْتُ عَمِّي يُنْشِدُ لِأَبِي عَبَّاسٍ الزُّبَيْرِيِّ :

وَكُلُّ خَلِيفَةٍ وَوَلِيٍّ عَهْدٍ أَبْكُمْ يَا آلَ مَرْوَانَ الْفِدَاءُ
إِمَارَتُكُمْ شِفَاءٌ حَيْثُ كَانَتْ وَبَعْضُ إِمَارَةِ الْأَقْوَامِ دَاءُ
فَأَنْتُمْ تُحْسِنُونَ إِذَا مَلَكَكُمْ وَبَعْضُ الْقَوْمِ إِنْ مَلَكَوا أَسَاءُوا
أَجْمَلَكُمْ وَغَيْرَكُمْ سَوَاءُ وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ الْهَوَاءُ

هُمْ أَرْضُ لِأَرْجَائِكُمْ وَأَنْتُمْ لِأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ سَمَا
فَقَاتُ لَهُ : كَمْ أُعْطِيَ عَلَيْهَا . قَالَ : عِشْرِينَ أَلْفًا

٢٥٧ دَخَلَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ فَقَالَ لَهُ : كَبُرْتَ يَا مَعْنُ .
قَالَ : فِي طَاعَتِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : وَإِنَّكَ لَتَتَجَلَّدُ . قَالَ : عَلَى
أَعْدَائِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : وَإِنَّ فِيكَ لَبَقِيَّةً . قَالَ : هِيَ إِلَيْكَ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : أَيُّ الدَّوْلَتَيْنِ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَوْ الْبَضْ . أَدَوْلَتَهُ
أَمْ دَوْلَةَ بَنِي أُمَيَّةَ . قَالَ : ذَلِكَ إِلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . إِنْ زَادَ بَرُّكَ عَلَى
بَرِّهِمْ كَانَتْ دَوْلَتُكَ أَحَبَّ إِلَيَّ . وَإِنْ زَادَ بَرُّهُمْ عَلَى بَرِّكَ كَانَتْ
دَوْلَتُهُمْ أَحَبَّ إِلَيَّ . قَالَ : صَدَقْتَ

٢٥٨ دَخَلَ الْمَأْمُونُ يَوْمًا بَيْتَ الدِّيَّانِ فَرَأَى غُلَامًا جَمِيلًا عَلَى أَذُنِهِ
قَلَمٌ فَقَالَ : مَنْ أَنْتَ يَا غُلَامُ . قَالَ : أَنَا النَّاشِئُ فِي دَوْلَتِكَ . وَالْمُتَلَبُّ
فِي نِعْمَتِكَ . وَالْمُوَمِّلُ لِحُدُودِكَ الْحَسَنُ بْنُ رَجَاءٍ . قَالَ الْمَأْمُونُ :
بِالْإِحْسَانِ فِي الْبِدِيَّةِ تَفَاضَلَتِ الْعُقُولُ . إِرْفَعُوا هَذَا الْغُلَامَ فَوْقَ
مَرَاتِبِهِ

٢٥٩ كَتَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ إِلَى عَلِيلٍ :
نَبِئْتُ أَنَّكَ مُمْتَلٌ فَقَاتُ لَهُمْ نَفْسِي الْقِدَاءُ لَهُ مِنْ كُلِّ مُحْذُورٍ
يَا لَيْتَ عَلَّتَهُ بِي ثُمَّ كَانَ لَهُ أَجْرُ الْعَلِيلِ وَإِنِّي غَيْرُ مَأْجُورٍ
٢٦٠ دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى الْمُتَوَكِّلِ فِي شِكَاةٍ لَهُ يَعُودُهُ فَقَالَ :
اللَّهُ يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِ الْإِمَامِ لَنَا وَكُلْنَا لِمَنَا يَا دُونَهُ عَرَضُ

فَلَيْتَ أَنَّ الَّذِي يَعْرُوهُ مِنْ مَرَضٍ بِالْعَائِدِينَ جَمِيعًا لَا بِهِ الْمَرَضُ
فَبِالْإِمَامِ لَنَا مِنْ غَيْرِنَا عَوْضٌ وَلَيْسَ فِي غَيْرِهِ مِنْهُ لَنَا عَوْضٌ
فَمَا أَكْبَالِي إِذَا مَا نَفْسُهُ سَلِمَتْ لَوْ بَادَ كُلُّ عِبَادِ اللَّهِ وَأَنْتَ رَضُوا
(لابن عبد ربه)

٢٦١ لَمَّا قَدِمَ نَصْرُ بْنُ مَنِيعٍ بَيْنَ يَدَيِ الْأُمَمُونَ وَكَانَ قَدْ أَمَرَ
بِضَرْبِ عُنُقِهِ قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : أَسْتَعِ مَنِي كَلِمَاتٍ أَقُولُهَا . قَالَ :
قُلْ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

زَعَمُوا أَنَّ الصَّقْرَ صَادَفَ مَرَّةً عَصْفُورَ بَرٍّ سَاقَهُ التَّقْدِيرُ
فَتَكَلَّمَ الْعَصْفُورُ تَحْتَ جَنَاحِهِ وَالصَّقْرُ مُنْتَضِئٌ عَلَيْهِ يَطِيرُ
إِنِّي لِإِثْلِكَ لَا أَتَمُّ لِقْمَةً وَلَئِنْ شُوتُ فَإِنِّي لِحَقِيرُ
فَتَهَآوَنَ الصَّقْرُ الْمُدِلُ بِصَيْدِهِ كَرَمًا وَأَفْلَتَ ذَلِكَ الْعَصْفُورُ
فَعَفَا عَنْهُ (لابن خلكان)

الدجاجة المدفونة في بقعة مباركة

٢٦٢ قَالَ الشَّيْبَانِيُّ : نَزَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ إِلَى خِيْمَةِ أَعْرَابِيَةٍ وَلَمَّا
دَجَا جَعَتْ وَقَدْ دَجَنَتْ عِنْدَهَا . فَذَبَحَتْهَا وَجَاءَتْ بِهَا إِلَيْهِ . فَقَالَتْ : يَا أَبَا
جَعْفَرٍ هَذِهِ دَجَا جَعَتْ لِي كُنْتُ أَذْجِنُهَا وَأَعْلِفُهَا مِنْ قُوتِي وَالْمِسْهَا فِي آثَاءِ
الَّلَّيْلِ فَكَأَنَّمَا الْمِسُّ بَنِي زَلَّتْ عَنْ كِبْدِي . فَتَذَرْتُ لِلَّهِ أَنْ أَذْفِنَهَا فِي
أَكْرَمِ بُقْعَةٍ تَكُونُ . فَلَمْ أَجِدْ تِلْكَ الْبُقْعَةَ الْمُبَارَكَةَ إِلَّا بِطْنِكَ . فَأَرَدْتُ
أَنْ أَذْفِنَهَا فِيهِ . فَضَحِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ وَأَمَرَ لَهَا بِخَمْسِمِائَةِ دِرْهَمٍ .

٢٦٣ دَخَلَ عَقِيلٌ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَقَدْ كَفَّ بَصَرَهُ . فَأَجْلَسَهُ مُعَاوِيَةُ عَلَى سَرِيرِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَنْتُمْ مَعْشَرُ بَنِي هَاشِمٍ تُصَابُونَ فِي أَبْصَارِكُمْ . قَالَ : وَأَنْتُمْ مَعْشَرُ بَنِي أُمَيَّةٍ تُصَابُونَ فِي أَبْصَارِكُمْ

٢٦٤ كَانَ بَطْرِيْقُوسُ الْأَخِيرُ مَلِكُ الرُّومِ يَقُولُ : يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ إِذَا أَضْمَحَ أَنْ يَنْظُرَ فِي الْمِرَاةِ فَإِنْ رَأَى وَجْهَهُ حَسَنًا لَمْ يَشْنَهْ بِقُبْحٍ . وَإِنْ رَأَى قُبْحًا لَمْ يَجْمَعْ بَيْنَ قُبْحَيْنِ (ثمرات الاوراق للحموي)

٢٦٥ قَالَ حَسَنٌ : خَرَجْنَا مَعَ ابْنِ الْمُبَارَكِ مُرَابِطِينَ إِلَى الشَّامِ . فَبَيْنَمَا هُوَ يَمْشِي وَأَنَا مَعَهُ فِي أَرْقَةِ الْمُصِصَةِ إِذْ لَقِيَ سَكْرَانٌ قَدْ رَفَعَ عَقِيرَتَهُ يَتَغَنَّى . فَأَخْرَجَ ابْنُ الْمُبَارَكِ بِرَنَاجًا مِنْ كُمِهِ فَكَتَبَ الْبَيْتَ . فَقَالَا لَهُ : أَتَكْتُبُ بَيْتَ شِعْرِ سَمِعْتَهُ مِنْ سَكْرَانٍ . قَالَ : أَمَا سَمِعْتُمْ الْمَثَلَ . رَبُّ جَوْهَرَةٍ فِي مَرْبَلَةٍ : قُلْنَا : نَعَمْ . قَالَ : فَهَذِهِ جَوْهَرَةٌ فِي مَرْبَلَةٍ

٢٦٦ اسْتَأْذَنَ نَصِيبُ بْنُ رِيَّاحٍ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَلَمْ يَأْذِنْ لَهُ فَقَالَ : أَعْلَمُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنِّي قُلْتُ شِعْرًا أَوَّلُهُ الْحَمْدُ لِلَّهِ . فَأَعْلَمُوهُ فَأْذِنَ لَهُ . فَأَدْخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ أَمَّا بَعْدُ يَا عُمَرُ فَقَدْ أَتَيْتُكَ بِكَ الْحَاجَاتِ وَالْقَدَرِ فَأَنْتَ رَأْسُ قُرَيْشٍ وَابْنُ سَيْدِهَا وَالرَّأْسُ فِيهِ يَكُونُ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ فَأَعْرَ لَهُ بِحُلِيَّةٍ سَيْفِهِ (لابن عبد ربه)

٢٦٧ حَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ يُزَيْدٍ قَالَ : كَانَ ثَابِتُ قُطْنَةَ قَدْ وُلِيَ عَمَلًا مِنْ أَعْمَالِ خُرَاسَانَ . فَلَمَّا صَعِدَ الْمُنْبَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ رَامَ الْكَلَامَ فَتَعَدَّرَ

عَلَيْهِ وَحَصَرَ فَقَالَ : سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا وَبَعْدَ عِيٍّ بَيَانًا .

وَأَنْتُمْ إِلَى أَمِيرٍ فَمَالَ أَحْوَجُ مِنْكُمْ إِلَى أَمِيرٍ قَوَالٍ

وَالْأَكْثَرُ فِيكُمْ خَطِيبًا فَإِنِّي بِسَيِّئِي إِذَا جَدَّ الْوَعْيُ لِحَطِيبٍ

فَبَلَغَتْ كَلِمَاتُهُ خَالِدَ بْنَ صَفْوَانَ . (وَيُقَالُ الْأَخْفَ بْنَ قَيْسٍ)

فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا عَلا ذَلِكَ الْمُنْبَرُ أَخْطَبُ مِنْهُ (الْإِغَانِي)

٢٦٨ نَظَرَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ إِلَى فَتَى عَلَى ثِيَابِهِ أَثَرُ مِدَادٍ . فَوَثَبَهُ عَلَى

ذَلِكَ فَقَالَ :

لَا تَجْزَعَنَّ مِنَ الْمِدَادِ فَإِنَّهُ عِطْرُ الرِّجَالِ وَحِلْيَةُ الْكُتَّابِ

فَأَجَابَهُ :

حِمَارُ فِي الْكِتَابَةِ يَدْعِيهَا كَدَعَوَى آلِ حَرْبٍ فِي زِيَادٍ

فَدَعُ عَنْكَ الْكِتَابَةَ لَسْتَ مِنْهَا وَلَوْ لَطَحْتَ نَفْسَكَ بِالسَّوَادِ

٢٦٩ حَدَّثَ الثَّمَالِيُّ قَالَ : تَهَدَّدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعْنٍ أَبَا الْعَتَاهِيَّةِ

وَوَعَفَهُ . فَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ يَهْجُودُ :

أَلَا قُلْ لِابْنِ مَعْنٍ وَالَّذِي مِ فِي أُلُودٍ قَدْ حَالَا

أَلَمْ تَدْرُ بُلَغْتُ مَا قَالَا فَمَا بَالِيَتْ مَا قَالَا

وَلَوْ كَانَ مِنَ الْأَسَدِ لَمَا رَاعَ وَلَا هَالَا

فَصَنَعُ مَا كُنْتَ حَلَيْتَ بِهِ سَيْفَكَ خَلْجَالَا

فَمَا تَصْنَعُ بِالسَّيْفِ إِذَا لَمْ تَكُ قَتَالَا

أَرَى قَوْمَكَ أَبْطَالَا وَقَدْ أَضْبَحْتَ بَطَالَا

قَالَ : فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : مَا لَيْسَتْ السَّيْفُ قَطُّ فَتَحَنِي إِنْ سَأَلَ إِلَّا
قُلْتُ : إِنَّهُ يُحَفِّظُ شِعْرَ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ فِي فَيَنْظُرُ إِلَيَّ بِسَبَبِهِ

(للشراشي)

٢٧٠ حَدَّثَ الْمَدَائِنِيُّ قَالَ : عَيْرَ زِيَادُ الْأَعْجَمِ الْمَغِيرَةُ بْنُ حَبَسَاءَ فِي
مَجَاسِ الْمُهَابِ بِالْبَرْصِ . فَقَالَ لَهُ الْمَغِيرَةُ : إِنَّ عَيْقَ الْخَيْلِ لَا تَشِينُهَا
الْأَوْضَاحُ وَلَا تَعِيرُ بِالْغَرَرِ وَالْحُجُولِ . وَقَدْ قَالَ صَاحِبُنَا بَلْعَا بْنُ قَيْسٍ
لِرَجُلٍ عَيْرُهُ بِالْبَرْصِ : إِنَّمَا أَنَا سَيْفُ اللَّهِ جَلَادُهُ وَأَسْتَلُّهُ عَلَى أَعْدَائِهِ

(الافاني)

٢٧١ قِيلَ لِبَعْضِ الْحَجَّازِينَ وَقَدْ أَقْبَلَ مِنَ الْمَقْبَرَةِ : مِنْ أَيْنَ جِئْتَ .
فَقَالَ : مِنْ هَذِهِ الْقَافِلَةِ النَّازِلَةِ . قِيلَ : مَاذَا قُلْتَ لَهُمْ . قَالَ : قُلْتُ
لَهُمْ مَتَى تَرْحَلُونَ . فَقَالُوا : حِينَ عَلَيْنَا تَهْدُمُونَ (لبهاء الدين)

٢٧٢ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

لِكُلِّ فِتْيٍ خُرُجٍ مِنَ الْعَيْبِ مُمْتَلِ

عَلَى كُفِّهِ مِنْهُ وَمِنْ أَهْلِ دَهْرِهِ

فَعَيْنُ عِيُوبِ النَّاسِ نَضْبُ عِيُونِهِ

وَعَيْنُ عِيُوبِ النَّفْسِ مِنْ خَافِ ظَهْرِهِ

وعند عرقوب

٢٧٣ كَانَ عُرْقُوبٌ وَعَدَ رَجُلًا ثَرًا نَخْلَةً فَلَمَّا أَطْلَعَتْ أَتَاهُ فَقَالَ : دَعَهَا
حَتَّى تُبْلِجَ . فَلَمَّا أَبْلَحَتْ قَالَ : دَعَهَا حَتَّى تُرْهِيَ . فَلَمَّا أَزْهَتْ أَتَاهُ . فَقَالَ :

دَعَا حَتَّى تَرْطِبَ . ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ : دَعَمَا حَتَّى تُثْمِرَ . فَلَمَّا أَثْمَرَتْ عَدَا
عَلَيْهَا الْبَلَاءُ فَجَدَّهَا فَضْرِبَ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْخُلَافِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

مَنْ كَانَ خُلْفَ الْوَعْدِ شَيْئُهُ وَالْفَذْرَ عُرْقُوبُ لَهُ مَثَلُ
٢٧٤ حَدَّثَ أَبُو الْعَالِيَةِ قَالَ : دَخَلَ التَّيْمِيُّ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ
فِي يَوْمٍ عِيدٍ فَأَنشَدَهُ :

أَعْمُرْكَ مَا الْأَشْرَافُ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ وَإِنْ عَظُمُوا لِلْفَضْلِ إِلَّا صَانِعُ
تَرَى عُظَمَاءَ النَّاسِ لِلْفَضْلِ خُشَعًا إِذَا مَا بَدَأَ وَالْفَضْلُ لِلَّهِ خَاشِعُ
تَوَاضَعَ لَمَّا زَادَهُ اللَّهُ رِفْعَةً وَكُلُّ جَلِيلٍ عِنْدَهُ مُتَوَاضِعُ
فَأَمَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ (الْأَغَانِي)

٢٧٥ قَالَ بَعْضُهُمْ مُلَغِزًا فِي اسْمِ عَلِيٍّ :

إِسْمُ الَّذِي تَمَيَّنِي أَوَّلُهُ نَازِحُهُ
إِنْ فَاتَنِي أَوَّلُهُ فَإِنِّي آخِرُهُ

٢٧٦ لِمُجِيرِ الدِّينِ فِي زَهْرِ اللُّوزِ :

أَزْهَرَ اللُّوزُ أَنْتَ لِكُلِّ زَهْرٍ مِنْ الْأَزْهَارِ يَا تَيْنَا إِمَامُ
لَقَدْ حَسُنَتْ بِكَ الْأَيَّامُ حَتَّى كَأَنَّكَ فِي قَمَرِ الدُّنْيَا ابْتِسَامُ

٢٧٧ كَتَبَ بَعْضُهُمْ عَلَى هَدِيَّةٍ وَأَرْسَلَهَا :

يَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الَّذِي عَمَّتْ أَيْادِيهِ الْجَلِيلَةُ
إِقْبَلْ هَدِيَّةً مَنْ يَرَى فِي حَقِّكَ الدُّنْيَا قَلِيلَةً

٢٧٨ قَالَ بَعْضُهُمْ لِابْنِ سَيْنَا : هَلَّا تَسَافَرُ بِحَجْرًا . فَقَالَ :

لَا أَزْكَبُ الْبَجَرَ أَخْشَى عَلَى مِنْهُ الْمَعَاطِبُ
طِينُ أَنَا وَهُوَ مَاءٌ وَالطِّينُ فِي الْمَاءِ ذَائِبٌ

٢٧٩ سَمِعَ رَجُلٌ رَجُلًا يَقُولُ : أَيْنَ الزَّاهِدُونَ فِي الدُّنْيَا . الرَّاعِبُونَ
فِي الْآخِرَةِ . فَقَالَ لَهُ : يَا هَذَا أَقْبَلْ كَلَامَكَ وَضَعْ يَدَكَ عَلَى مَنْ شِئْتَ

٢٨٠ قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ الْقُلُوبِ : إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ : افْتَحُوا أَعْيُنَكُمْ
حَتَّى تُبْصِرُوا . وَأَنَا أَقُولُ : غَمِّضُوا أَعْيُنَكُمْ حَتَّى تُبْصِرُوا

٢٨١ كَانَ فِي زَمَانِ دِيوجَانِسَ الْحَكِيمِ رَجُلٌ مُصَوِّرٌ فَتَرَكَ التَّصْوِيرَ
وَصَارَ طَبِيبًا فَقَالَ لَهُ : أَحْسَنْتَ إِنَّكَ لَمَّا رَأَيْتَ خَطَأَ التَّصْوِيرِ ظَاهِرًا

لِلْعَيْنِ وَخَطَأَ الطِّبِّ يُوَارِيهِ التُّرَابُ تَرَكْتَ التَّصْوِيرَ وَدَخَلْتَ فِي الطِّبِّ
٢٨٢ قَالَ أَبُو تَمَّامٍ يَمْدَحُ قَوْمًا يَجُودُونَ بَأَنْفُسِهِمْ :

يَسْتَعْدِبُونَ مَنَايَاهُمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَبْأَسُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا قُتِلُوا

٢٨٣ وَفَدَّ حَاجِبُ بْنُ زُرَّادَةَ عَلَى أَنُوشَرَوَانَ فَأَمَّا تَأْذِنَ عَلَيْهِ . فَقَالَ

لِلْحَاجِبِ : سَلَهُ مِنْ هُوَ . فَقَالَ : رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ . فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ

يَدَيْهِ قَالَ لَهُ أَنُوشَرَوَانُ : مَنْ أَنْتَ . فَقَالَ : سَيِّدُ الْعَرَبِ . قَالَ :

أَلَيْسَ زَعَمْتَ أَنَّكَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ . فَقَالَ : إِنِّي كُنْتُ كَذَلِكَ . فَلَمَّا

اُكْرِمَنِي الْمَلِكُ بِكَلِمَتِهِ صِرْتُ سَيِّدَهُمْ . فَأَمَرَ بِحُشْوٍ فِيهِ دُرًّا (لِلْعَامِلِي)

٢٨٤ قِيلَ : إِنَّ جَرِيدَ الْفَخْرِ الْعَرَبِ حَيْثُ يَقُولُ :

تَرَى النَّاسَ إِنْ سَرْنَا يَسِيرُونَ خَلْفَنَا

وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَانَا إِلَى النَّاسِ وَقَفُّوا

عين ابصرت بقنعها

٢٨٥ حكي عن بعض الشعراء أنه دخل على بعض الخلفاء فوجده جالسا وإلى جانبه جارية سوداء تدعى خالصة . وعليها من الحلى وأنواع الجواهر والآلاتي ما لا يوصف . فصار الشاعر يمتدحه وهو يسهر عن استماعه . فلما خرج كتب على الباب :

لقد ضاع شعري على بابكم كما ضاع در على خالصة
فقرأه بعض حاشية الخليفة وأخبره به . فغضب لذلك وأمره بإحضار الشاعر . فلما وصل إلى الباب سمع العنين التي في لفظة ضاع . وأحضر بين يديه . فقال له : ما كتبت على الباب . قال :
كتبت

لقد ضاع شعري على بابكم كما ضاع در على خالصة
فأعجبه ذلك وأنعم عليه . وخرج الشاعر وهو يقول : لله درك
من شعر قلعت عيناه فأبصر (للنواحي)

٢٨٦ تفاخر بعضهم على أحد الشعراء . فقال فيه الشاعر :
دهر علا قدر الوضيع به وترى الشريف يحطه شرفه
كالبحر يرسب فيه لؤلؤه سفلا وتعلو فوقه جيفة
قال آخر في هذا المعنى :

لا غرو أن فاق الدني أخا العلاء في ذا الزمان وهل لذلك جاحد
فالدهر كالميزان يرفع كل ما هو ناقص ويحط ما هو زائد

الفلاح الحكيم

٢٨٧ قِيلَ : وَقَفَ كِسْرَى عَلَى فَلَاحٍ يَبْرُسُ نَحْلًا وَقَدْ طَعَنَ فِي السِّنِّ .
 فَقَالَ لَهُ كِسْرَى مُتَعَجِّبًا مِنْهُ : أَيُّهَا الشَّيْخُ أَتُؤْمِلُ أَنْ تَأْكُلَ مِنْ ثَمَرِ هَذَا
 النَّحْلِ وَهُوَ لَا يَحْمِلُ إِلَّا بَعْدَ سِنِينَ كَثِيرَةٍ . وَأَنْتَ قَدْ فَنَيْتَ عُمْرَكَ .
 فَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ غَرَسُوا وَأَكَلْنَا وَغَرَسْنَا فَيَا كَلُونَ . فَقَالَ مُتَعَجِّبًا مِنْ
 كَلَامِهِ : زِدْ . وَأَعْطَى الْفَلَاحَ أَلْفَ دِينَارٍ فَأَخَذَهَا وَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ
 مَا أَعْجَلَ مَا أَثْمَرَ هَذَا النَّحْلُ . فَاسْتَحْسَنَ كِسْرَى ذَلِكَ وَقَالَ : زِدْ .
 فَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِينَارٍ أُخْرَى . فَأَخَذَهَا وَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ وَأَعْجَبُ مِنْ كُلِّ
 شَيْءٍ أَنَّ النَّحْلَ أَثْمَرَ السَّنَةَ مَرَّتَيْنِ . فَاسْتَحْسَنَ كِسْرَى ذَلِكَ وَقَالَ :
 زِدْ . فَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِينَارٍ أُخْرَى ثُمَّ تَرَكَهُ وَأَنْصَرَفَ (اللاتيدي)

عفو معن بن زائدة عن أسراه

٢٨٨ قِيلَ : إِنَّ مَعْنًا قَبَضَ عَلَى عِدَّةٍ مِنَ الْأَسْرَى فَعَرَضَهُمْ عَلَى
 السَّيْفِ . فَأَتَتْهُ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ وَقَالَ لَهُ : أَضْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ لَا تَجْمَعُ
 عَلَيْنَا بَيْنَ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ ثُمَّ الْقَتْلِ . فَوَاللَّهِ إِنْ كَرَّمَ الْأَمِيرُ يُبْعِدُ
 عَنْ ذَلِكَ . فَأَمَرَ لَهُمْ حِينَئِذٍ بِطَعَامٍ وَشَرَابٍ . فَأَكَلُوا وَشَرَبُوا وَمَعْنُ
 يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ . فَلَمَّا فَرَّغُوا مِنْ أَكْلِهِمْ قَالُوا لَهُ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ أَطَالَ
 اللَّهُ بِقَاءَكَ إِنَّمَا قَدْ كُنَّا أَسْرَاكَ وَالْآنَ صِرْنَا ضُيُوفَكَ . فَأَنْظِرْ كَيْفَ
 تَصْنَعُ بِضُيُوفِكَ . فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ لَهُمْ مَعْنُ : قَدْ عَفَوْتُ عَنْكُمْ . فَقَالَ
 لَهُ أَحَدُهُمْ : وَاللَّهِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنْ عِنْدَنَا عَفْوُكَ عَنَّا أَشْرَفُ مِنْ يَوْمِ

ظَفَرِكَ يَا . فَسَّرَ مَعْنَاهُ هَذَا الْكَلَامُ وَأَمَرَ لِكُلِّ مِنْهُمْ بِكُسُوفٍ وَمَالٍ
(لَا بَنَ عَبْدِ رَبِّهِ)

٢٨٩ . لَمَّا قُتِلَ الْوَزِيرُ نِظَامُ الْمَلِكِ أَكْثَرَ الشُّعْرَاءِ مِنَ الْمُرَائِي فِيهِ . فَمِنْ
ذَلِكَ قَوْلُ شَيْبِ الدَّوْلَةِ مُقَاتِلِ بْنِ عَطِيَّةَ :

كَانَ الْوَزِيرُ نِظَامُ الْمَلِكِ جَوْهَرَةً

مَكْنُونَةً صَاغَهَا الْبَارِي مِنَ الشَّرَفِ

جَاءَتْ فَلَمْ تَعْرِفِ الْأَيَّامُ قِيَمَتَهَا

فَرَدَّهَا غَيْرَةً مِنْهُ إِلَى الصَّدَفِ

الْمُتَنِّي وَانْكَتَابَ

٢٩٠ . مِنْ أَرْقِي دَا حَكِي أَنَّ الْمُتَنِّيَ أُمْتَدَحَ بَعْضَ أَعْدَاءِ صَاحِبِ
مَمْلَكَتِهِ . فَبَلَغَهُ ذَلِكَ فَتَوَعَّدَ الْمُتَنِّيَ بِالْقَتْلِ . فَخَرَجَ هَارِبًا ثُمَّ اخْتَفَى
مُدَّةً . فَأَخْبَرَ الْمَلِكُ أَنَّهُ يَبْلُدُهُ كَذًا . فَقَالَ الْمَلِكُ لِكَاتِبِهِ : اكْتُبْ لِلْمُتَنِّي
كِتَابًا وَاطْفِ لَهُ الْعِبَارَةَ . وَاسْتَعْطَفَ خَاطِرُهُ وَأَخْبَرَهُ أَنِّي رَضِيتُ
عَنَّهُ . وَأَمَرَهُ بِالرُّجُوعِ إِلَيْنَا . فَإِذَا جَاءَ إِلَيْنَا فَعَلْنَا بِهِ مَا زِيدُ . وَكَانَ بَيْنَ
الْكَاتِبِ وَالْمُتَنِّيِ مُصَادَقَةٌ فِي السِّرِّ . فَلَمْ يَسْمَعْ الْكَاتِبُ إِلَّا الْأُمْتِثَالَ .
فَكَتَبَ كِتَابًا وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَدُسَّ فِيهِ شَيْئًا خَوْفًا مِنَ الْمَلِكِ لِأَنَّهُ يَقْرَأُ
قَبْلَ خَتْمِهِ . غَيْرَ أَنَّهُ لَمَّا انْتَهَى إِلَى آخِرِهِ وَكَتَبَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى شَدَّدَ
النُّونَ (إِنْ) . وَقَرَأَهُ السُّلْطَانُ وَخَتَمَهُ وَبَعَثَ بِهِ إِلَى الْمُتَنِّي . فَلَمَّا وَصَلَ
إِلَيْهِ وَرَأَى تَشْدِيدَ النُّونِ ارْتَحَلَ مِنْ تِلْكَ الْبَلَدَةِ عَلَى الْقَوْرِ . فَقِيلَ لَهُ

فِي ذَلِكَ . فَقَالَ : أَشَارَ الْكَاتِبُ بِتَشْدِيدِ التَّوْنِ إِلَى مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ :
 إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَأْتُرُونَ بِكَ لِيُقْتُلُوكَ . فَأَخْرَجَ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ .
 فَأَنْظِرْ إِلَى بُلُوغِ هَذَا الْفَرَضِ بِالطَّفِ عِبَارَةً . وَيُحْكِي أَنَّ الْمُتَنَبِّيَّ
 كَتَبَ الْجَوَابَ وَزَادَ الْفَقَاهُ فِي آخِرِ لَفْظَةٍ إِنَّ إِشَارَةً إِلَى مَا قِيلَ : إِنَّا لَنَنْ
 نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا (لِلنَّوَاجِي)

٢٩١ قَالَ بَعْضُهُمْ مَأْغِزًا فِي النَّارِ :

وَأَكَلَةً يَغِيرُ فَمِ وَبَطْنِ لَهَا الْأَشْجَارُ وَالْحَيَوَانُ قُوتُ
 فَمَا أَطْعَمَتْهَا أَنْتَعَشَتْ وَعَاشَتْ وَلَوْ أَسْقَيْتَهَا مَاءً ثَمُوتُ
 ٢٩٢ وَقَالَ آخَرُ مَلْغِزًا فِي بَجْعِ :

مَا طَارَ فِي قَلْبِهِ يَلُوحُ لِلنَّاسِ عَجَبُ
 مِنْقَارُهُ فِي رَأْسِهِ وَالْعَيْنُ مِنْهُ فِي الذَّنْبِ

٢٩٣ رَأَى أَبُو الْمَعْمَارِ أَمِيرًا جَارًا يُصَلِّي فَقَالَ :

قَدْ بَلَّيْنَا بِأَمِيرٍ ظَلَمَ النَّاسَ وَسَجَّ
 فَهُوَ كَالْجَزَارِ فِيهِمْ يَذْكُرُ اللَّهَ وَيَذْبَحُ

٣٩٤ قَالَ عَبْدُ الْحَكَمِ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ فِي رَجُلٍ وَجِبَ عَلَيْهِ الْقَتْلُ .
 فَرَمَاهُ مُسْتَوِي الْقِصَاصِ بِسَهْمٍ فَأَصَابَ كَعْبِدَهُ فَقَتَلَهُ . فَقَالَ عَبْدُ
 الْحَكَمِ :

أَخْرَجْتَ مِنْ كَيْدِ الْقَوْسِ أُنْبَاهَا فَعَدَّتْ

تَيْنُ وَالْأُمُّ قَدْ تَحْنُو عَلَى الْوَلَدِ

وَمَا دَرْتُ أَنَّهُ لَمَّا رَمَيْتَ بِهِ

مَا سَارَ مِنْ كَيْدٍ إِلَّا إِلَى كَيْدٍ

٢٩٥ كَانَ الْوَزِيرُ صَفِي الدِّينِ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ شَكْرِ وَزِيرَ الْمَلِكِ الْعَادِلِ
ابْنِ أَيُّوبَ بِمِصْرَ . فَقَرَأَ عَبْدُ الْحَكَمِ الْمَذْكُورَ عَنْ خُطَابَةِ جَامِعِ
مِصْرَ . فَكُتِبَ إِلَيْهِ :

فَلَا تَبِ بَابٍ غَيْرِ بَابِكَ أَرْجِعْ وَبَايَ جُودٍ غَيْرِ جُودِكَ أَطْمَعْ
سُدَّتْ عَلَيَّ مَسَالِكِي وَمَذَاهِبِي إِلَّا إِلَيْكَ فَدَأْنِي مَا أَصْنَعُ
فَكَاثَمَا الْأَبْوَابُ بِبَابِكَ وَحَدَهُ وَكَأَنَّمَا أَنْتَ الْحَلِيقَةُ أَجْمَعُ

ذَكَاءُ الْمَأْمُونِ

٢٩٦ حَكِي أَنْ أُمَّ جَعْفَرٍ عَاتَبَتْ الرَّشِيدَ فِي تَقْرِيطِهِ لِلْمَأْمُونِ دُونَ
الْأَمِينِ وَلَدِهَا . فَدَعَا خَادِمًا وَقَالَ لَهُ : وَجِّهْ إِلَى الْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ
خَادِمًا يَقُولُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى الْخَلْوَةِ : مَا تَفْعَلُ لِي إِذَا أَفْضَتِ
الْخِلَافَةُ إِلَيْكَ . فَأَمَّا الْأَمِينُ فَقَالَ لِلْخَادِمِ : أَقْطَعُكَ وَأَعْطِيكَ . وَأَمَّا
الْمَأْمُونُ فَإِنَّهُ قَامَ إِلَى الْخَادِمِ بِدَوَاةٍ كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ : أَتَسْأَلُنِي
عَمَّا أَفْعَلُ بِكَ يَوْمَ يَمُوتُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . وَخَلِيفَةُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . إِنِّي
لَأَرْجُو أَنْ نَكُونَ جَمِيعًا فِدَاءً لَهُ . فَقَالَ الرَّشِيدُ لِأُمِّ جَعْفَرٍ : كَيْفَ
تَرَيْنَ . فَسَكَتَتْ عَنِ الْجَوَابِ (الابن خلكان)

٢٩٧ لَمَّا قُتِلَ ذُو الرِّئَاسَتَيْنِ دَخَلَ الْمَأْمُونُ عَلَى أُمِّهِ فَقَالَ : لَا تَحْزَنِي
فَإِنِّي أَبْنُكَ بَعْدَ أَبْنِكَ . فَقَالَتْ : أَفَلَا أَبْنِي عَلَى ابْنِ أَكْسَبَنِي أَبْنًا وَمَلَاكَ

٢٩٨ نَظَرَ رَجُلٌ مِنَ الْخُذَّاقِ إِلَى رَجُلٍ مِنْ جُهَالِ النَّاسِ عَلَيْهِ ثِيَابٌ
حَسَنَةٌ وَيَتَكَلَّمُ وَيَلْعَنُ . فَقَالَ لَهُ : تَكَلَّمْ عَلَى قَدْرِ ثِيَابِكَ . أَوْ أَلْبَسْ عَلَى
قَدْرِ كَلَامِكَ (النفيرواني)

٢٩٩ وَصَفَ بَعْضُ النَّبَلَاءِ بِخِيَالٍ فَقَالَ : هُوَ جَامٌ أَيْ مِقْصٌ . مِنْ
حَيْثُ جِئْتُهُ وَجَدْتَهُ لَا (الكنز المدفون)

٣٠٠ دَخَلَ طَيْبٌ عَلَى عَلِيٍّ فَقَالَ لَهُ : أَنَا وَأَنْتَ وَالْعِلَّةُ ثَلَاثَةٌ
فَإِنْ أَعْنَتْنِي عَلَيْهَا بِالْقَبُولِ مِنِّي صِرْنَا أَثْنَيْنِ وَأَنْفَرَدْتَ الْعِلَّةُ فَتَوَيْنَا
عَلَيْهَا (الملل والنحل للشهرستاني)

٣٠١ كَانَ الْمَلِكُ الْكَامِلُ قَدْ تَغَيَّرَ عَلَى بَعْضِ إِخْوَتِهِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ
الصَّلَاحُ وَزَيْدٌ مُسْتَشْفِعًا :

مِنْ شَرِطِ صَاحِبٍ مُضِرٍّ أَنْ يَكُونَ كَمَا
قَدْ كَانَ يُوسُفُ فِي الْحُسْنَى لِإِخْوَتِهِ
سَاوُوا فَقَالَ لَهُمْ بِالْعَفْوِ وَأَفْتَتَرُوا
فَبَرَّهْمُ وَقَوْلَاهُمْ بِرَحْمَتِهِ

عبد الملك بن مروان والحجاج

٣٠٢ أَمَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ أَنْ يَعْمَلَ بَابَ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ فَيُكْتَبَ
عَلَيْهِ اسْمُهُ . وَسَأَلَهُ الْحَجَّاجُ أَنْ يَعْمَلَ لَهُ بَابًا . فَأَذِنَ لَهُ فَأَتَذَقَ أَنْ صَاعِقَةً
وَقَعَتْ فَأَحْتَرَقَ مِنْهَا رَأْسُ عَبْدِ الْمَلِكِ . وَبَقِيَ بَابُ الْحَجَّاجِ فَعَظُمَ ذَلِكَ
عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ . فَكَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَيْهِ : بَلَّغْنِي أَنَّ نَارًا نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ

فَأَحْرَقَتْ بَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَمْ تُحْرِقْ بَابَ الْحُجَّاجِ . وَمَا مَثَلُنَا فِي ذَلِكَ إِلَّا كَمَثَلِ ابْنِ آدَمَ إِذَا قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ . فَسَرَى عَنْهُ مَا وَقَفَ عَلَيْهِ

٣٠٣ رَوَى الْحَافِظُ الْحَمِيدِيُّ لِأَبِي مُحَمَّدٍ عَلِيِّ الْأُمَوِيِّ فِي الْإِفْتِرَاقِ :

إِنْ كَانَتْ الْأَبْدَانُ نَائِيَةً فَنفُوسُ أَهْلِ الظَّرْفِ تَأْتِلُ
يَا رَبِّ مُفْتَرِقَيْنِ قَدْ جَمَعْتَ قَلْبَهُمَا الْأَقْلَامُ وَالصُّحُفُ

٣٠٤ مِنْ شِعْرِ ابْنِ مَسْهَرٍ كَتَبَهُ إِلَى بَعْضِ الرُّسَاءِ فِي عِلَّةٍ :

وَلَمَّا أَشْتَكَيْتَ أَشْتَكَى كُلُّ مَا عَلَى الْأَرْضِ وَأَعْتَلَّ شَرْقٌ وَغَرْبٌ
لَأَنَّكَ قَلْبُ الْجِسْمِ الزَّمَانِ وَمَا صَحَّ جِسْمٌ إِذَا أَعْتَلَّ قَلْبُ

٣٠٥ قَالَ أَبُو الْيَمُونِ الْمُبَارَكُ الْكِنَانِيُّ فِي الْبَرَاغِيثِ :

وَمَعَشَرَ يَسْتَعْمِلُ النَّاسُ قَتْلَهُمْ كَمَا اسْتَحْلَوْا دَمَ الْحُجَّاجِ فِي الْحَرَمِ
إِذَا سَفَكْتَ دَمًا مِنْهَا فَمَا سَفَكْتَ يَدَايَ مِنْ دَمِهَا الْمُسْفُوكِ غَيْرَ دَمِي

٣٠٦ كَلَّمَ الشَّعْبِيُّ عُمَرَ بْنَ هُبَيْرَةَ الْفَزَارِيَّ أَمِيرَ الْعِرَاقِيِّينَ فِي قَوْمٍ

حَبَسَهُمْ لِطَلْقِهِمْ فَأَبَى . فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنْ حَبَسْتَهُمْ بِالْبَاطِلِ
فَالْحَقُّ يُخْرِجُهُمْ . وَإِنْ حَبَسْتَهُمْ بِالْحَقِّ فَالْعَنُوتُ يَسْعُهُمْ . فَأُطْلِقَهُمْ

(لَا بَنَ خَلَّكَانَ)

٣٠٧ لَمَّا بَنَى مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ أَنْ قَصْرَهُ حِيَالَ قَصْرِ الْمَأْمُونِ قِيلَ لَهُ : يَا أَمِيرَ

الْمُؤْمِنِينَ بَارَكَ وَبَاهَاكَ . فَدَعَاهُ وَقَالَ : لِمَ بَنَيْتَ هَذَا الْقَصْرَ حِذَائِي .

قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحْيَيْتُ أَنْ تَرَى نِعْمَتَكَ عَلَى فِجَعَاتِهِ نَصَبَ

عَيْنِكَ . فَاسْتَحْسَنَ الْمَأْمُونُ جَوَابَهُ وَعَفَا عَنْهُ (للمستعصي)

ان للعالم خاتماً

٣٠٨ حَكِي أَنْ دَهْرِيًّا جَاءَ إِلَى هَارُونَ الرَّشِيدِ وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ اتَّفَقَ عُلَمَاءُ عَصْرِكَ مِثْلُ أَبِي حَنِيفَةَ عَلَى أَنَّ لِلْعَالَمِ صَانِعًا . فَمَنْ كَانَ فَاضِلًا مِنْ هَؤُلَاءِ فَأَمَرَهُ أَنْ يَخْضُرَ هَهُنَا حَتَّى أَنْبَحَ مَعَهُ بَيْنَ يَدَيْكَ وَأُثِبَتْ أَنَّهُ لَيْسَ لِلْعَالَمِ صَانِعٌ . فَأَرْسَلَ هَارُونَ الرَّشِيدُ إِلَى أَبِي حَنِيفَةَ لِأَنَّهُ كَانَ أَفْضَلَ الْعُلَمَاءِ . وَقَالَ : يَا إِمَامَ الْمُسْلِمِينَ أَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ إِلَيْنَا الدَّهْرِيُّ وَهُوَ يَدَّعِي نَفِي الصَّانِعِ وَيَدْعُوكَ إِلَى الْمُنَظَرَةِ . فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : أَذْهَبُ بَعْدَ الظَّهِيرِ . فَجَاءَ رَسُولُ الْخَلِيفَةِ وَأَخْبَرَ بِمَا قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ . فَأَرْسَلَ ثَانِيًا . فَقَامَ أَبُو حَنِيفَةَ وَاتَى إِلَى هَارُونَ الرَّشِيدِ . فَاسْتَقْبَلَهُ هَارُونُ وَجَاءَ بِهِ وَأَجَاسَهُ فِي الصَّدْرِ وَقَدْ اجْتَمَعَ الْأَكْبَابُ وَالْأَعْيَانُ . فَقَالَ الدَّهْرِيُّ : يَا أَبَا حَنِيفَةَ لِمَ أَبْطَأْتَ فِي مَجِيئِكَ . فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : قَدْ حَصَلَ لِي أَمْرٌ عَجِيبٌ فَلِذَلِكَ أَبْطَأْتُ . وَذَلِكَ أَنَّ بَيْتِي وَرَاءَ دِجْلَةٍ . فَخَرَجْتُ مِنْ مَنْزِلِي وَجِئْتُ إِلَى جَنْبِ دِجْلَةٍ حَتَّى أَغْبَرَهَا فَرَأَيْتُ بِجَنْبِ دِجْلَةٍ سَفِينَةً عَتِيقَةً مُقَطَّعَةً قَدْ اقْتَرَبَ الْوُاحِيَا . فَلَمَّا وَقَعَ بِصَرِي عَلَيْهَا اضْطَرَبَتِ الْأَلْوَاحُ وَتَحَرَّكَتْ وَاجْتَمَعَتْ وَتَوَصَّلَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَصَارَتِ السَّفِينَةُ صَحِيحَةً بِلَا تَجَارَ وَلَا عَمَلٍ عَامِلٍ . فَقَعَدْتُ عَلَيْهَا وَعَبَرْتُ الْمَاءَ وَجِئْتُ هَهُنَا . فَقَالَ الدَّهْرِيُّ : اسْتَمِعُوا أَيُّهَا الْأَعْيَانُ مَا يَقُولُ إِمَامُكُمْ وَأَفْضَلُ زَمَانِكُمْ .

فَهَلْ سَمِعْتُمْ كَلَامًا أَكْذَبَ مِنْ هَذَا كَيْفَ تَحْصُلُ السَّفِينَةُ الْمَكْسُورَةُ
 بِإِلَّا عَمَلِ تِجَارٍ فَهُوَ كَذِبٌ تَحْضُ قَدْ ظَهَرَ مِنْ أَفْضَلِ عُلَمَائِكُمْ . فَقَالَ
 أَبُو حَنِيفَةَ : أَيُّهَا الْكَافِرُ الْمُطْلَقُ إِذَا لَمْ تَحْصُلِ السَّفِينَةُ بِإِلَّا صَانِعٍ
 وَتِجَارٍ فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَحْصُلَ هَذَا الْعَالَمُ مِنْ غَيْرِ صَانِعٍ أَمْ كَيْفَ تَقُولُ
 بَعْدَ الصَّانِعِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ الرَّشِيدُ بِضَرْبِ عُنُقِ الدَّهْرِيِّ فَقَتَلُوهُ
 (للسيوطي)

الْبَابُ الثَّامِنُ فِي الْحِكَايَاتِ

٣٠٩ قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ الْإِسْكَانْدَرِ إِنَّهُ دَعَاهُمْ فَلَكِي لَيْلَةً لِيُرِيَهُمُ
 النُّجُومَ وَيُعْرِفَهُمْ خَوَاصَّهَا وَأَحْوَالَ سَيْرِهَا . فَأَذْخَاهُمْ إِلَى بُسْتَانٍ وَجَعَلَ
 يَمْشِي مَعَهُمْ وَيُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَيْهَا حَتَّى سَقَطَ فِي بُئْرِ هُنَاكَ . فَقَالَ : مَنْ
 تَعَاصَى عِلْمَ مَا فَوْقَهُ بُلِي بِجَهْلٍ مَا تَحْتَهُ (لبهاء الدين)

٣١٠ حُكِيَ أَنَّ رَجُلًا انْكَسَرَتْ بِهِ السَّفِينَةُ فِي الْبَحْرِ فَوَقَعَ إِلَى جَزِيرَةٍ .
 فَعَمِلَ شَكْلًا هِنْدِسِيًّا عَلَى الْأَرْضِ فَرَأَاهُ بَعْضُ أَهْلِ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ
 فَذَهَبُوا بِهِ إِلَى الْمَلِكِ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَكَرَّمَهُ مَثْوَاهُ وَكَتَبَ الْمَلِكُ إِلَى سَائِرِ
 مَمَالِكِهِ : أَيُّهَا النَّاسُ اقْتَنُوا مَا إِذَا كُفِرْتُمْ فِي الْبَحْرِ صَارَ مَعَكُمْ
 (تاريخ الحكماء للشهرزوري)

بزرجمهر في حبسه

٣١١ سَخَطَ كِسْرَى عَلَى بَزْرَجْمَهَرٍ فَحَبَسَهُ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ وَأَمَرَ أَنْ يُصَنَّدَ بِالْحَدِيدِ فَبَقِيَ أَيَّامًا عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مَنْ يَسْأَلُهُ عَنْ حَالِهِ فَإِذَا هُوَ مُشْرُوحُ الصَّدْرِ مُطْمَئِنُّ النَّفْسِ فَقَالُوا لَهُ : أَنْتَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ مِنَ الضِّيقِ وَتَرَكَ نَاعِمَ الْبَالِ . فَقَالَ : أَصْطَلَمْتُ سِتَّةَ أَخْلَاطٍ وَعَجَّزْتُهَا وَأَسْتَعْمَلْتُهَا فَهِيَ الَّتِي أَبْقَيْتَنِي عَلَى مَا تَرَوْنَ . قَالُوا : صِفْ لَنَا هَذِهِ الْأَخْلَاطَ لَعَلَّنَا نَنْتَفِعُ بِهَا عِنْدَ الْبُلُوَى فَقَالَ : نَعَمْ . أَمَّا الْخِلَاطُ الْأَوَّلُ فَالثِّقَةُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَأَمَّا الثَّانِي فَكُلُّ مَا شَاءَ اللَّهُ كَائِنْ . وَأَمَّا الثَّالِثُ فَالصَّبْرُ خَيْرٌ مَا اسْتَعْمَلْتَهُ الْمُتَمَحِّنُ . وَأَمَّا الرَّابِعُ فَإِذَا لَمْ أَصْبِرْ فَمَاذَا أَصْنَعُ وَلَا أَعِينُ عَلَيَّ نَذْسِي بِالْجَزَعِ . وَأَمَّا الْخَامِسُ فَقَدْ يَكُونُ أَشَدَّ مِمَّا أَنَا فِيهِ . وَأَمَّا السَّادِسُ فَمِنْ سَاعَةٍ إِلَى سَاعَةٍ فَرَجٌ . فَلَبَّغَ مَا قَالَهُ كِسْرَى . فَأُطْلِقَهُ وَأَعَزَّهُ .

٣١٢ كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَاقِفًا مَعَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَيَّامَ خِلَافَتِهِ فَسَمِعَ صَوْتَ رَعْدٍ فَفَزِعَ سُلَيْمَانُ مِنْهُ وَوَضَعَ صَدْرَهُ عَلَى مُقَدِّمِ رَحْلِهِ . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : هَذَا صَوْتُ رَحْمَتِهِ فَكَيْفَ صَوْتُ عَذَابِهِ

المدعو الى الولية والسائل

٣١٣ دَعَا رَجُلٌ آخَرَ إِلَى مَنْزِلِهِ وَقَالَ : إِنَّا كُلُّ مَعَكَ خُبْرًا وَمِلْحًا . فَظَنَّ الرَّجُلُ أَنَّ ذَلِكَ كِنَايَةٌ عَنْ طَعَامٍ أَطِيفٍ لَذِيذٍ أَعَدَّهُ صَاحِبُ الْمَنْزِلِ . فَمَضَى مَعَهُ فَلَمْ يَزِدْ عَلَى الْخُبْزِ وَالْمِلْحِ . فَبَيْنَاهُمَا يَأْكُلَانِ إِذْ وَقَفَ

بِالْبَابِ سَائِلٌ . فَهَرَهُ صَاحِبُ الْمَنْزِلِ مَرَارًا فَلَمْ يَنْزَجِرْ . فَقَالَ لَهُ :
 أَذْهَبُ وَإِلَّا خَرَجْتُ وَكَسَرْتُ رَأْسَكَ . فَقَالَ الْمُدْعُو : يَا هَذَا
 أَنْصَرِفْ فَإِنَّكَ لَوْ عَرَفْتَ مِنْ صِدْقٍ وَعَيْدِهِ مَا عَرَفْتَ مِنْ صِدْقٍ
 وَعَيْدِهِ مَا تَعَرَّضْتَ لَهُ

علي بن أبي رافع وابنة علي بن أبي طالب

٣١٤ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي رَافِعٍ . قَالَ : كُنْتُ عَلَى بَيْتِ مَالِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي
 طَالِبٍ وَكَاتِبُهُ . فَكَانَ فِي بَيْتِ مَالِهِ عَقْدٌ لَوْلُو كَانَ أَصَابَهُ يَوْمَ
 الْبَصْرَةِ فَأَرْسَلْتُ إِلَى بِنْتِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَتْ لِي : إِنَّهُ قَدْ
 بَلَغَنِي أَنَّ فِي بَيْتِ مَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَقْدٌ لَوْلُو . وَهُوَ فِي يَدِكَ وَأَنَا
 أَحِبُّ أَنْ تُعِيرَنِيهِ أَتَجَمَّلُ بِهِ فِي يَوْمٍ الْأَضْحَى . فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهَا : عَارِيَّةٌ
 مَضْمُونَةٌ مَرْدُودَةٌ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَا بِنْتَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَتْ : نَعَمْ
 عَارِيَّةٌ مَضْمُونَةٌ مَرْدُودَةٌ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ . فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا وَإِذَا أَمِيرُ
 الْمُؤْمِنِينَ رَأَاهُ عَلَيْهَا فَعَرَفَهُ . فَقَالَ لَهَا : مِنْ أَيْنَ جَاءَ إِلَيْكَ هَذَا الْعَقْدُ .
 فَقَالَتْ : اسْتَعْرَيْتُهُ مِنْ ابْنِ أَبِي رَافِعٍ خَازِنِ بَيْتِ مَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 لِأَتَرِينَ بِهِ فِي الْعِيدِ ثُمَّ أَرَدَهُ . فَبِعْتُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَحَبَّتُهُ فَقَالَ لِي :
 أَتُخَوِّنُ الْمُسْلِمِينَ يَا ابْنَ أَبِي رَافِعٍ . فَقُلْتُ : مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أَخُونَ الْمُسْلِمِينَ .
 فَقَالَ : كَيْفَ أَعَرْتَ بِنْتَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْعَقْدَ الَّذِي فِي بَيْتِ مَالِ
 الْمُسْلِمِينَ بَعِيرٍ إِذْنِي وَرِضَاهُمْ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهَا بِنْتُكَ
 وَسَأَلْتَنِي أَنْ أُعِيرَهَا تَتَرِينَ بِهِ . فَأَعَرْتُهَا إِيَّاهُ عَارِيَّةً مَضْمُونَةً مَرْدُودَةً

عَلَى أَنْ تَرُدَّهُ سَالِمًا إِلَى مَوْضِعِهِ . فَقَالَ : رُدَّهُ مِنْ يَوْمِكَ وَإِيَّاكَ أَنْ
تَعُودَ إِلَى مِثْلِهِ فَتَنَالَكَ عُقُوبَتِي . ثُمَّ قَالَ : وَيْلٌ لِي بَنَاتِي . لَوْ كَانَتْ أَخَذَتْ
الْعِقْدَ عَلَى غَيْرِ عَارِيَّةٍ مَرْدُودَةٍ مَضْمُونَةٍ لَكَانَتْ إِذْنُ أَوَّلِ هَائِثِيَّةٍ قَطَعَتْ
يَدَهَا فِي سَرِقَةٍ . فَبَلَغَتْ مَقَالَتَهُ أَبْنَتَهُ فَقَالَتْ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَا
أَبْنَتُكَ وَبَضْعَةٌ مِنْكَ فَمَنْ أَحَقُّ بِأَبْسِهِ مِنِّي . فَقَالَ لَهَا : يَا بِنْتَ ابْنِ أَبِي
طَابٍ لَا تَذْهَبِي بِنَفْسِكَ عَنْ الْحَقِّ . أَكُلُ نِسَاءِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ
يَتَرَتَّبُ فِي مِثْلِ هَذَا الْعَيْدِ بِمِثْلِ هَذَا . فَتَبَضَّضَهُ مِنْهَا وَرَدَدَتْهُ إِلَى
مَوْضِعِهِ

(إلهاء الدين)

الحلاوة المدخرة

٣١٥ حَدَّثَ عَنِ الْوَزِيرِ مُوَيْدِ الدِّينِ الْقُتَيْبِيِّ مَمْلُوكُهُ بِدُرِّ الدِّينِ أَرَارُ
قَالَ : طَلَبَ أَيْلَةً مِنَ الْأَيَالِي حَلَاوَةَ النَّبَاتِ فَعَمِلَ فِي الْحَالِ مِنْهَا صُحُونُ
كَثِيرَةً وَأَحْضَرَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي تِلْكَ الْأَيْلَةِ . فَقَالَ لِي : يَا أَرَارُ أَتَتَدَبَّرُ
أَنْ تَذْخَرَ هَذِهِ الْحَلَاوَةَ لِي مُوفَّرَةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . فَقُلْتُ : يَا مَوْلَانَا
وَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ وَهَلْ يُمْكِنُ هَذَا . قَالَ : نَعَمْ . تَتَخَيَّرُ فِي هَذِهِ
السَّاعَةِ إِلَى مَشْهَدِ مُوسَى وَالْجَوَادِ . تَضَعُ هَذِهِ الْأَصْحُنَّ قُدَّامَ أَيْتَامِ
الْمَلُوكِ فَإِنَّهَا تُدْخَرُ لِي مُوفَّرَةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . قَالَ أَرَارُ : فَقُلْتُ :
السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَمَضَيْتُ وَكَانَ نِصْفُ اللَّيْلِ إِلَى الْمَشْهَدِ وَفَتَحَتْ
الْأَبْوَابَ وَنَهَبَتْ الصِّبْيَانِ الْأَيْتَامَ وَوَضَعَتْ الْأَصْحُنَّ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَرَجَعَتْ

(للفخري)

بهرم جور والراعي

٣١٦ حكى أَنَّ الْمَلِكَ بَهْرَامَ جُورَ خَرَجَ يَوْمًا لِلصَّيْدِ فَظَهَرَ لَهُ حِمَارٌ وَحَشٍ فَاتَّبَعَهُ حَتَّى خَفِيَ عَنْ عَسْكَرِهِ . فَظَفِرَ بِهِ فَمَسَكَهُ . وَنَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ يُرِيدُ أَنْ يَذْبَحَهُ . فَرَأَى رَاعِيًا أَقْبَلَ مِنَ الْبَرِّيَّةِ فَقَالَ لَهُ : يَا رَاعِي أَمْسِكْ فَرَسِي هَذَا حَتَّى أَذْبَحَ هَذَا الْحِمَارَ فَمَسَكَهُ ثُمَّ تَشَاغَلَ بِذَبْحِ الْحِمَارِ . فَلَاَحَتْ مِنْهُ الْتِفَاتُهُ فَرَأَى الرَّاعِيَّ يَقْطَعُ جَوْهَرَةً فِي عِذَارِ فَرَسِهِ . فَأَعْرَضَ الْمَلِكُ عَنْهُ حَتَّى أَخَذَهَا وَقَالَ : إِنَّ النَّظَرَ إِلَى الْعَيْبِ مِنَ الْعَيْبِ . ثُمَّ رَكِبَ فَرَسَهُ وَلَحِقَ بِعَسْكَرِهِ . فَقَالَ لَهُ الْوَزِيرُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ السَّعِيدُ أَيْنَ جَوْهَرَةُ عِذَارِ فَرَسِكَ فَتَسَمَّ الْمَلِكُ . ثُمَّ قَالَ : أَخَذَهَا مَنْ لَا يَرُدُّهَا وَأَبْصَرَ مَنْ لَا يَنْبَغُ عَلَيْهِ فَمَنْ رَأَاهَا مِنْكُمْ مَعَ أَحَدٍ فَلَا يُعَارِضُهُ بِشَيْءٍ بِسَبَبِ ذَلِكَ (للقلوبى)

الملك المتعظ عجنون

٣١٧ مِنْ الْحِكَايَاتِ اللَّطِيفَةِ أَنَّ بَعْضَ الْمُلُوكِ قَصَدَ التَّفَرُّجَ عَلَى الْمَجَانِينِ . فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِمْ رَأَى فِيهِمْ شَابًا حَسَنَ الْهَيْئَةِ نَظِيفَ الصُّورَةِ يُرَى عَلَيْهِ آثَارُ اللَّطْفِ . وَتَلَوَّحَ عَلَيْهِ شِمَائِلُ الْفُطْنَةِ . فَدَنَا مِنْهُ وَسَأَلَهُ مَسَائِلَ فَأَجَابَهُ عَنْ جَمِيعِهَا بِأَحْسَنِ جَوَابٍ . فَتَعَجَّبَ مِنْهُ عَجَبًا شَدِيدًا ثُمَّ إِنَّ الْمَجْنُونِ قَالَ لِلْمَلِكِ : قَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ أَشْيَاءَ فَأَجَبْتُكَ وَإِنِّي سَأَسْأَلُكَ سُؤَالَ وَاحِدًا . قَالَ : وَمَا هُوَ . قَالَ : مَتَى يَجِدُ النَّاسُ لَذَّةَ النَّوْمِ . فَفَكَّرَ الْمَلِكُ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ يَجِدُ لَذَّةَ النَّوْمِ حَالَ نَوْمِهِ . فَقَالَ

الْمَجْنُونُ : حَالَةَ النَّوْمِ لَيْسَ لَهُ إِحْسَاسٌ . فَقَالَ الْمَلِكُ : قَبْلَ الدُّخُولِ
فِي النَّوْمِ . فَقَالَ الْمَجْنُونُ : كَيْفَ تَوْجَدُ لَذَّتَهُ قَبْلَ وُجُودِهِ . فَقَالَ
الْمَلِكُ : بَعْدَ النَّوْمِ . فَقَالَ الْمَجْنُونُ : تَوْجَدُ لَذَّتَهُ وَقَدْ انْتَضَى . فَخَيَّرَ
الْمَلِكُ وَزَادَ إِعْجَابَهُ . وَقَالَ : لَعَمْرِي إِنَّ هَذَا لَا يَخْصُلُ مِنْ عُقْلَاءَ كَثِيرَةٍ
فَأَوَّلَى أَنْ يَكُونَ تَدِيمِي فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ وَأَمَرَ أَنْ يُنْصَبَ لَهُ تَحْتَ
بِازَاءِ شِبَالِ الْمَجْنُونِ . ثُمَّ اسْتَدْعَى بِالشَّرَابِ فَحَضَرَ . فَتَنَاولَ الْكَأْسَ
وَشَرِبَ ثُمَّ نَاولَ الْمَجْنُونُ فَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنْتَ شَرِبْتَ هَذَا لِتَصِيرَ
مِثْلِي فَأَنَا أَشْرَبُهُ لِأَصِيرَ مِثْلَ مَنْ . فَأَتَعَطَّ الْمَلِكُ بِكَلَامِهِ وَرَمَى الْقَدَحَ
مِنْ يَدِهِ وَتَابَ مِنْ سَاعَتِهِ (للاتيادي)

الشاب السارق

٣١٨ سَرَقَ شَابٌ سَرِقَةً فَأُتِيَ بِهِ إِلَى الْمَأْمُونِ . فَأَمَرَ بِتَقْطَعِ يَدِهِ
فَتَقَدَّمَ لِتَقْطَعِ يَدَهُ فَأَنشَدَ الشَّابُّ يَقُولُ :

يَدِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أُعِيدُهَا بِعَفْوِكَ أَنْ تَلْقَى نَكَالًا يَشِينُهَا
فَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا وَلَا رَاحَةَ فِيهَا إِذَا مَا شِمَالُ فَارَقَتْهَا يَمِينُهَا
وَكَانَتْ أُمُّ الشَّابِّ وَقَفَةً عَلَى رَأْسِهِ فَبَكَتْ وَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ وَلَدِي وَوَاحِدِي . نَاشِدُكَ اللَّهُ إِلَّا رَحْمَتِي وَهَدَّيْتَ
لَوْعَتِي . وَجُدْتَ بِالْعَفْوِ عَمَّا اسْتَحَقَّ الْعُقُوبَةَ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ : هَذَا حَدُّ
مِنْ حُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى . فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اجْعَلْ عَفْوَكَ عَنْ هَذَا
الْحَدِّ ذَنْبًا مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي تَسْتَغْفِرُ مِنْهَا . فَرَقَّ لَهَا الْمَأْمُونُ وَعَفَا عَنْهُ

٣١٩ حكي أَنَّ الْمَأْمُونِ أَشْرَفَ يَوْمًا عَلَى قَصْرِهِ فَرَأَى رَجُلًا يَكْتُبُ
 بِفَحْمَةٍ عَلَى حَائِطِ قَصْرِهِ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ لِبَعْضِ خَدَمِهِ : أَذْهَبَ إِلَى ذَلِكَ
 الرَّجُلِ فَأَنْظُرْ مَا كَتَبَ وَأْتِنِي بِهِ . فَبَادَرَ الْخَادِمُ إِلَى الرَّجُلِ مُسْرِعًا
 وَقَبَضَ عَلَيْهِ وَقَالَ : مَا كَتَبْتَ . فَإِذَا هُوَ قَدْ كَتَبَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :
 يَا قَصْرُ جَمَعَ فِيكَ الشُّومُ وَاللُّومُ مَتَى يُعَشِّرُ فِي أَرْكَانِكَ الْبُومُ
 يَوْمًا يُعَشِّشُ فِيكَ الْبُومُ مِنْ فَرَحِي أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَنْعَاكَ مَرْغُومُ
 ثُمَّ إِنَّ الْخَادِمَ قَالَ لَهُ : أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ الرَّجُلُ :
 سَأَتُكَ بِاللَّهِ لَا تَذْهَبْ بِي إِلَيْهِ . فَقَالَ الْخَادِمُ : لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ . ثُمَّ
 ذَهَبَ بِهِ . فَلَمَّا مَشَى بَيْنَ يَدَيْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَعْلَمَ بِمَا كَتَبَ . فَقَالَ
 لَهُ الْمَأْمُونُ : وَبِكَ مَا حَمَّكَ عَلَى هَذَا . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ لَا
 يَخْفَى عَلَيْكَ مَا حَوَاهُ قَصْرُكَ هَذَا مِنْ خَزَائِنِ الْأَمْوَالِ وَالْحِلْيِ وَالْخَلَلِ
 وَالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالْفُرْشِ وَالْأَوَانِي وَالْأَمْتَعَةِ وَالْجَوَارِي وَالْخَدَمِ
 وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَقْصُرُ عَنْهُ وَصَفِي . وَيَجْزُ عَنْهُ فَهْمِي . وَإِنِّي قَدْ مَرَرْتُ
 عَلَيْهِ الْآنَ وَأَنَا فِي غَايَةِ مِنَ الْجُوعِ وَالْفَقَاةِ . فَوَقَفْتُ مُفَكِّرًا فِي أَمْرِي
 وَقُلْتُ فِي نَفْسِي : هَذَا الْقَصْرُ عَامِرٌ عَالٍ . وَأَنَا جَائِعٌ وَلَا فَايِدَةَ لِي فِيهِ .
 فَلَوْ كَانَ خَرَابًا وَمَرَرْتُ بِهِ لَمْ أَغْدِمْ رُخَامَةً أَوْ خَشَبَةً أَوْ مِسْمَارًا أَوْ بَعْدُ
 وَأَتَمَوْتُ بِشَيْئِهِ . أَوْ مَا عَلِمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رَعَاهُ اللَّهُ قَوْلَ الشَّاعِرِ :
 إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ فِي دَوْلَةٍ أَمْرٌ نَصِيبٌ وَلَا حَظٌّ تَمَنَّى زَوَالَهَا

وَمَا ذَاكَ مِنْ بُغْضٍ لَهُ غَيْرَ أَنَّهُ يُدْجِي سِوَاهَا فَهُوَ يَهْوَى ائْتِقَالَهَا
 فَقَالَ الْمَأْمُونُ: يَا غَلَامُ أَعْطِهِ أَلْفَ دِرْهَمٍ. ثُمَّ قَالَ: هِيَ لَكَ فِي
 كُلِّ سَنَةٍ مَا دَامَ قَصْرُنَا عَامِرًا بِأَهْلِهِ مَسْرُورًا بِدَوْلَتِهِ
 وَأَنْشَدُوا فِي مَعْنَى ذَلِكَ:

إِذَا كُنْتَ فِي أَمْرٍ فَكُنْ فِيهِ مُحْسِنًا فَعَمَّا قَلِيلٍ أَنْتَ مَاضٍ وَتَارِكُهُ
 (اعلام الناس للاتليدي)

الادب يرفع الحامل

٣٢٠ رُوِيَ أَنَّ الْمَأْمُونَ لَمْ يَكُنْ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ خَلِيفَةً أَعْلَمَ
 مِنْهُ فِي جَمِيعِ الْمَعْلُومِ. وَكَانَ لَهُ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ يَوْمَانِ يُجْلِسُ فِيهِمَا
 لِمَنَظَرَةِ الْعُلَمَاءِ. فَيُجْلِسُ الْمَنَظَرُونَ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ بِمَحْضَرَتِهِ
 عَلَى طَبَقَاتِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ. فَبَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ مَعَهُمْ إِذْ دَخَلَ فِي مَجْلِسِهِ رَجُلٌ
 غَرِيبٌ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ بَيْضٌ رَثَّةٌ. فَجَلَسَ فِي آخِرِ النَّاسِ وَقَعَدَ مِنْ وَرَاءِ
 الْفُقَهَاءِ فِي مَكَانٍ مُجْهُولٍ. ثُمَّ ابْتَدَأُوا فِي الْكَلَامِ وَشَرَعُوا فِي مُعْضَلَاتِ
 الْمَسَائِلِ. وَكَانَ مِنْ عَادَتِهِمْ أَنَّهُمْ يُدِيرُونَ الْمَسْئَلَةَ عَلَى أَهْلِ الْمَجْلِسِ
 وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ. فَكُلُّ مَنْ وَجَدَ زِيَادَةً لَطِيفَةً أَوْ نُكْتَةً غَرِيبَةً
 ذَكَرَهَا. فَدَارَتِ الْمَسْئَلَةُ إِلَى أَنْ وَصَلَتْ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ الْغَرِيبِ.
 فَتَكَلَّمَ وَأَجَابَ بِجَوَابٍ أَحْسَنَ مِنْ أَجْوَبَةِ الْفُقَهَاءِ كُلِّهِمْ. فَاسْتَحْسَنَ
 الْخَلِيفَةُ كَلَامَهُ وَأَمَرَ أَنْ يُرْفَعَ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ إِلَى أَعْلَى مِنْهُ. فَلَمَّا
 وَصَلَتْ إِلَيْهِ الْمَسْئَلَةُ الثَّانِيَةُ أَجَابَ بِجَوَابٍ أَحْسَنَ مِنَ الْجَوَابِ الْأَوَّلِ.

فَأَمَرَ الْمُتَأَمُّونَ أَنْ يُرْفَعَ إِلَى أَعْلَى مِنْ تِلْكَ الرُّتَبَةِ . فَلَمَّا دَارَتْ الْمَسْئَلَةُ
الْثَّالِثَةُ أَجَابَ بِجَوَابٍ أَحْسَنَ وَأَصَوَّبَ مِنْ الْجَوَابَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ . فَأَمَرَ
الْمُتَأَمُّونَ أَنْ يَجْلِسَ قَرِيبًا مِنْهُ . فَلَمَّا انْقَضَتِ الْمُنَاطَرَةُ أَحْضَرُوا الْمَاءَ
وَعَسَلُوا أَيْدِيَهُمْ وَأَحْضَرُوا الطَّعَامَ فَأَكَلُوا . ثُمَّ نَهَضَ الْفُقَهَاءُ فَخَرَجُوا
وَمَنَعَ الْمُتَأَمُّونَ ذَلِكَ الشَّخْصَ مِنَ الْخُرُوجِ مَعَهُمْ وَأَذْنَاهُ مِنْهُ وَلَاطَفَهُ
وَوَعَدَهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ وَالْإِنْعَامِ عَلَيْهِ . ثُمَّ تَهَيَّأَ مَجْلِسُ الشَّرَابِ وَحَضَرَ
النَّدَمَاءُ الْمَلَأَحُ وَدَارَتْ الرِّاحُ . فَلَمَّا وَصَلَ الدَّوْرُ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ
وَتَبَّ قَائِمًا عَلَى قَدَمَيْهِ وَقَالَ : إِنْ أَذِنَ لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ تَكَلَّمْتُ
كَلِمَةً وَاحِدَةً . قَالَ لَهُ : قُلْ مَا تَشَاءُ . فَقَالَ : قَدْ عَلِمَ الرَّأْيُ الْعَالِي
زَادَهُ اللَّهُ عُلُومًا أَنَّ الْعَبْدَ كَانَ الْيَوْمَ فِي هَذَا الْمَجْلِسِ الشَّرِيفِ مِنْ
عَجَائِلِ النَّاسِ وَوَضَعَاءِ الْجُلَاسِ . وَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَرِيبُهُ وَأَذْنَاهُ
بِيسِيرٍ مِنَ الْعَقْلِ الَّذِي أَبْدَاهُ وَجَعَلَهُ مَرْفُوعًا عَلَى دَرَجَةٍ غَيْرِهِ . وَبَلَغَ بِهِ
الْغَايَةَ الَّتِي لَمْ تَسْمَعْ إِلَيْهَا هَمَّتُهُ . وَالْآنَ يُرِيدُ أَنْ يَفْرُقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ
الْقَدْرِ الْيَسِيرِ مِنَ الْعَقْلِ الَّذِي أَعَزَّهُ بَعْدَ الذَّلَّةِ وَكَثَّرَهُ بَعْدَ الْقِلَّةِ .
وَحَاشَا وَكَفَلًا أَنْ يُحْسَدَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى هَذَا الْقَدْرِ الَّذِي مَعَهُ مِنَ
الْعَقْلِ وَالنَّبَاهَةِ وَالْفَضْلِ . لِأَنَّ الْعَبْدَ إِذَا شَرِبَ الشَّرَابَ تَبَاعَدَ عَنْهُ
الْعَقْلُ وَقَرُبَ مِنْهُ الْجَهْلُ وَسَلِبَ أَدَبُهُ . وَعَادَ إِلَى تِلْكَ الدَّرَجَةِ الْخَفِيرَةِ
كَمَا كَانَ وَصَارَ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ حَقِيرًا مَجْهُولًا . فَأَرْجُو مِنْ الرَّأْيِ الْعَالِي
أَنَّهُ لَا يَسْلُبُ مِنْهُ هَذِهِ الْجَوْهَرَةَ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ وَسِيَادَتِهِ وَحُسْنِ شَيْئِهِ .

فَلَمَّا سَمِعَ الْخَلِيفَةُ الْمُؤْمِنُونَ مِنْهُ الْقَوْلَ مَدَحَهُ وَشَكَرَهُ وَأَجْلَسَهُ فِي رُتْبَتِهِ
وَوَقَّرَهُ . وَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَحَمَلَهُ عَلَى فَرَسٍ وَأَعْطَاهُ ثِيَابًا
فَآخِرَةً . وَكَانَ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ يَرْفَعُهُ وَيُقَرِّبُهُ إِلَى جَمَاعَةِ التَّقِيَاءِ حَتَّى
صَارَ أَرْفَعَ مِنْهُمْ دَرَجَةً وَأَعْلَى مَرْتَبَةً
(الف ليلة وليلة)

عدالة النوشرون في بناية الايوان

٣٢١ حُكِيَ أَنَّ قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ أَرْسَلَ رَسُولًا إِلَى مَلِكِ فَارِسَ أَنْوِشِرْوَانَ
صَاحِبِ الْإِيوَانِ . فَلَمَّا وَصَلَ وَرَأَى عَظَمَةَ الْإِيوَانِ وَظَرَفَتَهُ وَعَظَمَةَ
مَجْلِسِ كِسْرَى عَلَى كُرْسِيِّهِ وَالْمُلُوكَ فِي خِدْمَتِهِ مَيَّزَ الْإِيوَانَ فَرَأَى فِي
بَعْضِ جَوَانِبِهِ أَعُوجَاجًا . فَسَأَلَ التَّرْجَمَانَ عَنْ ذَلِكَ . فَقَالَ لَهُ : إِنَّ
هُنَاكَ بَيْتًا لِعَجُوزٍ كَرِهَتْ بَيْعَهُ عِنْدَ عِمَارَةِ الْإِيوَانِ . وَلَمْ يَرِ الْمَلِكُ إِكْرَاهَهَا
عَلَى الْبَيْعِ فَأَبْقَى بَيْتَهَا فِي جَانِبِ الْإِيوَانِ . فَذَلِكَ مَا رَأَيْتَ وَسَأَلْتَ .
فَقَالَ الرُّومِيُّ : وَحَقَّ رَأْسِهِ إِنَّ هَذَا الْأَعُوجَاجَ أَحْسَنُ مِنَ الْإِسْتِقَامَةِ
وَإِنَّ مَا فَعَلَهُ مَلِكُ الزَّمَانِ لَمْ يُورَخْ فِيمَا مَضَى لِلْمَلِكِ وَلَا يُورَخُ فِيمَا بَقِيَ
لِلْمَلِكِ . فَأَعْجَبَ كِسْرَى كَلَامَهُ وَرَدَّهُ مُسْرُورًا مُحْبُورًا (الإِبَشِيهِي)

الغلام والشعب

٣٢٢ كَانَ لِرَجُلٍ مِنْ أَغْنِيَاءِ التُّجَّارِ وَلَدٌ نَجِيبٌ صَرَفَهُ مِنْ صِغَرِ سِنِّهِ
فِي التِّجَارَةِ بِبَلَدِهِ حَتَّى رَضِيَ بِخَيْرَتِهِ فِيهَا . فَلَمَّا بَلَغَ أَشَدَّهُ أَرَادَ أَنْ
يَعُودَهُ عَلَى الْأَسْفَارِ فِي تِجَارَةِ الْأَقْطَارِ . فَجَهَّزَهُ تَجْهِيْزًا يَلِيقُ بِأَمثَالِهِ
وَأَصْحَابِهِ وَمَضَى الْغُلَامُ . فَلَمَّا كَانَ عَلَى مَسِيرَةِ أَيَّامٍ مِنَ الْمَدِينَةِ نَزَلَ

ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي بَعْضِ الْأَرْوَاجِ . وَكَانَتْ اللَّيْلَةُ مُشِيرَةً . فَقَامَ يَتَمَتَّعُ وَقَدْ
مَضَى جُزْءٌ مِنَ اللَّيْلِ . فَبَصُرَ ثَعْلَابٌ طَرِيجٌ وَقَدْ أَخَذَهُ الْهَرَمُ وَالْإِغْيَاءُ
وَضَعُفَ عَنِ الْحَرَكَةِ . فَوَقَّفَ عِنْدَهُ وَأَخَذَ يَتَفَكَّرُ فِي أَمْرِهِ وَيَقُولُ :
كَيْفَ يُرْزَقُ هَذَا الْحَيَوَانُ الْمُسْكِينُ وَمَا أَظُنُّ إِلَّا أَنَّهُ يَمُوتُ جُوعًا .
فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِأَسَدٍ مُقْبِلٍ قَدْ أَفْتَرَسَ فَرِيسَةً فَجَاءَ حَتَّى
قَرَبَ مِنَ الثَّعْلَابِ . فَتَنَاوَلَ مِنْهَا حَتَّى شَبِعَ وَتَرَكَ بَقِيَّتَهَا وَمَضَى . فَعِنْدَ
ذَلِكَ تَحَامَلَ الثَّعْلَابُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَخَذَ يَتَحَرَّكُ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى انْتَهَى
إِلَى مَا تَرَكَهُ الْأَسَدُ . فَأَكَلَ حَتَّى شَبِعَ وَالْغَلَامُ يَتَعَجَّبُ مِنْ صُنْعِ
اللَّهِ فِي خَلْقِهِ . وَمَا سَأَلَ لِهَذَا الْحَيَوَانِ الْعَاجِزِ مِنْ رِزْقِهِ . وَقَالَ فِي
نَفْسِهِ : إِذَا كَانَ سُجَّانَهُ قَدْ تَكْفَّلَ بِالْأَرْزَاقِ فَلَايَ شَيْءٍ أُحْتِمَالُ
الْمَشَاقِّ وَرُكُوبِ الْأَسْفَارِ وَاقْتِحَامِ الْأَخْطَارِ . ثُمَّ انْتَهَى رَاجِعًا إِلَى وَالِدِهِ
فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ وَشَرَحَ لَهُ مَا ثَنَى عَزَمَهُ عَنِ السَّفَرِ . فَقَالَ لَهُ : يَا ابْنِي قَدْ
أَخْطَأْتَ النَّظَرَ إِنَّمَا أَرَدْتُ بِكَ أَنْ تَكُونَ أَسَدًا تَأْوِي إِلَيْكَ أَثْعَابُ
الْجِيَاعِ . لَا أَنْ تَكُونَ ثَعْلَابًا جَائِعًا تَنْتَظِرُ فَضْلَةَ السَّبَاعِ . فَقَبِلَ نَصِيحَةَ
أَبِيهِ وَرَجَعَ لِمَا كَانَ فِيهِ

الثوب المبيع

٣٣٣ قَالَ ابْنُ الْحَرِيفِ : حَدَّثَنِي وَالِدِي قَالَ : أُعْطِيتُ أَحْمَدَ بْنَ
حَسْبِ الدَّلَالِ ثَوْبًا وَقُلْتُ : بَعَثَ لِي وَبَيْنَ هَذَا الْعَيْبِ الَّذِي فِيهِ .
وَأَرَيْتُهُ خَرَقًا فِي الثَّوْبِ . فَمَضَى وَجَاءَ فِي آخِرِ النَّهَارِ فَدَفَعَ إِلَيَّ ثَمَنَهُ

وَقَالَ : بَعَثُهُ عَلَى رَجُلٍ أَعْجَبِي غَرِيبٍ بِهَذِهِ الدَّنَانِيرِ . قُلْتُ لَهُ : وَأَرَيْتَهُ
 الْعَيْبَ وَأَعْلَمْتَهُ بِهِ . فَقَالَ : لَا وَإِنِّي نَسِيتُ ذَلِكَ . فَقُلْتُ : لَا جَزَاكَ
 اللَّهُ خَيْرًا إِمَضِ مَعِيَ إِلَيْهِ . وَذَهَبْتُ مَعَهُ وَقَصَدْنَا مَكَانَهُ فَلَمْ نَجِدْهُ .
 فَسَأَلْنَاهُ عَنْهُ فَقِيلَ : إِنَّهُ رَحَلَ إِلَى مَكَّةَ مَعَ قَافِلَةِ الْحُجَّاجِ . فَأَخَذْتُ صِفَةَ
 الرَّجُلِ مِنَ الدَّلَالِ وَكَثَرَتِ دَابَّةٌ وَلَحِقْتُ الْقَافِلَةَ . وَسَأَلْتُ عَنْ
 الرَّجُلِ فَدَلَلْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ : وَالْثُوبُ الْفُلَانِيُّ الَّذِي اشْتَرَيْتَهُ
 أَمْسَ مِنَ الدَّلَالِ فَلَانَ بِكَذَا وَكَذَا فِيهِ عَيْبٌ فَهَاتِهِ وَخُذْ ذَهَبَكَ .
 فَقَامَ وَأَخْرَجَ الثُّوبَ وَطَافَ عَلَى الْعَيْبِ حَتَّى وَجَدَهُ . فَلَمَّا وَجَدَهُ قَالَ :
 يَا شَيْخُ أَخْرِجْ ذِمِّي حَتَّى أَرَاهُ وَكُنْتُ لَمَّا قَبَضْتُهُ لَمْ أُمِيزْهُ وَلَمْ أَتَقَدَّهُ .
 فَأَخْرَجْتُهُ فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ : هَذَا ذَهَبِي أَتَقَدُّهُ يَا شَيْخُ . فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَإِذَا
 هُوَ مَغْشُوشٌ لَا يُسَاوِي شَيْئًا . فَأَخَذَهُ وَرَمَى بِهِ وَقَالَ لِي : قَدْ اشْتَرَيْتُ
 مِنْكَ هَذَا الثُّوبَ عَلَى عَيْبِهِ بِهَذَا الذَّهَبِ . وَدَفَعَ إِلَيَّ بِمِقْدَارِ ذَلِكَ
 الذَّهَبِ الْمَغْشُوشِ ذَهَبًا جَيِّدًا وَغَدَتْ بِهِ

كسرى انوشروان والمؤدب

٣٢٤ رُوِيَ أَنَّ كَسْرَى أَنْوَشِرَوَانَ كَانَ لَهُ مُعَلِّمٌ حَسَنُ التَّأْدِيبِ
 يَعْلَمُهُ حَتَّى قَاقَ فِي الْعُلُومِ . فَضَرَبَهُ الْمُعَلِّمُ يَوْمًا مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ فَأَوْجَعَهُ .
 فَحَقَّقَ أَنْوَشِرَوَانُ عَلَيْهِ . فَلَمَّا وُلِيَ الْمَلِكُ قَالَ لِلْمُعَلِّمِ : مَا حَمَلَكَ عَلَى
 ضَرْبِي يَوْمَ كَذَا وَكَذَا . فَقَالَ لَهُ : لَمَّا رَأَيْتُكَ تَرْغَبُ فِي الْعِلْمِ رَجَوْتُ

لَكَ الْمَلِكُ بَعْدَ أَيِّكَ . فَأُخْبِتُ أَنْ أُذِيقَكَ طَعْمَ الظُّلْمِ لِئَلَّا تَظْلِمَ .
فَقَالَ أَنْوَشَرَوَانُ : زِهْ زِهْ وَرَفَعَ قَدْرَهُ

(للابشيهي)

الهادي والخارجي

٣٢٥ ذَكَرَ صَاحِبُ السُّكْرُدَانِ أَنَّ الْهَادِيَّ كَانَ يَوْمًا فِي بُسْتَانٍ
يَتَنَزَّهُ عَلَى حِمَارٍ وَلَا سِلَاحَ مَعَهُ . وَبِحَضْرَتِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ خَوَاصِهِ وَأَهْلِ
بَيْتِهِ . فَدَخَلَ عَلَيْهِ حَاجِبُهُ وَأَخْبَرَهُ أَنَّ بِالْبَابِ بَعْضَ الْخَوَارِجِ لَهُ بَأْسٌ
وَمَكَائِدُ وَقَدْ ظَفِرَ بِهِ بَعْضُ الْقَوَادِ . فَأَمَرَ الْهَادِيَّ بِإِدْخَالِهِ . فَدَخَلَ
عَلَيْهِ بَيْنَ رَجُلَيْنِ قَدْ قَبَضَا عَلَى يَدَيْهِ . فَلَمَّا أَبْصَرَ الْخَارِجِيُّ الْهَادِيَّ
جَذَبَ يَدَيْهِ مِنَ الرَّجُلَيْنِ وَاخْتَطَفَ سَيْفَ أَحَدِهِمَا وَقَصَدَ الْهَادِيَّ .
فَقَرَّ كُلُّ مَنْ كَانَ حَوْلَهُ وَبَقِيَ وَحْدَهُ وَهُوَ ثَابِتٌ عَلَى حِمَارِهِ . حَتَّى إِذَا
دَنَا مِنْهُ الْخَارِجِيُّ وَهَمَّ أَنْ يَغْلُوهُ بِالسَّيْفِ أَوْ مَا إِلَى وَرَاءِ الْخَارِجِيِّ
وَأَوْهَمَهُ أَنَّ غُلَامًا وَرَاءَهُ وَقَالَ : يَا غُلَامُ أَضْرِبْ عُنُقَهُ . فَظَنَّ الْخَارِجِيُّ
أَنَّ غُلَامًا وَرَاءَهُ . فَالْتَفَتَ الْخَارِجِيُّ فَتَزَلَّ الْهَادِيَّ مُسْرِعًا عَنْ حِمَارِهِ
فَقَبَضَ عَلَى عُنُقِ الْخَارِجِيِّ وَذَبَحَهُ بِالسَّيْفِ الَّذِي كَانَ مَعَهُ . ثُمَّ عَادَ إِلَى
ظَهْرِ حِمَارِهِ مِنْ قَوْرِهِ . وَالْخَدَمُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَيَتَسَلَّلُونَ عَلَيْهِ وَقَدْ مَلُّوا
مِنْهُ حَيَاءً وَرُغْبًا . فَمَا عَاتَبَهُمْ وَلَا خَاطَبَهُمْ فِي ذَلِكَ بِكَلِمَةٍ . وَلَمْ يُفَارِقِ
السَّيْلَ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ

(اعلام الناس للاتايدي)

المنصور وابو عبد الله

٣٢٦ قَالَ الْمَنْصُورُ لِلرَّبِيعِ : عَلَيَّ بِجَعْفَرٍ . قَتَلَنِي اللَّهُ إِنْ لَمْ أَقْتُلْ أَبَا عَبْدِ

اللَّهُ . فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ ثُمَّ قَرَّبَ وَسَلَّم . فَقَالَ : لَسَلَامُ
 اللَّهُ عَلَيْكَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ تَعْمَلُ عَلَى الْغَوَايِلِ فِي مُلْكِي . قَتَانِي اللَّهُ إِنْ لَمْ
 أَقْتُلْكَ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ سُلَيْمَانَ أُعْطِيَ فَشَكَرَ . وَإِنَّ أَيُّوبَ
 ابْتُلِيَ فَصَبَرَ . وَإِنَّ يُوسُفَ ظَلِمَ فَغَفَرَ . وَأَنْتَ عَلَى أَثَرِ مِنْهُمْ وَأَحَقُّ مِنْ
 تَأْسِي بِهِمْ . فَنَكَّسَ النُّصُورُ رَأْسَهُ مَلِيًّا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ : إِلَيَّ أَبَا عَبْدِ
 اللَّهِ فَأَنْتَ الْقَرِيبُ الْقَرَابَةِ . وَأَنْتَ ذُو الرَّحِمِ الْوَاشِحَةِ . وَالسَّلَامُ
 النَّاحِيَةِ . الْقَلِيلُ الْغَائِلَةِ . ثُمَّ صَافَحَهُ بِيَمِينِهِ وَعَانَتْهُ بِشِمَالِهِ . وَأَجْلَسَهُ
 مَعَهُ عَلَى فِرَاشِهِ وَأَقْبَلَ يَسَآئِلُهُ وَيُحَادِثُهُ . ثُمَّ قَالَ : عَجَلُوا لِأَيِّ عَبْدِ اللَّهِ
 إِذْنَهُ وَجَائِزَتَهُ وَكُسُوتَهُ . فَلَمَّا خَرَجَ أَمْسَكَهُ الرَّبِيعُ وَقَالَ لَهُ : رَأَيْتُكَ
 قَدْ حَرَّكَتَ شَفَتَيْكَ فَأَتَجَبَلَى الْأَمْرُ وَأَنَا خَادِمُ السُّلْطَانِ وَلَا غِنَى لِي
 عَنْهُ فَعَلِمَنِي إِيَّاهُ . فَقَالَ : نَعَمْ . قُلْتُ : اللَّهُمَّ احْرُسْنِي بِعَيْنِكَ الَّتِي لَا تَنَامُ .
 وَاكْفُنِي بِحِفْظِكَ الَّذِي لَا يُرَامُ . لَا أَهْلُكَ وَأَنْتَ رَجَانِي فَكُمُ مِنْ نِعْمَةٍ
 أَنْعَمْتَهَا عَلَيَّ قُلْ عِنْدَهَا شُكْرِي فَلَمْ تَحْرُمْنِي . وَكُمُ مِنْ بَلِيَّةٍ ابْتَلَيْتَ بِهَا
 قُلْ عِنْدَهَا صَبْرِي فَلَمْ تَخْذُلْنِي . اللَّهُمَّ بِكَ أَذْرَأُ فِي مُخْرَجِهِ وَأَعُوذُ بِكَ
 مِنْ شَرِّهِ

(للشراشي)

القاضي والنصري الحسن

٣٢٧ حَكَى أَنَّ فَقِيرًا جَاءَ إِلَى قَاضٍ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ وَقَالَ لَهُ : أَعَزَّ
 اللَّهُ الْقَاضِيَّ وَإِنِّي رَجُلٌ فَقِيرٌ وَذُو عِيَالٍ وَقَدْ جِئْتُكَ مُسْتَشْفِعًا بِهَذَا
 الْيَوْمِ أَنْ تُعْطِيَنِي عَشْرَةَ أَمْنَانَ لِحَمَاءٍ وَدِرْهَمَيْنِ لِأَشْبَعِ أَطْفَالِي فِي هَذَا

الْيَوْمَ وَلَكَ الْجَزَاءُ عَلَى اللَّهِ . فَوَعَدَهُ إِلَى الظُّهْرِ . فَلَمَّا جَاءَ الظُّهْرُ عَادَ
 إِلَيْهِ . فَوَعَدَهُ إِلَى الْعَصْرِ . فَلَمَّا جَاءَ الْعَصْرُ عَادَ إِلَيْهِ وَأَوْلَادُهُ فِي مَنْزِلِهِ
 ذَابَتْ أَكْبَادُهُمْ مِنَ الْجُوعِ فَوَعَدَهُ إِلَى الْمَغْرِبِ . فَعَادَ إِلَيْهِ عِنْدَ الْغُرُوبِ .
 فَقَالَ لَهُ : مَا عِنْدِي شَيْءٌ أُعْطِيكَهُ . فَرَجَعَ الْفَقِيرُ مُنْكَسِرَ الْقَلْبِ بِأَكْبَرِ
 الْعَيْزِ خَائِفًا مِنْ أَطْفَالِهِ كَيْفَ جَوَابُهُ لَهُمْ . فَمَرَّ وَهُوَ يَبْكِي بِنَصْرَانِي
 جَالِسٍ عَلَى بَابِهِ . فَرَأَاهُ بَاكِيًا فَقَالَ لَهُ : مَا بَكَأُوكَ يَا هَذَا . فَقَالَ لَهُ :
 لَا تَسْأَلُ عَنْ حَالِي . فَقَالَ لَهُ : سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ أَنْ أَعْلِمَنِي بِحَالِكَ .
 فَأَخْبَرَهُ بِحَالِهِ مَعَ الْقَاضِي . فَقَالَ لَهُ النَّصْرَانِي : مَا هَذَا الْيَوْمَ عِنْدَكُمْ .
 فَقَالَ لَهُ : هُوَ يَوْمُ عَاشُورَاءَ . فَرَقَّ لَهُ النَّصْرَانِي وَأَعْطَاهُ أَكْثَرَ مِمَّا ذَكَرَ
 مِنَ الْخُبْزِ وَاللَّحْمِ وَأَعْطَاهُ عِشْرِينَ دِرْهَمًا فَوْقَ الدِّرْهَمَيْنِ . فَقَالَ لَهُ :
 خُذْ هَذَا وَهُوَ لَكَ وَلِعِيَالِكَ عَلَى فِي كُلِّ شَهْرٍ . فَذَهَبَ بِهِ الْفَقِيرُ
 لِأَطْفَالِهِ فَرِحُوا مَسْرُورًا . فَلَمَّا رَأَى أَطْفَالُهُ فَرَحُوا فَرَحًا شَدِيدًا . ثُمَّ نَادَوْا
 بِأَعْلَى أَصْوَاتِهِمْ : اللَّهُمَّ مَنْ أَدْخَلَ عَلَيْنَا السُّرُورَ فَادْخُلْ عَلَيْهِ الْفَرَحَ
 عَاجِلًا . فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ وَنَامَ الْقَاضِي سَمِعَ هَاتِفًا يَقُولُ لَهُ : أَرْفَعُ
 رَأْسَكَ . فَرَفَعَهُ وَإِذَا هُوَ يَنْظُرُ قَصْرَيْنِ مَبْنِيِّينِ لَبْنَةً مِنْ ذَهَبٍ وَلَبْنَةً
 مِنْ فِضَّةٍ . فَقَالَ : إِلَهِي لِمَنْ هَذَانِ الْقَصْرَانِ . فَأَجِيبَ إِيَّاهُمَا كَمَا نَاكَ
 لَوْ قَضَيْتَ حَاجَةَ الْفَقِيرِ فَلَمَّا رَدَدَتْهُ صَارَا لِلنَّصْرَانِي فَلَانِ . فَأَنْتَبَهَ
 الْقَاضِي مَرْغُوبًا يُنَادِي بِالْوَيْلِ وَالشُّبُورِ . ثُمَّ سَارَ إِلَى النَّصْرَانِي وَقَالَ لَهُ :
 مَا فَعَلْتَ الْبَارِحَةَ مِنَ الْخُبْرِ . فَقَالَ لَهُ : وَلِمَ ذَا سَوَأْتُكَ . فَأَخْبَرَهُ بِمَا

رَأَى . ثُمَّ قَالَ لَهُ : بِنِي هَذَا الْجَمِيلَ الَّذِي فَعَلَتْهُ الْبَارِحَةَ مَعَ الْفَقِيرِ
بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَقَالَ لَهُ النَّصْرَانِيُّ : إِنِّي لَا أَبِيعُ ذَلِكَ بِمِلْءِ
الْأَرْضِ ذَهَبًا . فَرَحِمَ اللَّهُ ثَرَاهُ وَجَعَلَ الْجَنَّةَ مَثْوَاهُ (لِلْقَلْبِيِّ)

اجارة معن لرجل استغاث به وكان المنصور قد اهدر دمه

٣٢٨ رُوِيَ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورَ أَهْدَرَ دَمَ رَجُلٍ كَانَ يَسْعَى
بِفَسَادِ دَوْلَتِهِ مَعَ الْخَوَارِجِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ . وَجَعَلَ لِمَنْ دَلَّ عَلَيْهِ أَوْ
جَاءَ بِهِ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ . ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ ظَهَرَ فِي بَغْدَادَ . فَبَيْنَمَا هُوَ
يَمْشِي مُخْتَصِمًا فِي بَعْضِ نَوَاحِيهَا إِذْ بَصُرَ بِهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ فَعَرَفَهُ
فَأَخَذَ تَجَامِعَ ثِيَابِهِ وَقَالَ : هَذَا بُغْيَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَبَيْنَمَا الرَّجُلُ عَلَى
هَذِهِ الْحَالَةِ إِذْ سَمِعَ وَقَعَ حَوَافِرِ الْحَيْلِ . فَالْتَفَتَ فَإِذَا مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ .
فَاسْتَعَاثَ بِهِ وَقَالَ لَهُ : أَجِرْنِي أَجَارَكَ اللَّهُ . فَالْتَفَتَ مَعْنُ إِلَى الرَّجُلِ
الْمُتَعَلِّقِ بِهِ وَقَالَ لَهُ : مَا شَأْنُكَ وَهَذَا . فَقَالَ لَهُ : إِنَّهُ بُغْيَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
الَّذِي أَهْدَرَ دَمَهُ وَجَعَلَ لِمَنْ دَلَّ عَلَيْهِ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَقَالَ : دَعُهُ .
وَقَالَ لِأَعْلَامِهِ : أُنْزِلْ عَنِّي دَابَّتَكَ وَأَحْمِلِ الرَّجُلَ عَلَيْهَا . فَصَاحَ الرَّجُلُ
الْمُتَعَلِّقُ بِهِ وَصَرَخَ وَاسْتَجَارَ بِالنَّاسِ وَقَالَ : حَالُ بَيْنِي وَبَيْنَ بُغْيَةِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ لَهُ مَعْنُ : أَذْهَبَ فَقُلْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَخْبِرْهُ أَنَّهُ
عِنْدِي . فَأَنْطَلَقَ الرَّجُلُ إِلَى الْمَنْصُورِ فَأَخْبَرَهُ . فَأَمَرَ الْمَنْصُورُ بِإِحْضَارِ
مَعْنٍ فِي السَّاعَةِ . فَلَمَّا وَصَلَ أَمْرُ الْمَنْصُورِ إِلَى مَعْنٍ دَعَا جَمِيعَ أَهْلِ بَيْتِهِ
وَمَوَالِيهِ وَأَوْلَادِهِ وَأَقَارِبِهِ وَحَاشِيَتِهِ وَجَمِيعَ مَنْ يَلُودُ بِهِ وَقَالَ لَهُمْ :

أَقْسِمُ عَلَيْكُمْ بَأَن لَّا يَصِلَ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ مَكْرُوهٌ أَبَدًا وَفِيكُمْ عَيْنٌ
نَظَرَتْ . ثُمَّ إِنَّهُ سَارَ إِلَى الْمَنْصُورِ فَدَخَلَ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ
الْمَنْصُورُ السَّلَامَ . ثُمَّ إِنَّ الْمَنْصُورَ قَالَ لَهُ : يَا مَعْنُ أَتَتَجَرَّأُ عَلَيَّ . قَالَ :
نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ الْمَنْصُورُ : وَنَعَمْ أَيْضًا . وَقَدْ أَشَدَّ غَضَبُهُ .
فَقَالَ مَعْنُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَمْ مِنْ مَرَّةٍ تَقْدَمُ فِي دَوْلَتِكُمْ بِلَائِي وَحُسْنِ
عَنَائِي . وَكَمْ مِنْ مَرَّةٍ خَاطَرْتُ بِدَيْي . أَمَّا رَأَيْتُمُونِي أَهْلًا بِأَن يُوهَبَ لِي
رَجُلٌ وَاحِدٌ اسْتَجَارَ بِي بَيْنَ النَّاسِ بِوَهْمِهِ أَنِّي عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ وَكَذَلِكَ هُوَ . فَمُرْ بِمَا شِئْتَ هَا أَنَا بَيْنَ يَدَيْكَ . قَالَ : فَأَطْرَقَ
الْمَنْصُورُ سَاعَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَدْ سَكَنَ مَا بِهِ مِنَ الْغَضَبِ وَقَالَ لَهُ :
قَدْ أَجْرَنَاكَ يَا مَعْنُ . فَقَالَ لَهُ مَعْنُ : إِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَن يَجْمَعَ
بَيْنَ الْأَجْرَيْنِ فَيَأْمُرَ لَهُ بِصِلَةٍ فَيَكُونُ قَدْ أَحْيَاهُ وَأَغْنَاهُ . فَقَالَ الْمَنْصُورُ :
قَدْ أَمَرْنَا لَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ . فَقَالَ لَهُ مَعْنُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
إِنَّ صَلَاتِ الْخُلَفَاءِ عَلَى قَدْرِ جَنَائَاتِ الرَّعِيَّةِ . وَإِنْ ذَنْبَ الرَّجُلِ
عَظِيمٌ فَأَجْزَلُ صَلَاتِهِ . قَالَ : قَدْ أَمَرْنَا لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَقَالَ لَهُ
مَعْنُ : عَجِّلْهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ خَيْرَ الْبَرِّ عَاجِلُهُ . فَأَمَرَ بِتَعْجِيلِهَا فَحَمَلَهَا
وَأَنْصَرَفَ وَأَتَى مَنْزِلَهُ . وَقَالَ الرَّجُلُ : يَا رَجُلُ خُذْ صَلَاتَكَ وَالْحَقُّ
بِأَهْلِكَ وَإِيَّاكَ وَمُخَافَةُ الْخُلَفَاءِ فِي أُمُورِهِمْ بَعْدَ هَذِهِ (اللابشيهي)

ملك الفرس وصاحب المطبخ

٣٢٩ كَانَ مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ الْفَرَسِ عَظِيمِ الْمُلْكَةِ شَدِيدِ الثِّمَةِ .

وَكَانَ لَهُ صَاحِبُ مَطْبَخٍ . فَلَمَّا قَرَّبَ إِلَيْهِ طَعَامَهُ صَاحِبُ الْمَطْبَخِ
سَقَطَتْ نَقْطَةٌ مِنْ الطَّعَامِ عَلَى يَدَيْهِ . فَرَوَى لَهَا الْمَلِكُ وَجْهَهُ وَعَلِمَ
صَاحِبُ الْمَطْبَخِ أَنَّهُ قَاتِلُهُ . فَكَفَأَ الصَّخْفَةَ عَلَى رَأْسِهِ . وَقَالَ الْمَلِكُ : عَلَى
بِهِ . فَلَمَّا أَتَاهُ قَالَ لَهُ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ سُقُوطَ النَّقْطَةِ أَخْطَأَتْ بِهَا
يَدَكَ . فَمَا عُذْرُكَ فِي الثَّانِيَةِ . قَالَ : اسْتَحْيَيْتُ الْمَلِكَ أَنْ يَقْتُلَ مِثْلِي
فِي سِنِّي وَقَدِيمِ حُرْمَتِي فِي نَقْطَةٍ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعْظِمَ ذَنْبِي لِيَجْسُنَ بِهِ
قَتْلِي وَإِسْلَا يَنْسِبَكَ النَّاسُ إِلَى الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : إِنْ
لَطَفَ الْإِعْتِذَارُ يُنْجِيكَ مِنَ الْقَتْلِ فَأَنْتَ حُرٌّ لَوَجْهِ اللَّهِ (لابن عبد ربّه)

الرَّشِيدُ وَالدمشقي

٣٣٠ رُفِعَ إِلَى هَارُونَ الرَّشِيدِ أَنَّ رَجُلًا بِدِمَشْقَ مِنْ بَقَايَا بَنِي أُمَيَّةٍ
عَظِيمُ الْمَالِ كَثِيرُ الْجَادِ مُطَاعٌ فِي الْبَلَدِ لَهُ جَمَاعَةٌ وَأَوْلَادٌ وَمَمَالِكُ
يَرْكَبُونَ الْخَيْلَ وَيَحْمِلُونَ السَّلَاحَ وَيَغْزُونَ الرُّومَ . وَأَنَّهُ سَمِعَ جَوَادُ
كَثِيرُ الْبَذْلِ وَالضَّيَافَةِ وَأَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ مِنْهُ . فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَى الرَّشِيدِ .
قَالَ مَنَارَةٌ : وَكَانَ وَقُوفُ الرَّشِيدِ عَلَى هَذَا وَهُوَ بِالْكُوفَةِ فِي بَعْضِ
حُجَّجِهِ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ وَقَدْ عَادَ مِنَ الْمَوْسِمِ . وَقَدْ بَايَعَ
لِلْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ وَالْمُعْتَصِمِ أَوْلَادِهِ قَدْ عَانِي وَهُوَ خَالٍ . وَقَالَ :
إِنِّي دَعَوْتُكَ لِأَمْرِ يَهْمُنِي وَقَدْ مَنَعَنِي النَّوْمُ فَأَنْظُرْ كَيْفَ يَكُونُ . ثُمَّ
قَصَّ عَلَى خَبَرِ الْأُمَوِيِّ وَقَالَ : أَخْرَجَ السَّاعَةَ فَقَدْ أَعْدَدْتُ لَكَ
الْخَيُْولَ وَأَزَحْتُ عِلَّتَكَ فِي الزَّادِ وَالنَّفَقَةِ وَالْأَلَةِ . وَتَضَمُّنْتُ إِلَيْكَ مِائَةَ

غُلامٍ وَأَسْلَكَ الْبَرِّيَّةَ وَهَذَا كِتَابِي إِلَى نَائِبِ دِمَشْقَ وَهَذِهِ قِيُودُ
 فَأَبْدَأُ بِالرَّجُلِ فَإِنْ سَمِعَ وَأَطَاعَ فَقَيْدَهُ وَجِئَنِي بِهِ . وَإِنْ عَصَى فَتَوَكَّلْ
 عَلَيْهِ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ لِأَلَّا يَهْرُبَ . وَأَنْفِذِ الْكِتَابَ إِلَى أَمِيرِ دِمَشْقَ
 لِيَكُونَ مُسَاعِدًا وَأَقْبِضًا عَلَيْهِ وَجِئَنِي بِهِ وَأَجَلْتُكَ لِدَهَابِكَ سِتًّا وَلَا يَأْبِكَ
 سِتًّا وَيَوْمًا لِمَقَامِكَ . وَهَذَا مَحْمِلُ تَجْمَعُهُ فِي شِقَّةٍ مِنْهُ إِذَا قَيْدَتْهُ وَتَقَعْدُ
 أَنْتَ فِي الشِّقَّةِ الْأُخْرَى . وَلَا تَكِلْ حِفْظَهُ إِلَى غَيْرِكَ حَتَّى تَأْتِيَنِي بِهِ
 فِي الثَّلَاثِ عَشَرَ يَوْمًا مِنْ خُرُوجِكَ . فَإِذَا دَخَلْتَ دَارَهُ فَتَفَقَّدْهَا
 وَجَمِيعَ مَا فِيهَا مِنْ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَغِلْمَانِهِ وَقَدَرِ نِعْمَتَهُ وَالْحَالَ وَالْحَالَ .
 وَأَحْفَظْ مَا يَقُولُهُ الرَّجُلُ حَرْفًا بِحَرْفٍ مِنْ أَلْفَاظِهِ مِنْذُ يَقَعُ طَرْفُكَ
 عَلَيْهِ حَتَّى تَأْتِيَنِي بِهِ . وَإِيَّاكَ أَنْ يُشَكَّكَ عَلَيْكَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ .
 أَنْطَاقُ . قَالَ مَنْارَةٌ : فَوَدَّعْتُهُ وَأَنْطَاقْتُ وَخَرَجْتُ فَرَكِبْتُ الْإِبِلَ
 وَسِرْتُ أَطْوَى الْمَنَازِلِ أَسِيرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِلَى أَنْ وَصَلْتُ إِلَى دِمَشْقَ
 فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ السَّابِعَةِ وَأَبْوَابُ الْبَلَدِ مُغْلَقَةٌ . فَكَرِهْتُ طُرُوقَهَا لَيْلًا
 فَبِتُّ بِظَاهِرِ الْبَلَدِ إِلَى أَنْ فَتَحَ بَابُهَا مِنْ غَدٍ . فَدَخَلْتُ عَلَى هَيْئَتِي ثُمَّ
 أَتَيْتُ بَابَ الرَّجُلِ وَعَلَيْهِ صَفٌّ عَظِيمٌ وَحَاشِيَةٌ كَثِيرَةٌ فَلَمْ أَسْتَأْذِنْ
 وَدَخَلْتُ بَغَيْرِ إِذْنٍ . فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمُ ذَلِكَ سَأَلُوا بَعْضَ مَنْ مَعِيَ
 عَنِّي . قَالَ : هَذَا مَنْارَةٌ رَسُولُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى صَاحِبِكُمْ . قَالَ :
 فَلَمَّا صِرْتُ فِي صَحْنِ الدَّارِ نَزَلْتُ وَدَخَلْتُ مَجَاسًا رَأَيْتُ فِيهِ قَوْمًا
 جُلُوسًا فَظَنَنْتُ أَنَّ الرَّجُلَ فِيهِمْ . فَقَامُوا وَرَحَّبُوا بِي . فَقُلْتُ : أَفِيكُمْ

فَلَانٌ . قَالُوا : لَا . نَحْنُ أَوْلَادُهُ وَهُوَ فِي الْحَمَامِ . فَقُلْتُ : اسْتَغْجِلُوهُ . فَمَضَى
 بَعْضُهُمْ لِيَسْتَغْجِلَهُ وَأَنَا أَتَفَقَّدُ الدَّارَ وَالْأَحْوَالَ وَالْحَاشِيَةَ فَوَجَدْتُهَا مَا جَتْ
 بِأَهْلِهَا مَوْجًا كَثِيرًا . فَلَمْ أَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى خَرَجَ الرَّجُلُ بَعْدَ أَنْ أَطَالَ
 مَكْنَهُ . وَاسْتَرَبْتُ مِنْهُ وَاشْتَدَّ قَائِي وَخَوْفِي مِنْ أَنْ يَتَوَارَى إِلَى أَنْ
 رَأَيْتُ شَخْصًا يَزِي الْحَمَامَ يَمْشِي فِي صَحْنِ الدَّارِ وَحَوَالِيهِ جَمَاعَةٌ كَهُولُ
 وَأَحْدَاثُ وَصَبْيَانُ . وَهُمْ أَوْلَادُهُ وَغُلَامَانُهُ فَقُلْتُ : إِنَّهُ الرَّجُلُ . فَجَاءَ
 وَجَلَسَ وَسَلَّمَ عَلَيَّ سَلَامًا خَفِيفًا . وَسَأَلَنِي عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَاسْتِقَامَةِ
 أَمْرِ حَضْرَتِهِ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا وَجَبَ . وَمَا قَضَى كَلَامَهُ حَتَّى جَاؤُوا بِأَطْبَاقِ
 فَاكِهِةٍ فَقَالَ : تَقْدَمُ يَا مَنَارَةَ وَكُلْ مَعَنَا . فَقُلْتُ : مَا لِي إِلَى ذَلِكَ مِنْ
 سَبِيلٍ . فَلَمْ يُعَاوِدْنِي فَأَكَلْتُ كُلُّهُ وَكُلَّ مَنْ مَعَهُ . ثُمَّ غَسَلَ يَدَيْهِ وَدَعَا
 بِالطَّعَامِ فَجَاؤُوا إِلَيْهِ بِمَائِدَةٍ حَسَنَةٍ لَمْ أَرِ مِثْلَهَا إِلَّا لِلْخَلِيفَةِ . فَقَالَ : يَا مَنَارَةَ
 سَاعِدِي نَاعِلِي الْأَكْلِ . لَا يَزِيدُنِي عَلَى أَنْ يَدْعُوَنِي بِأَتَمِّي كَمَا يَدْعُوَنِي
 الْخَلِيفَةُ . فَأَمْتَنَعْتُ عَلَيْهِ فَمَا عَاوَدَنِي . فَأَكَلْتُ وَمَنْ مَعَهُ وَكَانُوا تِسْعَةً
 مِنْ أَوْلَادِهِ . فَتَأَمَّتْ أَكْلَهُ فِي نَفْسِهِ فَوَجَدَتْهُ يَأْكُلُ أَكْلَ الْمُلُوكِ .
 وَوَجَدْتُ ذَلِكَ الْأَضْطِرَابَ الَّذِي كَانَ فِي دَارِهِ قَدْ سَكَنَ وَوَجَدْتُهُمْ
 لَا يَرْفَعُونَ شَيْئًا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ قَدْ وَضِعَ عَلَى الْمَائِدَةِ إِلَّا تَهْنِئَةً غَيْرَهُ حَالًا
 أَعْظَمُ وَأَحْسَنُ مِنْهُ . وَقَدْ كَانَ غُلَامَانُهُ أَخَذُوا لَمَّا نَزَلْتُ إِلَى الدَّارِ مَا لِي
 وَغُلَامَانِي وَعَدَلُوا بِهِمْ إِلَى دَارِ أُخْرَى . فَمَا أَطَاقُوا مُنَاعَتَهُمْ وَبَقِيتُ
 وَحْدِي وَلَيْسَ بَيْنَ يَدَيَّ إِلَّا خَمْسَةُ أَوْ سِتَّةُ غُلَامَانٍ وَقُوفٍ عَلَى رَأْسِي .

فَمَلْتُ فِي نَفْسِي : هَذَا جَبَّارٌ عَنِيدٌ فَإِنْ أَمْتَنَعَ مِنْ الشُّخُوصِ لَمْ أُطِقْ
إِشْخَاصَهُ بِنَفْسِي وَلَا بِمَنْ مَعِيَ وَلَا حِفْظَهُ إِلَّا أَنْ يُلْحَقَنِي أَمِيرُ الْبَلَدِ .
وَجَزَعْتُ جَزَعًا شَدِيدًا وَرَأَيْتُ مِنْهُ اسْتِحْقَافَهُ وَتَهَاوُنَهُ بِأَمْرِي . يَدْعُونِي
بِأَسْمَى وَلَا يُفَكِّرُ فِي أَمْتَاعِي مِنَ الْأَكْلِ . وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا جِئْتُ بِهِ
وَيَاكُلُ مُطْمَئِنًّا وَأَنَا مُفَكِّرٌ فِي ذَلِكَ . فَلَمَّا قَرَعَ مِنْ أَكْلِهِ وَغَسَلَ
يَدَيْهِ دَعَا بِالْجُورِ فَتَجَرَّ وَقَامَ إِلَى الصَّلَاةِ وَصَلَّى الظُّهْرَ وَكَثَّرَ مِنَ الدُّعَاءِ
وَالْإِبْتِهَالِ . وَرَأَيْتُ صَلَاتَهُ حَسَنَةً . فَلَمَّا انْتَقَلَ مِنَ الْحِرَابِ أَقْبَلَ
عَلَيَّ وَقَالَ : مَا أَقْدَمَكَ يَا مَنَارَةَ . فَأَخْرَجْتُ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
وَدَفَعْتُهُ إِلَيْهِ فَقَضَّهْهُ وَقَرَّاهُ . فَلَمَّا اسْتَمْتَمَ قِرَاءَتَهُ دَعَا أَوْلَادَهُ وَحَاشِيَتَهُ
فَاجْتَمَعَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ . فَلَمْ أَشْكُ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُوقِعَ بِي . فَلَمَّا
تَكَلَّمُوا ابْتَدَأَ فَحَلَفَ أَيْمَانًا غَلِيظَةً فِيهَا الطَّلَاقُ وَالْعَتَاقُ وَالْحَجُّ
وَالصَّدَقَةُ وَالْوَقْفُ أَنْ لَا يَجْتَمِعَ أَثْنَانِ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ . وَأَمَرَهُمْ
أَنْ يَنْصَرِفُوا وَيَدْخُلُوا مَنَازِلَهُمْ وَلَا يَظْهَرُوا إِلَيَّ أَنْ يُكْشَفَ لَهُمْ أَمْرٌ
يَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ وَقَالَ : هَذَا كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْمُضِيِّ إِلَيْهِ وَلَسْتُ
أَقِيمُ بَعْدَ نَظَرِي فِيهِ سَاعَةً وَاحِدَةً . وَأَسْتَوْصُوا بَيْنَ وَرَائِي مِنَ الْحَرِيمِ
خَيْرًا . وَمَا لِي حَاجَةٌ أَنْ يَصْحَبَنِي أَحَدٌ . هَاتِ قِيُودَكَ يَا مَنَارَةَ .
فَدَعَوْتُ بِهَا وَكَانَتْ فِي سَفَطٍ وَمَدَّ يَدَهُ فَقَبَضَتْهُ وَأَمَرْتُ غُلَامَانِي بِحَمْلِهِ
حَتَّى صَارَ فِي الْحِمْلِ وَرَكِبْتُ فِي الشَّقِ الْآخِ وَسِرْتُ مِنْ وَقْتِي . وَلَمْ
أَلَقِ أَمِيرَ الْبَلَدِ وَلَا غَيْرَهُ . وَسِرْتُ بِالرَّجُلِ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ إِلَّا أَنْ

صِرْنَا بِظَاهِرِ دِمَشْقَ . فَأَبْدَأُ يُحَدِّثُنِي بِأَنْبِسَاطٍ حَتَّى أُنْتَهِنَا إِلَى بُسْتَانٍ
حَسَنِ فِي الْغُوطَةِ فَقَالَ لِي : أَرَى هَذَا . قُلْتُ نَعَمْ . قَالَ : إِنَّهُ لِي .
وَفِيهِ مِنْ غَرَائِبِ الْأَشْجَارِ كَيْتٌ وَكَيْتٌ . ثُمَّ أُنْتَهَى إِلَى آخِرٍ فَقَالَ
مِثْلَ ذَلِكَ . ثُمَّ أُنْتَهَى إِلَى مَزَارِعِ حِسَانٍ وَقُرَى فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ :
هَذَا لِي . فَأَشْتَدَّ غَيْظِي مِنْهُ . وَقُلْتُ : أَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
أَهْمَهُ أَمْرُكَ حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيْكَ مَنْ أُنْتَرَتَكَ مِنْ بَيْنِ أَهْلِكَ وَمَا لَكَ
وَوَلَدِكَ وَأَخْرَجَكَ فَرِيدًا مُقَيَّدًا مَغْلُولًا مَا تَدْرِي إِلَى مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ
أَمْرُكَ وَلَا كَيْفَ يَكُونُ . وَأَنْتَ فَارِغُ الْقَلْبِ مِنْ هَذَا حَتَّى تَصِفُ
ضِيَاعَكَ وَبَسَائِيتِكَ بَعْدَ أَنْ جِئْتِكَ . وَأَنْتَ لَا تَتَفَكَّرُ فِيمَا جِئْتَ بِهِ .
وَأَنْتَ سَاكِنُ الْقَلْبِ قَلِيلُ الْتَفَكُّرٍ لَقَدْ كُنْتُ عِنْدِي شَيْخًا فَاضِلًا . فَقَالَ
لِي مُجِيبًا : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاْجِعُونَ . أَخْطَأْتُ فِرَاسَتِي فِيكَ . لَقَدْ
ظَنَنْتُ أَنَّكَ رَجُلٌ كَامِلُ الْعَقْلِ وَأَنَّكَ مَا حَلَّاتَ مِنَ الْخُلَفَاءِ هَذَا الْمُحَلِّ
إِلَّا لِمَا عَرَفُوكَ . فَإِذَا عَقَلْتُكَ وَكَلَامُكَ يُشَبِّهُ \equiv لَامِ الْعَوَامِ . وَاللَّهُ
الْمُسْتَعَانُ . أَمَا قَوْلُكَ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْعَاجِهِ وَإِخْرَاجِهِ إِيَّايَ إِلَى
بَابِهِ عَلَى صُورَتِي هَذِهِ فَإِنِّي عَلَى ثِقَةٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي بِيَدِهِ
نَاصِيَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . وَلَا يَمْلِكُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا
إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَلَا ذَنْبَ لِي عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَخَافُهُ . وَبَعْدُ
فَإِذَا عَرَفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرِي وَعَرَفَ سَلَامَتِي وَصَلَاحَ نَاحِيَّتِي
سَرَحَنِي مُكْرَمًا . فَإِنَّ الْحَسَدَةَ وَالْأَعْدَاءَ رَمَوْنِي عِنْدَهُ بِمَا لَيْسَ فِي .

وَقَوْلُوا عَلَى الْأَقَاوِيلِ فَلَا يَسْتَحِيلُ دَنِي وَيُخْرِجُ مِنْ إِذَايَ وَإِذَا عَاجِي .
وَيَذِّنِي مَكْرَمًا وَيَقِينِي بِإِلَادِهِ مُعْظَمًا مُجَلًّا . وَإِنْ كَانَ قَدْ سَبَقَ فِي
عِلْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ يَبْدُو لِي مِنْهُ سُوءٌ وَقَدْ اقْتَرَبَ أَجَلِي وَكَانَ
سَنُّكَ دَمِي عَلَى يَدِهِ . فَإِنِّي أَحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ الَّذِي خَلَقَ وَرَزَقَ وَأَحْيَا
وَأَمَاتَ . وَإِنَّ الصَّبْرَ وَالرِّضَا وَالسَّلَامَ إِلَى مَنْ يَلَاكُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ .
وَقَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّكَ تَعْرِفُ هَذَا فَإِذَا نَقَدْ عَرَفْتُ مَبْلَغَ فَهْمِكَ .
فَإِنِّي لَا أَكَلِمَكَ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ
شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . ثُمَّ أَعْرَضَ عَنِّي فَمَا تَبِعْتُ مِنْهُ لَفْظَةً غَيْرَ التَّسْبِيحِ أَوْ
طَلَبِ مَاءٍ أَوْ حَاجَةٍ حَتَّى شَارَفْنَا الْكُوفَةَ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ عَشَرَ بَعْدَ
الظُّهْرِ وَاللُّجْبُ قَدْ اسْتَشْبَهَنِي قَبْلَ سِتَّةِ فَرَاسِخٍ مِنَ الْكُوفَةِ يَتَجَسَّسُونَ
خَبْرِي . فَحِينَ رَأَوْنِي رَجَعُوا عَنِّي مُتَقَدِّمِينَ بِالْخَبَرِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .
فَأَتَيْتُ إِلَى الْبَابِ فِي آخِرِ النَّهَارِ فَحَطَّطْتُ رَحْلِي . وَدَخَلْتُ عَلَى
الرَّشِيدِ وَقَبَّلْتُ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَوَقَفْتُ . فَقَالَ : هَاتِ مَا عِنْدَكَ
يَا مَنَارَةَ وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْفَلَ مِنْهُ عَنْ لَفْظَةٍ وَاحِدَةٍ . فَسُقْتُ الْحَدِيثَ مِنْ
أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ حَتَّى أُنْتَهَيْتُ إِلَى ذِكْرِ الْفَاصِكَةِ وَالطَّعَامِ وَالْغَسْلِ
وَالنَّجْوَرِ وَمَا حَدَّثَنِي بِهِ نَفْسِي مِنْ أَمْتِنَاعِهِ . وَالغَضَبُ يَظْهَرُ فِي وَجْهِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَيَتَزَايِدُ . حَتَّى أُنْتَهَيْتُ إِلَى فَرَاغِ الْأُمُورِ مِنَ الصَّلَاةِ
وَالنِّفَاقَةِ إِلَيَّ وَسُؤَالِهِ عَنْ سَبَبِ قُدُومِي وَدَفْعِي الْكِتَابَ إِلَيْهِ وَمُبَادَرَتِهِ
إِلَى إِحْضَارِ وَلَدِهِ وَأَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَخَافِهِ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَتَّبِعَهُ أَحَدٌ

وَصَرَفَهُ إِيَّاهُمْ وَمَدَّ رِجْلَيْهِ فَقَعِدَتْهُ . ثُمَّ زَالَ وَجْهُ الرَّشِيدِ يُسْفِرُ . فَلَمَّا
 انْتَهَيْتَ إِلَى مَا خَاطَبَنِي بِهِ عِنْدَ تَوْبِخِي لَهُ ، مَا رَكِبْنَا فِي الْحِمْلِ فَقَالَ :
 صَدَقَ وَاللَّهِ مَا هَذَا الرَّجُلُ إِلَّا مُحْسُودٌ عَلَى النِّعْمَةِ مَكْذُوبٌ عَلَيْهِ ،
 وَلِعَمْرِي لَيْدٌ أَرْحَمُنَاهُ وَأَذَيْنَاهُ وَرَعْنَا أَهْلَهُ . فَبَادَرَ بِتَرْعِ قِيُودِهِ وَتَنِي
 بِهِ . قَالَ : فَخَرَجْتُ وَتَرَعْتُ قِيُودَهُ وَأَدَخَاتُهُ إِلَى الرَّشِيدِ . فَمَا هُوَ إِلَّا
 أَنْ رَأَاهُ حَتَّى رَأَيْتُ مَاءَ الْحَيَاةِ يَجُولُ فِي وَجْهِ الرَّشِيدِ . فَدَنَا الْأُمَوِيُّ
 وَسَلَّمُ بِالْحِلَاقَةِ وَوَقَفَ . فَرَدَّ عَلَيْهِ الرَّشِيدُ رَدًّا جَمِيلًا وَأَمَرَهُ بِالْجُلُوسِ .
 فَجَلَسَ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ الرَّشِيدُ فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : بَلَّغْنَا عَنْكَ
 فَضْلَ هَيْئَةٍ وَأُمُورَ أَحِبِّينَا مَعَهَا أَنْ نَرَكَ وَنَسْمَعَ كَلَامَكَ وَنُحَسِّنَ إِلَيْكَ
 فَإِذَا كُرَّ حَاجَتَكَ . فَأَجَابَ الْأُمَوِيُّ جَوَابًا جَمِيلًا وَشَكَرَ وَدَعَا ثُمَّ قَالَ :
 أَيْسَرُ لِي عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا حَاجَةٌ وَاحِدَةٌ . فَقَالَ : مَقْضِيَّةٌ فَمَا
 هِيَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رُدَّنِي إِلَى بَلَدِي وَأَهْلِي وَوُلَدِي . قَالَ :
 نَفْعَالُ ذَلِكَ . وَلَكِنْ سَلْ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَصَالِحِ جَاهِكَ وَمَعَاشِكَ
 فَإِنْ مِثْلَكَ لَا يُخْرَجُ إِلَّا وَيُحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ هَذَا . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ عَمَّا لَكَ مِنْ صَفُونٍ وَقَدْ اسْتَعْنَيْتَ بِعَدْلِهِمْ عَنْ مَسْأَلَتِي . فَأُمُورِي
 مُسْتَقِيمَةٌ وَكَذَلِكَ أَهْلُ بَلَدِي بِالْعَدْلِ الشَّامِلِ فِي ظِلِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .
 فَقَالَ الرَّشِيدُ : أَنْصَرِفْ مُحْفُوظًا إِلَى بَلَدِكَ وَارْكُتْ إِلَيْنَا بِأَمْرٍ إِنْ
 عَرَضَ لَكَ . فَوَدَّعَهُ الْأُمَوِيُّ . فَلَمَّا وَلَّى خَارِجًا قَالَ الرَّشِيدُ : يَا مَنْارَةُ
 نَحْمَلُهُ مِنْ وَقْتِكَ وَسِرِّهِ رَاجِعًا كَمَا سِيرْتَهُ حَتَّى إِذَا وَصَلْتَ إِلَى مَجْلِسِهِ

الَّذِي أَخَذَتْهُ مِنْهُ قَوْدَعُهُ وَأَنْصَرَفَ . قَالَ مَنَارَةٌ : فَمَا زِلْتُ مَعَهُ حَتَّى
 أَنْتَهَى إِلَى مَحَلِّهِ فَفَرِحَتْ بِهِ أَهْلُهُ وَأَعْطَانِي عَطَاءً جَزِيلًا وَأَنْصَرَفْتُ
 (للالتيدي)

استقامة رجل اشتكى عليه ظلمًا

٣٣١ نُقِلَ عَنِ الرَّبِيعِ حَاجِبِ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ قَالَ : مَا رَأَيْتُ
 رَجُلًا أَحْضَرَ جَنَانًا وَلَا أَرْبَطَ جَاشَأً مِنْ رَجُلٍ رُفِعَ إِلَى الْمَنْصُورِ عَلَى أَنْ
 عِنْدَهُ وَدَائِعُ وَأَمْوَالُ ابْنِي أُمِّيَّةَ . فَأَمَرَنِي بِإِحْضَارِهِ فَأَحْضَرْتُهُ وَدَخَلْتُ
 بِهِ إِلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : قَدْ رُفِعَ إِلَيْنَا خَبَرُ الْوَدَائِعِ وَالْأَمْوَالِ الَّتِي
 عِنْدَكَ لِبَنِي أُمِّيَّةَ فَأَخْرِجْهَا لَنَا . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَوَارِثُ أَنْتَ
 لِبَنِي أُمِّيَّةَ . قَالَ : لَا . قَالَ : أَنْتَ لَهُمْ وَصِيٌّ . قَالَ : لَا . فَقَالَ لَهُ
 الرَّجُلُ : إِذَا فَمَا سَبَبُ سُؤَالِكَ عَمَّا فِي يَدَيَّ مِنْ ذَلِكَ . فَأُطْرَقَ
 الْمَنْصُورُ سَاعَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ لِلرَّجُلِ : إِنْ بَنِي أُمِّيَّةَ ظَلَمُوا
 الْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الْأَمْوَالِ وَأَنَا وَكَيْلُهُمْ فِي حَقِّهِمْ فَأَرِيدُ أَنْ أَخْذَ
 أَمْوَالَهُمْ وَأَجْعَلَهَا فِي بَيْتِ مَا لَهُمْ . فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 يَلِزُ فِي ذَلِكَ إِقَامَةُ الْبَيِّنَةِ الْعَادِلَةِ عَلَى أَنَّ الَّذِي فِي يَدَيَّ هُوَ لِبَنِي أُمِّيَّةَ
 وَأَنَّهُمْ خَانُوهُ وَظَلَمُوهُ وَأَغْتَصَبُوا مِنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ . فَإِنْ بَنِي أُمِّيَّةَ
 كَانَ لَهُمْ أَمْوَالٌ غَيْرُ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ . فَعَادَ الْمَنْصُورُ وَأُطْرَقَ إِلَى الْأَرْضِ
 سَاعَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَالتَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ لِي : يَا رَبِيعُ مَا رَجَبَ عَلَى
 الرَّجُلِ عِنْدَنَا شَيْءٌ . ثُمَّ إِنَّ الْمَنْصُورَ التَفَتَ إِلَى الرَّجُلِ وَبَشَّرَ بِهِ

مُبْتَسِمًا فِي وَجْهِهِ وَقَالَ لَهُ : هَلْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ فَأَقْضِيهَا لَكَ . فَقَالَ :
نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَاجَتِي أَنْ تُنْفِذَ كِتَابِي عَلَى الْبَرِيدِ إِلَى أَهْلِي فِي
الشَّامِ لِيَسْكُنُوا إِلَى سَلَامَتِي فَقَدْ رَاعَهُمْ إِشْخَاصِي مِنْ عِنْدِهِمْ . ثُمَّ
أَسْأَلَكَ حَاجَةً أُخْرَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ لَهُ : وَمَا هِيَ . فَقَالَ :
أُرِيدُ مِنْ كَرَمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ سَعَى بِي عِنْدَهُ
فَوَاللَّهِ مَا عِنْدِي لِبَنِي أُمِّيَّةٍ شَيْءٌ . وَلَا فِي يَدَيَّ مَالٌ وَلَا وَدِيعَةٌ وَلَا
فِي مَعْرِفَتِي أَنَّ لَهُمْ عِنْدَ أَحَدٍ شَيْئًا . وَلَكِنِّي لَمَّا مَثَلْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ
وَسَأَلْتَنِي رَأَيْتُ مَا قُلْتُ أَقْرَبَ إِلَى الْخَلَّاصِ وَالنَّجَاةِ . فَأَلْتَقَيْتُ أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورُ إِلَيَّ وَقَالَ لِي : يَا رَبِيعُ أَجْمَعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ سَعَى
بِهِ . قَالَ الرَّبِيعُ : فَأَخَذْتُ الرَّجُلَ وَجَمَعْتُهُ بِالَّذِي سَعَى بِهِ . فَحِينَ
رَأَاهُ الرَّجُلُ قَالَ : هَذَا غُلَامِي ضَرَبَ عَلَى ثَلَاثَةِ آلَافِ دِينَارٍ مِنْ مَالِي
وَأَبَقَ بِهَا مِنِّي . فَلَمَّا سَمِعَ الْمَنْصُورُ ذَلِكَ هَدَّدهُ وَشَدَّدَ عَلَيْهِ وَأَمَرَ
بِتَعْذِيبِهِ . فَأَقْرَأَ عِنْدَ ذَلِكَ الْغُلَامُ بِصَدَقِ كَلَامِ الرَّجُلِ وَأَنَّهُ غُلَامُهُ .
وَأَنَّهُ أَخَذَ الْمَالَ الَّذِي ذَكَرَهُ مَوْلَاهُ وَأَبَقَ بِهِ . وَسَعَى بِمَوْلَاهُ لِيَجْرِيَ
عَلَيْهِ أَمْرُ اللَّهِ وَيَسْلَمَ هُوَ مِنَ الْوُقُوعِ فِي يَدِهِ . فَأَلْتَقَيْتُ الْمَنْصُورُ إِلَى
الرَّجُلِ وَقَالَ : نَسَأُكَ الصَّفْحَ عَنْهُ . فَقَالَ الرَّجُلُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
صَفَحْتُ عَنْ جُرْمِهِ وَأَبْرَأْتُ ذِمَّتَهُ مِنْ الْمَالِ وَأَعْطَيْتُهُ ثَلَاثَةَ آلَافِ
دِينَارٍ أُخْرَى . فَقَالَ الْمَنْصُورُ : مَا عَلَى مَا فَعَلْتَ مِنَ الْكُرَمِ مَزِيدٌ .
فَقَالَ : بَلَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ هَذَا حَقُّ كَلَامِكَ . ثُمَّ أَسْتَأْذَنَ

وَأَنْصَرَفَ . وَكَانَ الْمَنْصُورُ بَعْدَ ذَلِكَ يَذْكُرُهُ تَعَجُّبُ وَيَقُولُ لِي :
مَا رَأَيْتُ قَطُّ مِثْلَ هَذَا الرَّجُلِ يَا رَبِيعُ (اللاتليدي)

غيلان بن سمنة عند كسرى

٣٣٢ خَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ يُرِيدُونَ الْعِرَاقَ بِتِجَارَةٍ .
فَلَمَّا سَارُوا أَتَانَا جَمْعُهُمْ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّا مِنْ مَسِيرِنَا هَذَا أَلَى
خَطَرٍ مَا قَدُومُنَا عَلَى مَلِكٍ جَبَّارٍ لَمْ يَأْذَنْ لَنَا فِي الْقُدُومِ عَلَيْهِ وَابْتَسَتْ
بِلَادُهُ إِنَّا نُنْتَجِرُ . وَلَكِنْ أَتَيْكُمْ يَذْهَبُ بِالْعِيرِ فَإِنْ أَصِيبَ فَتَحْنُ بَرَاءً مِنْ
دَمِهِ وَإِنْ غَنِمَ فَلَهُ نِصْفُ الرِّبْحِ . فَقَالَ غِيلَانُ بْنُ سَلَمَةَ : دَعُونِي إِذَا
فَأَنَّا لَهَا . فَلَمَّا قَدِمَ بِلَادَ كِسْرَى تَخَلَّقَ وَلَبَسَ ثَوْبَيْنِ أَصْفَرَيْنِ . وَشَهِرَ
أَمْرَهُ وَجَلَسَ بَابَ كِسْرَى حَتَّى أَذِنَ لَهُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَبَيْنَهُمَا شَبَابُكَ مِنْ
ذَهَبٍ . فَخَرَجَ إِلَيْهِ التَّرْجَمَانُ وَقَالَ لَهُ : يَقُولُ لَكَ الْمَلِكُ : مَا أَذْخَلَكَ
بِلَادِي بِغَيْرِ إِذْنِي . فَقَالَ : قُلْ لَهُ : أَنَسْتُ مِنْ أَهْلِ عِدَاوَةِ لَكَ وَلَا
أَتَيْتُكَ جَاسُوسًا لِضِدِّ مِنْ أَضْدَادِكَ . وَإِنَّمَا جِئْتُ بِتِجَارَةٍ لَسْتُمْعُ بِهَا .
فَإِنْ أَرَدْتَهَا فَهِيَ أَيْكَ . وَإِنْ لَمْ تُرِدْهَا وَأَذِنْتَ فِي بَيْعِهَا لِرَعِيَّتِكَ بَعْتُهَا .
وَإِنْ لَمْ تَأْذَنْ فِي ذَلِكَ رَدَدْتُهَا . قَالَ : فَإِنَّهُ لَيَتَكَلَّمُ . وَإِذَا سَمِعَ صَوْتَ
كِسْرَى سَجَدَ . فَقَالَ لَهُ التَّرْجَمَانُ : يَقُولُ لَكَ الْمَلِكُ : لَمْ تَسْجُدْتَ .
فَقَالَ : سَمِعْتُ صَوْتًا عَالِيًا حَيْثُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَعْلُو صَوْتُهُ إِجْلَالًا
لِلْمَلِكِ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَمْ يُقَدِّمْ عَلَى رَفْعِ الصَّوْتِ هُنَاكَ غَيْرُ الْمَلِكِ
فَسَجَدْتُُ إِعْظَامًا لَهُ . قَالَ : فَاسْتَحْسَنَ كِسْرَى مَا فَعَلَ وَأَمَرَ لَهُ بِمِرْفَقَةٍ

فَوَضَعَ تَحْتَهُ . فَلَمَّا أَتَى بِهَا رَأَى عَلَيْهَا صُورَةَ الْمَلِكِ فَوَضَعَهَا عَلَى رَأْسِهِ
فَأَسْتَحْبَلَهُ كِسْرَى وَأَسْتَحَمَتْهُ . وَقَالَ لِلتَّرْجَمَانِ : قُلْ لَهُ : إِنَّمَا بَعَثْنَا بِهَذِهِ
لِلنَّجَاسِ عَائِيًا . قَالَ : قَدْ عَلِمْتُ وَلَكِنِّي لَمَّا أَتَيْتُ بِهَا رَأَيْتُ عَلَيْهَا صُورَةَ
الْمَلِكِ فَلَمْ يَكُنْ حَقُّ صُورَتِهِ عَلَى مِثْلِي أَنْ يَجْلِسَ عَلَيْهَا . وَلَكِنْ كَانَ حَقُّهَا
التَّعْظِيمَ فَوَضَعْتُهَا عَلَى رَأْسِي لِأَنَّهُ أَشْرَفُ أَعْضَائِي وَأَكْرَمُهَا عَلَيَّ .
فَأَسْتَحَسَنَ فِعْلَهُ جِدًّا . ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَلَيْكَ وَلَدٌ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَأَيُّهُمْ
أَحَبُّ إِلَيْكَ . قَالَ : الصَّغِيرُ حَتَّى يَكْبُرَ . وَالْمَرِيضُ حَتَّى يَبْرَأَ . وَالْغَائِبُ
حَتَّى يَوُوبَ . فَقَالَ كِسْرَى : زِدْ . مَا أَدْخَلَكَ عَلَى وَدَّكَ عَلَى هَذَا
الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ إِلَّا حَظُّكَ . فَبُذِلَ فِعْلُ الْحُكْمَاءِ وَكَلَامُهُمْ وَأَنْتَ مِنْ
قَوْمٍ جَفَاءٍ لَا حِكْمَةَ فِيهِمْ . فَمَا غِذَاؤُكَ . قَالَ : خُبْزُ الْبُرِّ . قَالَ : هَذَا
الْعَمَلُ مِنَ الْبُرِّ لَا مِنَ اللَّبَنِ وَالْتَمَرِ . ثُمَّ اشْتَرَى مِنْهُ التِّجَارَةَ بِأَضْعَافِ
ثَمَرِهَا وَكَسَاهُ وَبَعَثَ مَعَهُ مِنَ الْفُرْسِ مَنْ بَنَى لَهُ أَطْلَمًا بِالطَّائِفِ فَكَانَ
أَوَّلَ أَطْلَمِ بَنِي بَهَا

(اللاصبياني)

المؤمن ورثي البراءة

٣٣٣ قَالَ خَادِمُ الْمُؤْمِنِينَ : طَلَبَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَيْلَةَ وَقَدْ مَضَى مِنْ
الْأَمَلِ ثَلَاثَةٌ . فَقَالَ لِي : خُذْ مَعَكَ فُلَانًا وَفُلَانًا وَسَمَّاهُمَا لِي أَحَدُهُمَا عَلَى
أَبْنِ مُحَمَّدٍ وَالْآخَرَ دِينَارَ الْخَادِمِ . وَأَذْهَبْ مُسْرِعًا لِمَا أَقُولُ لَكَ . فَإِنَّهُ
بَلَّغَنِي أَنَّ شَيْخًا مُحَضَّرًا لَيْلًا إِلَى آثَارِ دُورِ الْبَرَامِكَةِ وَيُشَدُّ شِعْرًا وَيَذْكُرُهُمْ
ذِكْرًا كَثِيرًا وَيَنْدُبُهُمْ وَيَبْكِي عَلَيْهِمْ ثُمَّ يَنْصَرِفُ . فَأَمَضِ أَنْتَ وَعَلِيُّ

وَدِينَارٌ حَتَّى تَرَدُّوا تِلْكَ الْخُرَابَاتِ فَاسْتَرَوْا خَلْفَ بَعْضِ الْجُدُرِ . فَإِذَا
رَأَيْتُمْ الشَّيْخَ قَدْ جَاءَ وَبَكَى وَنَدَبَ وَأَنْشَدَ أَيَّامًا فَأَتَوْنِي بِهِ . قَالَ :
فَأَخَذْتُهُمَا وَمَضَيْنَا حَتَّى أَتَيْنَا الْخُرَابَاتِ فَإِذَا نَحْنُ بِغَلَامٍ قَدْ أَتَى وَمَعَهُ
بِسَاطٌ وَكُرْسِيٌّ حَدِيدٌ . وَإِذَا شَيْخٌ قَدْ جَاءَ وَلَهُ جَمَالٌ وَعَالِيَهُ مَهَابَةٌ
وَأُطْفٌ فَجَلَسَ عَلَى الْكُرْسِيِّ وَجَعَلَ يَبْكِي وَيَتَحَبَّبُ وَيَقُولُ هَذِهِ
الْأَيَّاتُ :

رَمَّا رَأَيْتُ السَّيْفَ جَنْدَلًا جَعْفَرًا وَنَادَى مُنَادٍ لِلْخَلِيفَةِ فِي يَمْحَى
بَكَيْتُ عَلَى الدُّنْيَا وَزَادَ تَأْسِفِي عَلَيْهِمْ وَقَاتِ الْآنَ لَا تَنْفَعُ لَدُنِّيَا
مَعَ أَيَّاتٍ أَطَالَهَا . فَلَمَّا فَرَغَ قَبَضْنَا عَلَيْهِ وَقُلْنَا لَهُ : أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .
فَفُزِعَ فَزَعًا شَدِيدًا وَقَالَ : دَعُونِي حَتَّى أُوصِيَ بِوَصِيَّةٍ فَإِنِّي لَا أُوقِنُ
بَعْدَهَا بِحَيَاةٍ . ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَى بَعْضِ الدُّسَكَاكِينَ وَاسْتَقْبَحَ وَأَخَذَ وَرْقَةً
وَكَتَبَ فِيهَا وَصِيَّةً وَسَأَلَهَا إِلَى غُلَامِهِ . ثُمَّ سَرَّ نَابَهُ . فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ
يَدَيْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ حِينَ رَأَاهُ : مَنْ أَنْتَ وَمَا اسْتَوْجَبْتَ مِنْكَ
الْبَرَامِكَةُ مَا تَفْعَلُهُ فِي خَرَائِبِ دُورِهِمْ . قَالَ الشَّيْخُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
إِنَّ لِلْبَرَامِكَةِ أَيَّادِي خَضِرَةً عِنْدِي أَفْتَأْذَنُ لِي أَنْ أُحَدِّثَكَ بِمَحَالِي
مَعَهُمْ . قَالَ : قُلْ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَا الْمُنْذِرُ بْنُ الْمَغِيرَةِ مِنْ
أَوْلَادِ الْمُلُوكِ . وَقَدْ زَالَتْ عَنِّي نِعْمَتِي كَمَا تَرَوْنَ عَنِ الرِّجَالِ . فَلَمَّا
رَكِبَنِي الدِّينُ وَاحْتَجَّتْ إِلَى بَيْعِ مَا عَلَيَّ رَأَيْتُ وَرُؤُوسَ أَعْلَى وَبَيْتِي
الَّذِي وُلِدْتُ فِيهِ أَشَارُوا عَلَيَّ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْبَرَامِكَةِ فَخَرَجْتُ مِنْ

دِمَشْقَ وَمَعِي نَيْفٌ وَثَلَاثُونَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِي وَوَلَدِي وَلَيْسَ مَعَنَا مَا
 يُبَاعُ وَلَا مَا يُوهَبُ . حَتَّى دَخَلْنَا بَغْدَادَ وَزُلْنَا فِي بَعْضِ الْمَسَاجِدِ .
 فَدَعَوْتُ بَعْضَ ثِيَابِ كُنْتُ أَعْدَدْتُهَا لِأَسْتَرِ بِهَا فَلَيْسَتْهَا وَخَرَجْتُ
 وَتَرَكْتُهُمْ جِيَاعًا لَا شَيْءَ عِنْدَهُمْ . وَدَخَلْتُ شَوَارِعَ بَغْدَادَ سَائِلًا عَنْ
 الْبَرَامِكَةِ . فَإِذَا أَنَا بِمَسْجِدٍ مُزَخْرَفٍ وَفِي جَانِبِهِ شَيْخٌ بِأَحْسَنِ زِيٍّ
 وَزِينَةٍ . وَعَلَى الْبَابِ خَادِمَانِ وَفِي الْجَمْعِ جَمَاعَةٌ جُلُوسٌ . فَطَمَعْتُ فِي
 الْقَوْمِ وَدَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَجَلَسْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ . وَأَنَا أَقْدِمُ رَجُلًا
 وَأُخْرَى أُخْرَى . وَالْعَرَقُ يَسِيلُ مِنِّي لِأَنَّهُمَا لَمْ تَكُنْ صِنَاعَتِي . وَإِذَا
 الْخَادِمُ قَدْ أَقْبَلَ وَدَعَا الْقَوْمَ فَقَامُوا وَأَنَا مَعَهُمْ . فَدَخَلُوا دَارَ يَحْيَى بْنِ
 خَالِدٍ فَدَخَلْتُ مَعَهُمْ وَإِذَا يَحْيَى جَالِسٌ عَلَى دَكَّةٍ لَهُ وَسْطُ بُسْتَانٍ .
 فَسَلَّمْنَا وَهُوَ يُعِدُّنَا مَائَةً وَوَاحِدًا . وَبَيْنَ يَدَيْهِ عَشْرَةٌ مِنْ وَلَدِهِ . وَإِذَا
 بِمَائَةٍ وَأَثْنَاءَ عَشَرَ خَادِمًا قَدْ أَقْبَلُوا وَمَعَ كُلِّ خَادِمٍ صِنِيَّةٌ مِنْ فِضَّةٍ عَلَى
 كُلِّ صِنِيَّةٍ أَلْفُ دِينَارٍ . فَوَضَعُوا بَيْنَ يَدَيَّ كُلِّ رَجُلٍ مِائَتَا صِنِيَّةٍ .
 فَرَأَيْتُ الْقَاضِيَّ وَالْمَشَافِيحَ يَضَعُونَ الدَّنَائِيرَ فِي أَكْثَامِهِمْ وَيَجْعَلُونَ
 الصَّوَانِي تَحْتَ أَبْطَهِمُ وَيَقُومُ الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ حَتَّى بَقِيَْتُ وَحْدِي لَا
 أَجْسِرُ عَلَى اخْتِارِ الصِّنِيَّةِ . فَعَمَزَنِي الْخَادِمُ فَجَسَرْتُ وَأَخَذْتُهَا وَجَعَلْتُ
 الذَّمْبَ فِي كُمِي وَالصِّنِيَّةَ فِي يَدِي . وَقَمْتُ وَجَعَلْتُ أَتَيْتُ إِلَى
 وَرَائِي مَخَافَةً أَنْ أَمْنَعَ مِنَ الذَّهَابِ . فَوَصَلْتُ وَأَنَا كَذَلِكَ إِلَى
 عَمْرٍو الدَّارِ وَيَحْيَى يُلَاحِظُنِي . فَقَالَ لِلْخَادِمِ : ائْتِنِي بِهَذَا الرَّجُلِ .

فَأَتَانِي . فَقَالَ : مَا لِي أَرَاكَ تَلَفَّتْ بَيْنَنَا وَشِمَالًا . فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ قِصَّتِي .
فَقَالَ لِلْخَادِمِ : ائْتِنِي بِوَلَدِي مُوسَى . فَأَتَاهُ بِهِ . فَقَالَ لَهُ : يَا بَنِي هَذَا
رَجُلٌ غَرِيبٌ فَخُذْهُ إِلَيْكَ وَاحْفَظْهُ بِنَفْسِكَ وَنِعْمَتِكَ . فَقَبَضَ مُوسَى
وَلَدَهُ عَلَى يَدَيْهِ وَأَدْخَلَنِي إِلَى دَارٍ مِنْ دُورِهِ . فَأَكْرَمَنِي غَايَةَ الْإِكْرَامِ
وَأَقَمْتُ عِنْدَهُ يَوْمِي وَلَيْلَتِي فِي الدَّعِيشِ وَأَتَمَّ سُرُورٍ . فَلَمَّا أَصْبَحَ دَعَا
بِأَخِيهِ الْعَبَّاسَ وَذَالَ لَهُ : الْوَزِيرُ أَمَرَنِي بِالْعَطْفِ عَلَى هَذَا الْفَتَى وَقَدْ
عَلِمْتُ اشْتِغَالِي فِي بَيْتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَأَقْبَضَهُ إِلَيْكَ وَأَكْرَمَهُ .
فَفَعَلَ ذَلِكَ وَأَكْرَمَنِي غَايَةَ الْإِكْرَامِ . ثُمَّ لَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ تَسْلَمَنِي
أَخُوهُ أَحْمَدُ . ثُمَّ لَمْ أَزَلْ فِي أَيْدِي الْقَوْمِ يَتَدَاوُلُونِي عَلَى مُدَّةِ عَشْرَةِ
أَيَّامٍ لَا أَعْرِفُ خَبَرَ عِيَالِي وَصِيبِيَانِي أَفِي الْأَمْوَاتِ هُمْ أَمْ فِي الْأَحْيَاءِ .
فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الْحَادِي عَشَرَ جَاءَنِي خَادِمٌ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْخَدَمِ .
فَقَالُوا : قُمْ فَأَخْرُجْ إِلَى عِيَالِكَ بِسَلَامٍ . فَقُلْتُ : وَأَوَيْلَاةٍ سَلِمْتُ
الدَّانِيرَ وَالصَّنِيَّةَ وَأَخْرَجْتُ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ . إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ .
فَرَفَعَ السِّتْرَ الْأَوَّلَ ثُمَّ الثَّانِي ثُمَّ الثَّلَاثَ ثُمَّ الرَّابِعَ . فَلَمَّا رَفَعَ الْخَادِمُ
السِّتْرَ الْأَخِيرَ . قَالَ لِي : مَهْمَا كَانَ لَكَ مِنَ الْخَوَائِجِ فَأَرْفُقْهَا إِلَيَّ .
فَأَنَّنِي بِمَأْمُورٍ بِقَضَاءِ جَمِيعِ مَا تَأْمُرُنِي بِهِ . فَلَمَّا رَفَعَ السِّتْرَ الْأَخِيرَ رَأَيْتُ
حُجْرَةً كَأَنَّ شَمْسَ حُسْنًا وَنُورًا . وَأَسْتَقْبَلَنِي مِنْهَا رَائِحَةُ النَّدِّ وَالْعُودِ
وَنَفْحَاتُ الْمِسْكِ . وَإِذَا بِصِيبِيَانِي وَعِيَالِي يَتَقَلَّبُونَ فِي الْحَرِيرِ وَالْدِّيْبَاجِ
وَحَمَلَ إِلَيَّ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَعَشْرَةَ أَلْفِ دِينَارٍ . وَمَنْشُورًا بِضِعْمَتَيْنِ

وَتِلْكَ الصِّينِيَّةُ الَّتِي كُنْتُ أَخَذْتُهَا بِمَا فِيهَا مِنَ الدَّنَائِيرِ وَالْبَنَادِقِ . وَاقْتَت
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ الْبَرَامِكَةِ فِي دُورِهِمْ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً لَا يَعْلَمُ
النَّاسُ أَمِنَ الْبَرَامِكَةِ أَنَا أَمْ رَجُلٌ غَرِيبٌ . فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ الْبَلِيَّةُ وَنَزَلَ
بِهِمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الرَّشِيدِ مَا نَزَلَ أَحْجَفْنِي عَمْرُو بْنُ مُسْعِدَةَ
وَالزَّمَنِي فِي هَاتَيْنِ الضَّيْعَتَيْنِ مِنَ الْخُرَاجِ مَا لَا يَفِي دَخْلُهُمَا بِهِ . فَلَمَّا
تَحَامَلَ عَلَى الدَّهْرِ كُنْتُ فِي آخِرِ اللَّيْلِ أَقْصِدُ خَرَابَاتِ دُورِهِمْ
فَأَنْدَبُهُمْ وَأَذْكُرُ حَسَنَ صُنْعِهِمْ إِلَيَّ وَأُبْكِي عَلَى إِحْسَانِهِمْ . فَقَالَ
الْمَأْمُونُ : عَلَيَّ بَعْمَرُو بْنُ مُسْعِدَةَ . فَلَمَّا أَتَى بِهِ قَالَ لَهُ : تَعْرِفُ هَذَا
الرَّجُلَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هُوَ بَعْضُ صَنَائِعِ الْبَرَامِكَةِ . قَالَ : كَمْ
الزَّمَنَةُ فِي ضَيْعَتِهِ . قَالَ : كَذَا وَكَذَا . فَقَالَ لَهُ : رُدِّ إِلَيْهِ كُلَّ مَا أَخَذْتَهُ
مِنْهُ فِي مُدَّتِهِ وَأَفْرِغْهُمَا لَهُ لِيَكُونَ لَهُ وَاعْقِبِهِ مِنْ بَعْدِهِ . قَالَ : فَعَلَا
نَحِيبُ الرَّجُلَ . فَلَمَّا رَأَى الْمَأْمُونُ كَثْرَةَ بُكَائِهِ قَالَ لَهُ : يَا هَذَا قَدْ
أَحْسَنَّا إِلَيْكَ فَمَا يَبْكِيكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَهَذَا أَيْضًا مِنْ صَنِيعِ
الْبَرَامِكَةِ . لَوْ لَمْ آتِ خَرَابَاتُهُمْ فَأُبْكِيهِمْ وَأَنْدَبُهُمْ حَتَّى أَتَّصِلَ خَبْرِي
إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَفَعَلَ بِي مَا فَعَلَ مِنْ أَيْنَ كُنْتُ أَصِلُ إِلَى أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَيْمُونٍ : فَرَأَيْتُ الْمَأْمُونَ وَقَدْ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ
وظَهَرَ عَلَيْهِ حُزْنُهُ . وَقَالَ : لَعَمْرِي هَذَا مِنْ صَنَائِعِ الْبَرَامِكَةِ فَعَلَيْهِمْ
فَأَبُكْ وَيَا أَيُّهُمْ فَأَشْكُرْ وَلَهُمْ فَأَوْفِ وَلِإِحْسَانِهِمْ فَأَذْكُرْ (للاتليدي)

الْبَابُ الْعَاشِرُ فِي أَنْفِكَاهَاتِ

٣٣٤ قَرَعَ قَوْمٌ عَلَى الْجَاحِظِ الْبَابَ فَخَرَجَ صَبِيٌّ لَهُ . فَسَأَلُوهُ مَا يَصْنَعُ .
فَقَالَ : هُوَذَا يَكْذِبُ عَلَى اللَّهِ . قِيلَ : كَيْفَ . قَالَ : نَظَرَ فِي أَمْرَةٍ .
فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَنِي فَأَحْسَنَ صُورَتِي (الكمال الدين الحلبي)
٣٣٥ تَحَاكَمَ إِلَى أَبِي يُوسُفَ الْقَاضِي الرَّشِيدُ وَزُبَيْدَةُ فِي الْقَالُودِجِ
وَاللُّوزِينِجِ أَيُّهُمَا أَطْيَبُ . فَقَالَ : أَنَا لَا أَحْكُمُ عَلَى الْغَائِبِ . فَأَمَرَ
بِاتِّخَاذِهَا وَتَمْدِيمِهَا إِلَيْهِ . فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْ هَذَا مَرَّةً وَمِنْ ذَلِكَ أُخْرَى
حَتَّى نَصَفَ الْجَامَ . ثُمَّ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا رَأَيْتُ أَعْدَلَ مِنْهُمَا
كَلِمًا أَرَدْتُ أَنْ أُسْجَلَ لِأَحَدِهِمَا أَذَى الْآخَرِ بِحُجَّتِهِ (اللابشيهي)

العائد والمريض

٣٣٦ مَرَضَ صَدِيقٌ لِحَامِدِ بْنِ الْعَبَّاسِ فَأَرَادَ أَنْ يُنْفَذَ إِلَيْهِ ابْنُهُ
يَعُودُهُ . فَأَوْصَاهُ وَقَالَ : إِذَا دَخَلْتَ فَأَجْلِسْ فِي أَرْفَعِ الْمَوْضِعِ وَقُلْ
لِلْمَرِيضِ : مَا تَشْكُو . فَإِذَا قَالَ : كَذَا وَكَذَا فَقُلْ : سَلِيمٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .
وَقُلْ لَهُ : مَا يَجِئُكَ مِنَ الْأَطِبَّاءِ . فَإِذَا قَالَ : فُلَانٌ . فَقُلْ : مُبَارَكٌ
مَمِيُونٌ . وَقُلْ لَهُ : مَا عَزَاؤُكَ . فَإِذَا قَالَ : كَذَا وَكَذَا . فَقُلْ طَعَامٌ مَحْمُودٌ .
فَذَهَبَ الْإِبْنُ فَدَخَلَ عَلَى الْعَلِيلِ . وَكَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ مَنَارَةٌ فَجَلَسَ
عَلَيْهَا لِارْتِفَاعِهَا . فَسَقَطَتْ عَلَى صَدْرِ الْعَلِيلِ فَأَوْجَعَتْهُ . ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ

لِلْعَلِيلِ : مَا تَشْكُو . فَقَالَ بِضَجْرَةٍ : أَشْكُو دَلَّةَ الْمَوْتِ . فَقَالَ : سَلِمٌ
 إِنْ شَاءَ اللَّهُ . قَالَ : فَمَنْ يَحْيِيكَ مِنَ الْأَطِبَّاءِ . قَالَ : مَلِكُ الْمَوْتِ .
 قَالَ : مُبَارَكٌ مَيُّونٌ . قَالَ : فَمَا غِذَاؤُكَ . فَقَالَ : سَمُ الْمَوْتِ . قَالَ :
 طَعَامٌ طَيِّبٌ مُحَمَّدٌ
 (لكمال الدين الحلبي)

نطبخ النازل

٣٣٧ مِنْ ظَرِيفٍ مَا اتَّفَقَ لِأَبِي الرَّقْعَمَقِ قَالَ : كَانَ لِي إِخْوَانُ
 أَرْبَعَةٌ وَكُنْتُ أَنَادِمُهُمْ فِي أَيَّامِ الْأُسْتَاذِ كَافُورٍ . فَأَتَى إِلَيَّ رَسُولُهُمْ فِي
 يَوْمٍ بَارِدٍ وَلَيْسَتْ لِي كُسْوَةٌ تُخَصِّنِي مِنَ الْبَرْدِ . فَقَالَ الرَّسُولُ :
 إِخْوَانُكَ يَقْرَأُونَ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَقُولُونَ لَكَ : أَضْطَجَعْنَا الْيَوْمَ
 وَذَبَحْنَا شَاةً سَمِينَةً فَأُشْتِهَ مَا نَطْبُخُهُ لَكَ وَأَتَيْنَا عَاجِلًا . فَكَتَبْتُ إِلَيْهِمْ :
 إِخْوَانُنَا قَصِدُوا الصُّبُوحَ بِسُحْرَةٍ فَأَتَى رَسُولُهُمْ إِلَيَّ خَصِيصًا
 قَالُوا اقْتَرَحْ شَيْئًا نَجِدُكَ طَبْخَهُ فَأَتِ أَطْبُخُوا لِي جُبَّةً وَقَمِيصًا
 فَذَهَبَ الرَّسُولُ إِلَيْهِمْ بِالرُّقْعَةِ . فَمَا شَعَرْتُ حَتَّى عَادَ وَمَعَهُ أَرْبَعُ
 خِالَمٍ وَأَرْبَعُ صُرَرٍ فِي كُلِّ صُرَّةٍ عَشْرَةُ دَنَانِيرٍ فَأَبَسْتُ إِحْدَاهَا وَسَرْتُ
 إِلَيْهِمْ

٣٣٨ وَحَكِي أَنَّهُ أَتَى بِرَجُلٍ مَدَنِيٍّ سَكْرَانٍ إِلَى بَعْضِ الْوَلَاةِ فَأَمَرَ
 بِإِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِ . وَكَانَ الرَّجُلُ طَوِيلًا وَالْجِلْدُ قَصِيرًا فَمَا يَتَدَكَّنُ مِنْ
 ضَرْبِهِ . فَقَالَ الْجَلَادُ تَقَاصِرْ لَيْنَا لَكَ الضَّرْبُ . فَقَالَ لَهُ : وَيَا لَكَ إِلَى
 أَكُلِ الْقَالُودِجِ تَدْعُونِي . وَلَقَدْ وَدِدْتُ لَوْ أَنِّي أَطُولُ مِنْ عُوجِ

أَبْنِ عَنُقٍ وَأَنْتَ أَقْصَرُ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ (للنواحي)

الاعربي وجرو الذئب

٣٣٩ حَكَى أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَخَذَ جِرَّو ذَيْبٍ فَرَبَّاهُ بِلَبَنِ شَاةٍ فَقَالَ : إِذَا رَبَّيْتُهُ مَعَ الشَّاةِ يَا نَسُ بِهَا فَيَذُبُّ عَنْهَا وَيَكُونُ أَشَدَّ مِنَ الْكَلْبِ . فَلَا يَعْرِفُ طَبْعَ أَجْناسِهِ . فَلَمَّا قَوِيَ وَثَبَ عَلَى شَاتِيهِ فَأَقْتَرَسَهَا . فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ :

بَقَرْتُ شُوَيْهَتِي وَفَجَعْتُ قَائِي وَأَنْتَ لِشَاتِنَا وَلَدُ رَبِيبٍ
غَذِيتَ بِدَرِّهَا وَرَبَّيْتَ فِينَا فَمَنْ أَنْبَاكَ أَنَّ أَبَاكَ ذَيْبٌ

عدل غريب

٣٤٠ جَاءَتْ أُمْرَأَةٌ إِلَى قَاضٍ فَقَالَتْ : مَاتَ زَوْجِي وَتَرَكَ أَبُوِيهِ وَوَلَدًا
وَأُمْرَأَةً وَأَهْلًا وَلَهُ مَالٌ . فَقَالَ لِأَبُوِيهِ الْكُلُّ . وَلِوَلَدِهِ الْيَتَمُ . وَلِأُمْرَأَتِهِ
الْخَلْفُ . وَلِأَهْلِهِ الْقِلَّةُ وَالذَّائَةُ . وَالْمَالُ يُحْمَلُ إِلَيْنَا حَتَّى لَا يَقَعَ فِيهِ بَيْنَكُمْ
الْخُصُومَةُ (للشعالي)

ابو دلالة وابن سليمان في الصيد

٣٤١ رُوِيَ أَنَّ أَبَا ذُلَامَةَ كَانَ مُتَحَرِّفًا عَلَى عَلِيِّ بْنِ سُلَيْمَانَ فَأَتَّفَقَ
أَنْ خَرَجَ الْمُهْدِيُّ إِلَى الصَّيْدِ وَمَعَهُ عَلِيٌّ وَأَبُو ذُلَامَةَ . فَرَمَى الْمُهْدِيُّ ظَبْيًا
عَنْ لَهُ فَأَنْفَذَ مَقَاتِلَهُ . وَرَمَى عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ فَأَصْطَادَ كَلْبًا مِنْ كِلَابِ
الصَّيْدِ فَأَرْتَجَلَ أَبُو ذُلَامَةَ :

قَدَرَمَى الْمُهْدِيُّ ظَبْيًا شَكَّ بِالسَّهْمِ فُؤَادَهُ

وَعَلِيُّ بْنُ سَلَيْمَانَ رَمَى كَلْبًا فَصَادَهُ
فَهَنَيْتُنَا لَهَا كُلُّ فَتَى يَأْكُلُ زَادَهُ

فَضَحَكَ الْمُدِّيُّ حَتَّى كَادَ يَسْقُطُ (بدايع البدائع للازدي)

٣٤٢ يَمْكِي أَنْ أَعْرَابِيًّا اسْتَضَافَ حَتْمًا فَلَمْ يَنْزِلْهُ . فَبَاتَ جَائِعًا
مَقْرُورًا . فَلَمَّا كَانَ فِي السَّحَرِ رَكِبَ رَاحَتَهُ وَانْصَرَفَ . فَتَقَدَّمَ حَاتِمٌ .
فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ بَيْنِ الْبُيُوتِ لَقِيَهُ مُتَنَكِّرًا فَقَالَ لَهُ : مَنْ كَانَ أَبَا مَثْوَالٍ
الْبَارِحَةَ . قَالَ : حَاتِمٌ . قَالَ : فَكَيْفَ كَانَ مَبِيتُكَ عِنْدَهُ . قَالَ : خَيْرَ مَبِيتٍ .
نَحَرْتُ لِي نَاقَةً فَأَطْعَمَنِي لَحْمًا عَيْطًا وَأَسْقَانِي الْخَمْرَ . وَعَافَ رَاحَتِي
وَسِرْتُ مِنْ عِنْدِهِ بِخَيْرِ حَالٍ . فَقَالَ لَهُ : أَنَا حَاتِمٌ . وَإِنَّكَ لَا تَبْرَحُ
حَتَّى تَرَى مَا وَصَفْتُ فَرَدَّهُ . وَقَالَ لَهُ : مَا حَمَلَكَ عَلَى الْكُذْبِ . فَقَالَ لَهُ
الْأَعْرَابِيُّ : إِنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ يُثْنُونَ عَلَيْكَ بِالْجُودِ . وَلَوْ ذَكَرْتُ شَرًّا
كُنْتُ أَكْذَبُ . فَرَجَعْتُ مُضْطَرًّا إِلَى قَوْلِهِمْ إِبْقَاءً عَلَى نَفْسِي لَا
عَلَيْكَ

(للشريشي)

الفتى والحمار

٣٤٣ قِيلَ مَضَى فَتَى فِي طَرِيقٍ عَلَى حِمَارٍ لَهُ حَتَّى أَمْسَى فَنَزَلَ فِي مَنْزِلٍ
بِالطَّرِيقِ . وَإِذَا بِرَجُلٍ قَدْ أَقْبَلَ عَلَى مَهْرٍ فَأَسْتَقْبَلَهُ الْفَتَى وَحَيَّاهُ فَأَنَسَ
بِهِ . وَجَلَسَا يَتَحَادَثَانِ بَرْهَةً فَأَسْتَاطَفَهُ الرَّجُلُ . ثُمَّ دَعَا بِطَعَامٍ فَخَضِرَ .
وَدَعَا بِعَلْفٍ لِمَهْرِهِ فَقَدَّمَ إِلَيْهِ . وَجَلَسَ يَأْكُلُ وَالْفَتَى . وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ
نَفَقَةٌ لِعَلْفِ حِمَارِهِ فَنَظَرَ إِلَى الرَّجُلِ وَقَالَ :

يَا سَيِّدِي نَظَمِي يُعَابُ بِشُرْكََا فَلَذَلِكَ شِعْرِي لَا يُقَاسُ بِشِعْرِكََا
 أَوْلَيْتَنِي فَضْلًا وَإِنِّي عَاجِزٌ مَا طَالَ عُمْرِي أَنْ أَقُومَ بِشُكْرِكََا
 أَنَا فِي ضِيَافَتِكَ الْعَشِيَّةَ كُلَّهَا فَأَجْعَلْ حِمْرِي فِي ضِيَافَةِ مُهْرِكََا
 فَضْحِكَ الرَّجُلُ . وَقَالَ : مَا هِيَ إِلَّا غَفْلَةٌ مِنِّي . وَدَعَا بِعَلَفٍ
 لِلْحِمَارِ كَعَلَفِ الْمُهْرِ فَقُدِّمَ إِلَيْهِ (لَابَن خَلَّكَان)

٣٤٤ قِيلَ لِرَجُلٍ جَبَانٍ فِي بَعْضِ الْوَقَائِعِ : تَقَدَّمْ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :
 وَقَالُوا تَقَدَّمْ قُلْتَ لَسْتُ بِفَاعِلٍ أَخَافُ عَلَى فُتْحَارْتِي أَنْ تَحْطُمَا
 فَلَوْ كَانَ لِي رَأْسَانِ أَلْقَيْتُ وَاحِدًا وَلَكِنَّهُ رَأْسٌ إِذَا رَاحَ أَغْقَمَا
 وَلَوْ كَانَ مُبْتَاعًا لَدَى السُّوقِ مِثْلُهُ فَعَلْتُ وَلَمْ أَحْفَلْ بِأَنْ أَتَقَدَّمَا
 فَأَوْتِمَ أَوْلَادًا وَأُرْمِلَ نِسْوَةً فَكَيْفَ عَلَى هَذَا تَرَوْنَ التَّقَدُّمَا

أَبُو دَلَامَةَ فِي بَيْتِ الدَّجَاجِ

٣٤٥ كَانَ الْمُهْدِيُّ قَدْ كَسَا أَبَا دَلَامَةَ سَاجًا فَأَخَذَ بِهِ وَهُوَ سَكْرَانٌ .
 فَأَتَى بِهِ إِلَى الْمُهْدِيِّ فَأَمَرَ بِتَمْزِيقِ السَّاجِ عَلَيْهِ وَأَنْ يُجْبَسَ فِي بَيْتِ
 الدَّجَاجِ . فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ وَصَحَا أَبُو دَلَامَةَ مِنْ سُكْرِهِ وَرَأَى
 نَفْسَهُ بَيْنَ الدَّجَاجِ صَاحٍ : يَا صَاحِبَ الْبَيْتِ فَاسْتَجَابَ لَهُ السَّجَّانُ
 قَالَ : مَا لَكَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ . قَالَ : وَبَيْتِكَ مَنْ أَدْخَلَنِي مَعَ الدَّجَاجِ . قَالَ :
 أَعْمَالُكَ الْخَبِيثَةُ . أَتَى بِكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْتَ سَكْرَانٌ . فَأَمَرَ بِتَمْزِيقِ
 سَاجِكَ وَجَبَسِكَ مَعَ الدَّجَاجِ . قَالَ لَهُ : وَبَيْتِكَ أَرْقُبُ لِي سِرَاجًا
 وَجِئَنِي بِدَوَاةٍ وَوَرَقٍ . فَكَتَبَ أَبُو دَلَامَةَ إِلَى الْمُهْدِيِّ :

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَدَتَكَ نَفْسِي عَلَامَ حَبَسْتَنِي وَخَرَقْتَ سَاجِي
 أَقَادُ إِلَى السَّجُونِ بَغِيرِ ذَنْبٍ كَأَنِّي بَعْضُ عُمَالِ الْخَرَجِ
 وَلَوْ مَعَهُمْ حَبَسْتُ لَهَانَ ذَاكُمْ وَلَكِنِّي حَبَسْتُ مَعَ الدَّجَاجِ
 دَجَاجَاتٌ يُطِيفُ بَيْنَ دِيكَ يُنَادِي بِالصِّيَاحِ إِذَا يُنَاجِي
 وَقَدْ كَانَتْ تُخَبِّرُنِي ذُنُوبِي بَأَنِّي مِنْ عَذَابِكَ غَيْرُ نَاجِي
 عَلَى أَنِّي وَإِنْ لَأَقِيتُ شَرًّا لِحَيْرِكَ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ رَاجِي
 ثُمَّ قَالَ أَوْصِلْهَا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَأَوْصَاهَا إِلَيْهِ السَّجَّانُ . فَلَمَّا قَرَأَهَا
 أَمَرَ بِإِطْلَاقِهِ وَأَدْخَلَهُ عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ : أَيْنَ بَيْتُ الْآيَلَةِ أَبَا دُلَامَةَ . قَالَ :
 فِي بَيْتِ الدَّجَاجِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : فَمَا كُنْتَ تَصْنَعُ . قَالَ :
 كُنْتُ أَقْوِي مَعَهُنَّ حَتَّى أَصْبَحْتُ . فَضَحِكَ الْمُهْدِيُّ وَأَمَرَ لَهُ بِصِلَةِ
 جَزِيلَةٍ وَخَلَعَ عَلَيْهِ كَسُوَةً شَرِيفَةً

في أي الاثنين اغلب على الرجل الادب او الطبع

٣٤٦ قِيلَ إِنَّ مَلِكًا مِنْ أَوَّلِ فَارِسَ كَانَ لَهُ وَزِيرٌ حَازِمٌ مُجَرَّبٌ فَكَانَ
 يَصْدُرُ عَنْ رَأْيِهِ وَيَتَعَرَّفُ الْإِيمَنَ فِي مَشُورَتِهِ . ثُمَّ إِنَّهُ هَلَكَ ذَلِكَ الْمَلِكُ
 وَقَامَ بَعْدَهُ وَلَدُهُ فَأَعْجَبَ بِنَفْسِهِ مُسْتَبِدًّا بِرَأْيِهِ وَمَشُورَتِهِ . فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ
 أَبَاكَ كَانَ لَا يَهْطُطُ أَمْرًا دُونَهُ . فَقَالَ : كَانَ يَهْطُطُ فِيهِ وَسَاءَ مُتَحَنُّنٌ
 بِنَفْسِي . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ : أَيُّهُمَا أَغْلَبُ عَلَى الرَّجُلِ الْأَدَبُ أَوْ
 الطَّبِيعَةُ . فَقَالَ لَهُ الْوَزِيرُ : الطَّبِيعَةُ أَغْلَبُ لِأَنَّهَا أَصْلُ وَالْأَدَبُ فَرْعٌ .
 وَكُلُّ فَرْعٍ يَرْجِعُ إِلَى أَصْلِهِ . فَدَعَا بِسُفْرَتِهِ فَلَمَّا وَضَعَتْ أَقْبَلَتْ سَنَانِيرُ

بأيديها ألتصم فوقفت حول السفرة فقال للوزير : أعتبر خطأك
 وضعف مذهبك متى كان أبوهذه السنابير شماعا . فسكت عنه
 الوزير . وقال : أمهلني في الجواب إلى الليلة المقبلة . فقال : ذلك لك .
 فخرج الوزير فدعا به الغلام له فقال : ألتمس لي قارا وأربطه في خيط
 وجئني به . فأتاه به الغلام فمقده في سبنته وصرحه في كفه . ثم راح
 من الغد إلى الملك فلما حضرت سفرته أقبلت السنابير بالتصم حتى
 حفت بها فحل الوزير القار من سبنته ثم ألقاه إليها . فاستبقت السنابير
 إليه ورمته بالتصم حتى كاد البيت يضطرم نارا . فقال الوزير :
 كيف رأيت غلبة الطبع على الأدب ورجوع الفرع إلى أصله . قال :
 صدقت . ورجع إلى ما كان أبوه عليه معه . فإنا مدار كل شيء على
 طبعه والتكافؤ مذموم من كل وجه .
 (لابن عبد ربّه)

المستخبر عن وفاة أبيه

٣٤٧ بينما قوم جلوس عند رجل من أهل المدينة يأكلون عنده
 حيتانا . إذ استأذن عليهم أشعب . فقال أحدهم : إن من شأن أشعب
 البسط إلى أجل الطعام . فأجعلوا كبار هذه الحيتان في قصعة بناحية
 ويأكل معنا الصغار . ففعلوا وأذن له . فقالوا له : كيف رأيت
 في الحيتان . فقال : إن لي عليها حردا شديدا أو حنقا لأن أبي
 مات في البحر وأكلته الحيتان . قالوا له : فدوتك خذ بئرا إليك .
 فجلس ومديده إلى حوت منها صغير . ثم وضعه عند أذنه وقد نظر إلى

الْتَصُّعَةِ الَّتِي فِيهَا الْحِيتَانُ فِي زَاوِيَةِ الْمَجْلِسِ فَقَالَ : أَتَذَرُونَ مَا يَقُولُ
لِي هَذَا الْحَوْتُ . قَالُوا : لَا . قَالَ : إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهُ لَمْ يَخْضِرْ مَوْتَ أَبِي .
وَلَا أَدْرَكَهُ لِأَنَّ سِنِّهُ يَصْغُرُ عَنْ ذَلِكَ . وَلَكِنْ قَالَ لِي : عَلَيْكَ بِتِلْكَ
الْكِبَارِ الَّتِي فِي زَاوِيَةِ الْبَيْتِ فَهِيَ أَدْرَكَتْ أَبَاكَ وَأَصْكَاتُهُ

الحب الانجاز

٣٤٨ أَصْطَحَبَ نَحْوِي وَرَجُلٌ فِي سَفَرٍ . فَمَرَضَ النَّحْوِيُّ . وَأَرَادَ الرَّجُلُ
أَنْ يَرْجِعَ إِلَى بَلَدِهِ . فَأَرَادَ النَّحْوِيُّ أَنْ يُحْمِلَهُ رِسَالَةً إِلَى أَهْلِهِ فَقَالَ لَهُ :
قُلْ لِأَهْلِي . لَقَدْ أَصَابَهُ صَدْعٌ فِي رَأْسِهِ . وَبَلَى بَوَّجِعَ أَضْرَاسِهِ . وَوَقَعَتْ
الْحُمَةُ فِي أَنْفَاسِهِ . وَقَدْ فَتَرَتْ يَدَاهُ . وَتَوَرَّمَتْ رِجْلَاهُ . وَتَخَوَّصَتْ
عَيْنَاهُ . وَأَنْحَلَتْ زَكَبَتَاهُ . وَأَصَابَهُ وَجَعٌ فِي ظَهْرِهِ . وَضَرْبَانٌ فِي صَدْرِهِ .
وَهَزَالٌ فِي طَحَالِهِ . وَتَقَطَّعُ فِي أَوْصَالِهِ . وَخَفَقَانٌ فِي قَلْبِهِ . وَالْمُ فِي صُلْبِهِ
وَمَاءٌ فِي عَيْنَيْهِ . وَرِيحٌ فِي سَاقِيهِ . وَارْتِخَاءٌ فِي حَنَصِكِهِ . وَنَبْضَانٌ فِي
صُدْغَيْهِ . وَسُكُونٌ فِي نَبْضِهِ مِنْ تَوَاتُرِ غَشْيَانِهِ وَسَكَنَةِ فِي لِسَانِهِ .
فَقَالَ الرَّجُلُ : يَا سَيِّدِي الشَّيْخُ أَنَا أَكْرَهُ أَنْ أُطِيلَ الْكَلَامَ وَلَكِنْ
أَقُولُ لَهُمْ : مَاتَ وَالسَّلَامُ

البقرة الغارقة

٣٤٩ حَكِي فِي الْإِحْيَاءِ أَنْ شَخْصًا كَانَ لَهُ بَقْرَةٌ وَكَانَ يَشُوبُ أَبْنَاهَا
بِالْمَاءِ وَيَبِيعُهُ . فَجَاءَ السَّيْلُ فِي بَعْضِ الْأَوْدِيَةِ وَهِيَ وَاقِفَةٌ تَرْعَى فَمَرَّ
عَلَيْهَا فَغَرَّقَهَا . فَجَلَسَ صَاحِبُهَا لِيَنْدُبَهَا . فَقَالَ لَهُ بَعْضُ بَنِيهِ : يَا أَبْتَ لَا

تُنْدِبُهَا فَإِنَّ الْمِيَاهَ الَّتِي كُنَّا نَخْلُطُهَا بِلَبَنٍهَا اجْتَمَعَتْ فَفَرَّقَتْهَا (الابشيهي)

السائل ونجيب

٣٥٠ قِيلَ إِنَّ سَائِلًا أَتَى إِلَى بَابِ رَجُلٍ مِنْ أَغْنِيَاءِ أَصْفَهَانَ فَسَأَلَ شَيْئًا لِلَّهِ . فَسَمِعَهُ الرَّجُلُ فَقَالَ لِعَبْدِهِ : يَا مُبَارَكُ قُلْ لِعِزِّهِ : يَقُولُ لَجَوْهَرٍ وَجَوْهَرٌ يَقُولُ لِإِقْوَتٍ وَيَأْقُوْتُ يَقُولُ لِلْأَمَاسِ وَالْأَمَاسُ يَقُولُ لِقَيْرُورٍ وَقَيْرُورٌ يَقُولُ لِرَجَانٍ وَمَرَجَانٌ يَقُولُ لِهَذَا السَّائِلِ : يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْكَ . فَسَمِعَهُ السَّائِلُ فَرَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ : يَا رَبِّ قُلْ لِحَبْرَائِيلَ يَقُولُ لِمِيكَائِيلَ وَمِيكَائِيلُ يَقُولُ لِدَرْدَائِيلَ وَدَرْدَائِيلُ يَقُولُ لِكِيكَائِيلَ وَكِيكَائِيلُ يَقُولُ لِإِسْرَافِيلَ وَإِسْرَافِيلُ يَقُولُ لِعِزْرَائِيلَ أَنْ يَزُورَ هَذَا الْبَخِيلَ . فَحَجَلَ التَّاجِرُ وَمَضَى السَّائِلُ حَالِ سَبِيلِهِ (الليثي)

٣٥١ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَصِفُ بَخِيلًا :

لَا يَخْرُجُ الزَّيْتُ مِنْ كَفِّهِ وَلَوْ ثَقَنَّاَهَا بِمِسْمَارٍ
يُخَاسِبُ الدَّيْكَ عَلَى نَقْدَةٍ وَيَطْرُدُ الْهَرَّ مِنَ الدَّارِ
يَكْتُبُ فِي كُلِّ رَغِيفٍ لَهُ بِحَرِّكَاتِكَ اللَّهُ مِنْ الْهَارِ

٣٥٢ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ الْخَنَاطُ فِي رَجُلٍ كَثِيرِ الْكَلَامِ :

لِي صَاحِبٌ فِي حَدِيثِهِ الْبَرَكَةُ يَزِيدُ عِنْدَ السُّكُونِ وَالْحَرَكَةِ
لَوْ قَالَ لَا فِي قَلِيلٍ أَحْرَفُهَا لَرَدَّهَا بِالْحُرُوفِ مُشْتَبِكَةً

٣٥٣ حَكَى دَعْبَالُ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ سَهْلِ بْنِ هَارُونَ يَوْمًا فَوَجَدْنَا نَادًى يَتَسَوَّرُ جُوعًا . ثُمَّ إِنَّهُ نَادَى غُلَامًا لَهُ وَقَالَ : وَيْحَكَ أَيْنَ الْغَدَاءُ . فَجَاءَ

بِقِصْمَةٍ فِيهَا دِيكَ مَطْبُوحٌ . فَتَأَمَّلْهُ ثُمَّ قَالَ : أَيْنَ الرَّسُّ . فَقَالَ الْعَلَامُ :
 رَمَيْتُهُ . قَالَ : إِنِّي لَا أَكْرَهُ أَنْ يَدْمَى بِرِجْلِهِ فَكَيْفَ بِرَأْسِهِ . وَتَحَكَّ أَمَا
 عَلِمْتَ أَنَّ الرَّأْسَ رَأْسُ الْأَعْضَاءِ وَمِنْهُ يَصْرُخُ الدِّيكُ . وَلَوْ لَا صَوْتُهُ
 مَا أُرِيدَ . وَفِيهِ فَرْقَةٌ الَّذِي يُتَبَرَّكُ بِهِ . وَعَيْنُهُ أَتَى يُضْرَبُ بِهَا الْأَمْلُ .
 فَيَقَالُ شَرَابُ كَعِينِ الدِّيكِ . وَدَمَاعُهُ مُفِيدٌ لَوْ جَعَلَ الْبَطْنُ . وَلَمْ أَرَعْظَمًا
 أَهْشَ تَحْتَ الْأَسْنَانِ مِنْ عَظْمِ رَأْسِهِ . وَهَبْتُ ظَنَنْتُ أَنِّي لَا أَكُلُهُ
 أَمَا قَاتَ عِنْدَهُ مَنْ يَأْكُلُهُ . أَنْظِرْ فِي أَيِّ مَكَانٍ رَمَيْتُهُ فَأَتَنِي بِهِ . فَقَالَ :
 بِحَيَاتِكَ مَا أَدْرِي أَيْنَ رَمَيْتُهُ . قَالَ : لَكِنِّي أَدْرِي وَأَعْرِفُ . رَمَيْتُهُ فِي
 بَطْنِكَ اللَّهُ حَسْبُكَ . نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْبُخْلِ وَأَهْلِهِ (لَلتَّيْرَوَانِ)

الاصبع المتضوعة

٣٥٤ قَالَ الشَّيْبَانِيُّ : بَلَغَنِي أَنَّ أَعْرَابِيَيْنِ ظَرِيفَيْنِ مِنْ شَيْطَانِ
 الْعَرَبِ حَطَمَتُمَا سَنَةً فَأَتَحَدَّرَا إِلَى الْعِرَاقِ . فَبَيْنَمَا هُمَا يَتِمَاشِيَانِ فِي
 السُّوقِ وَاسْمُ أَحَدِهِمَا خِنْدَانُ إِذَا فَارِسٌ قَدْ أَوْطَأَ دَابَّتَهُ رَجُلٌ خِنْدَانُ
 فَقَطَعَ إصْبَعًا مِنْ أَصَابِعِهِ . فَمَعْلَقًا بِهِ حَتَّى أَخَذَا أَرْضَ الْإِصْبَعِ . وَكَانَا
 جَانِعَيْنِ مَقْرُورَيْنِ . فَلَمَّا صَارَ الْمَالُ بِأَيْدِيهِمَا قَصَدَا إِلَى بَعْضِ الْكِرَاجِجِ
 فَأَتَا عَامِنَ الطَّعَامِ مَا أَشْتَهَيَا . فَلَمَّا شَبِعَ صَاحِبُ خِنْدَانٍ أَنْشَأَ يَقُولُ :
 فَلَا غَرَّتْ مَا دَامَ فِي النَّاسِ كُرْبُجٌ وَمَا بَقِيَتْ فِي رِجْلِ خِنْدَانٍ إِصْبَعٌ

السفط الثقيل

٣٥٥ أَنِّي الْحَتَّاجُ بِسَفْطٍ قَدْ أَصِيبَ فِي بَعْضِ خَزَائِنِ كِسْرَى مُثْقَلٍ :

فَأَمَرَ بِالْقَتْلِ فَكُسِرَ فَإِذَا فِيهِ سَفَطٌ آخَرُ مَقْتُلٌ . فَقَالَ الْحَجَّاجُ : مَنْ
يَشْتَرِي مِنِّي هَذَا السَّفَطَ بِمَا فِيهِ فَتَرَايِدَ فِيهِ أَصْحَابُهُ حَتَّى يَبْلُغَ خَمْسَةَ
آلَافٍ دِينَارٍ . فَأَخَذَهُ الْحَجَّاجُ وَنَظَرَ فِيهِ فَقَالَ : مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ فِيهِ
إِلَّا حَمَافَةٌ مِنْ حَمَاقَاتِ الْعَجَمِ . ثُمَّ اتَّخَذَ الْبَيْعَ وَعَزَمَ عَلَى الْمُشْتَرِي أَنْ
يَفْتَحَهُ وَيُرِيَهُ مَا فِيهِ . فَفَتَحَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَإِذَا فِيهِ رُقْعَةٌ مَكْتُوبٌ فِيهَا : مَنْ
أَرَادَ أَنْ تَطُولَ حَيَاتُهُ فَلْيَمِشْطَهَا مِنْ أَسْفَلِ (لابن عبد ربه)

٣٥٦ دَخَلَ بَشَّارُ الظَّرِيرِ عَلَى الْمُهْدِيِّ وَعِنْدَهُ خَالُهُ يُزَيْدُ بْنُ مَنْصُورِ
الْحَمِيرِيِّ فَأَلْشَدَهُ قَصِيدَةً يَمْدَحُهُ بِهَا . فَلَمَّا أَتَمَّهَا قَالَ لَهُ يُزَيْدُ : مَا
صِنَاعَتُكَ أَيُّهَا الشَّيْخُ . فَقَالَ لَهُ : أَتُثَبُّ اللَّوْلُؤَ . فَقَالَ لَهُ الْمُهْدِيُّ :
أَتَهْرَأُ بِخَالِي . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا يَكُونُ جَوَابِي لَهُ وَهُوَ يَرَانِي
شَيْخًا أَعْمَى يُأْشَدُ شِعْرًا . فَضَحِكَ الْمُهْدِيُّ وَأَجَارَهُ

٣٥٧ كَانَ أَبُو الشَّيْمَقِ الشَّاعِرُ الظَّرِيفُ الْمَشْهُورُ قَدْ كَرَّمَ بَيْتَهُ
لِأَطْحَارِ رَثَّةٍ كَانَ يَسْتَحْيِي أَنْ يُخْرَجَ بِهَا إِلَى النَّاسِ . فَقَالَ لَهُ بَعْضُ
إِخْوَانِهِ يُسْلِيهِ عَمَّا رَأَى مِنْ سُوءِ حَالِهِ : أَبَشِّرْ يَا أَبَا الشَّيْمَقِ فَقَدْ
رُويَ أَنَّ الْعَارِينَ فِي الدُّنْيَا هُمُ الْكَاسُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . فَقَالَ لَهُ : إِنْ
كَانَ ذَلِكَ حَتَّى أَفَاتَنِي لَأَكُونَنَّ بَرَّازًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ (إِبْرَاهِيمُ بْنُ)

٣٥٨ قَالَ ابْنُ سَكْرَةَ أَهَاشِمِيُّ فِي صَاحِبٍ يَعْرِفُ بِابْنِ الْبَرْمُوثِ :
بَلِيتُ وَلَا أَقُولُ بِمَنْ لَأَنِي مَتَى مَا قُلْتُ مَنْ هُوَ يُصْحَبُهُ
خَلِيلٌ قَدْ نَفَى عَنِّي رُوَادِي فَإِنْ انْغَمَضْتُ أَتَقَطِّلُنِي أَبُوهُ

الحمار الخبوس

٣٥٩ كَانَ عَلَى الْمَدِينَةِ طَائِفٌ يَقَالُ لَهُ صَفْوَانُ . فَجَاءَ الْحَزِينُ الدَّيْلِيُّ
إِلَى شَيْخٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَاسْتَعَارَهُ حِمَارَهُ وَذَهَبَ إِلَى الْعَلِيقِ فَشَرِبَ .
وَأَقْبَلَ عَلَى الْحِمَارِ وَقَدْ سَكِرَ . فَجَاءَ الْحِمَارُ حَتَّى وَقَفَ بِهِ عَلَى بَابِ
الْمَسْجِدِ كَمَا كَانَ صَاحِبُهُ عَوْدَهُ إِيَّاهُ . فَمَرَّ بِهِ صَفْوَانُ فَأَخَذَهُ فَحَبَسَهُ
وَحَبَسَ الْحِمَارَ فَأَصْبَحَ الْحِمَارُ مَحْبُوسًا مَعَهُ فَأَلْشَأَ يَقُولُ :

أَيَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ خَبِّرُونِي بِأَيِّ جَرِيْدَةٍ حُبِسَ الْحِمَارُ
فَمَا لِلْعَيْرِ مِنْ جُرْمٍ إِلَيْكُمْ وَمَا بِالْعَيْرِ إِنْ ظَلِمَ أَنْتِصَارُ
فَضْحِكُوا وَخَلَوْا عَنْهُ بَعْدَ أَنْ ضَرَبُوهُ الْحَدَّ (الاعلاني)

إبرهان القاطع

٣٦٠ ادَّعَى رَجُلٌ فِي أَيَّامِ الْمَأْمُونِ أَنَّهُ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ . فَقَالَ لَهُ
الْمَأْمُونُ : إِنَّ مُعْجِزَةَ الْأَنْبِيَاءِ الْإِلْقَاءُ فِي النَّارِ . فَتَحَنَّنْتُ عَلَيْكَ فِيمَا نَرَى
حَالَكَ . قَالَ : أُرِيدُ وَاحِدَةً أَخَفَّ مِنْ هَذِهِ . قَالَ : فَبَرُّهَانَ مُوسَى
إِذَا لَقِيَ الْعَصَا فَصَارَتْ ثُعْبَانًا . قَالَ : هَذِهِ أَصَبُّ عَلَيَّ مِنَ الْأُولَى .
قَالَ : فَبَرُّهَانَ عِيسَى وَهُوَ إِحْيَاءُ الْمَوْتَى . قَالَ : مَكَانَكَ وَصَلَتْ . أَنَا
أَضْرِبُ رَقَبَةَ الْقَاضِي يَمِينِ بْنِ الْأَكْثَمِ وَأُحْيِيهِ لَكُمْ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ . فَقَالَ
يَحْيَى : أَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِكَ وَبَدَقَ . فَضَحِكَ الْمَأْمُونُ وَأَعْطَاهُ جَائِزَةً
الْمُظْلَمُ مِنَ خَصْمِهِ

٣٦١ بَيْنَمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ رَاكِبٌ إِذْ تَعَرَّضَ لَهُ رَجُلٌ فِي الطَّرِيقِ

فَمَسَكَ بِعِثَانٍ فَرَسِهِ وَقَالَ : سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ أَنْ تَضْرِبَ عُنُقِي .
فَبَرِهْتَ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ وَقَالَ : أَمَعْتُوهُ أَنْتَ . قَالَ : لَا وَرَأْسُ الْأَمِيرِ . قَالَ :
فَمَا الْحَبِيرُ . قَالَ : لِي خَصْمٌ أَلَدُّ قَدْ لَزِمَنِي وَأَسَحَّ وَضَيَّقَ عَلَيَّ وَلَيْسَ لِي بِهِ
طَاقَةٌ . قَالَ : وَمَنْ خَصْمُكَ . قَالَ : الْقَمْرُ . فَأَلْتَمَسْتَ عَبْدُ اللَّهِ لِفَتَاةً
وَقَالَ : أَدْفَعْ لَهُ أَلْفَ دِينَارٍ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَا أَخَا الْعَرَبِ خُذْهَا وَتَحْنُ
سَائِرُونَ . وَلَكِنْ إِذَا عَادَ إِلَيْكَ خَصْمُكَ مُتَغَشِّمًا فَإِنَّا مُتَظَلِّمًا . فَإِنَّا
مُنْصِفُونَكَ مِنْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : إِنْ مَعِيَ مِنْ جُودِكَ مَا
أُدْحِضُ بِهِ حُجَّةَ خَصْمِي بَقِيَّةَ عُمْرِي . ثُمَّ أَخَذَ أَمْوَالَهُ وَأَنْصَرَفَ

سليمان بن عبد الملك ولأعرابي

٣٦٢ ذَكَرَ أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى الصَّيْدِ وَكَانَ
كَثِيرَ التَّطِيرِ . فَبَيْنَمَا هُوَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ إِذْ لَقِيَهُ رَجُلٌ أَعْوَرُ . فَقَالَ :
أَوْثَقُوهُ . فَأَوْثَقُوهُ وَمَرُّوا بِهِ عَلَى بَيْرٍ خَرَابٍ قَدْ تَهَجَّمَ . فَقَالَ سُلَيْمَانُ :
أَلْتَوَّهُ فِي هَذِهِ الْبَيْرِ فَإِنْ صِدْنَا فِي يَوْمِنَا هَذَا أَطْلَسْنَا . وَإِلَّا قَتَلْنَاهُ .
لِتَعْرِضَنِي لَنَا مَعَ عِلْمِهِ بِتَطِيرِنَا . فَأَلْتَمَسُوهُ فِي تِلْكَ الْبَيْرِ فَمَا رَأَى سُلَيْمَانُ
فِي عُمُرِهِ صَيْدًا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ . فَلَمَّا رَجَعُوا وَمَرُّوا عَلَى الرَّجُلِ
أَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ . فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ . قَالَ : يَا شَيْخُ مَا رَأَيْتُ أَسْرَ
وَأَبْرَ مِنْ طَلْعَتِكَ . قَالَ الشَّيْخُ : صَدَقْتَ وَلَكِنِّي أَنَا مَا رَأَيْتُ أَشَامَ
مِنْ طَلْعَتِكَ عَلَيَّ . فَضَحِكَ سُلَيْمَانُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَمَرَ بِإِطْلَاقِهِ
٣٦٣ اِعْتَرَضَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ الْمُأْمُونِ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

أَنَا رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ . قَالَ : لَا عَجَبَ . قَالَ : إِنِّي أُرِيدُ الْحَجَّ . قَالَ :
الطَّرِيقُ وَاسِعَةٌ . قَالَ : لَيْسَ مَعِيَ نَفَقَةٌ . قَالَ : قَدْ سَقَطَ عَنْكَ
الْحَجُّ . قَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ جِئْتُكَ مُسْتَجِدًّا لَا مُسْتَفْتِيًّا . فَضَحِكَ الْأَمَامُونُ
وَأَمَرَ لَهُ بِجَائِزَةٍ (للإميني)

٣٦٤ كَانَ الْعِمَادُ بْنُ جَبْرِيلَ الْمُرُوفُ بِابْنِ أَخِي الْعَلَمِ صَاحِبَ دِيوَانَ
بَيْتِ الْأَمَالِ بِمِصْرَ . وَكَانَ قَدْ وَقَعَ فَأَنْكَسَرَتْ يَدُهُ . فَقَالَ فِيهِ ابْنُ
الْمُسْلِمِ الْعِرَاقِيُّ :

إِنَّ الْعِمَادَ بْنَ جَبْرِيلَ أَخِي عَالِمٍ لَهُ يَدٌ أَصْبَحَتْ مَذْمُومَةً الْأَثَرِ
تَأَخَّرَ الْقَطْعُ عَنْهَا وَهِيَ سَارِقَةٌ فَجَاءَهَا الْكُفْرُ يَسْتَنْصِي عَنْ الْخَبَرِ
٣٦٥ دَخَلَ الْعَبَّاسِيُّ عَلَى بَعْضِ الرُّؤَسَاءِ فَمَنَعَهُ الْبَوَابُ فَقَالَ :

حَمَدْتُ بَوَابَكَ إِذْ رَدَّنِي وَذَمَّمَهُ غَيْرِي عَلَى رَدِّهِ
لِأَنَّهُ قَلَّدَنِي نِعْمَةً تَسْتَوْجِبُ الْإِعْرَاقَ فِي حَمْدِهِ
أَرَاخِي مِنْ قُبْحِ مَلَقِكَ لِي وَكِبْرِكَ الزَّائِدِ فِي حَدِّهِ

٣٦٦ كَتَبَ سَبْطُ بْنُ التَّعَاوِيذِيِّ قَصِيدَةً وَسَّيَّرَهَا إِلَى مُجَاهِدِ الدِّينِ
الزَّيْنِيِّ فَأَجَازَهُ جَائِزَةً سَنِيَّةً . وَسَّيَّرَ مَعَهَا بَغْلَةً فَوَصَلَتْ إِلَيْهِ وَقَدْ هَزَلَتْ
مِنْ تَعَبِ الطَّرِيقِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

مُجَاهِدَ الدِّينِ دُمْتَ دُخْرًا بِكُلِّ ذِي فَاقَةٍ وَكُنَّا
بَعَثْنَا لِي بَغْلَةً وَابْكِنُ قَدْ مَسَحَتْ فِي الطَّرِيقِ عَنَّا

٣٦٧ ذَكَرَ بَعْضُ أَصْحَابِ الْجَزُولِيِّ الْيَزْدَكَنِيِّ أَنَّهُ حَضَرَ عِنْدَهُ

لِيقْرَأَ عَلَيْهِ قِرَاءَةً أَبِي عَمْرٍو . فَقَالَ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ : أُرِيدُ أَنْ تَقْرَأَ
عَلَى الشَّيْخِ النَّحْوِ . قَالَ : فَقُلْتُ : لَا . فَسَأَلَنِي آخَرُ كَذَلِكَ . فَقُلْتُ :
لَا . فَأَنْشَدَ الشَّيْخُ وَقَالَ : قُلْ لَهُمْ :

لَسْتُ لِلنَّحْوِ جِسْتَكُمْ لَا وَلَا فِيهِ أَرْغَبُ
خَلَّ زَيْدًا إِشَانِهِ أَنَّمَا شَاءَ يَذْهَبُ
أَنَا مَا لِي وَلَا مَرِي أَبَدَ الدَّهْرِ يَضْرِبُ

الباهلي والاعرابي

٣٦٨ كَانَتْ الْعَرَبُ تَسْتَكْفُفُ الْإِنْتِسَابَ إِلَى قَبِيلَةٍ بَاهِلَةٍ وَتَضْرِبُ
بِهَا الْمَثَلَ فِي الْحَقِّ وَالْجَهْلِ . وَيُحْكِي أَنَّ أَعْرَابِيًّا لَقِيَ تَخْصَصًا فِي الطَّرِيقِ
فَسَأَلَهُ : مَنْ أَنْتَ . فَقَالَ : مِنْ بَاهِلَةٍ . فَرَفَى لَهُ الْأَعْرَابِيُّ . فَقَالَ ذَلِكَ
الشَّخْصُ : وَأَزِيدُكَ أَنِّي لَسْتُ مِنْ صَمِيمِهِمْ وَلَكِنْ مِنْ مَوَالِيِهِمْ . فَأَقْبَلَ
الْأَعْرَابِيُّ عَلَيْهِ يَقْبَلُ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ : وَلِمَ هَذَا . فَقَالَ : لِأَنَّ
اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَا أَبْتَلَاكَ بِهَذِهِ الرِّزْيَةِ فِي الدُّنْيَا إِلَّا وَيُعَوِّضُكَ الْجَنَّةَ
فِي الْآخِرَةِ

(الابن خلكان)

الابن بن عثمان والاعرابي

٣٦٩ حَدَّثَنَا ابْنُ زُبَيْجٍ قَالَ : كَانَ أَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ مِنْ أَهْلِ النَّاسِ
وَأَعْبَاهِهِمْ . فَيُنَادِيهِمْ ذَاتَ يَوْمٍ عِنْدَهُ وَعِنْدَهُ أَشْعَبُ إِذْ أَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ
وَمَعَهُ جَمَلٌ لَهُ . وَالْأَعْرَابِيُّ أَشْقَرُ أَزْرَقُ أَرْعَرُ غَضُوبٌ يَتَلَطَّى كَأَنَّهُ
أَفْعَى وَيَتَبَيَّنُ الشَّرُّ فِي وَجْهِهِ . مَا يَدْنُو مِنْهُ أَحَدٌ إِلَّا شَتَمَهُ وَنَهَرَهُ . فَقَالَ

أَشْعَبُ لِأَبَانَ : هَذَا مِنْ الْبَادِيَةِ أَدْعُهُ . فَدُعِيَ وَقِيلَ لَهُ : إِنَّ الْأَمِيرَ أَبَانَ
 ابْنَ عُثْمَانَ يَدْعُوكَ . فَأَتَاهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ . فَسَأَلَهُ أَبَانَ عَنْ نَسَبِهِ فَأَنَسَبَ
 لَهُ . فَقَالَ : حَيَّاكَ اللَّهُ يَا خَالِي . حَيْبُ أَرْدَادٍ حَبًّا . فَجَلَسَ . فَقَالَ لَهُ : إِنِّي
 فِي طَلَبِ جَمَلٍ مِثْلِ جَمَّاكَ هَذَا مُنْذُ زَمَانٍ . فَلَمْ أَجِدْهُ كَمَا أَشْتَهِي
 بِهَذِهِ الصَّنَةِ وَهَذِهِ الْأَمَةِ وَاللَّوْنِ وَالصَّدْرِ وَالْوَرِكِ وَالْأَخْفَافِ .
 فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ ظَهْرِي بِهِ مِنْ عِنْدِ مَنْ أَحَبَّهُ . أَتَبِعُهُ . فَقَالَ :
 نَعَمْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ . فَقَالَ : فَإِنِّي قَدْ بَذَلْتُ لَكَ بِهِ مِائَةَ دِينَارٍ . وَكَانَ
 الْجَمَلُ يُسَاوِي عَشْرَةَ دَنَانِيرٍ . فَطَمَعَ الْأَعْرَابِيُّ وَسَرَّ وَانْتَفَحَ وَبَانَ
 السُّرُورُ وَالْإِطْمَاعُ فِي وَجْهِهِ . فَأَقْبَلَ أَبَانَ عَلَى أَشْعَبَ ثُمَّ قَالَ لَهُ : وَيْلَكَ
 يَا أَشْعَبُ إِنَّ خَالِي هَذَا مِنْ أَهْلِكَ وَأَقَارِبِكَ (يَعْنِي الطَّمْعَ) فَأَوْسِعْ لَهُ مِمَّا
 عِنْدَكَ . فَقَالَ لَهُ : نَعَمْ يَا أَبِي أَنْتَ وَزِيَادَةُ . فَقَالَ لَهُ أَبَانَ : يَا خَالِي إِنَّمَا
 زِدْتُكَ فِي الثَّمَنِ عَلَى بَصِيرَةٍ وَإِنَّمَا الْجَمَلُ يُسَاوِي سِتِينَ دِينَارًا . وَكَأَنَّ
 بَذَلْتُ لَكَ مِائَةَ أَمْلَةٍ التَّقْدِيرِ عِنْدَنَا . وَإِنِّي أُعْطِيكَ بِهِ عُرُوضًا يُسَاوِي
 مِائَةَ . فزَادَ طَمَعَ الْأَعْرَابِيُّ وَقَالَ : قَدْ قَبِلْتُ ذَلِكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ . فَأَسْرَعَ
 إِلَى أَشْعَبَ فَأَخْرَجَ شَيْئًا مَغْطًى . فَقَالَ لَهُ : أَخْرِجْ مَا جِئْتَ بِهِ . فَأَخْرَجَ
 جَرْدَ عِمَامَةٍ خَزَّ خَلْقُ يُسَاوِي أَرْبَعَةَ دَرَاهِمٍ فَقَالَ لَهُ : قَوْمُهَا يَا أَشْعَبُ .
 فَقَالَ لَهُ : عِمَامَةُ الْأَمِيرِ تُعْرَفُ بِهِ وَيَشْهَدُ فِيهَا الْأَعْيَادُ وَالْجَمْعُ وَيَلْقَى فِيهَا
 الْخُلَفَاءُ . خَمْسُونَ دِينَارًا . فَقَالَ : ضَعُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ . وَقَالَ لِابْنِ زُبَيْجٍ :
 أَتَيْتُ قِيَمَتَهَا . فَكَتَبَ ذَلِكَ وَوَضَعَتِ الْعِمَامَةُ بَيْنَ يَدَيِ الْأَعْرَابِيِّ .

فَكَادَ يَدْخُلُ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ غَيْظًا . وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْكَلَامِ . ثُمَّ قَالَ :
هَاتِ قَلَنْسُوتِي فَأُخْرِجَ قَلَنْسُوتَ صَوِيلَةَ خَلْقَةٍ قَدْ عَلَاهَا الْوَسْخُ وَالْدُهْنُ
وَتَحَرَّقَتْ تَسَاوِي نِصْفِ دِرْهَمٍ . فَقَالَ قَوْمٌ : قَلَنْسُوتُ الْأَمِيرِ تَعْلُو
هَامَتُهُ وَيُصَلِّي فِيهَا الصَّلَوَاتِ الْخُمْسَ وَيَجْلِسُ لِلْحُكْمِ ثَلَاثُونَ دِينَارًا .
قَالَ : أَثَبْتُ . فَأَثَبَتْ ذَلِكَ وَوَضَعَتْ الْقَلَنْسُوتَ بَيْنَ يَدَيِ الْأَعْرَابِيِّ .
فَتَرَبَّدَ وَجْهُهُ وَجَحَّظَتْ عَيْنَاهُ وَهَمَّ بِالْوُثُوبِ ثُمَّ تَمَاسَكَ وَهُوَ مُتَقَلِّقٌ .
ثُمَّ قَالَ لِأَشْعَبَ : هَاتِ مَا عِنْدَكَ . فَأَخْرَجَ خُفَّيْنِ خَلْقَيْنِ قَدْ نُقِبَا
وَتَقَشَّرَا وَتَفَتَّقَا . فَقَالَ لَهُ قَوْمٌ : خِفَا الْأَمِيرَ يَطَأُ بِهِمَا الرُّوضَةَ وَيَعْلُو
بِهِمَا الْمُنْبَرَ أَرْبَعُونَ دِينَارًا . فَقَالَ : ضَعُوهمَا بَيْنَ يَدَيْهِ . فَوَضَعَهُمَا ثُمَّ قَالَ
لِلْأَعْرَابِيِّ : أَضْمِمْ إِلَيْكَ مَتَاعَكَ وَقَالَ لِبَعْضِ الْأَعْوَانِ : أَذْهَبْ فَخُذِ
الْجَمَلَ . وَقَالَ لِأَخْرَ : ائْمُضْ مَعَ الْأَعْرَابِيِّ فَأَفْبِضْ مِنْهُ مَا بَقِيَ لَنَا عَلَيْهِ
مِنْ ثَمَنِ الْمَتَاعِ وَهُوَ عِشْرُونَ دِينَارًا . فَوَثَبَ الْأَعْرَابِيُّ فَأَخَذَ الْقِمَاشَ
فَضْرَبَ بِهِ وُجُوهَ الْقَوْمِ لَا يَأْلُو فِي شِدَّةِ الرَّمْيِ بِهِ . ثُمَّ قَالَ لَهُ :
أَتَدْرِي أَصْلَحَكَ اللَّهُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ أَمُوتَ . قَالَ : لَا . قَالَ : لَمْ أَذْرَأُ
أَبَاكَ عُثْمَانَ فَأَشْتَرَكَ وَاللَّهِ فِي دَمِهِ إِذْ وَلَدَ مِثْلَكَ . ثُمَّ نَهَضَ مِثْلَ الْجُنُونِ
حَتَّى أَخَذَ بِرَأْسِ بَعِيرِهِ . وَضَحَكَ أَبَانُ حَتَّى سَقَطَ وَضَحَكَ كُلُّ مَنْ كَانَ
مَعَهُ . وَكَانَ الْأَعْرَابِيُّ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا لَقِيَ أَشْعَبَ يَقُولُ لَهُ : يَا ابْنَ الْحَبِيَّةِ
حَتَّى أَكْفَيْتَكَ عَلَى تَقْوِيمِكَ الْمَتَاعَ يَوْمَ قَوْمٍ فَيَهْرُبُ أَشْعَبُ مِنْهُ

(الاناني)

الْبَابُ الْحَادِي عَشَرَ

فِي النُّوَادِرِ

٣٧٠ أُمِسِكَ عَلَى النَّابِغَةِ الْجُعْدِي الشَّعْرُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فَلَمْ يَنْطِقْ .
ثُمَّ إِنَّ بَنِي جَعْدَةَ غَزَوْا قَوْمًا فَظَفَرُوا فَلَمَّا تَمَعَ فَرِحَ وَطَرِبَ فَاسْتَحْشَهُ
الشَّعْرُ فَذَلَّ لَهُ مَا اسْتَضَعَبَ عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ قَوْمُهُ : بِحَيَاتِكَ لَنَحْنُ
بِإِطْلَاقِ لِسَانِ شَاعِرِنَا أَسْرُؤُ مِنَ الظَّفَرِ بَعْدُونَا (إلهاء الدين)

وضع الشطرنج

٣٧١ لَمَّا أَفْتَحَرَ مُلُوكُ فَارِسَ عَلَى مُلُوكِ الْهِنْدِ بَوَضَعَ الْمَلِكُ تَرْدَشِيرَ
لِنَفْسِهِ التَّرْدَ وَضَعَ صَصَهُ الْحَكِيمُ الشَّطْرَنْجَ وَعَرَضَهَا عَلَى الْمَلِكِ وَأَظْهَرَ
خَفِيَّ أَمْرِهَا وَمَكْنُونِ سِرِّهَا . قَالَ لَهُ : اقْتَرَحْ مَا تَشْتَهِي . قَالَ : أَنْ
تَضَعَ حَبَّةً مِنَ الْبُرِّ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ وَلَا تَرَا لِنَضَاعِظَهَا حَتَّى تَنْتَهِيَ
إِلَى آخِرِ الْبُيُوتِ فَهَمَّا بَلَغَ تَعْطِينِي . فَاسْتَحَفَّ الْمَلِكُ عَقْلَهُ وَأَحْتَقَرَ مَا
طَلَبَ وَقَالَ لَهُ : كُنْتُ أَظُنُّكَ بِرَجَاحَةِ عَقْلِكَ وَتَوَقُّدِ فِكْرِكَ تَطَالُ
شَيْئًا نَفِيسًا . فَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّكَ لَمَّا أَمَرْتَنِي بِالْتَّمَنِّي لَمْ يَخْطُرْ
بِبَالِي غَيْرُ ذَلِكَ وَلَا سَبِيلَ إِلَى الرُّجُوعِ عَنْهُ . فَأَمَرَ لَهُ الْمَلِكُ بِمَا سَأَلَ
وَتَقَدَّمَ بِإِحْضَارِ الْحُسَّابِ وَأَمَرَهُمْ بِحِسَابِ ذَلِكَ . فَأَعْمَلُوا فِي بُلُوغِ
قَصْدِهِ مَطَايَا الْأَفْكَارِ . حَتَّى لَاحَ لَهُمْ نَجْمُ صِدْقِهِ فَعَرَفُوهُ بَعْدَ

أَلَمْ نَكْرِ . فَلَمْ يَجِدُوا فِي بِلَادِ الدُّنْيَا مَا يَفِي لَهُ مُرَادُهُ مِنَ الْبَرِّ وَلَوْ
كَانَتْ الرِّمَالُ مِنْ أَمْدَادِهِ . (القليوبي)

المريض والخنساء

٣٧٢ حَكَى الْقُرُونِيُّ أَنَّ رَجُلًا رَأَى خُنْفَسَاءَ فَقَالَ : مَاذَا يُرِيدُ اللَّهُ
تَعَالَى مِنْ خَلْقِ هَذِهِ . أَحْسَنَ شَكْلَهَا أَوْ طِيبَ رِيحَهَا . فَأَتَتْ آلَهُ اللَّهُ
تَعَالَى بِمَرَحَةٍ عَجَزَ عَنْهَا الْأَطِبَّاءُ حَتَّى تَرَكَ عِلَاجَهَا . فَسَمِعَ يَوْمًا صَوْتَ
طَيبٍ مِنَ الطَّرِيقَيْنِ يُنَادِي فِي الدَّرْبِ . فَقَالَ : هَاتُوهُ حَتَّى يَنْظُرَ فِي
أَمْرِي . فَقَالُوا : وَمَا تَصْنَعُ بِطَرَفِي . وَقَدْ عَجَزَ عَنْكَ حُذَاقُ الْأَطِبَّاءِ .
فَقَالَ : لَا بُدَّيْ مِنْهُ . فَلَمَّا أَحْضَرُوهُ وَرَأَى الْمَرَحَةَ اسْتَدْعَى بِخُنْفَسَاءَ .
فَضَحِكَ الْحَاضِرُونَ مِنْهُ . فَتَذَكَّرَ الْعَلِيلُ الْقَوْلَ الَّذِي سَبَقَ مِنْهُ . فَقَالَ :
أَحْضَرُوا لَهُ مَا طَلَبَ فَإِنَّ الرَّجُلَ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ . فَأَحْضَرُوهُهَا لَهُ
فَأَحْرَقَهَا وَذَرَّ رَمَادَهَا عَلَى قَرَحَتِهِ فَبَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى . فَقَالَ
لِلْحَاضِرِينَ : إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَنِي أَنَّ أَحْسَنَ الْمَخْلُوقَاتِ
أَعَزُّ الْأَدْوِيَةِ (الدميري)

النعمان وسنمار

٣٧٣ بَنَى النُّعْمَانُ بْنُ أَمْرِئِ الْأَيْسِ قَصْرًا بِظَاهِرِ الْحِيرَةِ فِي سِتِّينَ
سَنَةً أَتَمَّهُ الْخَوَزَنْقُ . بَنَاهُ رَجُلٌ مِنَ الرُّومِ يُقَالُ لَهُ سِنِمَارُ . وَكَانَ
يُبْنِي عَلَى وَضْعٍ عَجِيبٍ لَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ أَنْ يُبْنِيَ مِثْلَهُ . فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ
بَنَائِهِ كَانَ قَصْرًا عَجِيبًا لَمْ يَكُنْ لِلْمُلُوكِ مِثْلُهُ . فَفَرِحَ بِهِ النُّعْمَانُ . فَقَالَ

لَهُ سِنَمَارُ : إِنِّي لَا أَعْلَمُ مَوْضِعَ أَجْرَةٍ لَوْ زَالَتْ أَسْقَطَ الْقَصْرُ كُلَّهُ .
فَقَالَ لَهُ النُّعْمَانُ : هَلْ يَعْرِفُهَا أَحَدٌ غَيْرُكَ . قَالَ : لَا . فَأَمَرَ بِهِ فَمُذِفَ
مِنْ أَعْلَى الْقَصْرِ إِلَى أَسْفَلِهِ فَتَقَطَّعَتْ أَوَالُهُ . فَأَشْتَهَرَ ذَلِكَ حَتَّى
ضُرِبَ بِهِ الْمَثَلُ فَقَالَ الشَّاعِرُ :

جَزَانِي جَزَاءُ اللَّهِ شَرَّ جَزَائِهِ جَزَاءُ سِنِمَارٍ وَمَا كَانَ ذَا ذَنْبٍ
سِوَى رِمَّةِ الْبَيْكَانِ سِتِّينَ حِجَّةً يُعَلِّي عَلَيْهِ بِالْقِرَامِيدِ وَالسَّكَبِ
فَلَمَّا رَأَى الْبَيْكَانُ تَمَّ شُهُوفُهُ وَأَضَّ كَمِثْلِ الطُّودِ وَالشَّامِخِ الصَّعْبِ
وَضَنَّ سِنِمَارُ بِهِ كُلَّ حَبْوَةٍ وَفَارَ لَدَيْهِ بِالْمُودَةِ وَالْقُرْبِ
فَقَالَ أَقْذِفُوا بِالْعِجِّ مِنْ فَوْقِ رَأْسِهِ فَبُذِلَ لِعَمْرِ اللَّهِ مِنْ أَعْجَبِ الْخَطْبِ
فَصَعِدَ النُّعْمَانُ قَلْبَهُ وَنَظَرَ إِلَى الْبَحْرِ تَجَاهَهُ وَإِلَى الْبَرِّ خَلْفَهُ
وَالْبَسَاتِينَ حَوْلَهُ . وَرَأَى الظُّبْيَ وَالْحُوتَ وَالنَّخْلَ فَقَالَ لَوْزِيرِهِ : مَا
رَأَيْتُ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا الْبِنَاءِ قَطُّ . فَقَالَ لَهُ وَزِيرُهُ : لَهُ عَيْبٌ عَظِيمٌ .
قَالَ : وَمَا ذَلِكَ . قَالَ : إِنَّهُ غَيْرُ بَاقٍ قَالَ النُّعْمَانُ : وَمَا الشَّيْءُ الَّذِي
هُوَ بَاقٍ : قَالَ : مُلْكُ الْآخِرَةِ . قَالَ : فَكَيْفَ تَحْصِيلُ ذَلِكَ . قَالَ :
بِتَرْكِ الدُّنْيَا . قَالَ : فَهَلْ لَكَ أَنْ تُسَاعِدَنِي فِي طَلَبِ ذَلِكَ . قَالَ :
نَعَمْ . فَتَرَكَ الْمُلْكَ وَتَرَهَّدَ هُوَ وَوَزِيرُهُ

(للقرويني)

الوزير الحاسد

٣٧٤ حُكِيَ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ دَخَلَ عَلَى الْمُعْتَصِمِ فَقَرَّبَهُ وَأَذْنَاهُ
وَجَعَلَهُ نَدِيمَهُ . وَكَانَ لَهُ وَزِيرٌ حَاسِدٌ فَعَارَ مِنَ الْبَدَوِيِّ وَحَسَدَهُ وَقَالَ

فِي نَفْسِهِ : إِنْ لَمْ أَحْتَلْ عَلَى هَذَا الْبَدَوِيِّ فِي قَتْلِهِ أَخَذَ بِقَلْبِ أَمِيرِ
 الْمُؤْمِنِينَ وَأَبْعَدَنِي مِنْهُ . فَصَادَ يَتَلَطَّفُ بِالْبَدَوِيِّ حَتَّى أَتَى بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ
 فَطَبَخَ لَهُ طَعَامًا وَكَثُرَ فِيهِ مِنَ الثُّومِ . فَلَمَّا أَكَلَ الْبَدَوِيُّ مِنْهُ قَالَ
 لَهُ : أَحْذَرُ أَنْ تَقْرُبَ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَيَشُمَّ مِنْكَ رَائِحَةَ الثُّومِ
 فَتَأْذَى مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يَكْرَهُ رَائِحَتَهُ . ثُمَّ ذَهَبَ الْوَزِيرُ إِلَى أَمِيرِ
 الْمُؤْمِنِينَ فَخَلَا بِهِ . وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ الْبَدَوِيَّ يَقُولُ عَنْكَ
 لِلنَّاسِ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَبْخَرُ وَهَلَكْتُ مِنْ رَائِحَةِ فَمِهِ . فَلَمَّا دَخَلَ
 الْبَدَوِيُّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ جَعَلَ كَمَّهُ عَلَى فَمِهِ مَخَافَةَ أَنْ يَشُمَّ مِنْهُ رَائِحَةَ
 الثُّومِ . فَلَمَّا رَأَاهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ يَسْتُرُ فَمَهُ بِكَمِّهِ قَالَ : إِنَّ الَّذِي
 قَوْلَهُ الْوَزِيرُ عَنْ هَذَا الْبَدَوِيِّ صَحِيحٌ . فَبَكَّتْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا إِلَى
 بَعْضِ عُمَّالِهِ يَقُولُ لَهُ فِيهِ : إِذَا وَصَلَ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا فَأَضْرِبْ رَقَبَةَ
 حَامِلِهِ . ثُمَّ دَعَا بِالْبَدَوِيِّ وَدَفَعَ إِلَيْهِ الْكِتَابَ وَقَالَ لَهُ : أَمْضِ بِهِ إِلَى
 فُلَانٍ وَأَتْنِي بِالْجَوَابِ . فَأَمْتَثَلَ الْبَدَوِيُّ مَا رَسَمَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَخَذَ
 الْكِتَابَ وَخَرَجَ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ فَبَيْنَمَا هُوَ بِالْبَابِ إِذْ لَقِيَهُ الْوَزِيرُ فَقَالَ :
 أَيْنَ تَرِيدُ . قَالَ : أَتَوَجَّهُ بِكِتَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَامِلِهِ فُلَانٍ . فَقَالَ
 الْوَزِيرُ فِي نَفْسِهِ : إِنَّ هَذَا الْبَدَوِيَّ يَحْصُلُ لَهُ مِنْ هَذَا التَّقْلِيدِ مَالٌ
 جَزِيلٌ . فَقَالَ لَهُ : يَا بَدَوِيَّ مَا تَقُولُ فِيمَنْ يُرِيحُكَ مِنْ هَذَا الشَّعْبِ
 الَّذِي يُحْمَلُ فِي سَفَرِكَ وَيُعْطِيكَ النَّفْيَ دِينَارًا . فَقَالَ : أَنْتَ الْكَبِيرُ
 وَأَنْتَ الْحَاكِمُ وَمِمَّا رَأَيْتَهُ مِنَ الرَّأْيِ أَفْعَلُ . قَالَ : أَعْطِنِي الْكِتَابَ .

فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ وَأَعْطَاهُ الْوَزِيرُ الْقَتْلَ دِينَارًا وَسَارَ بِالْكِتَابِ إِلَى الْمَكَّانِ
الَّذِي هُوَ قَاصِدُهُ . فَلَمَّا قَرَأَ الْعَامِلُ الْكِتَابَ أَمَرَ بِضَرْبِ رَقَبَةِ
الْوَزِيرِ . فَبَعْدَ أَيَّامٍ تَذَكَّرَ الْخَلِيفَةُ فِي أَمْرِ الْبَدَوِيِّ وَسَأَلَ عَنِ الْوَزِيرِ
فَأَخْبَرَ بِأَنَّهُ لَهُ أَيَّامًا مَا ظَهَرَ وَأَنَّ الْبَدَوِيَّ بِالْمَدِينَةِ مُقِيمٌ فَتَعَجَّبَ مِنْ ذَلِكَ
وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ الْبَدَوِيِّ فَحَضَرَ . فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ فَأَخْبَرَهُ بِالْقِصَةِ الَّتِي
اتَّفَقَتْ لَهُ مَعَ الْوَزِيرِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا . فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ قُلْتَ عَنِّي
لِلنَّاسِ إِنِّي أَنْجَرُ . فَقَالَ : مَعَاذَ اللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ اتَّحَدَّثَ بِمَا
لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مَكْرًا مِنْهُ وَحَسَدًا . وَأَعْلَمَهُ كَيْفَ
دَخَلَ بِهِ بَيْتَهُ وَأَطْعَمَهُ الثُّومَ وَمَا جَرَى لَهُ مَعَهُ . فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ :
قَاتِلْ اللَّهُ الْحَسَدَ مَا أَعْدَلَهُ بَدَأَ بِصَاحِبِهِ فَقَتَلَهُ . ثُمَّ خَافَ عَلَى الْبَدَوِيِّ
وَأَتَّخَذَهُ وَزِيرًا وَرَاحَ الْوَزِيرُ بِحَسَدِهِ

(اللابشيهي)

كتاب جاد بنفسه

٣٧٥ كَانَ مَلِكٌ عَظِيمُ الشَّانِ يُحِبُّ التَّنَزُّهَ وَالصَّيْدَ . وَكَانَ لَهُ كَلْبٌ
قَدْ رَبَّاهُ لَا يُفَارِقُهُ . فَخَرَجَ يَوْمًا إِلَى بَعْضِ مَتَرَهَاتِهِ وَقَالَ لِبَعْضِ
غُلَامَانِهِ : قُلْ لِلطَّبَّاخِ يُصْلِحْ لَنَا ثُرْدَةً بَابَن . فَجَاؤُوا بِأَبْنٍ إِلَى الطَّبَّاخِ
وَنَسِيَ أَنْ يُعْطِيَهُ شَيْءً وَاشْتَغَلَ بِالطَّبْخِ . فَخَرَجَ مِنْ بَعْضِ الشُّعُوقِ
أَفْعَى فَكَرَعَ فِي ذَلِكَ اللَّابَنِ وَنَفَثَ فِي الثُّرْدَةِ مِنْ سُمِّهِ . وَالْكَلْبُ رَاضٍ
بِرَى ذَلِكَ وَلَمْ يَجِدْ لَهُ حِيلَةً يَصِلُ بِهَا إِلَى الْأَفْعَى . وَكَانَ هُنَاكَ جَارِيَةٌ
خُرْسَاءُ زَمَنِي قَدْ رَأَتْ مَا صَنَعَ الْأَفْعَى . وَوَأْفَى الْمَلِكُ مِنَ الصَّيْدِ فِي

أَخْرَجَ النَّهَارَ فَقَالَ يَا غُلَامَانِ أَذْرَكُونِي بِالْثَّرْدَةِ فَلَمَّا وُضِعَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ
 أَوَمَّتِ الْحُرَّسَاءُ إِلَيْهِ فَلَمْ يَفْهَمْ مَا تَقُولُ . وَنَجَّى الْكَلْبُ وَصَاحَ فَلَمْ
 يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ وَلَجَّ فِي الصَّبَاحِ فَلَمْ يَعْلَمْ مُرَادَهُ . فَقَالَ لِلْغُلَامَانِ : مَحْوُهُ
 عَنِّي . وَمَدَّ يَدَهُ إِلَى اللَّبَنِ بَعْدَ مَا رَمَى إِلَى الْكَلْبِ مَا كَانَ يَرْمِي إِلَيْهِ .
 فَلَمْ يَلْتَفِتْ الْكَلْبُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى غَيْرِ الْمَلِكِ . فَلَمَّا
 رَأَاهُ يُرِيدُ أَنْ يَضَعَ اللُّثْمَةَ مِنَ اللَّبَنِ فِي فَمِهِ طَفَرَ إِلَى وَسْطِ الْمَسَانِدَةِ
 وَأَدْخَلَ فِيهِ وَكَرَعَ مِنَ اللَّبَنِ وَسَطَطَ مِثْلًا وَتَشَرَّحَ لِحْمَهُ وَبَقِيَ الْمَلِكُ مُتَعَجِّبًا
 مِنَ الْكَلْبِ وَمِنْ فِعْلِهِ . فَأَوَمَّتِ الْحُرَّسَاءُ إِلَيْهِمْ فَعَرَفُوا مُرَادَهَا وَمَا
 صَنَعَ الْكَلْبُ . فَقَالَ الْمَلِكُ : لِحَاشِيَّتِهِ هَذَا الْكَلْبُ قَدْ قَدَّانِي بِنَفْسِهِ
 وَقَدْ وَجَبَ أَنْ نَكْفِيَهُ . وَمَا يَحْمِلُهُ وَيُدْفِنُهُ غَيْرِي . فَدَفَنَهُ وَبَنَى
 عَلَيْهِ قُبَّةً فِي ظَاهِرِ الْمَدِينَةِ (لِلْحَوِيِّ)

ابرهیم الخواص والسبع

٣٧٦ حَكَى إِبْرَاهِيمُ الْخَوَاصُ قَالَ : فِي بَعْضِ أَسْفَارِي أَنْتَهَيْتُ إِلَى
 شَجَرَةٍ قَعَدْتُ تَحْتَهَا إِذَا سَبَعُ هَائِلٍ يَأْتِي مَحْوِي . فَلَمَّا دَنَا مِنِّي رَأَيْتُهُ
 يَجْرُ . فَإِذَا يَدُهُ مُسْتَفْحَةٌ وَفِيهَا فَتْحٌ فَهَمَّ بِمُتْرِكِي فِي حُجْرِي . وَعَرَفْتُ
 أَنَّهُ يَقُولُ : عَالِجُ هَذِهِ . فَأَخَذْتُ خَشَبَةً فَفَتَحْتُ بِهَا الْفَتْحَ ثُمَّ شَدَدْتُهَا
 بِمِخْرَقَةٍ خَرَقْتُهَا مِنْ تَوْبِي . فَقَابَ ثُمَّ جَاءَنِي وَمَعَهُ شِبْلَانِ يُبْصِرَانِ
 وَرَغِيفٌ تَرَكَهُ عِنْدِي وَمَشَى (لِلتَّرْوِينِي)

المطيب اسم الله

٣٧٧ كَانَ سَبَبُ تَوْبَةِ بَشْرِ بْنِ الْحَارِثِ أَنَّهُ أَصَابَ فِي الطَّرِيقِ وَرَقَةً
وَفِيهَا اسْمُ اللَّهِ تَعَالَى مَكْتُوبٌ . وَقَدْ وَطِئَهَا الْأَقْدَامُ فَأَخَذَهَا وَاشْتَرَى
بِذَرَاهِمٍ كَانَتْ مَعَهُ غَالِيَةً . فَطَيَّبَ بِهَا الْوَرَقَةَ وَجَعَلَهَا فِي شِقِّ حَائِطٍ
فَرَأَى فِي النَّوْمِ كَأَن قَائِلًا يَقُولُ لَهُ : يَا بَشْرُ طَيِّبَتْ أَسْمِي لِأَطْيَبِينَ
أَتَمَّكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . فَلَمَّا تَذَنَّبَهُ مِنْ نَوْمِهِ تَابَ (لابن خلكان)

الدواء الشافي

٣٧٨ قَالَ بَعْضُ الْأَبْدَالِ مَرَرْتُ بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ عَلَى طَيِّبٍ وَالْمَرْضَى
بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يَصِفُ لَهُمْ عِلَاجَهُمْ . فَقَدِمْتُ إِلَيْهِ وَقُلْتُ : عَالِجُ
مَرْضِي يَرْحَمُكَ اللَّهُ . فَتَأَمَّلَ فِي وَجْهِ سَاعَةٍ ثُمَّ قَالَ : خُذْ عُرُوقَ الْفَقْرِ
وَوَرَقَ الصَّبْرِ مَعَ إَهْلِيحِ التَّوَاضُعِ . وَاجْمَعْ الْكُلَّ فِي إِنَاءٍ الْقَيْنِ
وَصَبَّ عَلَيْهِ مَاءَ الْحَشِيَّةِ وَأَوْقِدْ تَحْتَهُ نَارَ الْحُزْنِ . ثُمَّ صَفِّهِ بِصَفَاةِ الْمُرَاقِبَةِ
فِي جَامِ الرِّضَا . وَأَمْزِجْهُ بِشَرَابِ التَّوَكُّلِ . وَتَنَاوَلْهُ بِكَفِّ الصِّدْقِ .
وَاشْرَبْهُ بِكَاسِ الْإِسْتِغْفَارِ . وَتَمَضَّمْضْ بَعْدَهُ بِمَاءِ الْوَرَعِ . وَاحْتَمِ عَنْ
الْجِرْصِ وَالطَّمَعِ فَتَشْفَى إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى (إيهاء الدين العاملي)

ذكر الأمم التي دخلت في دين التصاري

٣٧٩ مِنَ الْأُمَمِ الْمُتَنَصِّرَةِ أُمَّةُ الرُّومِ . عَلَى كَثَرَتِهَا وَعَظَمِ مُلُوكِهَا
وَأَتْسَاعِ بِلَادِهَا . (من الكامل) وَقَالَ غَيْرُهُ إِنَّ الرُّومَ كَانَتْ تُدِينُ
بِدِينِ الصَّابِئَةِ وَيَعْبُدُونَ أَصْنَامًا عَلَى أَسْمَاءِ الْكُوكَبِ . وَمَا زَالَتِ الرُّومُ

مُلُوكُهَا وَرَعِيَّتُهَا كَذَلِكَ حَتَّى تَصَرَ قُسْطَنْطِينُ وَحَمَلَهُمْ عَلَى دِينِ النَّصَارَى
 فَتَنَصَرُوا عَلَى آخِرِهِمْ . وَمِنْ أُمَمِ النَّصَارَى (الْأَرْمَنُ) كَانُوا بِأَرْمِينِيَّةَ .
 وَقَاعِدَةُ مَمْلَكَتِهَا خِلَاطُ . وَلَمَّا مَلَكَهَا صَارُوا فِيهَا رَعِيَّةً . ثُمَّ تَقَلَّبُوا
 وَمَلَكَوا مَنَاطَرُ سُوسَ وَالْمَصِيصَةَ وَبِلَادَ سِيسَ مَدِينَةً بِقَلْعَةٍ حَصِينَةٍ هِيَ
 كُرْسِيٌّ مُلْكُهُمْ فِي زَمَانِنَاهَذَا . وَمِنْهَا (الْكُرْجُ) بِلَادُهُمْ مُجَاوِرَةٌ لِبِلَادِ
 خِلَاطُ إِلَى الْخَلِيجِ الْقُسْطَنْطِينِيِّ وَإِلَى تَحْوِ الشِّمَالِ . وَلَهُمْ جِبَالٌ
 مَنِيعَةٌ وَقِلَاعٌ حَصِينَةٌ . وَالْغَالِبُ عَلَيْهِمُ النَّصْرَانِيَّةُ . يَلِي مُلْكَهُمُ
 الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ بِالْوَرَاثَةِ . وَهُمْ خَلَقُ كَثِيرٌ فِي سُلْحِ التَّتَارِ الْيَوْمَ .
 وَمِنْهَا (الْجُرْكُسُ) عَلَى شَرْقِي بَحْرِ نِيطُسَ فِي شَطَفٍ مِنَ الْعَيْشِ
 غَالِبُهُمْ نَصَارَى . وَمِنْهَا (الرُّوسُ) لَهُمْ جَزَائِرُ فِي بَحْرِ نِيطُسَ وَبَحْرِ
 الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَلَهُمْ بِلَادُ شِمَالِي الْبَحْرِ . وَمِنْهَا (الْبُلْغَارُ) نِسْبَةٌ إِلَى
 مَدِينَةٍ يَسْكُنُونَهَا شِمَالِي نِيطُسَ كَانَ غَالِبُهُمْ نَصَارَى فَأَسَامَ بَعْضُهُمْ .
 وَمِنْهَا (الْأَنَانُ) أَكْبَرُ أُمَمِ النَّصَارَى غَرْبِي الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ إِلَى الشِّمَالِ
 جُنُودُهُمْ كَثِيرَةٌ . قَصْدَ مَلِكِهِمْ فِي مِائَةِ أَلْفٍ مُتَأَلِّةً صَالِحُ الدِّينِ بْنُ
 أَيُّوبَ فَهَآكَ هُوَ وَغَالِبُ عَسْكَرِهِ فِي الطَّرِيقِ . وَمِنْهَا (الْبَرْجَانُ) أُمَّةٌ
 يَلِي أُمَمٌ طَائِعِيَّةٌ مُثَلَّثُونَ . بِلَادُهُمْ مُتَوَعِّلَةٌ فِي الشِّمَالِ . سِيرُهُمْ مُنْقَطِعَةٌ
 أَبَدُهُمْ عَنَّا وَجَفَاءُ طِبَاعِهِمْ . وَمِنْهَا (الْفَرَنْجُ) أُمَمٌ أَصْلُ بِلَادِهِمْ
 فَرَنْجِيَّةٌ وَيُقَالُ فَرَنْسَةُ جَوَارِ جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ شِمَالِيَّهَا يُقَالُ لِمَلِكِهِمْ
 الْفَرَنْسِيْسُ . قَصْدَ دِيَارِ مِصْرَ وَأَخَذَ دِمْيَاطَ . ثُمَّ أَسْرَهُ الْمُسْلِمُونَ

وَأَسْتَقْدُوا دِمْيَاطَ مِنْهُ بَعْدَ مَوْتِ الْمَلِكِ صَالِحِ أَيُّوبَ بْنِ الْكَامِلِ .
 وَقَدْ غَلَبَ الْفَرَجُ عَلَى مُعْظَمِ الْأَنْدَلُسِ . وَلَهُمْ فِي بَحْرِ الرُّومِ جَزَائِرُ
 مَشْهُورَةٌ مِثْلُ صَقْلِيَّةَ وَقُبْرُسَ وَأَقْرِيطُسَ . وَمِنْهُمْ (الْجَنَوِيَّةُ) نِسْبَةً
 إِلَى جَنُودِ مَدِينَةٍ عَظِيمَةٍ . وَبِلَادُهُمْ كَبِيرَةٌ غَرْبِيَّةُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ عَلَى
 بَحْرِ الرُّومِ . وَمِنْهُمْ (الْبَنَادِقَةُ) مَدِينَتُهُمُ الْبَنَدِيقِيَّةُ عَلَى خَلِجٍ مِنْ بَحْرِ
 الرُّومِ تَمْتَدُّ نَحْوَ سَبْعِمِائَةِ مِيلٍ فِي جِهَةِ الشِّمَالِ وَالْغَرْبِ . وَهِيَ قَرِيبَةٌ
 مِنْ جَنُودَ فِي الْبَرِّ . بَيْنَهُمَا ثَمَانِيَّةُ أَيَّامٍ (لَا بَنُ الْوَرْدِي)

ذكر أمم الهند وتقاسيمهم وعواندهم

٣٨٠ أُمَّمُ الْهِنْدِ فَرَّقَ مِنْهُمْ (الْبَاسَوِيَّةُ) . زَعَمُوا أَنَّ لَهُمْ رَسُولًا مَلَكًا
 رُوحَانِيًّا نَزَلَ بِصُورَةِ الْبَشَرِ أَمَرَهُمْ بِتَعْظِيمِ النَّارِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهَا بِالطِّيبِ
 وَالذَّبَائِحِ . وَنَهَاهُمْ عَنِ الْقَتْلِ وَالذَّبْحِ لِغَيْرِ النَّارِ . وَسَنَّ لَهُمْ أَنْ
 يَتَوَشَّعُوا بِخَيْطٍ يَعْقِدُونَهُ مِنْ مَنَاسِكِهِمْ الْأَيَّامِ إِلَى تَحْتِ شِمَائِلِهِمْ .
 وَعَظَّمُوا الْبَقْرَ وَأَمَرُوا بِالسُّجُودِ لَهَا حَيْثُ رَأَوْهَا . وَمِنْهُمْ (الْيَهُودِيَّةُ)
 يَقُولُونَ : الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا صَنَعَ الْخَالِقُ فَلَا يَعْافُونَ شَيْئًا . وَيَتَقَلَّدُونَ
 بِعِظَامِ النَّاسِ وَيَمَسِّحُونَ بِرُؤُسِهِمْ وَأَجْسَادِهِمْ بِالرَّمَادِ . وَمِنْهُمْ
 (عِبَادَةُ الْكَلْبِ وَعِبَادَةُ الْقَمَرِ) . وَمِنْهُمْ (عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ) وَهُمْ
 مُعْظَمُهُمْ لِكُلِّ طَائِفَةٍ صَنَمٌ . وَأَشْكَالُ الْأَصْنَامِ مُخْتَلِفَةٌ . وَمِنْهُمْ
 (عِبَادَةُ الْمَاءِ الْجَلَّةِ كَيْنِيَّةُ) . يَزْعُمُونَ أَنَّ الْمَاءَ مَلِكٌ وَهُوَ أَصْلُ كُلِّ
 شَيْءٍ ، إِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ عِبَادَةَ الْمَاءِ تَجَرَّدَ وَدَخَلَ الْمَاءَ إِلَى وَسْطِهِ .

وَيُقِيمُ سَاعَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ وَمَعَهُ رِيَّاحِينَ يَقْطَعُهَا صَغَارًا وَيُلْقِيهَا فِيهِ . وَهُوَ
يُسَبِّحُ وَيَقْرَأُ . وَإِذَا أَرَادَ أَنْ نَصْرَفَ حَرَّكَ الْمَاءَ بِيَدِهِ . ثُمَّ نَقَطَ مِنْهُ عَلَى
رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَسَجَدَ وَانْصَرَفَ . وَمِنْهُمْ (عِبَادُ النَّارِ الْأَكْثَرُ طَرِيقُهُ) .
عِبَادَتُهُمْ أَنْ يَخْفِرُوا أَخْذُودًا مُرَبَّعًا وَيُوجِّجُوا بِهِ النَّارَ ثُمَّ لَا يَدْعُونَ طَمَامًا
لَذِيذًا وَلَا ثَوْبًا فَآخِرًا وَلَا شَرَابًا لَطِيفًا وَلَا عَطْرًا فَاتِحًا وَلَا جَوْهَرًا نَفِيسًا
إِلَّا طَرَحُوهُ فِي تِلْكَ النَّارِ تَقَرُّبًا إِلَيْهَا . وَحَرَّمُوا الْقَاءَ النَّفُوسِ فِيهَا خِلَافًا
لِطَائِفَةٍ أُخْرَى . وَمِنْهُمْ (الْبَرَاهِمَةُ) أَصْحَابُ فِكْرَةٍ وَعِلْمٍ بِالْفَلَكَ
وَالنَّجْمِ . تَخَافُ طَرِيقَتُهُمْ مُنْجَمِي الرُّومِ وَالنَّجْمِ . لِأَنَّ أَكْثَرَ أَحْكَامِهِمْ
بِاتِّصَالَاتِ الثَّوَابِ دُونَ السَّيَّارَاتِ . يُعْظَمُونَ أَمْرَ الْفِكْرِ وَيَقُولُونَ :
هُوَ الْمُتَوَسِّطُ بَيْنَ الْمُحْسُوسِ وَالْمَعْقُولِ . وَيَجْتَهِدُونَ فِي صَرْفِ الْفِكْرِ
عَنِ الْمُحْسُوسَاتِ لِيَتَجَرَّدَ الْفِكْرُ عَنْ هَذَا الْعَالَمِ وَيَتَجَلَّى لَهُ ذَلِكَ الْعَالَمُ .

(لِلشَّهْرِ سِتَانِي)

فَرُبَّمَا يُخْبِرُ عَنِ الْمَغِيَّاتِ

٣٨١ وَمِنْ عَوَائِدِ أُمَمِ الْهِنْدِ إِقَامَةُ عِيدٍ كَبِيرٍ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ
سَنَةٍ . فَيُخْرَجُ أَهْلُ الْبِلَادِ جَمِيعًا مِنْ شَيْخٍ وَشَابٍّ وَكَبِيرٍ وَصَغِيرٍ إِلَى
صَحْرَاءَ خَارِجِ الْبِلَادِ فِيهَا حَجَرٌ كَبِيرٌ مَنْصُوبٌ . فَيُنَادِي مُنَادِي الْمَلِكِ لَا
يَصْعَدُ عَلَى هَذَا الْحَجَرِ إِلَّا مَنْ حَضَرَ الْعِيدَ السَّابِقَ قَبْلَ هَذَا . فَرُبَّمَا جَاءَ
الشَّيْخُ الْأَكْبَرُ الَّذِي ذَهَبَتْ قُوَّتُهُ وَعَمِيَ بَصَرُهُ أَوْ الْعَجُوزُ الشَّوْهَاءُ وَهِيَ
تَرْبُضُ مِنَ الْكِبَرِ . فَيَصْعَدَانِ عَلَى ذَلِكَ الْحَجَرِ أَوْ أَحَدُهُمَا وَرُبَّمَا لَا
يُحْيِي أَحَدٌ وَيَكُونُ قَدْ فَنِيَ ذَلِكَ الْقَرْنُ بِأَسْرِهِ . ثُمَّ يَصْعَدُ عَلَى ذَلِكَ

أَلْتَجَرَّ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتٍ : قَدْ حَضَرْتُ الْعِيدَ السَّابِقَ وَأَنَا طِفْلٌ صَغِيرٌ وَكَانَ مَلِكُنَا فَلَانًا وَوَزِيرُنَا فَلَانًا . ثُمَّ يَصِفُ الْأُمَّةَ السَّابِقَةَ مِنْ ذَلِكَ الْقَرْنِ كَيْفَ طَحَنَهُمُ الْمَوْتُ وَأَهْلَكَهُمُ الْبَلَاءُ وَصَارُوا تَحْتَ الثَّرَى . ثُمَّ يَقُومُ خُطْبَتَهُمْ فَيُعِظُ النَّاسَ وَيَذَكِّرُهُمْ بِالْمَوْتِ وَغُرُورِ الدُّنْيَا وَتَقَلُّبِهَا بِأَهْلِهَا . فَيَكْثُرُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْبُكَاءُ وَذِكْرُ الْمَوْتِ وَالتَّاسُّفُ عَلَى صُدُورِ الذُّنُوبِ وَالْغَفْلَةِ عَنْ ذَهَابِ الْعُمُرِ . ثُمَّ يَتُوبُونَ وَيَكْثُرُونَ الصَّدَقَاتِ وَيَخْرُجُونَ مِنَ التَّيَمَّاتِ (لِبَهَاءِ الدِّينِ الْعَامِلِيِّ)

٣٨٢ وَمِنْ عَوَانِدِهِمْ فِي مَمْلَكَةِ بَاهْرَا وَغَيْرِهِ مِنْ مُلُوكِ الْهِنْدِ مَنْ يُحْرِقُ نَفْسَهُ بِالنَّارِ . وَذَلِكَ لِقَوْلِهِمْ بِالتَّسَامُخِ وَتَمَسُّكِهِ فِي قُلُوبِهِمْ وَزَوَالِ الشَّكِّ فِيهِ عَنْهُمْ . وَفِي مُلُوكِهِمْ مَنْ إِذَا قَعَدَ لِلْمَلِكِ طَبِخَ لَهُ أَرْزٌ ثُمَّ وَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى وَرَقِ الْمُوزِ . وَيَتَدَبُّ مِنْ أَصْحَابِهِ الْكَلَامُ بَعْمَانَةٌ وَالْأَرَبَعْمَانَةٌ بِاخْتِيَارِهِمْ لَا أَنْفُسِهِمْ لَا بِإِكْرَادِ مِنَ الْمَلِكِ لَهُمْ . فَيُعْطِيهِمُ الْمَلِكُ مِنْ ذَلِكَ الْأَرْزِ بَعْدَ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهُ . وَيَتَقَرَّبُ رَجُلٌ رَجُلًا مِنْهُمْ فَيَأْخُذُ مِنْهُ شَيْئًا يَسِيرًا فَيَأْكُلُهُ . فَيَلْزِمُ كُلُّ مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذَا الْأَرْزِ إِذَا مَاتَ الْمَلِكُ أَوْ قُتِلَ أَنْ يُحْرِقُوا أَنْفُسَهُمْ بِالنَّارِ عَنْ آخِرِهِمْ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ . لَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهُ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُمْ عَيْنٌ وَلَا أَثَرٌ . وَإِذَا عَزَمَ الرَّجُلُ عَلَى إِحْرَاقِ نَفْسِهِ صَارَ إِلَى بَابِ الْمَلِكِ فَاسْتَأْذَنَ . ثُمَّ دَارَ فِي الْأَسْوَاقِ وَقَدْ أُجِّتَ لَهُ النَّارُ فِي حَطَبٍ جَزَلٍ كَثِيرٍ . عَلَيْهَا رِجَالٌ يَقُومُونَ بِإِيتَادِهَا حَتَّى تَصِيرَ كَالْعَقِيقِ حَرَارَةً وَالتَّهَابَا . ثُمَّ يَعْدُو

وَبَيْنَ يَدَيْهِ الصُّنُوجُ دَائِرًا فِي الْأَسْوَاقِ وَقَدْ اخْتَوَشَهُ أَهْلُهُ وَذَوُو
قَرَابَتِهِ . وَبَعْضُهُمْ يَضَعُ عَلَى رَأْسِهِ إِكْلِيلًا مِنَ الرِّيحَانِ يَلَاهُ جَمْرًا
وَيَصُبُّ عَلَيْهِ السَّنْدْرُسَ وَهُوَ مَعَ النَّارِ كَالنَّقْطِ . وَيَمْشِي وَهَامَتُهُ تَحْتَرِقُ
وَرَوَائِحُ لَحْمِ رَأْسِهِ تَفُوحُ وَهُوَ لَا يَتَغَيَّرُ فِي مَشْيَتِهِ . وَلَا يَظْهَرُ مِنْهُ
جَزَعٌ حَتَّى يَأْتِيَ النَّارَ فَيَثْبُ فِيهَا فَيَصِيرُ رَمَادًا . فَذَكَرَ بَعْضُ مَنْ
حَضَرَ أَنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ أَرَادَ دُخُولَ النَّارِ فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهَا أَخَذَ الْخَنْجَرَ
فَوَضَعَهُ عَلَى رَأْسِ فُوَادِهِ فَشَقَّهُ بِيَدِهِ . ثُمَّ ادْخَلَ يَدَهُ الْيُسْرَى فَقَبَضَ
عَلَى كَبِدِهِ فَجَذَبَ مِنْهَا مَا تَهَيَّأَ لَهُ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ . ثُمَّ قَطَعَ بِالْخَنْجَرِ مِنْهَا
قِطْعَةً فَدَفَعَهَا إِلَى أَخِيهِ اسْتِهَانَةً بِالْمَوْتِ . وَصَبَرَ عَلَى الْأَلَمِ ثُمَّ رَجَعَ
بِنَفْسِهِ فِي النَّارِ إِلَى لَعْنَةِ اللَّهِ . وَمِنْ عَوَائِدِهِمُ الْقِمَارُ بِالْذِّبَاكَةِ وَالزُّرْدِ
وَالْذِّبَاكَةُ عِنْدَهُمْ عَظِيمَةُ الْأَجْسَامِ وَافِرَةُ الصِّيَاصِي . يَسْتَعْمَلُونَ لَهَا مِنْ
الْخَنَاجِرِ الصَّغَارِ الْمُرْهَفَةِ مَا يُشَدُّ عَلَى صِيَاصِيهَا ثُمَّ تُرْسَلُ . وَقِمَارُهُمْ فِي
الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْأَرْضِينَ وَالذَّبَابِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . فَيَبْلُغُ الدِّيكُ
الْغَالِبُ جُمْلَةً مِنَ الذَّهَبِ (مروج الذهب للسعودي)

نبذة من عوائد السودان

٣٨٣ . إِنَّ عَاصِمَةَ مُلِكِ السُّودَانِ تُسَمَّى بِالْغَابَةِ وَيَكْتَنِفُهَا الْحَدَائِقُ
وَالْمَسَاكِينُ وَبَنَاءُ بُيُوتِهِمْ بِالْحِجَارَةِ وَخَشَبِ السَّنْطِ . وَلِلْمَلِكِ قَصْرٌ
وَقِبَابٌ وَقَدْ أَحَاطَ بِذَلِكَ كُلُّهُ حَائِطٌ كَالسُّورِ . وَحَوْلَ مَدِينَةِ الْمَلِكِ
غَابَاتٌ وَشَعْرَاءُ يَسْكُنُ فِيهَا سَحَرَتُهُمْ وَهُمْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ دِينَهُمْ . وَفِيهَا

دكا كبيرهم وقبور ملوكهم . ولتلك القباب حرس ولا يمكن أحدا
 دخولها ولا معرفة ما فيها . وهناك سُجونُ الملك فإذا سُجنَ فيها أحدا
 انقطع عن الناس خبره . وتراجمةُ الملك من المسلمين وكذلك صاحبُ
 بيت ماله وأكثرُ وزرائه . ولا يلبسُ الخياط من أهل دين الملك غيره
 وغير ولي عهده . ويلبسُ سائرُ الناس ملابف القطن والحرير
 والدباج على قدر أحوالهم . وهم أجمع يُحلقون لحاهم . وملوكهم يتحلى
 بحلى النساء في العنق والذراعين . ويجعل على رأسه الطراير المذهبة
 عليها عمام القطن الرفيعة . وهو يجلس للناس والمظالم في قبة .
 ويكون حوالي القبة عشرة أفراس بثياب مذهب . ووراء الملك
 عشرة من العلمان يحملون الحُجف والسيوف الحلاة بالذهب . وعن
 يمينه أولاد ملوك بلده قد ضفروا على رؤوسهم الذهب وعالهم
 القباب الرفيعة . ووالي المدينة بين يدي الملك جالس في الأرض
 وحواليه الوزراء . وعلى باب القبة كلاب منسوبة لا تكاد تفارق
 موضع الملك تحرسه . في أعناقها سواجير الذهب والفضة يكون في
 الساجور عدد رمانات ذهب وفضة . وهم يندرون بجلوسه بطبل
 وهو خشبة طويلة منقورة فيجتمع الناس . فإذا دنا أهل دينه منه
 جثوا على ركبهم ونثروا التراب على رؤوسهم فتلك تحية لهم .
 وديانتهم المحوسية وعبادة الدكا كبير وإذا مات ملكهم عقدوا له
 قبة عظيمة من خشب الساج ووضعوها في موضع قبره . ثم أتوا به

عَلَى سَرِيرٍ قَلِيلِ الْفُرْشِ وَالْوَطَاءِ فَأَدْخَلُوهُ فِي تِلْكَ الْقُبَّةِ . وَوَضَعُوا مَعَهُ
حِلْيَتَهُ وَسِلَاحَهُ وَأَنْبَتَهُ الَّتِي كَانَ يَأْكُلُ فِيهَا وَيَشْرَبُ . وَأَدْخَلُوا فِيهَا
الْأَطْعَمَةَ وَالْأَشْرِبَةَ وَأَدْخَلُوا مَعَهُ رَجُلًا يَمِينُ كَانَ يَخْدُمُ طَعَامَهُ
وَشَرَابَهُ . وَأَغْلَقُوا عَلَيْهِمْ بَابَ الْقُبَّةِ وَجَعَلُوا فَوْقَ الْقُبَّةِ الْحُصْرَ وَالْأَمْتَةَ .
ثُمَّ أَجْتَمَعَ النَّاسُ فَرَدُّوْا فَوْقَهَا بِالتُّرَابِ حَتَّى تَأْتِيَ كَالْجِبِلِ الضَّخْمِ . ثُمَّ
يَخْنَدِقُونَ حَوْلَهَا حَتَّى لَا يُوصَلَ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا مِنْ مَوْضِعٍ وَاحِدٍ . وَهُمْ
يَذَبْحُونَ لِمَوْتَاهُمْ الذَّبَائِحَ وَيُقَرِّبُونَ لَهُمُ الْخُمُورَ

(المسالك والممالك للبكري)

فائدة فيما خُصَّت به كل بلدة

٣٨٤ يُقَالُ : أَفَاعِي سِجِسْتَانَ . وَثَمَابِينُ مِصْرَ . وَذُبَابُ تَلِّ قَافِلٍ .
وَأَوْرُغِيَّةَ . وَيُقَالُ : بُرُودُ الْيَمَنِ . وَقَبَاطِي مِصْرَ . وَدِيَابِجُ الرُّومِ . وَخَزْ
السُّوسِ . وَحَرِيرُ الصِّينِ . وَمِلْحُ مَرُوءَ . وَأَكْسِيَّةُ فَارِسَ . وَحُلُّ
أَصْبَهَانَ . وَسَقْلَاطُونِي بَغْدَادَ . وَعَمَائِمُ الْأَبْلَةِ . وَيُقَالُ : سِتْجَابُ خَرْخِيزَ .
وَسَمُورُ بَلْغَارَ . وَثَعَالِبُ الْخَزَرِ . وَفَنَّاكَ كَاشْغَرُ . وَحَوَاصِلُ هَرَاةَ . وَفَاقِمُ
التَّنْغَرُغُزِ . وَيُقَالُ : عِتَاقُ الْبَادِيَةِ . وَتَجَابُ الْحِجَازِ . وَحَمِيرُ مِصْرَ .
وَبَرَادِينُ طَخَارِسْتَانَ . وَبَغَالُ بَرْدَعَةَ . وَيُقَالُ : سَكْرُ الْأَهْوَازِ . وَعَسَلُ
أَصْفَهَانَ . وَقَصَبُ مِصْرَ . وَدِيسُ أَرْجَانَ . وَرَطْبُ الْعِرَاقِ . وَغُنَابُ
جُرْجَانَ . وَتَمْرُ كِرْمَانَ . وَإِجَاصُ بُسْتِ . وَسَفَرَجُلُ نَيْسَابُورَ . وَتَفَاحُ
الشَّامِ . وَمَشْمِشُ طُوسَ . وَكُثْرَى نِهَاوَنْدَ . وَنَارَنْجُ الْبَصْرَةِ . وَفَشُوشُ

هَرَاةَ . وَأَتْرُجُ طَبْرِسْتَانَ . وَتَيْنُ حُلَوَانَ . وَعَنْبُ بَغْدَادَ . وَمَوْزُ أَلْيَنَ .
 وَوَرْدُ جُورَ . وَتِيلُوفُ شَرَوَانَ . وَزَعْفَرَانُ قُمَ . وَتَمْرُ حِنَاءَ مَكَّةَ . وَيُقَالُ :
 طَوَاعِينُ الشَّامِ . وَطَحَالُ النُّجَرَيْنِ . وَحَمَى خَيْبَرَ . وَدَمَاهِلُ الْجَزِيرَةِ .
 وَعِرْقُ مَكَّةَ . وَوَبَاءُ مِصْرَ . وَبَرَسَامُ الْعِرَاقِ . وَقُرُوحُ بَيْحَ . وَالنَّارُ
 الْفَارِسِيَّةُ . وَيُقَالُ : شِتَاءُ أَرَمِيَةَ . وَمَصِيفُ مِصْرَ . وَصَوَاعِقُ تِهَامَةَ .
 وَزَلْزَالُ الدَّيْلِ . وَيُقَالُ : شُقْرَةُ الرُّومِ . وَسَوَادُ الزَّيْجِ . وَغَلْظُ الْأَثَرِ .
 وَجَفَاءُ الْحَتْلِ . وَدَمَامَةُ الصِّينِ . وَلَطَافَةُ بَغْدَادَ . وَقَصْرُ يَأْجُوحَ . وَطُولُ
 مَاْجُوحَ . وَذَكَاءُ مِصْرَ . وَبَلَادَةُ الشَّامِ . وَحَمَاقَةُ الْحَبَشِ . وَيُقَالُ :
 رُطْبُ ثَوْتِ . وَرُمَانُ بَابِهِ . وَمَوْزُ هَتُورَ . وَتَتَاكَ كَيْهَكَ . وَلَبَنُ
 بَرْمَهَاتَ . وَتَبَقُ بِشَنْسَرَا (*) (الكثر المدفون)

(*) ومن قبيل تفرد البلاد تفرد الناس . قال الصَّفْدِيُّ : جماعة رُزِقُوا السَّعَادَةَ فِي أَشْيَاءَ لَمْ
 يَأْتِ بَعْدَهُمْ مَنْ تَأَلَّاهُمَا . عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي الْقَضَاءِ . أَبُو عُبَيْدَةَ فِي الْأَمَانَةِ . أَبُو ذَرٍّ فِي صَدَقِ
 النَّهْجِ . أَبِي بِنِ كَمَبٍ فِي الْقُرْآنِ . زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي الْفَرَائِضِ . ابْنُ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ .
 الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ فِي التَّذْكِيرِ . وَهَبُ بْنُ مُنْبَرٍ فِي الْقَبَصِ . ابْنُ سِيرِينَ فِي التَّعْبِيرِ . نَافِعُ فِي
 الْقِرَاءَةِ . أَبُو حَنِيفَةَ فِي الْفِقْهِ قِيَاسًا . ابْنُ خَلْقَانَ فِي الْمَغَازِي . مُقَاتِلُ فِي الْأَوَالِي . ابْنُ الْكَلْبِيِّ
 الصَّغِيرُ فِي النَّسَبِ . أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ فِي الْأَخْبَارِ . مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ فِي عُلُومِ الْأَثَرِ .
 الْحَمَلِيُّ فِي الْعَرُوضِ . الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ فِي الْعِبَادَةِ . مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ فِي الْعِلْمِ . الشَّافِعِيُّ فِي فِقْهِ
 الْحَدِيثِ . أَبُو عُبَيْدَةَ فِي الْغَرِيبِ . عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ فِي عِلَلِ الْحَدِيثِ . يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ فِي الرِّجَالِ .
 أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي السُّنَنِ . الْبُخَارِيُّ فِي نَقْدِ الْحَدِيثِ النَّصِيحِ . الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ . مُحَمَّدُ بْنُ
 نَصْرِ الْمَرْوَزِيُّ فِي الْإِخْتِلَافِ . الْحَبَّائِيُّ فِي الْإِعْتِرَالِ . الْأَشْعَرِيُّ فِي الْكَلَامِ . أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبْرَانِيُّ
 فِي الْعَوَالِي . عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي اِرْتِمَالِ النَّاسِ إِلَيْهِ . ابْنُ مَنْدَهَ فِي سَعَةِ الرَّحْلَةِ . أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ فِي
 سُرْعَةِ الْخُطَابَةِ . سَيِّدُوَيْهَ فِي الْعَوِي . أَبُو الْحَسَنِ الْبَكْرِيُّ فِي الْكُذِبِ . أَيَّاسُ فِي التَّفَرُّسِ . عَبْدُ الْحَمِيدِ
 فِي الْكِتَابَةِ . أَبُو مُسْلِمٍ الْخُرَّاسَانِيُّ فِي عُلُوِّ الصَّمَةِ وَالْخَزَمِ . الْمُؤَصِّلِيُّ فِي التَّدِيمِ فِي الْغَنَاءِ . أَبُو الْفَرَجِ

العقّوق السارق

٣٨٥ حَدَّثَ حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ لِي وَأَنَا صَبِيٌّ
عَقَّقْتُ قَدْ رَيْتُهُ وَكَانَ يَتَكَلَّمُ بِكُلِّ شَيْءٍ سَمِعَهُ . فَسَرَقَ خَاتَمَ يَاقُوتٍ
كَانَ أَبِي وَضَعَهُ عَلَى حَجَرٍ لِيَتَوَضَّأَ ثُمَّ رَجَعَ فَلَمْ يَجِدْهُ . فَطَلَبَهُ وَضَرَبَ
غُلَامَهُ الَّذِي كَانَ وَاقِفًا فَلَمْ يَقِفْ لَهُ عَلَى خَبَرٍ . فَبَيْنَا أَنَا ذَاتَ يَوْمٍ فِي
دَارِنَا إِذَا أَبْصَرْتُ الْعَقَّاقَ قَدْ نَبَشَ تَرَابًا . فَأَخْرَجَ الْحَاتِمَ مِنْهُ وَلَعِبَ
بِهِ طَوِيلًا ثُمَّ رَدَّهُ فِيهِ وَدَفَنَهُ . فَأَخَذَتْهُ وَجِئْتُ بِهِ إِلَى أَبِي فَسَرَّ بِذَلِكَ
وَقَالَ يَهْجُو الْعَقَّاقَ :

الأصهباني صاحب الأغاني في الحاضرة . أبو معشر في النجوم . الرازي في الطب . الفضل بن
يحيى في الجود . جعفر بن يحيى في التوقيع . ابن زيدون في سعة العبارة . ابن القزويني في البلاغة .
الجاحظ في الأدب وبيان . الحريري في المقامات . البديع العمادي في الحفظ . أبو نواس في
المطايبات والهزل . ابن حجاج في تحف الألفاظ . النجاشي في الحكم والأمثال شعراً . الرُّمَيْشِيُّ
في تعاطي العربية . النسي في الجدال . جرير في الشجاء الحديث . حماد الراوية في شعر العرب .
معاوية في الحلم . المأمون في حب العفو . عمر بن العاص في الدعاء . الوليد في شرب الخمر .
أبو موسى الأشعري في سلامة الباطن . عطاء السلي في الخوف من الله . ابن البواب في الكتابة .
القاضي الفاضل في الترسل . العماد الكاتب في الجنس . ابن الجوزي في الوعظ . أتمب في
الطمع . أبو نصر الفارابي في نقل كلام القدماء . ومعرفة وتفسيره . حنين بن اسحاق في ترجمة
اليوناني إلى العربي . ثابت بن قرة في تهذيب ما نقل من الرياضي إلى العربي . ابن سينا في الفلسفة
وعلم الأوائل . الإمام فخر الدين في الاختراع على العلوم السيف الأمدي في التحقيق . النصار
الطوسي في الجسطي . ابن الهيثم في الرياضي . نجم الدين الكاتبي في المنطق . أبو الحسن العربي في
الاطلاع على اللغة . أبو العينية في الأجوبة المسكينة . مزيد في النحل القاضي أحمد بن أبي دؤاد .
المروعة وحسن التقاضي . ابن المعتز في التشبيه . ابن الرومي في التميز . الهذلي في الشطرنج . أبو
محمد الغزالي في الجمع بين المنقول والمفعول . أبو الوليد بن رشد في تخيص كتب الأقدمين
الفلسفة والطب . يحيى الدين بن عربي في التصوف (لبياء الدين)

إِذَا بَارَكَ اللَّهُ فِي طَائِرٍ فَلَا بَارَكَ اللَّهُ فِي الْعَشَقِ
طَوِيلُ الذَّنَابِ قَصِيرُ الْجَنَاحِ مَتَى مَا يَجِدَ غَفْلَةً يَسْرِقِ
يُقَلِّبُ عَيْنَهُ فِي رَأْسِهِ كَأَنَّهُمَا قَطْرَتَا زَيْتٍ
(الافاني)

قصة أصحاب الكهف (٢٥١)

٣٨٦ كَانَ لِلرُّومِ مَلِكٌ أَسْمُهُ دِقْيَانُوسُ (دِسْيُوس) وَكَانَ يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ
وَيَذْبَحُ لِلطَّوَاغِيتِ . وَكَانَ يَنْزِلُ قُرَى الرُّومِ وَلَا يَتْرَكُ فِيهَا أَحَدًا مُؤْمِنًا
إِلَّا قَتَلَهُ حَتَّى يَعْبُدَ الْأَصْنَامَ . فَنَزَلَ يَوْمًا مَدِينَةُ أَصْحَابِ الْكَهْفِ وَهِيَ
أَفْسُوسُ وَكَانَ فِيهَا بَقَايَا عَلَى دِينِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ . فَهَرَبَ
مِنْهُ أَهْلُ الْإِيمَانِ . وَكَانَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ اتَّخَذَ شُرْطَةً مِنَ الْكُفَّارِ
مِنْ أَهْلِهَا يَتَّبِعُونَ أَهْلَ الْإِيمَانِ فِي أَمَاكِنِهِمْ . فَمَنْ وَقَعَ بِهِ الْمَلِكُ خَيْرُهُ
بَيْنَ الْقَتْلِ وَعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ . فَمِنْهُمْ مَنْ يَرْغَبُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْبَى فَيُقْتَلُ .
ثُمَّ أَمَرَ بِأَجْسَادِهِمْ أَنْ تُعَلَّقَ عَلَى سُورِ الْمَدِينَةِ وَعَلَى كُلِّ بَابٍ

فَأَتَّفَقَ أَنْ سَبْعَةَ فِتْيَانٍ مِنْ أَوْلَادِ الْبَطَارِقَةِ مِنْ أَشْرَافِ الْقَوْمِ
خَرَجُوا ذَاتَ يَوْمٍ لِيَنْظُرُوا إِلَى الْمُعَذِّبِينَ مِنْ إِخْوَتِهِمْ . فَفَتَحَ اللَّهُ
أَبْصَارَهُمْ فَكَانُوا يَرَوْنَ الرَّجُلَ إِذَا قُتِلَ هَبَطَتْ إِلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ
السَّمَاءِ وَعَرَّجُوا بِرُوحِهِ فَأَمَنُوا . فَتَضَرَّعُوا إِلَى اللَّهِ وَجَعَلُوا يَقُولُونَ : رَبَّنَا
رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا .
اللَّهُمَّ اكْشِفْ عَنْ عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ هَذِهِ الْفِتْنَةَ وَادْفَعْ الْبَلَاءَ وَالنَّعَمَ عَنْ

الَّذِينَ آمَنُوا بِكَ . فَيُنَادِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ أَدْرَكَهُمُ الشَّرْطَةُ وَكَانُوا قَدْ
 دَخَلُوا فِي مَصَلَّى لَهُمْ فَوَجَدُوهُمْ سَاجِدُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ يَبْكُونَ
 وَيَتَضَرَّعُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَلَمَّا عَثَرَ عَلَيْهِمُ الْمَلِكُ قَالَ لَهُمْ : مَا مَنَعَكُمْ أَنْ
 تَعْبُدُوا آيَةً تَخْتَارُوا إِمَّا أَنْ تَذْبَحُوا لِآلِهَتِنَا وَإِمَّا أَنْ أَقْتُلَكُمْ . فَقَالَ
 مَكْسَلُمِنَا وَهُوَ أَكْبَرُهُمْ : إِنْ لَنَا إِلَهًا مَلَأَتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ عَظَمَتُهُ
 أَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا . أَمَّا الطَّوَاعِيتُ وَعِبَادَتُهَا فَلَنْ نَعْبُدَهَا أَبَدًا
 فَاصْنَعْ مَا بَدَأَ لَكَ . فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ أَمَرَ الْمَلِكُ فَتَرَعَ مِنْهُمْ الْمَلْبُوسُ الَّذِي
 كَانَ عَلَيْهِمْ مِنْ بُيُوسِ عُظَمَائِهِمْ وَقَالَ : إِنْ فَعَلْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ فَإِنِّي
 سَأُخْرِكُمْ وَأُفْرِغُ لَكُمْ وَأُنْجِزُكُمْ مَا وَعَدْتُكُمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ . وَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ
 أُعْجَلَ ذَلِكَ إِلَّا أَنِّي أَرَاكُمْ شَبَابًا حَدِيثَةً أَسْنَانَكُمْ . فَلَا أُحِبُّ أَنْ
 أَهْلَكَكُمْ حَتَّى أَجْعَلَ لَكُمْ أَجَلًا تَتَذَكَّرُونَ فِيهِ وَتُرَاجِعُونَ عُقُوبَتَكُمْ ثُمَّ
 أَمَرَ بِهِمْ فَأُخْرِجُوا مِنْ عِنْدِهِ . وَأَنْطَلَقَ دَقِيَّا نُوسُ إِلَى مَدِينَةٍ سِوَى
 مَدِينَتِهِمْ لِبَعْضِ أُمُورِهِ

فَلَمَّا عَلِمَ الْقِسَّةُ أَنَّ دَقِيَّا نُوسَ خَرَجَ مِنْ مَدِينَتِهِمْ ائْتَمَرُوا أَنْ يَأْخُذَ
 كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ نَفَقَةً مِنْ بَيْتِ أَبِيهِ فَيَتَصَدَّقُوا مِنْهَا ثُمَّ يَتَرَدَّدُوا بِمَا
 بَقِيَ . ثُمَّ يَنْطَلِقُوا إِلَى كَهْفٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَدِينَةِ فَيَمْكُونُ فِيهِ وَيَعْبُدُونَ
 اللَّهَ تَعَالَى . حَتَّى إِذَا جَاءَ دَقِيَّا نُوسُ أَتَوْهُ فَتَأَمَّلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَصْنَعُ بِهِمْ
 مَا شَاءَ . فَلَمَّا جَنَّهِمُ اللَّيْلُ خَرَجُوا إِلَى الْجَبَلِ وَجَعَلُوا نَفَقَتَهُمْ إِلَى فَتَى
 مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ تَمْلِيحًا . فَكَانَ يَتَّبَعُ لَهُمْ طَعَامُهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ . وَكَانَ

مِنْ أَجْلِهِمْ وَأَجْلَدِهِمْ . وَكَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَدِينَةَ لَيْسَ ثِيَابَ الْمَسَاكِينِ
 وَاشْتَرَى طَعَامَهُمْ وَتَجَسَّسَ لَهُمُ الْأَخْبَارَ . فَلْيُشُوا كَذَلِكَ زَمَانًا . ثُمَّ
 أَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْمَلِكَ يَطْلُبُهُمْ . فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ
 يَتَحَدَّثُونَ وَيَتَدَارَسُونَ إِذْ ضَرَبَ اللَّهُ عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ . فَوَقَفَ
 الْمَلِكُ عَلَى أَمْرِهِمْ فَأَلْقَى إِبْلِيسُ فِي نَفْسِهِ أَنْ يَأْمُرَ بِالْكَهْفِ فَيُسَدَّ عَلَيْهِمْ
 حَتَّى يَمُوتُوا جُوعًا وَعَطَشًا . وَقَدْ تَوَقَّى اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ وَقَاةَ النَّوْمِ . ثُمَّ عَمِدَ
 رَجُلَانِ مُؤْمِنَانِ كَانَا فِي بَيْتِ الْمَلِكِ فَكَتَبَا شَأْنَ الْفِتْيَةِ وَأَسْمَاءَهُمْ
 وَأَنْسَابَهُمْ فِي رَقِيمٍ . وَجَعَلَاهُ فِي تَابُوتٍ مِنْ نُحَاسٍ وَجَعَلَاهُ فِي
 الْبَلْيَانِ . وَنَامُوا ثَلَاثَ مِائَةِ سَنَةٍ وَازْدَادُوا تِسْعًا وَافْتَقَدَهُمُ الْمَلِكُ . قَالَ
 مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ مَلَكَ أَهْلُ تِلْكَ الْبِلَادِ رَجُلٌ صَالِحٌ يُقَالُ لَهُ
 تَاوَدُوسِيُوسُ . وَتَحَزَّبَ النَّاسُ فِي مُلْكِهِ أَحْزَابًا فَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
 وَيَعْلَمُ أَنَّ السَّاعَةَ حَقٌّ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكْذِبُ . فَحَزَنَ حَزْنًا شَدِيدًا لِمَا رَأَى
 أَهْلَ الْبَاطِلِ يَزِيدُونَ وَيُظْهِرُونَ عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ . وَيَقُولُونَ : لَا حَيَاةَ
 إِلَّا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا . وَإِنَّمَا تُبْعَثُ الْأَرْوَاحُ وَلَا تُبْعَثُ الْأَجْسَادُ
 ثُمَّ إِنَّ الرَّحْمَانَ الرَّحِيمَ أَرَادَ أَنْ يُظْهِرَ الْفِتْيَةَ أَصْحَابَ الْكَهْفِ
 وَيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ شَأْنَهُمْ . وَبِجَعْلَهُمْ آيَةً لِيَعْلَمُوا بِهَا أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا
 رَيْبَ فِيهَا . فَأَلْقَى اللَّهُ فِي نَفْسِ رَجُلٍ مِنْ ذَلِكَ الْجَبَلِ أَنْ يَبْنِيَ فِيهِ
 حَظِيرَةً لِنَفْسِهِ . فَاسْتَأْجَرَ عَامِلَيْنِ فَجَعَلَ لِيَنْزِعَانَ تِلْكَ الْأَشْجَارَ وَيَبْنِيَانِ
 بِهَا تِلْكَ الْحَظِيرَةَ . حَتَّى فَرَّغَ مَا عَلَى فَمِ الْكَهْفِ . فَلَمَّا فَتَحَ عَلَيْهِمْ

الْبَابِ أَذِنَ اللَّهُ ذُو الْقُدْرَةِ وَالْعَظَمَةِ وَالسُّلْطَانِ مُجِى الْمَوْتَى أَنْ يَقُومَ
 الْقَتِيلَةُ . فَجَلَسُوا فَرِحِينَ مُسْتَبَشِرَةً وَجُوهُهُمْ طَيِّبَةً أَنْفُسُهُمْ . فَسَلَّمَ
 بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ . حَتَّى كَانُوا اسْتَيْقَظُوا مِنْ سَاعَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا
 يَسْتَيْقِظُونَ فِيهَا إِذَا أَصْبَحُوا مِنْ لَيْلَتِهِمُ الَّتِي يَسْتَيْقِظُونَ فِيهَا . ثُمَّ قَامُوا إِلَى
 الصَّلَاةِ فَصَلُّوا كَمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ لَا يَرَى فِي وَجُوهِهِمْ وَلَا فِي أَلْسِنَتِهِمْ
 وَلَا أَلْوَانِهِمْ شَيْءٌ يَكْرَهُونَهُ . إِنَّمَا هُمْ كَهَيْئَتِهِمْ حِينَ رَقَدُوا . وَهُمْ يَرَوْنَ
 أَنَّ مَلِكَهُمْ دَقْيَانُوسَ الْجَبَّارِ فِي طَلَبِهِمْ . فَلَمَّا قَضَوْا صَلَاتَهُمْ قَالَ لَهُمْ
 مَكْسَلِمِينَا : يَا إِخْوَتَاهُ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ فَلَا تَكْفُرُوا بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ
 إِذَا دَعَاكُمْ غَدَا . ثُمَّ قَالَ تَمْلِيخَا : انْطَلِقْ إِلَى الْمَدِينَةِ فَاسْتَعِ مَا يَقُولُهُ
 النَّاسُ فِي شَأْنِنَا . فَتَلَطَّفَ وَلَا تُشْعِرَنَّ بِنَا أَحَدًا وَابْتَغِ لَنَا طَعَامًا وَأَتِنَا
 بِهِ فَإِنَّهُ قَدْ نَالَنَا الْجُوعُ . فَأَخَذَ تَمْلِيخَا الْثِيَابَ الَّتِي كَانَ يَتَكْرَفُ فِيهَا وَأَخَذَ
 وَرَقًا مِنْ نَفَقَتِهِمُ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُمُ الَّتِي ضَرَبَتْ بِطَائِعِ دَقْيَانُوسَ .
 فَأَنْطَلَقَ تَمْلِيخَا خَارِجًا فَلَمَّا مَرَّ بِبَابِ الْكُهْفِ رَأَى الْحِجَارَةَ مَنْزُوعَةً عَنْ
 بَابِ الْكُهْفِ . فَعَجِبَ مِنْهَا ثُمَّ مَرَّ قَلَمٌ يُبَالِي بِهَا . حَتَّى أَتَى بَابَ الْمَدِينَةِ
 مُسْتَخْفِيًا يَصُدُّ عَنْ الطَّرِيقِ تَخَوُّفًا مِنْ أَنْ يَرَاهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهَا فَيَعْرِفَهُ
 فَيَذْهَبَ بِهِ إِلَى دَقْيَانُوسِ الْجَبَّارِ . وَلَمْ يَشْعُرْ أَنَّ دَقْيَانُوسَ وَأَهْلَهُ قَدْ
 هَلَكُوا قَبْلَ ذَلِكَ بِثَلَاثِائَةِ سَنَةٍ . فَلَمَّا رَأَى تَمْلِيخَا بَابَ الْمَدِينَةِ رَفَعَ رَأْسَهُ
 فَرَأَى مُوقَ ظَهْرِ الْبَابِ عِلَامَةً تَكُونُ لِأَهْلِ الْإِيْمَانِ . فَلَمَّا رَأَاهَا عَجِبَ
 وَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا مُسْتَخْفِيًا . فَظَرَّ يَمِينًا وَشِمَالًا فَلَمْ يَرَ أَحَدًا مِنْ يَعْرِفُهُ .

ثُمَّ تَرَكَ ذَلِكَ الْبَابَ وَتَحَوَّلَ إِلَى بَابٍ آخَرَ مِنْ أَبْوَابِهَا فَرَأَى مِثْلَ ذَلِكَ.
فَجَعَلَ يُخَيِّلُ إِلَيْهِ أَنَّ الْمَدِينَةَ لَيْسَتْ بِالَّتِي كَانَ يَعْرِفُهَا . وَرَأَى نَاسًا
كَثِيرِينَ مُحَدِّثِينَ فَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ . فَجَعَلَ يَمْشِي وَيَتَعَجَّبُ
مِنْهُمْ وَمِنْ نَفْسِهِ وَيُخَيِّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ حَيْرَانٌ . ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْبَابِ الَّذِي
أَتَى مِنْهُ . فَجَعَلَ يَتَعَجَّبُ مِنْهُ وَمِنْ نَفْسِهِ وَيُخَيِّلُ وَيَتَوَلَّى : يَا لَيْتَ شِعْرِي
أَمَا هَذِهِ عَشِيَّةُ أُمِّسَ كَانَ الْمُؤْمِنُونَ يُحْتَقُونَ هَذِهِ الْعَلَامَةَ وَيَسْتَخَفُّونَ
بِهَا . فَأَمَّا الْيَوْمَ فَإِنَّهَا ظَاهِرَةٌ لِعَلِّي حَالِمٌ . ثُمَّ بَدَى أَنَّهُ لَيْسَ بِنَائِمٍ فَأَخَذَ
كِسَاءَهُ وَجَعَلَهُ عَلَى رَأْسِهِ

ثُمَّ دَخَلَ الْمَدِينَةَ فَجَعَلَ يَمْشِي بَيْنَ ظَهْرَانِي سُوقِهَا فَيَسْمَعُ نَاسًا
كَثِيرِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ . ثُمَّ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ . فَرَادَهُ عَجَبًا وَرَأَى أَنَّ
حَيْرَانٌ . فَقَامَ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى جِدَارٍ مِنْ جُدْرَانِ الْمَدِينَةِ وَيَتَوَلَّى فِي
نَفْسِهِ : مَا أَذْرِي مَا هَذَا أَمَّا عَشِيَّةُ أُمِّسَ فَلَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ
إِنْسَانٌ يَذْكُرُ عَيْسَى بْنَ مَرْيَمَ إِلَّا قَتَلَ . وَأَمَّا الْغَدَاةُ فَأَسْمَعُ كُلَّ إِنْسَانٍ
يَذْكُرُ أَمْرَ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ وَلَا يَخَافُ . ثُمَّ قَالَ فِي نَفْسِهِ : أَعَلَّ هَذِهِ
لَيْسَتْ الْمَدِينَةُ الَّتِي أَعْرِفُهَا أَسْمَعُ كَلَامَ أَهْلِهَا وَلَا أَعْرِفُ أَحَدًا مِنْهُمْ .
مَا أَعْلَمُ مَدِينَةً أَقْرَبَ مِنْ مَدِينَتَا ثُمَّ قَامَ كَالْحَيْرَانِ لَا يَتَوَجَّهُ وَجْهًا . ثُمَّ
لَقِيَ فَتًى مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ . فَقَالَ : يَا فَتَى مَا اسْمُ هَذِهِ الْمَدِينَةِ . فَقَالَ :
أَفْسُوسُ . فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : لَعَلَّ بِي مَسَاءٌ أَوْ أَمْرٌ أَذْهَبَ عَنِّي . ثُمَّ إِنَّهُ
أَفَاقَ فَقَالَ : لَوْ عَجَلْتُ الْخُرُوجَ مِنَ الْمَدِينَةِ قَبْلَ أَنْ يُفْطَنَ بِي لَكَانَ

الْكَيْسَ لِي . فَدَنَا مِنَ الَّذِينَ يَدْعُونَ الطَّعَامَ فَأَخْرَجَ الْوَرَقَ الَّتِي كَانَتْ
 مَعَهُ فَأَعْطَاهَا رَجُلًا مِنْهُمْ فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ بَعْنِي بِهَذِهِ الْوَرَقِ طَعَامًا .
 فَأَخَذَهَا الرَّجُلُ وَنَظَرَ إِلَى ضَرْبِ الْوَرَقِ وَنَقَشِهَا وَعَجِبَ مِنْهَا . ثُمَّ
 صَرَحَهَا إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَنَظَرَ إِلَيْهَا . ثُمَّ جَعَلُوا يَتَطَارَحُونَهَا بَيْنَهُمْ
 مِنْ رَجُلٍ إِلَى رَجُلٍ وَهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهَا . ثُمَّ جَعَلُوا يَتَشَاوَرُونَ مِنْ أَجْلِهِ
 وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ : إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ أَصَابَ كَنْزًا خَيْرًا فِي الْأَرْضِ
 مُنْذُ زَمَانٍ وَدَعَرَ طَوِيلٍ . فَلَمَّا رَأَوْهُمْ يَتَشَاوَرُونَ مِنْ أَجْلِهِ فَرَّقَ فَرَقًا
 شَدِيدًا وَحَزَنَ حُزْنًا عَظِيمًا . وَجَعَلَ يَرْتَعِدُ وَيَظُنُّ أَنَّهُمْ قَطَنُوا بِهِ
 وَعَرَفُوهُ . وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ أَنْ يَحْمِلُوهُ إِلَى مَلِكِهِمْ دَقِيَّا نَوْسَ . وَجَعَلَ أَنْاسُ
 آخَرُونَ يَأْتُونَهُ فَيَتَعَرَّفُونَهُ . فَقَالَ لَهُمْ : وَهُوَ شَدِيدُ الْفَرَقِ أَقْضُونِي
 مَا جِئْتُمْ أَخَذْتُمْ وَرَقِي وَإِلَّا فَأَمْسِكُوا طَعَامَكُمْ فَلَا حَاجَةَ لِي فِيهِ . فَقَالُوا
 لَهُ : مَنْ أَنْتَ يَا فَتَى وَمَا شَأْنُكَ . إِنَّكَ لَقَدْ وَجَدْتَ كَنْزًا مِنْ كُنُوزِ
 الْأَوَّلِينَ . وَأَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تُخْفِيَ عَنْنَا فَأَنْطَلِقْ مَعَنَا وَشَارِكْنَا فِيهِ يَخْفَ
 عَلَيْكَ مَا وَجَدْتَ . فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ نَأْتِي بِكَ السُّلْطَانُ فَاسْلَمَكَ إِلَيْهِ
 فَيَسْتَأْذِنُ . فَلَمَّا سَمِعَ قَوْلَهُمْ عَجِبَ فِي نَفْسِهِ وَقَالَ : قَدْ وَقَعْتُ فِي كُلِّ شَيْءٍ
 أَحْذَرُ مِنْهُ . ثُمَّ قَالُوا : يَا فَتَى إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَكْتُمَ شَيْئًا وَجَدْتَهُ وَلَا
 تَظُنُّ فِي نَفْسِكَ أَنْ تُخْفِيَ عَلَيْكَ . فَجَعَلَ تَمْلِيحًا لَا يَدْرِي مَا يَشُولُ وَمَا
 يُرْجِعُ إِلَيْهِمْ وَفَرَّقَ حَتَّى مَا يُحِيرُ إِلَيْهِمْ جَوَابًا . فَلَمَّا رَأَوْهُ لَا يَتَكَلَّمُ أَخَذُوا
 كِسَاءَهُ فَطَوَّقُوهُ فِي عُنُقِهِ . ثُمَّ جَعَلُوا يَقُودُونَهُ فِي سِكَكِ الْمَدِينَةِ مُكْبَلًا

حَتَّى سَمِعَ بِهِ كُلُّ مَنْ فِيهَا . فَقِيلَ : أَخَذَ رَجُلٌ عِنْدَهُ كَثْرًا . وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ
 أَهْلُ الْمَدِينَةِ صَغِيرُهُمْ وَكَبِيرُهُمْ فَجَعَلُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَيَقُولُونَ : مَا هَذَا
 الَّذِي مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ وَمَا رَأَيْنَا فِيهَا قَطُّ وَمَا نَعْرِفُهُ . فَجَعَلَ تَمَلُّحًا
 مَا يَدْرِي مَا يَقُولُ لَهُمْ مَعَ مَا تَسْمَعُ مِنْهُمْ . فَلَمَّا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْمَدِينَةِ
 فَرَّقَ وَسَكَتَ وَلَمْ يَتَكَلَّم . وَلَوْ قَالَ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَمْ يُصَدِّقْ .
 وَكَانَ مُسْتَيْقِنًا أَنَّ أَبَاهُ وَإِخْوَتَهُ بِالْمَدِينَةِ . وَأَنَّ حَسَبَهُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ
 مِنْ عَظَمَاءِ أَهْلِهَا وَأَنَّهُمْ سَيَاتُونَهُ إِذَا تَجَمُّعُوا . وَقَدْ اسْتَيْقَنَ أَنَّهُ عَشِيَّةُ
 أَمْسٍ كَانَ يَعْرِفُ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِهَا وَأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ الْيَوْمَ مِنْ أَهْلِهَا أَحَدًا
 فَيَنْتَظِمُ هُوَ قَائِمٌ كَالْحَيْرَانِ يَنْتَظِرُ مَنْ يَأْتِيهِ مِنْ بَعْضِ أَهْلِهِ إِمَّا
 أَبُوهُ أَوْ بَعْضُ إِخْوَتِهِ فَيُخَالِصُهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ إِذْ اخْتَطَفُوهُ فَانْطَلَقُوا بِهِ إِلَى
 رَئِيسِ الْمَدِينَةِ وَمُدَبِّرِهَا الَّذِينَ يُدِيرَانِ أَمْرَهَا . وَهَما رَجُلَانِ صَالِحَانِ
 أَسْمُ أَحَدِهِمَا أَرْمُوسُ وَالْآخَرُ إِصْطَفَنُوسُ . فَلَمَّا انْطَلَقَ بِهِ إِلَيْهِمَا كَاطِنٌ
 تَمَلُّحًا أَمَّا يَنْطَلِقُ بِهِ إِلَى دِقْيَانُوسَ الْجَبَّارِ مَلِكِهِمُ الَّذِي هَرَبُوا مِنْهُ .
 فَجَعَلَ يَلْتَفِتُ يَمِينًا وَشِمَالًا وَجَعَلَ النَّاسُ يَسْخَرُونَ بِهِ كَمَا يَسْخَرُونَ مِنَ
 الْخَجْنُونَ وَالْحَيْرَانِ . وَجَعَلَ تَمَلُّحًا يَبْكِي ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ :
 اللَّهُمَّ إِلَهَ السَّمَاءِ وَإِلَهَ الْأَرْضِ أَفْرِغْ عَلَيَّ الْيَوْمَ صَبْرًا وَأَوْجِ مَعِيَ رُوحًا
 مِنْكَ تُؤَيِّدُنِي بِهِ عِنْدَ هَذَا الْجَبَّارِ . وَجَعَلَ يَبْكِي وَيَقُولُ فِي نَفْسِهِ :
 فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي يَا لَيْتَهُمْ يَعْلَمُونَ مَا أَقِيتُ وَأَيْنَ يَذْهَبُ بِي .
 فَلَوْ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ فَيَأْتُونِي فَتَقُومُ جَمِيعًا بَيْنَ يَدَيِ هَذَا الْجَبَّارِ . فَإِنَّا كُنَّا

رَأَيْتُنَا لَنَكُونَنَّ مَعًا لَا نَكْفُرُ بِاللَّهِ وَلَا نَعْبُدُ الطَّوَاعِثَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ . فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَلَمْ أَرَهُمْ وَلَمْ يَرُونِي . وَقَدْ كُنَّا تَوَاقِفًا أَنْ
لَا تَفْتَرِقَ فِي حَيَاةٍ وَلَا مَوْتٍ أَبَدًا . يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ بِي
أَقَاتِلِي أَمْ لَا

ثُمَّ انْتَهَى بِهِ إِلَى الرَّجُلَيْنِ الصَّالِحَيْنِ أَرْمُوسَ وَإِصْطَفُوسَ فَلَمَّا
رَأَى تَمَلِيحًا أَنَّهُ لَمْ يَذْهَبْ بِهِ إِلَى دِقْيَا نُوسَ أَفَاقَ وَسَكَنَ عَنْهُ الْبُكَاءُ
فَأَخَذَ أَرْمُوسُ وَإِصْطَفُوسُ الْوَرَقَ فَنَظَرَا إِلَيْهَا وَعَجَبَا مِنْهَا . ثُمَّ قَالَ لَهُ
أَحَدُهُمَا : أَيُّ الْكَثْرِ الَّذِي وَجَدْتَهُ يَا قَتِي . فَهَذَا الْوَرَقُ يَشْهَدُ عَلَيْكَ
أَنَّكَ قَدْ وَجَدْتَ كَثْرًا . فَقَالَ لَهُ تَمَلِيحًا : مَا وَجَدْتُ كَثْرًا وَلَكِنْ هَذَا
الْوَرَقُ وَرَقُ آبَائِي وَنَقَشُ هَذِهِ الْمَدِينَةِ وَضَرْبُهَا . وَلَكِنِّي مَا أَذْرِي
مَا أَقُولُ لَكُمْ . قَالَ أَحَدُهُمَا : مَنْ أَنْتَ . فَقَالَ لَهُ تَمَلِيحًا : أُمَّا مَا أَرَى فَإِنِّي
كُنْتُ أَرَى أَنِّي مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ . فَقَالُوا لَهُ : مَنْ أَبُوكَ وَمَنْ يَعْرِفُكَ
بِهَا . فَأَنْبَأَهُمْ بِأَسْمِ أَبِيهِ فَلَمْ يَجِدُوا أَحَدًا يَعْرِفُهُ وَلَا أَبَاهُ . فَقَالَ لَهُ
أَحَدُهُمَا : أَنْتَ رَجُلٌ كَذَّابٌ لَا تُخْبِرُ بِالْحَقِّ . فَلَمْ يَذَرِ تَمَلِيحًا مَا يَقُولُ
لَهُمْ غَيْرَ أَنَّهُ نَكَسَ رَأْسَهُ إِلَى الْأَرْضِ . فَقَالَ بَعْضُ مَنْ حَوْلَهُ : هَذَا
الرَّجُلُ مُجْنُونٌ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَيْسَ بِمُجْنُونٍ وَلَكِنَّهُ يُحِمُّ نَفْسَهُ عَمْدًا
لِكِي يُفْلِتَ مِنْكُمْ . فَقَالَ لَهُ أَحَدُهُمَا وَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظْرًا شَدِيدًا : أَتَظُنُّ أَنَا
رُسُلَاكَ وَنُصَدِّقُكَ أَنَّ هَذَا مَالُ أَبِيكَ . وَانْقَشَ هَذِهِ الْوَرَقَ وَضَرْبُهَا
أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً . وَأَنْتَ غُلَامٌ شَابٌ تَظُنُّ أَنَّكَ تَأْفِكُنَا وَتَسْخَرُ

بَنَّا وَنَحْنُ شَطَطٌ كَمَا تَرَى . وَحَوْلَكَ سَرَاةُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَوَلَاةُ أَمْرِهَا
 وَخَزَائِنُ هَذِهِ الْبَلَدَةِ بِأَيْدِينَا . وَآيِسَ عِنْدَنَا مِنْ هَذَا الضَّرْبِ دِرْهَمٌ
 وَلَا دِينَارٌ . وَإِنِّي لَأُظَنِّي سَأَمُرُّ بِكَ فَتُضْرَبُ وَتُعَذَّبُ عَذَابًا شَدِيدًا
 ثُمَّ أُوثِقُكَ حَتَّى تُقَرَّبَ بِهَذَا الْكُزِّ الَّذِي وَجَدْتُ . فَلَمَّا قَالَ لَهُ ذَلِكَ قَالَ
 لَهُ تَمَیْحًا : أَنُبِّئُونِي عَنْ شَيْءٍ أَشَأَ لَكُمْ عَنْهُ فَإِنِ فَعَلْتُمْ صَدَقْتُكُمْ مَا
 عِنْدِي . قَالُوا : سَلْ لَا نَكْتُمُكَ شَيْئًا . قَالَ : فَمَا فَعَلَ الْمَلِكُ دِقْيَانُوسُ ؟
 فَقَالُوا لَهُ : لَيْسَ نَعْرِفُ الْيَوْمَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَلِكًا يُسَمَّى دِقْيَانُوسَ .
 وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا مَلِكًا قَدْ هَلَكَ مُنْذُ زَمَانٍ وَدَهْرٍ طَوِيلٍ وَفَدَّ هَاكَتَ بَعْدَهُ
 قُرُونٌ كَثِيرَةٌ . فَقَالَ لَهُمْ تَمَیْحًا : فَوَاللَّهِ مَا يُصَدِّقُنِي أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ بِمَا
 أَقُولُ . لَقَدْ كُنَّا فِتْيَةً أُمَّاكٍ وَإِنَّهُ أَكْرَهَنَا عَلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالذَّبْحِ
 لِلطَّوَاعِيتِ . فَهَرَبْنَا مِنْهُ عَشِيَّةَ أَمْسٍ فَمِنَّمَا . فَلَمَّا أَنْتَبَهْنَا خَرَجْتُ
 لِأَشْتَرِيَ لِأَصْحَابِي طَعَامًا وَآتَجَسَّسَ لَهُمُ الْأَخْبَارَ فَإِذَا أَنَا كَمَا تَرَوْنَ .
 فَأَنْطَلَقُوا مَعِيَ إِلَى الْكَهْفِ الَّذِي فِي جَبَلٍ مَخْلُوسٍ أُرَكُّمُ أَصْحَابِي .
 فَلَمَّا سَمِعَ أَرْمُوسُ وَإِسْطَاطُوسُ مَا يَقُولُ تَمَیْحًا قَالَا : يَا قَوْمُ أَعَلَّ هَذِهِ
 آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَهَا اللَّهُ لَكُمْ عَلَى يَدَيِ هَذَا الْفَتَى .
 فَأَنْطَلَقُوا بِنَا مَعَهُ يُرِنَا أَصْحَابَهُ كَمَا قَالَ . فَأَنْطَلَقَ مَعَهُ أَرْمُوسُ وَإِسْطَاطُوسُ
 وَأَنْطَلَقَ مَعَهُمَا أَهْلُ الْمَدِينَةِ كَبِيرُهُمْ وَصَغِيرُهُمْ نَحْوَ أَصْحَابِ الْكَهْفِ
 لِيَنْظُرُوا إِلَيْهِمْ

وَلَمَّا رَأَى الْفِتْيَةُ أَصْحَابَ الْكَهْفِ تَمَیْحًا قَدْ احْتَبَسَ عَنْهُمْ بِطَعَامِهِمْ

وَشَرَّائِهِمْ عَنِ الْقَدَرِ الَّذِي كَانَ يَأْتِيهِمْ فِيهِ ظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ أَخَذَ وَذَهَبَ
 بِهِ إِلَى مَلِكِهِمْ دِقْيَانُوسَ الَّذِي هَرَبُوا مِنْهُ . فَبَيْنَمَا هُمْ يَظُنُّونَ ذَلِكَ
 وَيَتَخَوَّفُونَهُ إِذْ سَمِعُوا الْأَصْوَاتَ وَجَلَبَةَ الْحَيْلِ مُصْعِدَةً تَحْوِهِمْ . فَظَنُّوا
 أَنَّهُمْ رُسُلُ الْجَبَّارِ دِقْيَانُوسَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ لِيُوقِيَ بِهِمْ . فَتَأَمَّلُوا حِينَ سَمِعُوا
 ذَلِكَ إِلَى الصَّلَاةِ وَسَلَّمْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ . وَقَالُوا : أَنْطَلِقُوا بِنَا إِلَى
 أَخِينَا تَمَلِيخًا فَإِنَّهُ الْآنَ بَيْنَ يَدَيِ الْجَبَّارِ دِقْيَانُوسَ يَنْتَظِرُ مَتَى نَأْتِيهِ .
 فَبَيْنَمَا هُمْ يَقُولُونَ ذَلِكَ وَهُمْ جُلُوسٌ بَيْنَ ظَهْرَانِي الْكَهْفِ فَلَمْ يَرَوْا
 إِلَّا أَرْمُوسَ وَأَصْحَابَهُ وَقَوْمًا وَقُوفًا عَلَى بَابِ الْكَهْفِ وَقَدْ سَبَقَهُمْ
 تَمَلِيخًا . فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ وَهُوَ يَبْكِي فَلَمَّا رَأَوْهُ يَبْكِي بَكَوْا مَعَهُ . ثُمَّ سَأَلُوهُ
 عَنْ شَأْنِهِ فَأَخْبَرَهُمْ بِخَبْرِهِ وَقَصَّ عَلَيْهِمُ الْمَسْئَلَةَ . فَعَرَفُوا عِنْدَ ذَلِكَ
 أَنَّهُمْ كَانُوا نِيَامًا بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى ذَلِكَ الزَّمَانَ كُلَّهُ . وَإِنَّمَا أَوْقَضُوا
 لِيَكُونُوا آيَةً لِلنَّاسِ وَتَصْدِيقًا لِلْبَعْثِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا
 رَيْبَ فِيهَا . ثُمَّ دَخَلَ عَلَى أَثَرِ تَمَلِيخًا أَرْمُوسُ فَرَأَى تَابُوتًا مِنْ نُحَاسٍ
 مَخْتُومًا بِخَاتَمٍ مِنْ فِضَّةٍ . فَقَامَ بِبَابِ الْكَهْفِ وَدَعَا رَجُلًا مِنْ عُظَمَاءِ
 أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَفَتَحَ التَّابُوتَ عِنْدَهُمْ . فَوَجَدُوا فِيهِ لَوْحَيْنِ مِنْ رِصَاصٍ
 مَكْتُوبًا فِيهِمَا إِنَّ مَكْسَلَمِينَ وَتَمَلِيخًا وَمَرْصُوكُشَ وَتَوَالِسَ وَسَانِيُوسَ
 رَبَّطْنِيُوسَ وَكَشْفُوطَ (١) كَانُوا فِتْيَةً هَرَبُوا مِنْ مَلِكِهِمْ دِقْيَانُوسَ

(١) وقد ضبط مؤرخو الكنيسة أسماءهم هكذا . كسيبيانوس والكوس ومرتيانيانوس

وديونيسيوس وبوحنا وسرايون وقسطنطينوس

الْجَبَّارِ مَخَافَةً أَنْ يَنْتَنِبَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ فَدَخَلُوا فِي هَذَا الْكَهْفِ . فَلَمَّا أَخْبَرَ
بِمَكَانِهِمْ . أَمَرَ بِهَذَا الْكَهْفِ فُسِدَ عَلَيْهِمْ بِالْحِجَارَةِ . وَإِنَّا كَتَبْنَا شَأْنَهُمْ
وَأَخْبَرَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ . فَلَمَّا قَرَّوْهُ عَجَبُوا وَحَمْدُوا
اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي أَرَاهُمْ آيَةَ الْبَعْثِ فِيهِمْ . ثُمَّ رَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِحَمْدِ
اللَّهِ وَتَسْبِيحِهِ . ثُمَّ دَخَلُوا عَلَى الْقَبْرِ الْكَهْفِ فَوَجَدُوهُمْ جُلُوسًا بَيْنَ
ظَهْرَانِيَّةٍ وَوُجُوهِهِمْ مُشْرِقَةٌ وَلَمْ تَبَلْ ثِيَابُهُمْ . فَخَرَّ أَرْمُوسُ وَأَصْحَابُهُ
سُجَّدًا لِلَّهِ تَعَالَى وَحَمْدُوا اللَّهَ الَّذِي أَرَاهُمْ آيَةً مِنْ آيَاتِهِ . ثُمَّ كَلَّمَ
بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَأَنْبَأَهُمُ الْقَتِيبَةُ عَنِ الَّذِي لَقُوا مِنْ مَلِكِهِمْ دَقْيَانُوسَ
الْجَبَّارَ . ثُمَّ إِنَّ أَرْمُوسَ وَأَصْحَابَهُ بَعَثُوا بَرِيدًا إِلَى مَلِكِهِمُ الصَّالِحِ
تَاوَدُوسِيُوسَ أَنْ عَجَلَ لَعَلَّكَ تَنْظُرُ إِلَى آيَةٍ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى جَعَلَهَا
اللَّهُ آيَةً عَلَى مُلْكِكَ . وَجَعَلَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ لِيَكُونَ ذَلِكَ نُورًا وَضِيَاءً
وَتَصْدِيقًا بِالْبَعْثِ . فَأَعْجَلَ عَلَى فِتْنَةٍ بَعْثَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ قَدْ تَوَفَّاهُمْ مِنْذُ
أَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ . فَلَمَّا أَتَى الْمَلِكُ الْخَبْرَ قَامَ مِنَ السُّدَّةِ الَّتِي
كَانَ عَلَيْهِا وَذَهَبَ عَنْهُ هَمُّهُ . وَقَالَ : أَحْمَدُ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ رَبَّ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْبُدُكَ وَأَسْتَغِيحُ لَكَ . تَطَوَّلْتَ عَلَيَّ وَرَحِمْتَنِي
بِرَحْمَتِكَ فَلَمْ تُطْفِئِ النُّورَ الَّذِي كُنْتَ جَعَلْتَهُ لِأَبْنَائِي

فَلَمَّا أَنْبَأَ بِهِ أَهْلُ الْمَدِينَةِ رَكَبُوا إِلَيْهِ وَسَارُوا مَعَهُ حَتَّى صَعِدُوا
فَخَوَّ الْكَهْفَ وَأَتَوْهُ فَلَمَّا رَأَى الْقَتِيبَةَ تَاوَدُوسِيُوسَ فَرَحَ بِهِ وَخَرُّوا
سُجَّدًا عَلَى وُجُوهِهِمْ . وَقَامَ تَاوَدُوسِيُوسَ قَدَامَهُمْ ثُمَّ اعْتَقَهُمْ وَبَكَى .

وَهُمْ جُلُوسٌ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى الْأَرْضِ يَسْبَحُونَ اللَّهُ تَعَالَى وَيُحَمِّدُونَهُ .
 ثُمَّ قَالَ الْفَتِيُّ إِيَّاوُدُ وَسَيُوسُ : نَسْتَوْدِعُكَ اللَّهُ وَنَهْرًا عَلَيْكَ السَّلَامَ
 حَفَظَكَ اللَّهُ وَمَدَّ مُلْكَكَ وَنُعِيدُكَ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ .
 فَيِنَّمَا الْمَلِكُ قَائِمٌ رَجَعُوا إِلَى مَضَاجِعِهِمْ فَكَامُوا وَتَوَفَّى اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ .
 وَقَامَ الْمَلِكُ فَجَعَلَ ثِيَابَهُ عَلَيْهِمْ . وَأَمَرَ أَنْ يُجْعَلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ تَابُوتٌ مِنْ
 ذَهَبٍ . فَلَمَّا أَمْسَوْا وَنَامَ أَتَوْهُ فِي الْمَنَامِ وَقَالُوا : إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ مِنْ
 ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ وَلَكِنَّا خُلِقْنَا مِنَ التُّرَابِ وَإِلَى التُّرَابِ نَصِيرُ . فَأَثَرُكُنَا
 كَمَا كُنَّا فِي الْكَهْفِ عَلَى التُّرَابِ حَتَّى يَبْعَثَنَا اللَّهُ . فَأَمَرَ الْمَلِكُ حِينَئِذٍ
 بِتَابُوتٍ مِنْ سَاجٍ فَجَعَلُوا فِيهِ . وَحَجَّجَهُمُ اللَّهُ حِينَ خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِمْ
 بِالرُّعْبِ فَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِمْ . وَأَمَرَ الْمَلِكُ فَجَعَلَ عَلَى بَابِ
 الْكَهْفِ مَسْجِدًا يُصَلَّى فِيهِ . وَجَعَلَ لَهُمْ عِيدًا عَظِيمًا (لله ميري)

الْبَابُ الثَّانِي عَشَرَ

فِي الْأَسْفَارِ

مدح السفر

٣٨٧ السَّفَرُ أَحَدُ أَسْبَابِ الْمَعَاشِ الَّتِي بِهَا قَوَامُهُ وَنَظَامُهُ لِأَنَّ اللَّهَ
 تَعَالَى لَمْ يَجْعَلْ نَافِعَ الدُّنْيَا فِي أَرْضٍ بَلْ فَرَّقَهَا وَأَحْوَجَ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ .
 وَمِنْ فَضْلِهِ أَنْ صَاحِبَهَا يَرَى مِنْ عَجَائِبِ الْأَمْصَارِ وَبِدَائِعِ الْأَقْطَارِ .

وَمَحَاسِنِ الْأَثَارِ . مَا يَزِيدُهُ عِلْمًا . وَيُفِيدُهُ فَهْمًا . بِقُدْرَةِ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ .
 وَيَدْعُوهُ إِلَى شُكْرِ نِعْمَتِهِ . وَيَسْمَعُ الْعَجَائِبَ . وَيَكْسِبُ التَّجَارِبَ .
 وَيَفْتَحُ الْمَذَاهِبَ . وَيَجْلِبُ الْمَكَاسِبَ . وَيَشُدُّ الْأَبْدَانِ . وَيَنْشِطُ
 الْكَسَلَانَ . وَيُسْلِي الْأَحْزَانَ . وَيَطْرُدُ الْأَسْقَامَ . وَيُشْهِى الطَّعَامَ .
 وَيَحِطُّ سَوْرَةَ الْكِبَرِ . وَيَبْمِثُ عَلَى طَلَبِ الذِّكْرِ . وَقَالَ حَاتِمُ طَيِّبٍ :
 إِذَا لَزِمَ النَّاسُ الْبُيُوتَ رَأَيْتَهُمْ عُمَاءَ عَنِ الْأَخْبَارِ خَرَقَ الْمَكَاسِبِ
 ٣٨٨ وَفِي الْمُنْبَهَجِ : مَنْ آثَرَ السَّفَرَ عَلَى الْقُعُودِ . فَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَعُودَ
 مُورِقَ الْعُودِ . وَرُبَّمَا سَفَرَ السَّفَرُ عَنِ الظَّفَرِ . وَتَعَذَّرَ فِي الْوَطَنِ قَضَاءُ
 الْوَطَرِ . وَتَقُولُ الْعَامَّةُ : كَلْبُ جَوَالٍ خَيْرٌ مِنْ أَسَدٍ رَابِضٍ (لِلْمُقَدِّسِيِّ)
 قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

تَغَرَّبَ عَنِ الْأَوْطَانِ فِي طَلَبِ الْعُلَى وَسَافَرَ فِي الْأَسْفَارِ خَمْسَ فَوَائِدِ
 تَفَرَّجَ هَمٌّ وَأَكْتَسَبَ مَعِيشَةً وَعَلِمَ وَأَدَّابٌ وَصُحْبَةٌ مَاجِدِ
 فَإِنْ قِيلَ فِي الْأَسْفَارِ ذُلٌّ وَمُحَنَةٌ وَقَطَعَ الْفَيَافِي وَأَرْتَكَبَ الشَّدَائِدِ
 فَمَوْتُ الْفَتَى خَيْرٌ لَهُ مِنْ مُقَامِهِ بَدَارِ هَوَانٍ بَيْنَ وَاشٍ وَحَاسِدِ
 ٣٨٩ قَالَ الْمُتَأَمُّونُ : لَا شَيْءَ الَّذِي مِنَ السَّفَرِ فِي كِفَايَةٍ إِلَّا أَنْكَ تَحُلُّ
 كُلَّ يَوْمٍ فِي مَحَاقٍ لَمْ تَحْلَمْهَا وَتُعَاشِرُ قَوْمًا لَمْ تُعَاشِرْهُمْ . وَفِي كِتَابِ
 الْهِنْدِ : مَنْ لَمْ يَرْكَبِ الْأَهْوَالَ لَمْ يَنْلِ الرِّغَابَ . قَالَ الشَّاعِرُ :
 لَا يَمْنَعُكَ خَفَضُ الْعِيشِ فِي دَعَةٍ مِنْ أَنْ تُبَدِّلَ أَوْطَانًا بِأَوْطَانِ
 تَأْتِي بِكُلِّ بِلَادٍ إِنْ حَلَّتْ بِهَا أَهْلًا بِأَهْلٍ وَإِخْوَانًا بِإِخْوَانِ

وَقَالَ أَيْضًا :

بِلَادُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ فَضَاءٌ وَرِزْقُ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا فَسِيحٌ
فَقُلْ لِلْقَاعِدِينَ عَلَى هَوَانٍ إِذَا ضَاوَقَتْ بِكُمْ أَرْضٌ فَسِيحُوا
قَالَ غَيْرُهُ :

أَشَدُّ مِنْ فَاقَةِ الزَّمَانِ مَقَامٌ حُرٌّ عَلَى هَوَانٍ
فَأَسْتَرْزِقِ اللَّهَ وَأَسْتَعِينَهُ فَإِنَّهُ خَيْرٌ مُسْتَعَانٍ
وَإِنْ نَبَا مَنْزِلُ بَحْرٍ فَمِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ
قَالَ آخَرُ :

سَافِرٌ تَجِدُ عِوَضًا عَنْ تَفَارِقِهِ
وَأَنْصَبُ فَإِنَّ لَذِيذَ الْعَيْشِ فِي النَّصَبِ
مَا فِي الْمَقَامِ لِذِي لُبٍّ وَذِي أَدَبٍ
مَعَزَّةٌ فَأَتْرُكُ الْأَوْطَانَ وَأَعْتَرِبُ
إِنِّي رَأَيْتُ وَقُوفَ الْمَاءِ يُفْسِدُهُ
فَإِنْ جَرَى طَابَ أَوْ لَمْ يَجْرِ لَمْ يَطْبِ
وَالْبَدْرُ لَوْ لَا أَفُولُ مِنْهُ مَا نَظَرْتُ
إِلَيْهِ فِي كُلِّ حِينٍ مُرْتَقِبٍ
وَالْأَسَدُ لَوْ لَا فِرَاقُ الْغَابِ مَا قَقَصْتُ
وَالسَّهْمُ لَوْ لَا فِرَاقُ الْقَوْسِ لَمْ يَصِبِ
وَالْتَبَرُ كَالْتَرَبِ مُلْقًى فِي أَمَاكِنِهِ

وَالْعُودُ فِي أَرْضِهِ نَوْعٌ مِنَ الْخُطَبِ
فَإِنْ تَغَرَّبَ هَذَا عَزَّ مَطْلَبُهُ
وَإِنْ أَقَامَ فَلَا يَعْلُو إِلَى رَتَبِ

٣٩٠ أَوْصَى بَعْضُ الْحُكَمَاءِ صَدِيقًا لَهُ وَقَدْ أَرَادَ سَفَرًا فَقَالَ : إِنَّكَ
تَدْخُلُ بِلَدًا لَا تَعْرِفُهُ وَلَا يَعْرِفُكَ أَهْلُهُ فَمَتَّسِكٌ بِوَصِيَّتِي تَنْفِقُ بِهَا فِيهِ .
عَلَيْكَ بِنِظَافَةِ الْبِرِّ فَإِنَّهَا تُبْنِي عَنْ الشَّيْءِ فِي النِّعْمَةِ . وَالْأَدَبِ
الْجَمِيلِ فَإِنَّهُ يَكْسِبُ الْمَحَبَّةَ . وَلَكِنْ عَقْلُكَ دُونَ دِينِكَ وَقَوْلُكَ دُونَ
فِعْلِكَ وَلِبَاسُكَ دُونَ قَدْرِكَ . وَالزَّمِ الْحَيَاءَ وَالْأَنَفَةَ فَإِنَّكَ إِنْ
اسْتَحْيَيْتَ مِنَ الْقَظَاطَةِ اجْتَنَبْتَ الْخُسَاسَةَ . وَإِنْ أَنْفَتَ عَنِ الْعُلْيَةِ
لَمْ يَتَقَدَّمَكَ نَظِيرٌ فِي رُتَبَةٍ . قَالَ أَبُو أَفْتَحٍ الْبُسْتِي :

لَنْ تَنْقَلْتَ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ وَصِرْتَ بَعْدَ ثَوَاءٍ رَهْنَ أَسْفَارٍ
فَالْحَرْحُ عَزِيزُ النَّفْسِ حَيْثُ ثَوَى وَالشَّمْسُ فِي كُلِّ بَرْجٍ ذَاتُ أَنْوَارٍ
٣٩١ أَوْصَتْ أَعْرَابِيَّةٌ ابْنَهَا فِي سَفَرٍ فَقَالَتْ : يَا بُنَيَّ إِنَّكَ تُجَاوِرُ
الْأَعْرَابَ . وَتَرْحَلُ عَنِ الْأَصْدِقَاءِ . وَلَعَلَّكَ لَا تَلْقَى غَيْرَ الْأَعْدَاءِ . فَخَالَطَ
النَّاسَ بِجَمِيلِ الْبَشْرِ . وَاتَّقِ اللَّهَ فِي الْعِلَاقَةِ وَالسِّرِّ . وَمَثُلِ بِنَفْسِكَ
مِثَالَ مَا اسْتَحْسَنْتَ مِنْ غَيْرِكَ فَأَعْمَلْ بِهِ . وَمَا اسْتَقْبَحْتَ مِنْ غَيْرِكَ
فَاجْتَنِبْهُ . فَإِنَّ الْمَرْءَ لَا يَرَى عَيْبَ نَفْسِهِ
(للقيرواني)

ذم السفر

٣٩٢ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الْغَرِيبُ كَالْغَرَسِ الَّذِي زَايَلَ أَرْضَهُ

وَفَقَدَ شُرْبَهُ فَهُوَ ذَاوٍ لَا يُزْهَرُ . وَذَايِلٌ لَا يُثْمِرُ . وَيُقَالُ : الْغَرِيبُ
كَالْوَحْشِ النَّائِي عَنْ وَطْنِهِ فَهُوَ لِكُلِّ رَامٍ رَمِيَّةٌ وَلِكُلِّ سَبْعٍ فَرِيَسَةٌ .
وَقَالَ آخَرُ : الْغَرِيبُ كَالْيَتِيمِ الْفَطِيمِ الَّذِي تُكِلُ أَبَوِيهِ فَلَا أُمَّ تَرَامُهُ
وَلَا أَبَ يَرَأْفُ بِهِ . وَيُقَالُ : عُسْرُكَ فِي بَلَدِكَ خَيْرٌ مِنْ يُسْرِكَ فِي
غُرَبَتِكَ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا نَفْسُ وَنَحْكَ فِي التَّغْرِبِ ذِلَّةٌ فَتَجَرَّعِي كَأْسَ الْأَذَى وَهَوَانَ
وَإِذَا تَرَأْتَ بِدَارَ قَوْمٍ دَارِهِمْ فَلَهُمْ عَلَيْكَ تَعَزُّزُ الْأَوْطَانِ
قَالَ الطَّرِيفِيُّ :

أَرَى وَطَنِي كَعُشٍّ لِي وَكِنْ أَسَافِرُ عَنْهُ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ
وَلَوْ لَا أَنَّ كَسْبَ الْقَوْتِ فَرَضٌ لَمَا بَرَحَ الْفِرَاحُ مِنَ الْعِشَاشِ
(للمقدسي)

سفر ابن بطوطة الى القسطنطينية (١٣٣٤)

٣٩٣ رَغِبَتِ الْخَنَاتُونُ بِيْلُونُ ابْنَةُ مَلِكِ الرُّومِ مِنَ السُّلْطَانِ أَوْزُبَكِ
زَوْجَهَا أَنْ يَأْذَنَ لَهَا فِي زِيَارَةِ أَبِيهَا . فَسَافَرْنَا فِي الْعَاشِرِ مِنْ شَوَّالٍ فِي
صُحْبَةِ الْخَنَاتُونِ بِيْلُونِ وَتَحْتَ حُرْمَتِهَا . وَرَحَلَ السُّلْطَانُ فِي تَشْيِيعِهَا
مَرَحَلَةً وَرَجَعَ هُوَ وَالْمَلِكَةُ وَوَلِيُّ عَهْدِهِ . وَسَافَرَ سَائِرُ الْخَوَاتِينَ فِي
صُحْبَتِهَا مَرَحَلَةً ثَانِيَةً ثُمَّ رَجَعْنَ . وَسَافَرَ صُحْبَتِهَا الْأَمِيرُ بِيْدَرْدَةُ فِي خَمْسَةِ
آلَافٍ مِنْ عَسْكَرِهِ . وَكَانَ عَسْكَرُ الْخَنَاتُونِ نَحْوَ خَمْسِمِائَةِ فَارِسٍ .
وَمِنْهُمْ خُدَامُهَا مِنَ الْمَمَالِيكِ وَالرُّومِ نَحْوُ مِائَتَيْنِ وَالْبَاقُونَ مِنَ التُّرْكِ .

وَكَانَ مَعَهَا مِنَ الْجَوَارِي نَحْوُ مِائَتَيْنِ . أَكْثَرُهُنَّ رُومِيَّاتٌ وَكَانَ لَهَا مِنَ
 الْعَرَبَاتِ نَحْوُ أَرْبَعِمِائَةِ عَرَبَةٍ وَنَحْوُ أَلْفِي فَرَسٍ لِحَرْهَا وَلِلرُّكُوبِ .
 وَكَانَ مَعَهَا مِنَ الْفَتَيَانِ الرُّومِيِّينَ عَشْرَةٌ وَمِنَ الْهِنْدِيِّينَ مِثْلُهُمْ
 وَقَائِدُهُمُ الْأَكْبَرُ يُسَمَّى بِسَنْبُلِ الْهِنْدِيِّ وَقَائِدُ الرُّومِيِّينَ يُسَمَّى
 بِمِجَنَّاوِيلَ . وَيَقُولُ لَهُ الْأَتْرَاكُ لَوْلَوْ أَنَّهُ . وَهُوَ مِنْ أَشْجَمَانَ الْكِبَارِ . وَتَرَكْتُ
 أَكْثَرَ جَوَارِيهَا وَأَتَذَلَّهَا بِمَحَلَّةِ السَّلْطَانِ إِذْ كَانَتْ قَدْ تَوَجَّهَتْ بِرِسْمِ
 الزِّيَارَةِ . وَتَوَجَّهْنَا إِلَى مَدِينَةِ أَكَّ وَهِيَ مَدِينَةٌ مُتَوَسِّطَةٌ حَسَنَةُ الْعِمَارَةِ
 كَثِيرَةُ الْخَيْرَاتِ شَدِيدَةُ الْبَرْدِ . وَعَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ مِنْ هَذِهِ الْمَدِينَةِ
 جِبَالُ الرُّوسِ . وَهُمْ شَقَرُ الشُّعُورِ زُرْقُ الْعُيُونِ قَبَاحُ الصُّورِ أَهْلُ غَدْرِ
 وَعِنْدَهُمْ مَعَادِنُ الْفِضَّةِ وَمِنْ بِلَادِهِمْ يُؤْتَى بِسَبَائِكِ الْفِضَّةِ أَتَى بِهَا
 يُبَاعُ وَيُشْتَرَى فِي هَذِهِ الْبِلَادِ وَوَزْنُ السَّيْكِةِ مِنْهَا خَمْسُ أَوَاقٍ
 ثُمَّ وَصَلْنَا بَعْدَ عَشْرِ مِنْ هَذِهِ الْمَدِينَةِ إِلَى مَدِينَةِ سُرْدَاقَ وَهِيَ
 عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ وَمَرَسَاهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَرَاسِي وَأَحْسَنِهَا . وَبِخَارِجِهَا
 الْبَسَاتِينُ وَالْمِيَادُ وَيَنْزِلُهَا التُّرْكُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الرُّومِ تَحْتَ ذِمَّتِهِمْ .
 وَهُمْ أَهْلُ الصَّنَائِعِ وَأَكْثَرُ بَيْوتِهَا خَشَبٌ . وَكَانَتْ هَذِهِ الْمَدِينَةُ كَبِيرَةً
 فَخَرِبَ مُعْظَمُهَا بِسَبَبِ فِتْنَةٍ وَقَعَتْ بَيْنَ الرُّومِ وَالتُّرْكِ . وَكَانَتْ الضَّيَاقَةُ
 تُحْمَلُ إِلَى الْخَائُونِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ مِنْ تِلْكَ الْبِلَادِ مِنَ الْخَيْلِ وَالنَّعَمِ
 وَالْبَقَرِ وَالْبَنِ الْبَقَرِ وَالنَّعَمِ . وَالسَّفَرُ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ مُضْحَى وَمُعَشَى .
 وَكُلُّ أَمِيرٍ بِتِلْكَ الْبِلَادِ يَصْحَبُ الْخَائُونِ بِعَسَاكِرِهِ إِلَى آخِرِ حَدِّ بِلَادِهِ

تَعْظِيمًا لَهَا لِأَخَوَفِهَا. لِأَنَّ تِلْكَ الْبِلَادَ آمَنَةٌ. ثُمَّ وَصَلْنَا إِلَى الْبَلَدَةِ
الْمَعْرُوفَةِ بِاسْمِ سَلْطُوقَ وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ أَوَّلِ عِمَالَةِ الرُّومِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا
فِي بَرِّيَّةٍ غَيْرِ مَعْمُورَةٍ. مِنْهَا ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ لَمْ يَأْمَأْ بِهَا يَتَرَوَّدُ لَهَا الْمَاءُ وَيُجَلِّ فِي
الرَّوَايَا وَالْقُرْبِ عَلَى الْعَرَبَاتِ. وَكَانَ دُخُولُنَا إِلَيْهَا فِي أَيَّامِ الْبَرْدِ فِي
مُتَنَصِّفِ ذِي الْقَعْدَةِ فَلَمْ نَحْتَجْ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمَاءِ. وَرَحَلْنَا فِي هَذِهِ
الْبَرِّيَّةِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا مُضْحَى وَمُشَى. وَمَارَأَيْنَا إِلَّا خَيْرًا

ثُمَّ وَصَلْنَا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى حِصْنٍ مَهْتُولِي وَهُوَ أَوَّلُ عِمَالَةِ الرُّومِ.
وَكَانَتِ الرُّومُ قَدْ تَبَعَتْ بِمُدُومِ هَذِهِ الْحَاثُونَ عَلَى بِلَادِهَا فَوَصَلَهَا إِلَى
هَذَا الْحِصْنِ كَفَالِي نَشُوْلَهُ الرُّومِيُّ فِي عَسْكَرٍ عَظِيمٍ وَضِيَاةٍ عَظِيمَةٍ.
وَجَاءَتِ الْحَوَاتِينُ مِنْ دَارِ أَبِيهَا مَلِكِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ. وَبَيْنَ مَهْتُولِي
وَالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ مَسِيرَةُ اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ يَوْمًا مِنْهَا سِتَّةَ عَشَرَ يَوْمًا إِلَى
الْحُلَيْجِ وَسِتَّةَ مِنْهُ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَلَا يُسَافِرُ مِنْ هَذَا الْحِصْنِ إِلَّا
بِالْخَيْلِ وَالْبَعَالِ. وَتُتْرَكُ الْعَرَبَاتُ بِهِ لِأَجْلِ الْوَعْرِ وَالْجِبَالِ. وَجَاءَ
كَفَالِي الْمَذْكُورُ بِبَنَائِلٍ كَثِيرَةٍ وَبَعَثَتْ إِلَى الْحَاثُونَ سِتَّةَ مِنْهَا. وَأَوْصَتْ
أَمِيرَ ذَلِكَ الْحِصْنِ بِمَنْ تَرَكَهُ مِنْ أَصْحَابِي رَغْمًا نِيَّيَ مَعَ الْعَرَبَاتِ
وَالْأَثَالِ فَأَمَرَهُمْ بِدَارِ. وَرَجَعَ الْأَمِيرُ بِبِدْرَةٍ بِسَاكِرِهِ وَلَمْ يُسَافِرْ
مَعَ الْحَاثُونَ إِلَّا نَاسَهَا. ثُمَّ وَصَلْنَا حِصْنَ مَسْلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَهُوَ
بِلسْغِ جَبَلٍ عَلَى نَهْرِ زَخَارٍ يُقَالُ لَهُ إِصْطَقِيلِي. وَلَمْ يَبْقَ مِنْ هَذَا الْحِصْنِ
إِلَّا أَثَارُهُ وَبِخَارِجِهِ قَرْيَةٌ كَبِيرَةٌ. ثُمَّ سَرْنَا يَوْمَيْنِ وَوَصَلْنَا إِلَى الْحُلَيْجِ

وَعَلَى سَاحِلِهِ قَرْيَةٌ كَبِيرَةٌ فَوَجَدْنَا فِيهِ الْمُدَّ . فَأَقْنَسَا حَتَّى كَانَ الْجَزْرُ .
وَحُضْنَاهُ وَعَرْضُهُ نَحْوُ مِيلَيْنِ . وَمَشِينَا أَرْبَعَةَ أَمْيَالٍ فِي رِمَالٍ . وَوَصَلْنَا
أَحْجِيجَ الثَّانِي فَحُضْنَاهُ وَعَرْضُهُ نَحْوُ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ . ثُمَّ مَشِينَا نَحْوَ مِيلَيْنِ
فِي حِجَارَةٍ وَرَمَلٍ وَوَصَلْنَا أَحْجِيجَ الثَّلَاثِ وَقَدْ ابْتَدَأَ الْمُدُّ . فَتَعَبْنَا فِيهِ
وَعَرْضُهُ مِيلٌ وَاحِدٌ . فَعَرَضَ أَحْجِيجَ كُلِّهِ مَائِيَّةٍ وَيَا بَسِيَّةً اثْنَا عَشَرَ مِيلًا .
وَتَصِيرُ مَاءٌ كُلُّهَا فِي أَيَّامِ الْمَطَرِ فَلَا تُخَاضُ إِلَّا فِي الْقَوَارِبِ . وَعَلَى
سَاحِلِ هَذَا أَحْجِيجِ الثَّلَاثِ مَدِينَةُ الْفَنِيكَةِ وَهِيَ صَغِيرَةٌ لَكِنَّمَا حَسَنَةٌ
مَانِعَةٌ . وَكَتَانِسُهَا وَدِيَارُهَا حَسَنٌ وَالْأَنْهَارُ تَخْرُقُهَا وَالْبَسَاتِينُ تَحْفُهَا
وَيُدْخِرُهَا الْعُنْبُ وَالْإِجَاصُ وَالْتَفَاحُ وَالسَّفْرَجَلُ مِنَ السَّنَةِ إِلَى
الْأُخْرَى . وَأَقْنَسْنَا هَذِهِ الْمَدِينَةَ ثَلَاثًا وَالْحَاتُونُ فِي قَصْرِ لِابِيهَا هُنَالِكَ .
ثُمَّ قَدِمَ أَخُوهَا شَقِيقُهَا وَأَتَتْهُ كِفَالِي قَرَّاسُ فِي خَمْسَةِ آلَافِ فَارِسٍ
شَاكِينَ فِي السِّلَاحِ . وَلَمَّا أَرَادُوا إِتْمَاءَ الْحَاتُونِ رَكِبَ أَخُوهَا الْمَذْكُورُ فَرَسًا
أَشْبَهَ وَابِسَ ثِيَابًا بَيْضًا وَجَعَلَ عَلَى رَأْسِهِ مِظْلًا مَكْلَلًا بِالْجَوْلَهْرِ .
وَجَعَلَ عَلَى يَمِينِهِ خَمْسَةَ مِائَةِ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلُهُمْ لَا بَسِينَ
الْبِيَاضِ أَيْضًا . وَعَلَيْهِمْ مِظَالَاتُ مُزْرَكَشَةٍ بِالذَّهَبِ . وَجَعَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ
هَائِتَةً مِنَ الْمَشَائِينِ وَمِائَةَ فَارِسٍ قَدْ أَسْبَغُوا الدَّرُوعَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَخَيْلِهِمْ .
وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَقُودُ فَرَسًا مُسَرَّجًا مُدْرَعًا عَلَيْهِ شِكَّةُ فَارِسٍ مِنَ
الْبَيْضَةِ الْمُجَوَّهَرَةِ وَالْدَّرْعُ وَالْقَوْسُ وَالسِّيفُ . وَبِيَدِهِ رُمْحٌ فِي طَرَفِ
رَأْسِهِ رَايَةٌ . وَكَثُرَتْ تِلْكَ الرِّمَاحُ مَكْسُوتَةٌ بِصَفَائِحِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ .

وَتِلْكَ الْخَيْلُ الْمَقْوَدَةُ هِيَ رَاكِبُ ابْنِ السُّلْطَانِ وَقَسَمَ فُرْسَانَهُ عَلَى
 أَفْوَاجٍ كُلُّ فَوْجٍ فِيهِ مِائَتَا فَارِسٍ . وَلَهُمْ أَمِيرٌ قَدْ قَدَّمَ أَمَامَهُ عَشْرَةٌ مِنْ
 الْفُرْسَانِ شَاكِينَ فِي السِّلَاحِ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَقُودُ فُرْسًا . وَخَلْفَهُ
 عَشْرَةٌ مِنْ الْعِلَامَاتِ مَلَوْنَةُ بِأَيْدِي عَشْرَةٍ مِنَ الْفُرْسَانِ . وَعَشْرَةٌ
 أَطْبَالٌ يَتَقَلَّدُهَا عَشْرَةٌ مِنَ الْفُرْسَانِ . وَمَعَهُمْ سِتَّةٌ يَضْرِبُونَ الْأَبْوَاقَ
 وَالْأَنْفَارَ وَالصِّرْنَائَاتِ وَهِيَ الْغَيْطَاتُ . وَرَكِبَتِ الْخَاتُونُ فِي مَمَالِكِهَا
 وَجَوَارِيهَا وَفَتَيَانِهَا وَخُدَّامِهَا . وَهُمْ تَحْوُ خَمْسِمِائَةً عَلَيْهِمْ ثِيَابُ الْحَرِيرِ
 الْمُرْزُكَشَةُ بِالذَّهَبِ الْمُرْصَعَةِ . وَعَلَى الْخَاتُونِ حُلَّةٌ يُقَالُ لَهَا التَّلْسِيجُ
 مُرْصَعَةٌ بِالْجَوْهَرِ . وَعَلَى رَأْسِهَا تَاجٌ مُرْصَعٌ وَفَرَسُهَا مُجَلَّلٌ بِجِلِّ حَرِيرٍ
 مُرْزُكَشٍ بِالذَّهَبِ . وَفِي يَدَيْهِ وَرَجْلَيْهِ خَالِخُلُ الذَّهَبِ وَفِي عُنُقِهِ
 قَلَانِدُ مُرْصَعَةٌ . وَعَظْمُ السَّرَجِ مَكْسُودُ ذَهَبًا مُكَلَّلُ جَوْهَرًا . وَكَانَ
 اتِّمْقَاؤُهَا فِي بَسِيطٍ مِنَ الْأَرْضِ عَلَى تَحْوِ مِيلٍ مِنَ الْبَلَدِ . وَتَرَجَّلَ لَهَا
 أَخُوهَا لِأَنَّهُ أَصْغَرُ سِنًا مِنْهَا وَقَبَّلَ رِكَابَهَا وَقَبَّلَتْ رَأْسَهُ . وَتَرَجَّلَ الْأَمْرَأَةُ
 وَأَوْلَادُ الْمُلُوكِ وَقَبَّلُوا جَمِيعَ رِكَابِهَا وَأَنْصَرَفَتْ مَعَ أَخِيهَا . وَفِي غَدِ ذَلِكَ
 الْيَوْمِ وَصَلْنَا إِلَى مَدِينَةٍ كَبِيرَةٍ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ لَا أَثْبَتُ إِلَّا أَنْ اسْتَمَّا
 ذَاتِ أَنْهَارٍ وَأَشْجَارٍ نَزَانَا بِخَارِجِهَا . وَوَصَلَ أَخُو الْخَاتُونِ وَلِيُّ الْعَهْدِ فِي
 تَرْتِيبٍ عَظِيمٍ وَعَسْكَرٍ ضَخْمٍ مِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ مُدَرَّعٍ . وَعَلَى رَأْسِهِ
 تَاجٌ وَعَنْ يَمِينِهِ تَحْوُ عَشْرِينَ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلُهُمْ . وَقَدْ
 رَتَّبَ فُرْسَانَهُ عَلَى تَرْتِيبِ أَخِيهِ سِوَاهُ إِلَّا أَنَّ الْخَفْلَ أَعْظَمَ وَالْجَمْعَ أَكْثَرَ .

وَتَلَقَّتْ مَعَهُ أُخْتَهُ فِي مِثْلِ زِيَّهَا الْأَوَّلِ وَرَجَّلا جَمِيعًا . وَأَوْتِيَ بِخَبَاءٍ حَرِيدٍ
فَدَخَلَ فِيهِ . وَثَرَّلْنَا عَلَى عَشْرَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ

فَلَمَّا كَانَ الْعَدُ خَرَجَ أَهْلُهَا مِنْ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ وَصَبِيَّانِ رُكْبَانًا
وَمُشَاةً فِي أَحْسَنِ زِيٍّ وَأَجْمَلِ لِبَاسٍ وَضُرِبَتْ عِنْدَ الصُّبْحِ الْأَطْبَالُ
وَالْأَبْوَاقُ وَالْأَنْفَارُ وَرَكِبَتِ الْعَسَاكِرُ . وَخَرَجَ السُّلْطَانُ وَزَوْجَتُهُ أُمُّ
هَذِهِ الْحَاتُونَ وَأَرْبَابُ الدَّوْلَةِ وَالْخَوَاصُّ . وَعَلَى رَأْسِ الْمَلِكِ رَوَاقٌ يَحْمِلُهُ
جَمَلَةٌ مِنَ الْفَرَسَانِ وَرِجَالٌ بِأَيْدِيهِمْ عَصِيٌّ طَوَالٌ فِي أَعْلَى كُلِّ عَصَا
شِبْهُ كُرَّةٍ مِنْ جِلْدٍ يَرْفَعُونَ بِهَا الرَوَاقَ . وَفِي وَسْطِ الرَوَاقِ مِثْلُ الْقُبَّةِ
يَرْفَعُهَا الْفَرَسَانُ بِالْعَصِي . وَلَمَّا أَقْبَلَ السُّلْطَانُ اخْتَلَطَتِ الْعَسَاكِرُ
وَكَثُرَ الْعِجَاجُ . وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى الدُّخُولِ فِيمَا بَيْنَهُمْ فَلَزِمْتُ أَثْقَالَ
الْحَاتُونَ وَأَصْحَابِهَا خَوْفًا عَلَى نَفْسِي . وَذُكِّرَ لِي أَنَّهُمَا قَرُبَتْ مِنْ
أَبَوَيْهَا تَرَجَّتْ وَقَبَّتِ الْأَرْضَ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا . ثُمَّ قَبَّتْ حَافِرِي
فَرَسَيْهِمَا . وَفَعَلَ كِبَارُ أَصْحَابِهَا مِثْلَ فِعْلِهَا فِي ذَلِكَ . وَكَانَ دُخُولُنَا عِنْدَ
الزَّوَالِ أَوْ بَعْدَهُ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ الْعَظْمَى . وَقَدْ ضَرَبُوا تَوَاقِيَهُمْ
حَتَّى ارْتَجَّتِ الْأَفَاقُ لِاخْتِلَاطِ أَصْوَاتِهَا . وَلَمَّا وَصَلْنَا الْبَابَ الْأَوَّلَ مِنْ
أَبْوَابِ قَصْرِ الْمَلِكِ وَجَدْنَا بِهِ نَحْوَ مِائَةِ رَجُلٍ مَعَهُمْ قَائِدٌ لَهُمْ فَوْقَ
دُكَّانَةٍ وَتَتَمَّتْهُمْ يَقُولُونَ : سَرَاكِنُ سَرَاكِنُ . وَهَمَّاهُ الْمُسْلِمُونَ
وَمَنْعُونَا مِنَ الدُّخُولِ . فَقَالَ لَهُمْ أَصْحَابُ الْحَاتُونَ : إِنَّهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ .
فَقَالُوا : لَا يَدْخُلُونَ إِلَّا بِالْإِذْنِ . فَأَقْنَمْنَا بِالْبَابِ وَذَهَبَ بَعْضُ أَصْحَابِ

الْحَاتُونِ فَبَعَثَ مَنْ أَعْلَمَهَا بِذَلِكَ وَهِيَ بَيْنَ يَدَيِ وَالِدِهَا . فَذَكَرَتْ
لَهُ شَأْنَهَا فَأَمَرَ بِدُخُولِنَا وَعَيْنَ لَنَا دَارًا بِمَثَرَبَةٍ مِنْ دَارِ الْحَاتُونِ . وَكَتَبَ
لَنَا أَمْرًا بِأَنْ لَا نَعْتَرِضَ حَيْثُ نَذْهَبُ مِنَ الْمَدِينَةِ وَنُودِيَ بِذَلِكَ فِي
الْأَسْوَاقِ . وَأَقْنَأَ بِالْأَدَارِ ثَلَاثًا تَبَعْتُ إِلَيْنَا الضَّيَافَةَ مِنَ الْغَنَمِ وَالْأَفَاكِهِ
وَالدَّرَاهِمِ وَالْفُرُشِ وَفِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ دَخَلْنَا عَلَى السُّلْطَانِ

٣٩٤ (ذِكْرُ سُلْطَانِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ) وَأَسْمُهُ تَكْفُورُ بْنُ السُّلْطَانِ
جَرَجِيسَ وَأَبُوهُ السُّلْطَانُ جَرَجِيسُ بِقَيْدِ الْحَيَاةِ لَكِنَّهُ تَرَهَّدَ وَتَرَهَّبَ
وَأَنْقَطَعَ لِلْعِبَادَةِ فِي الْكَنَائِسِ وَتَرَكَ الْمُلْكَ لَوْلَدِهِ وَسَمَّاهُ . وَفِي
الْيَوْمِ الرَّابِعِ مِنْ وَصُولِنَا إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ بَعَثَ إِلَيَّ الْحَاتُونُ الْفَتَى
سُبُلَ الْهِنْدِيِّ وَأَخَذَ بِيَدِي وَأَدْخَانِي إِلَى الْقَصْرِ فَحَزَنَّا أَرْبَعَةَ أَبْوَابٍ
فِي كُلِّ بَابٍ سَقَائِفُ بِهَا رِجَالٌ وَأَسْلِحَتُهُمْ وَقَائِدُهُمْ عَلَى دُكَّانَةٍ
مَنْزُوشَةٍ . فَلَمَّا وَصَلْنَا إِلَى الْبَابِ الْخَامِسِ تَرَكَنِي الْفَتَى سُبُلَ وَدَخَلَ
ثُمَّ أَتَى وَمَعَهُ أَرْبَعَةٌ مِنَ الْقَتِيَانِ الرُّومِيِّينَ فَفَقَّشُونِي لِئَلَّا يَكُونَ مَعِيَ
سِكِّينٌ وَقَالَ لِي الْقَائِدُ : تِلْكَ عَادَةٌ لَهُمْ لَا بُدَّ مِنْ تَفْقِيشِ كُلِّ مَنْ
يَدْخُلُ عَلَى الْمُلْكِ مِنْ خَاصٍّ أَوْ عَامٍّ غَرِيبٍ أَوْ بَلَاءٍ وَكَذَلِكَ الْقِمْلُ
بِأَرْضِ الْهِنْدِ . ثُمَّ لَمَّا فَقَّشُونِي قَامَ الْمُوَكَّلُ بِالْبَابِ فَأَخَذَ بِيَدِي وَفَتَحَ
الْبَابَ وَلَحَظَ بِي أَرْبَعَةٌ مِنَ الرِّجَالِ أَمْسَكَ اثْنَانِ بِكَفِّي وَاثْنَانِ
مِنْ وَرَائِي فَدَخَلُوا بِي إِلَى مَشُورٍ كَبِيرٍ . حَيْطَانُهُ بِالْأَسْيَمَاءِ قَدْ نُقِشَ
فِيهَا صُورُ الْخُلُوقَاتِ ثُمَّ الْحَيَوَانَاتِ وَالْجَمَادِ . وَفِي وَسْطِهِ سَاقِيَةٌ مَاءٍ

وَمِنْ جِهَتَيْهَا الْأَشْجَارُ . وَالنَّاسُ واقِفُونَ يَمِينًا وَيَسَارًا سَكُوتًا لَا يَتَكَلَّمُ
أَحَدٌ مِنْهُمْ . وَفِي وَسْطِ الْمَشُورِ ثَلَاثَةُ رِجَالٍ وَقُوفٌ أَسْلَمَنِي أُولَئِكَ
الْأَرْبَعَةُ إِلَيْهِمْ . فَأَمْسَكُوا بِيَدَيَّ كَمَا فَعَلَ الْآخَرُونَ وَأَشَارَ إِلَيْهِمْ رَجُلٌ
فَتَقَدَّمُوا بِي وَكَانَ أَحَدُهُمْ يَهُودِيًّا . فَقَالَ لِي بِالْعَرَبِيِّ : لَا تَخَفْ فَهَكَذَا
عَادَتُهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا بِالْوَارِدِ . وَأَنَا التَّرْجَمَانُ وَأَصْلِي مِنْ بِلَادِ الشَّامِ .
فَسَأَلْتُهُ كَيْفَ أَسْلِمَ . فَقَالَ : قُل : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ . ثُمَّ وَصَلْتُ إِلَى قُبَّةِ
عَظِيمَةٍ وَالسُّلْطَانُ عَلَى سَرِيرِهِ وَزَوْجَتُهُ أُمُّ هَذِهِ الْحَاتُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ .
وَأَسْفَلَ السَّرِيرِ الْحَاتُونَ وَإِخْوَتُهُ . وَعَنْ يَمِينِهِ سِتَّةُ رِجَالٍ وَعَنْ يَسَارِهِ
أَرْبَعَةٌ وَعَلَى رَأْسِهِ أَرْبَعَةٌ وَكُلُّهُمْ بِالسِّلَاحِ فَأَشَارَ إِلَيَّ قَبْلَ السَّلَامِ
وَالْوُقُوفِ إِلَيْهِ بِالْجُلُوسِ هَنِيئَةً لِيَسْكُنَ رَوْعِي . فَفَعَلْتُ ذَلِكَ ثُمَّ
وَصَلْتُ إِلَيْهِ فَسَأَلْتُهُ عَلَيْهِ وَأَشَارَ إِلَيَّ أَنْ أَجْلِسَ فَلَمْ أَفْعَلْ وَسَأَلَنِي
عَنْ بَيْتِ الْمُقَدِّسِ وَعَنْ الصَّخْرَةِ الْمُقَدَّسَةِ وَعَنْ الْقِمَامَةِ وَعَنْ مَهْدِ
عِيسَى وَعَنْ بَيْتِ لَحْمٍ وَعَنْ مَدِينَةِ الْحَلِيلِ . ثُمَّ عَنْ دِمَشْقَ وَمِصْرَ
وَالْعِرَاقِ وَبِلَادِ الرُّومِ فَأَجَبْتُهُ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ وَالْيَهُودِيُّ يُتَرَجِّمُ بِيَدِي
وَبِيَدِهِ فَأَعْجَبَهُ كَلَامِي وَقَالَ لِأَوْلَادِهِ : اكْرُمُوا هَذَا الرَّجُلَ وَأَمْنُوهُ .
ثُمَّ خَلَعَ عَلَيَّ خِطَامَةً وَأَمَرَ بِي بِفَرَسٍ مُسَرَّجٍ مُنْجِمٍ وَمِظْلَةٍ مِنْ أَلْتِي
يَجْعَلُهَا الْمَلِكُ فَوْقَ رَأْسِهِ وَهِيَ عَلَامَةُ الْأَمَانِ . وَطَلَبْتُ مِنْهُ أَنْ يُعَيِّنَ
مَنْ يَرْكَبُ مَعِيَ بِالْمَدِينَةِ فِي كُلِّ يَوْمٍ حَتَّى أَشَاهِدَ عَجَائِبَهَا وَغَرَائِبَهَا
وَأَذْكُرَهَا فِي بِلَادِي . فَعَيَّنَ لِي ذَلِكَ . وَمِنْ الْعَوَائِدِ عِنْدَهُمْ أَنَّ الَّذِي

يَلْبَسُ خِلْعَةَ الْمَلِكِ وَيَرْكَبُ فَرَسَهُ يُطَافُ بِهِ بِالْأَبْوَاقِ وَالْأَنْفَارِ
وَالْأَطْبَالِ لِيَرَاهُ النَّاسُ لِمَا يُؤْذُوهُ . فَطَافُوا بِي فِي الْأَسْوَاقِ
٣٩٥ (ذِكْرُ الْمَدِينَةِ) . وَهِيَ مُتَنَاهِيَةٌ فِي الْكِبَرِ مُنْقَسِمَةٌ بِقِسْمَيْنِ بَيْنَهُمَا
نَهْرٌ عَظِيمٌ فِيهِ الْمَدُّ وَالْجَزْرُ . وَكَانَتْ عَلَيْهِ فِيمَا تَقَدَّمَ قَطْرَةٌ مَدِينَةٌ
فَخَرِبَتْ وَهُوَ الْآنَ يُعْبَرُ فِي الْقَوَارِبِ . وَاسْمُ هَذَا النَّهْرِ الْأَبْسِي . وَاحِدُ
الْقِسْمَيْنِ مِنَ الْمَدِينَةِ يُسَمَّى أَصْطَنْبُولَ وَهُوَ بِالْعُدُودِ الشَّرْقِيَّةِ مِنَ النَّهْرِ .
وَفِيهِ سُكْنَى السُّلْطَانِ وَأَرْبَابِ دَوْلَتِهِ وَسَائِرِ النَّاسِ . وَأَسْوَاقُهُ
وَشَوَارِعُهُ مَفْرُوشَةٌ بِالصُّفَاحِ مُتَّسِعَةٌ . وَأَهْلُ كُلِّ صِنَاعَةٍ عَلَى حِدَةٍ
لَا يُشَارِكُهُمْ سِوَاهُمْ . وَعَلَى كُلِّ سُوقٍ أَبْوَابٌ تُسَدُّ عَلَيْهِ بِاللِّدْلِ وَكَثُرُ
الصَّنَاعِ وَالْبَاعَةِ بِهَا النِّسَاءُ . وَالْمَدِينَةُ فِي سَفْحِ جَبَلٍ دَاخِلٍ فِي الْبَحْرِ
مُحَوَّلَةً أَمِيَالٍ وَعَرْضُهُ مِثْلُ ذَلِكَ أَوْ أَكْثَرُ . وَفِي أَعْلَاهُ قَلْعَةٌ صَغِيرَةٌ
وَقَصْرُ السُّلْطَانِ . وَالسُّورُ يُحِيطُ بِهَذَا الْجَبَلِ وَهُوَ مَانِعٌ لَأَسْبِيلٍ لِأَحَدٍ
إِلَيْهِ مِنْ جِهَةِ الْبَحْرِ . وَفِيهِ مِثْلُ ثَلَاثِ عَشْرَةِ قَرْيَةٍ عَامِرَةٍ . وَالْكَنِيسَةُ
الْعُظْمَى هِيَ فِي وَسْطِ هَذَا الْقِسْمِ مِنَ الْمَدِينَةِ . وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي
مِنْهَا فَيُسَمَّى الْغَلْطَةُ وَهُوَ بِالْعُدُودِ الْغَرْبِيَّةِ مِنَ النَّهْرِ شَبِيهُ بِرِبَاطِ الْقَلْعِ
فِي قُرْبِهِ مِنَ النَّهْرِ . وَهَذَا الْقِسْمُ خَاصٌّ بِبَصَارَى الْإِفْرَنْجِ يَسْكُنُونَهُ .
وَهُمْ أَصْنَافٌ مِنْهُمْ الْجَنْوِيُّونَ وَالْبَنَادِقَةُ وَأَهْلُ رُومَةٍ وَأَهْلُ إِفْرَنْسَةٍ
وَحُكْمُهُمْ إِلَى مَلِكِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ يُقَدِّمُ عَلَيْهِمْ مِنْهُمْ مَنْ يَتَضَوَّنُهُ
وَيُسَمُّونَهُ الْقَمُصَّ . وَعَلَيْهِمْ وَظِيفَةٌ فِي كُلِّ عَامٍ لِلْمَلِكِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ

وَرَبَّمَا اسْتَعَصَوْا عَلَيْهِ فَيُجَارِبُهُمْ حَتَّى يُصْلِحَ بَيْنَهُمُ الْبَابَا . وَجَمِيعُهُمْ أَهْلُ
تِجَارَةٍ . وَمَرَسَاهُمْ مِنْ أَعْظَمِ الْمَرَايِي رَأَيْتُ بِهِ نَحْوَ مِائَةِ جَفْنٍ مِنْ
الْقَرَارِقِ وَسِوَاهَا مِنْ السُّفُنِ الْكِبَارِ . وَأَمَّا الصِّغَارُ فَلَا تُحْصَى كَثْرَةٌ .
وَأَسْوَاقُ هَذَا الْقِسْمِ حَسَنَةٌ يَشْتَقُّهَا نَهْرٌ صَغِيرٌ قَدِيرٌ

٣٩٦ (ذِكْرُ الْكَنِيسَةِ الْعُظْمَى) وَإِنَّمَا نَذَكُرُ خَارِجَهَا وَأَمَّا دَاخِلُهَا فَلَمْ
أَشَاهِدْهُ . وَهِيَ تُسَمَّى عَنْدهُمْ أَيَا صُوفِيًّا . وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ كُنَائِسِ
الرُّومِ وَعَلَيْهَا سُورٌ يُطِيفُ بِهَا فَكُنْهَا مَدِينَةً . وَأَبْوَابُهَا ثَلَاثَةٌ تَشْرَبُ بَابًا .
وَلَهَا حَرَمٌ هُوَ نَحْوُ مِيلٍ عَلَيْهِ بَابٌ كَبِيرٌ وَلَا يُنْعَى أَحَدٌ مِنْ دُخُولِهِ وَقَدْ
دَخَلْتُهُ مَعَ وَالِدِ الْمَلِكِ . وَهُوَ شَبْهُ مَشُورٍ مُسَطَّحٍ بِالرَّخَامِ وَتَشْتَقُّهُ سَاقِيَةٌ
تَخْرُجُ مِنَ الْكَنِيسَةِ . لَهَا حَائِطَانِ مُرْتَفِعَانِ نَحْوَ ذِرَاعٍ مَضْنُوعَانِ
بِالرَّخَامِ الْمُجَزَّعِ الْمُتَقَوِّشِ بِأَحْسَنِ صَنْعَةٍ . وَالْأَشْجَارُ مُنْتَظِمَةٌ عَنْ
جِهَتِي السَّاقِيَةِ . وَمِنْ بَابِ الْكَنِيسَةِ إِلَى بَابِ هَذَا الْمَشُورِ مُعَرَّشٌ مِنْ
الْخَشَبِ مُرْتَفِعٌ عَلَيْهِ دَوَالِي الْعِنَبِ وَفِي أَسْفَلِهِ الْيَاسِينُ وَالرَّيَاحِينُ .
وَخَارِجَ بَابِ هَذَا الْمَشُورِ قُبَّةٌ خَشَبٌ كَبِيرَةٌ فِيهَا طَبَلَاتُ خَشَبٍ
يَجْلِسُ عَلَيْهَا خُدَّامُ ذَلِكَ الْبَابِ . وَعَنْ يَمِينِ الْقُبَّةِ مَصَاطِبُ وَحَوَائِثُ
أَكْثَرُهَا مِنْ الْخَشَبِ يَجْلِسُ بِهَا قَضَاتُهُمْ وَكُتَّابُ دَوَائِيهِمْ . وَفِي وَسْطِ
تِلْكَ الْحَوَائِثِ قُبَّةٌ خَشَبٌ يُصْعَدُ إِلَيْهَا عَلَى دَرَجٍ خَشَبٍ . وَفِيهَا كُرْسِيٌّ
كَبِيرٌ مُطَبَّقٌ بِالْمِلَفِ يَجْلِسُ فَوْقَهُ قَاضِيهِمْ . وَعَنْ يَسَارِ الْقُبَّةِ الَّتِي عَلَى
بَابِ هَذَا الْمَشُورِ سُوقُ الْعَطَّارِينَ . وَالسَّاقِيَةُ الَّتِي ذَكَرْنَا هَا تَنْقَسِمُ

قِسْمَيْنِ أَحَدُهُمَا يَمُرُّ بِسُوقِ الْعَطَّارِينَ وَالْآخَرُ يَمُرُّ بِالسُّوقِ حَيْثُ الْقَضَاةُ
 وَالْكِتَابُ . وَعَلَى بَابِ الْكَنِيسَةِ سَقَافٌ مَجْلِسُ بِهَا خُدَّامُهَا الَّذِينَ يَقُمُونَ
 طَرَفَهَا وَيُوقِدُونَ سُرُجَهَا وَيُغْلِقُونَ أَبْوَابَهَا . وَلَا يَدْعُونَ أَحَدًا يَدْخُلُهَا
 حَتَّى يَسْجُدَ لِلصَّلِيبِ الْأَعْظَمِ عِنْدَهُمُ الَّذِي يَزْعُمُونَ أَنَّهُ بَقِيَّةٌ مِنْ
 الْحَشَبَةِ الَّتِي صُلِبَ عَلَيْهَا عِيسَى . وَهُوَ عَلَى بَابِ الْكَنِيسَةِ مَجْمُولٌ فِي
 جَعْبَةٍ ذَهَبٍ طُولُهَا ثَمَانُ عَشْرَةَ أَذْرُعًا . وَقَدْ عَرَضُوا عَلَيْهَا جَعْبَةً ذَهَبٍ
 مِثْلَهَا حَتَّى صَارَتْ صَلِيبًا . وَهَذَا الْبَابُ مُصَفَّحٌ بِصَفَاحِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ
 وَحَلَقَتَاءُ مِنَ الذَّهَبِ الْخَالِصِ وَذَكَرَ لِي أَنَّ عَدَدَ مَنْ يَهْدِي الْكَنِيسَةَ
 مِنَ الرُّهْبَانِ وَالْقَسِيْسِينَ يَنْتَهِي إِلَى مِائَةٍ . وَأَنَّ بَعْضَهُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ
 الْخَوَارِجِيِّينَ وَأَنَّ بَدَاخِلَهَا كَنِيسَةٌ مُخْتَصَّةٌ بِالنِّسَاءِ . وَمِنْ عَادَةِ الْمَلِكِ
 وَأَرْبَابِ دَوْلَتِهِ أَنْ يَأْتُوا كُلَّ يَوْمٍ صَبَاحًا إِلَى زِيَارَةِ هَذِهِ الْكَنِيسَةِ
 ٣٩٧ (ذِكْرُ الْمَانِسْتَارَاتِ بِقُسْطَنْطِينِيَّةَ) وَالْمَانِسْتَارُ عِنْدَهُمْ شِبْهُ
 الزَّاوِيَةِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ . وَهَذِهِ الْمَانِسْتَارَاتُ بِهَا كَثِيرَةٌ فَمِنْهَا مَانِسْتَارُ
 عَمْرَةَ الْمَلِكِ جَرَجِيسُ . وَمِنْهَا مَانِسْتَارَانِ خَارِجَ الْكَنِيسَةِ الْعُظْمَى عَنْ
 يَمِينِ الدَّاخِلِ إِلَيْهَا وَهَمَا فِي دَاخِلِ بُسْتَانٍ يَشْقِيهِمَا نَهْرُ مَاءٍ وَأَحَدُهَا
 لِلرِّجَالِ وَالْآخَرُ لِلنِّسَاءِ وَفِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا كَنِيسَةٌ وَيَدُورُ بِهِمَا
 الْبُيُوتُ الْمُتَعَبِّدِينَ وَالْمُتَعَبِّدَاتِ وَقَدْ حِيسَ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَحْبَاسُ
 الْكُسَّةِ الْمُتَعَبِّدِينَ وَنَفَقَتِهِمْ . وَمِنْهَا مَانِسْتَارَانِ عَنْ يَسَارِ الدَّاخِلِ
 إِلَى الْكَنِيسَةِ الْعُظْمَى عَلَى مِثْلِ هَذَيْنِ الْآخَرَيْنِ وَيُطِيفُ بِهِمَا

بُيُوتٌ . وَأَحَدُهَا يَسْكُنُهُ الْعُمَيَّانُ وَالثَّانِي يَسْكُنُهُ الشُّيُوخُ الَّذِينَ لَا
 يَسْتَطِيعُونَ الْحِدْمَةَ مِمَّنْ بَلَغَ السِّتِينَ أَوْ نَحْوَهَا . وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ
 كَسْوَتُهُ وَنَفَقَتُهُ مِنْ أَوْقَافٍ مُعَيَّنَةٍ لِذَلِكَ . وَفِي دَاخِلِ كُلِّ مَانِسْتَارٍ
 مِنْهَا دَوْرَةٌ لِعَبْدِ الْمَلِكِ الَّذِي بَنَاهُ وَكَثُرَ هَوْلَاءُ الْمُلُوكِ إِذَا بَلَغَ السِّتِينَ
 أَوِ السَّبْعِينَ بَنَى مَانِسْتَارًا وَلَبِسَ الْمُسُوحَ وَهِيَ ثِيَابُ الشَّعْرِ وَقَلَدَ وَلَدَهُ
 الْمَلِكُ وَاشْتَغَلَ بِالْعِبَادَةِ حَتَّى يَمُوتَ . وَهُمْ يَخْتَفِلُونَ فِي بِنَاءِ هَذِهِ
 الْمَانِسْتَارَاتِ وَيَعْمَلُونَ بِالرُّخَامِ وَالْفَسْفَسَاءِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ بِهَذِهِ الْمَدِينَةِ .
 وَدَخَلْتُ مَعَ الرُّومِيِّ الَّذِي عَيْنَهُ الْمَلِكُ لِلرُّكُوبِ مَعِيَ إِلَى مَانِسْتَارٍ يَشَقُّهُ
 نَهْرٌ وَفِيهِ كَنِيسَةٌ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ الْأَبْكَارِ عَلَيْهِنَ الْمُسُوحُ وَرُؤُوسُهُنَّ مَحْلُوقَةٌ
 فِيهَا قَلَانِيسُ اللَّبَدِ وَعَلَيْهِنَّ أَثَرُ الْعِبَادَةِ . وَقَالَ لِي الرُّومِيُّ : إِنَّ هَوْلَاءَ
 الْبَنَاتِ مِنْ بَنَاتِ الْمُلُوكِ وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِحِدْمَةِ هَذِهِ الْكَنِيسَةِ . وَدَخَلْتُ
 مَعَهُ إِلَى كَنَائِسٍ فِيهَا الرُّهْبَانُ يَكُونُ فِي الْكَنِيسَةِ مِنْهَا مِائَةٌ رَجُلٌ وَكَثُرُ
 وَأَقَلُّ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مُتَعَبِّدُونَ وَقَسَّيسُونَ وَكَنَائِسُهَا لَا تُحْصَى
 كَثْرَةً . وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنْ جُنْدِيٍّ وَغَيْرِهِ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ يَجْعَلُونَ عَلَى
 رُؤُوسِهِمُ الْمِظَالَّاتِ الْكِبَارَ شِتَاءً وَصَيْفًا . وَالنِّسَاءُ لَهُنَّ عِمَامٌ كِبَارٌ
 ٣٩٨ (ذَكَرَ الْمَلِكُ الْمُتَرَهَّبُ جَرَجِيسُ) وَهَذَا الْمَلِكُ وَلَّى الْمَلِكُ لِابْنِهِ
 وَأَنْقَطَعَ لِلْعِبَادَةِ وَبَنَى مَانِسْتَارًا كَمَا ذَكَرْنَا خَارِجَ الْمَدِينَةِ عَلَى سَاحِلِهَا .
 وَكُنْتُ يَوْمَ مَعَ الرُّومِيِّ الْمَعِينِ لِلرُّكُوبِ مَعِيَ فَإِذَا بِهَذَا الْمَلِكِ مَاشِيًا عَلَى
 قَدَمَيْهِ . وَعَلَيْهِ الْمُسُوحُ وَعَلَى رَأْسِهِ قَلَنْسُوءَةٌ لَبَدٌ وَلَهُ لَحْيَةٌ بَيْضَاءُ طَوِيلَةٌ

وَوَجْهٌ حَسَنٌ عَلَيْهِ أَثَرُ الْعِبَادَةِ وَخَلْقُهُ وَأَمَلُهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الرُّهْبَانِ وَبِيَدِهِ
عُكَّازٌ وَفِي عُنُقِهِ سُبْحَةٌ . فَلَمَّا رَأَاهُ الرُّومِيُّ نَزَلَ وَقَالَ لِي : أَنْزِلْ فَهَذَا وَالِدُ
الْمَلِكِ فَلَمَّا سَلَّمَ عَلَيْهِ الرُّومِيُّ سَأَلَهُ عَنِّي . ثُمَّ وَقَفَ وَبَعَثَ عَنِّي فَجِئْتُ إِلَيْهِ
فَأَخَذَ بِيَدِي وَقَالَ لِذَلِكَ الرُّومِيِّ وَكَانَ يَعْرِفُ أَلْسَانَ الْعَرَبِيِّ : قُلْ
لِهَذَا السَّرَّاءِ كُنْتُ يُعْنِي الْمُسْلِمُ أَنَا أَصَاحُ الْيَدِ الَّتِي دَخَلَتْ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ
وَالرَّجُلِ الَّتِي مَشَتْ دَاخِلَ الصَّخْرَةِ وَالْكَنِيسَةِ الْعَظْمَى الَّتِي تُسَمَّى
قِمَامَةَ وَبَيْتَ لَحْمٍ وَجَعَلَ يَدُهُ عَلَى قَدَمِي وَمَسَحَ بِهَا وَجْهَهُ فَعَجِبْتُ مِنْ
اعْتِقَادِهِمْ فِيمَنْ دَخَلَ تِلْكَ الْمَوَاضِعَ مِنْ غَيْرِ مِلَّتِهِمْ . ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي
وَمَشَيْتُ مَعَهُ فَسَأَلَنِي عَنْ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ وَمَنْ فِيهِ مِنَ النَّصَارَى وَأَطَالَ
السُّؤَالَ وَدَخَلَتْ مَعَهُ إِلَى حَرَمِ الْكَنِيسَةِ الَّذِي وَصَفْنَاهُ آنِفًا . وَلَمَّا قَارَبَ
الْبَابَ الْأَعْظَمَ خَرَجَتْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْقَسْبِيِّينَ وَالرُّهْبَانِ لِلْسَّلَامِ عَلَيْهِ
وَهُوَ مِنْ كِبَارِهِمْ فِي الرُّهْبَانِيَّةِ . وَلَمَّا رَأَاهُمْ أَرْسَلَ يَدِي فَقُلْتُ لَهُ أَرِيدُ
الدُّخُولَ مَعَكَ إِلَى الْكَنِيسَةِ . فَقَالَ لِاتَّزِجْنِي : قُلْ لَهُ لَا بُدَّ لِدَاخِلِهَا مِنْ
السُّجُودِ لِلصَّلِيبِ الْأَعْظَمِ فَإِنَّ هَذَا مِمَّا سَلَّمْتُهُ الْأَوَائِلُ وَلَا يُمْكِنُ خِلَافُهُ
فَتَرَكْتُهُ وَدَخَلَ وَحْدَهُ وَلَمْ أَرَهُ بَعْدَهَا . وَلَمَّا ظَهَرَ لِمَنْ كَانَ فِي صُحْبَةِ
الْحَاتُونِ مِنَ الْأَتْرَاكِ أَنَّهَا رَاغِبَةٌ فِي الْمَقَامِ مَعَ أَبِيهَا طَلَبُوا مِنْهَا الْإِذْنَ
فِي الْعُودَةِ إِلَى بِلَادِهِمْ فَأَذِنْتُ لَهُمْ . وَأَعْطَيْتُهُمْ عَطَاءً جَزِيلًا وَأَجْرَاتٍ
عَلَى الْعَطَاءِ وَأَوْصَيْتُ بِي أَحَدَ أَمْرَائِهَا فَوَدَّعْتُهَا وَأَنْصَرَفْتُ . فَكَانَ مُدَّةُ
مُقَامِي عِنْدَهُمْ ثَمَنًا وَسِتَّةَ أَيَّامٍ (تحفة النظائر في عجائب الاسفار)

الْبَابُ الثَّالِثُ عَشَرَ فِي عَجَائِبِ الْمَخْلُوقَاتِ

في سكان السموات وهم الملائكة

٣٩٩ إَعْلَمُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ جَوَاهِرُ مُقَدَّسَةٌ عَنْ ظُلْمَةِ الشَّهْوَةِ وَكُدُورَةِ
الْفَضَبِ . لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ . طَعَامُهُمُ
السَّبِيحُ وَشَرَابُهُمُ التَّقْدِيسُ . وَأَنْسَهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى . وَفَرَحُهُمْ بِعِبَادَتِهِ .
وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي فُضَاءِ الْأَفْلاكِ وَسْعَةٌ
السَّمَاوَاتِ خَلِيقٌ فَكَيْفَ يَلِيقُ بِحِكْمَةِ الْبَارِي تَعَالَى تَرْكُهَا فَارِغَةً خَاوِيَةً
مَعَ شَرَفِ جَوْهَرِهَا . وَإِنَّهُ لَمْ يَتْرِكْ قَعْرَ الْبَحَارِ الْمَالِحَةِ الْمُظْلَمَةِ فَارِغًا حَتَّى
خَلَقَ فِيهِ أَجْنَاسَ الْحَيَوَانَاتِ وَغَيْرِهَا . وَلَمْ يَتْرِكْ جَوْاءَ الْهَوَاءِ الرَّقِيقِ
حَتَّى خَلَقَ لَهُ أَنْوَاعَ الطَّيْرِ تَسْبِجُ فِيهِ كَمَا تَسْبِجُ السَّمَاءُ فِي الْمَاءِ . وَلَمْ
يَتْرِكْ الْبَرَارِي الْيَابِسَةَ وَالْأَجَامَ الْوَحِلَةَ وَالْجِبَالَ الرَّاسِيَةَ الصَّلْبَةَ حَتَّى
خَلَقَ فِيهَا أَجْنَاسَ السَّبَاعِ وَالْوُحُوشِ . وَلَمْ يَتْرِكْ ظُلُمَاتِ التُّرَابِ حَتَّى
خَلَقَ فِيهِ أَجْنَاسَ الْهُوَامِ وَالْحَشَرَاتِ

وَالْمَلَائِكَةُ أَصْنَافٌ مِنْهُمْ الْكَرُوبِيُّونَ وَهُمْ الْعَاكِفُونَ فِي حَضْرَةِ
الْقُدْسِ لَا أَلْتَمَتَ لَهُمْ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى لِاسْتِغْرَاقِهِمْ بِجَمَالِ الْحَضْرَةِ
الرُّبُوبِيَّةِ وَجَلَالِهَا يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتَرُونَ . وَمِنْهُمْ مَلَائِكَةُ
السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ مُدَاوِمُونَ عَلَى السَّبْحِ وَالتَّهْلِيلِ فِي الْقِيَامِ وَالْقُعُودِ

وَالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ. وَمِنْهُمْ
الْمُعْتَبَاتُ . وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ يَنْزِلُونَ بِالْبَرَكَاتِ وَيَصْعَدُونَ
بِأَرْوَاحِ بَنِي آدَمَ وَأَعْمَالِهِمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ . وَمِنْهُمْ الْمَلَائِكَةُ الْمُوَكَّلُونَ
بِالْكَائِنَاتِ هُمْ مَلَائِكَةُ شَأْنِهِمْ إِصْلَاحُ الْكَائِنَاتِ وَدَفْعُ الْفَسَادِ عَنْهَا .
وَقَدْ وَكَّلَ بِكُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَا شَاءَ اللَّهُ

في حقيقة العناصر وطبائعها وترتيبها

٤٠٠ ذهبوا إلى أَنَّ العنصرَ هُوَ الْأَصْلُ فِي الْمَوْضُوعَاتِ وَالْمُرَادُ مِنْهُ
الْأَجْسَامُ الَّتِي دُونَ فَلَكِ الْقَمَرِ . وَتِلْكَ الْأَجْسَامُ أَمْهَاتُ وَالْمَوْلِدَاتُ
الْمُعَادِنُ وَالنَّبَاتُ وَالْحَيَوَانُ وَيُقَالُ لِلْأَمْهَاتِ الْأَرْكَانُ . وَالْأَرْكَانُ أَرْبَعَةٌ
النَّارُ وَالْهَوَاءُ وَالْمَاءُ وَالْأَرْضُ . فَالنَّارُ حَارَّةٌ يَا بَسَةً مَوْضِعُهَا الطَّبِيعِيُّ
تَحْتَ الْفَلَكَ وَفَوْقَ الْهَوَاءِ . وَالْمَاءُ بَارِدٌ رَطْبٌ مَوْضِعُهُ الطَّبِيعِيُّ تَحْتَ
الْهَوَاءِ وَفَوْقَ الْأَرْضِ . وَالْأَرْضُ بَارِدَةٌ يَا بَسَةً مَوْضِعُهَا الطَّبِيعِيُّ الْوَسْطُ
فصل في فوائد الجبال وعجائبها

٤٠١ أَمَّا فَايْدَتِهَا الْعُظْمَى فَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ : لَوْ لَمْ تَكُنِ الْجِبَالُ لَكَانَ
وَجْهُ الْأَرْضِ مُسْتَدِيرًا أَمْلَسَ . وَكَانَتْ مِيَاهُ الْبِحَارِ تَغْطِيهَا مِنْ جَمِيعِ
جِهَاتِهَا وَتُحِيطُ بِهَا إِحَاطَةً كُرَّةِ الْهَوَاءِ بِالْمَاءِ فَتَبْطُلُ الْحِكْمَةُ الْمَوْدَعَةُ
فِي الْمُعَادِنِ وَالنَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ . فَاقْتَضَتْ الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ وَجُودَ
الْجِبَالِ لِأَذْكُرْنَا مِنَ الْحِكْمَةِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّ الْجِبَالَ سَبَبُ
لِوُجُودِ الْمَاءِ الْعَذْبِ السَّائِحِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ الَّذِي هُوَ مَادَّةُ حَيَاةِ

النبات والحيوان وذلك لأن سبب هذا الماء إنما هو انعماد البخار في الجو أعني السحاب . والجبال الشاخنة الطوال على بساط الأرض شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً تمنع الرياح أن تسوق البخار بل تجعلها منحصرة بينها حتى يلحمها البرد فتصير مطراً وتلجأ . فلوفرصت الجبال مرتفعة عن وجه الأرض كانت الأرض كرة لا غور فيها ولا ثوء فالبخار المرتفع لا يبقى في الجو منحصراً إلى وقت يضرب به البرد بل يتخلل ويستحيل هواء فلا يجري الماء على وجه الأرض إلا قدر ما ينزل من المطر ثم تنشفه الأرض . فكان يعرض من ذلك أن يكون النبات والحيوان يعدم الماء في الصيف كما في البوادي البعيدة . فاقضى التدبير الإلهي وجود الجبال لتخسر البخار المرتفع من الأرض بين أغوارها وتمنعه من السيلان وتمنع الرياح أن تسوقه

المعدنيات

٤٠٢ المعدن لا تكاد تحصى لكن منها ما يعرفه الناس ومنها ما لا يعرفونه وهي مقسومة إلى ما يذوب وإلى ما لا يذوب . والذي أشهر بين الناس من المعدن سبعة وهي الذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير والأسرب والخارصيني

٤٠٣ (الذهب) . طبعه حار لطيف لا يحترق بالنار لأن النار لا تقدر على تفريق أجزائه (*) . ولا يبلى في التراب ولا يصدأ على طول

(*) ذهب الاقدمون الى ان الاحتراق متوقف على اقتراق الاجزاء وقد انفق المحدثون

الزَّمان . وَهُوَ لَيْثٌ أَصْفَرُ بَرَّاقٌ صَيَّبُ الرَّائِحَةِ ثَقِيلٌ رَزِينٌ . فَصُفْرَةٌ لَوْنُهُ
 مِنْ نَارِيَّتِهِ . وَلَيْنُهُ مِنْ ذَهْنِيَّتِهِ . وَرِيَّتُهُ مِنْ صَفَاءِ مَا بَيْنَتْهُ . وَثِقَلُهُ مِنْ
 تَرَابِيَّتِهِ . وَهُوَ أَشْرَفُ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ إِذْ بِهِ قَوَامُ أُمُورِ الدُّنْيَا وَنِظَامُ
 أَحْوَالِ الْخَلْقِ لِأَضْطِرَارِهِمْ إِلَيْهِ فِي حَاجَاتِهِمْ . فَإِنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ مُخْتِاجٌ
 إِلَى أَغْيَانٍ كَثِيرَةٍ مِنْ مَطْعَمِهِ وَمَلْبَسِهِ وَمَسْكَنِهِ وَسَائِرِ حَاجَاتِهِ . وَلَعَلَّهُ
 يَمْلِكُ مَا يَسْتَعْنِي عَنْهُ كَمَنْ يَمْلِكُ الثِّيَابَ وَهُوَ مُخْتِاجٌ إِلَى الْبَرِّ . وَلَعَلَّ
 صَاحِبَ الْبَرِّ لَا يَخْتِاجُ إِلَى الثِّيَابِ فَلَا بُدَّ مِنْ مُتَوَسِّطٍ يَرْغَبُ فِيهِ كُلُّ
 أَحَدٍ . فَخَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الدَّرَاهِمَ وَالْذَنَابِيرَ مُتَوَسِّطِينَ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ حَتَّى
 يُبْذَلَانِ فِي مُقَابَلَةِ كُلِّ شَيْءٍ وَيُبْذَلَ فِي مُقَابَلَتِهِمَا كُلُّ شَيْءٍ . وَهِيَ
 كَالْقَاضِيَيْنِ بَيْنَ جَمِيعِ النَّاسِ يَقْضِيَانِ حَوَائِجَ كُلِّ مَنْ لَقِيَهُمَا
 ٤٠٤ (الْحَدِيدُ) . جِسْمٌ (بَسِيطٌ) كَدِرُ الْمَادَّةِ أَسْوَدُ اللَّوْنِ . وَهُوَ
 أَكْثَرُ فَائِدَةٍ مِنْ سَائِرِ الْفَلِزَاتِ وَإِنْ كَانَ أَقْلَ ثَمَنًا . فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ
 وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ . فَالْبَأْسُ فِي النُّصُولِ الْمُتَّخَذَةِ مِنْهُ . وَالْمَنَافِعُ فِي
 الْأَلَاتِ وَالْأَدَوَاتِ حَتَّى قِيلَ : مَا مِنْ صَنْعَةٍ إِلَّا وَلِلْحَدِيدِ فِيهَا فِي
 أَدَوَاتِهَا مَدْخَلٌ

الشجر

٤٠٥ (الشَّجَرُ) . هُوَ كُلُّ مَا لَهُ سَاقٌ مِنَ النَّبَاتِ . وَالْأَشْجَارُ الْعِظَامُ
 بِمَثَابَةِ الْحَيَوَانَاتِ الْعِظَامِ وَالنُّجُومُ بِمَثَابَةِ الْحَيَوَانَاتِ الصِّغَارِ . وَالْأَشْجَارُ

على أن الاحتراق إنما يحصل بتركيب الأكسجين في الغالب مع المادة أو مع جزء منها

الْعِظَامُ لَا ثَمَرُ لَهَا كَالسَّاجِ وَالذَّلْبِ وَالْعَرَعِ (*) لِأَنَّ الْمَادَّةَ كُلَّهَا صُرِفَتْ
إِلَى نَفْسِ الشَّجَرَةِ . وَلَا كَذَلِكَ الْأَشْجَارُ الْمُشْمِرَةُ فَإِنَّ مَادَّتَهَا صُرِفَتْ
إِلَى الشَّجَرَةِ وَالْثَمَرَةِ . وَقَدْ يُشَارِكُ النَّبَاتُ الْحَيَوَانَ فِي أَمْرِ التَّغْذِيَةِ .
فَإِنَّ الْغِذَاءَ كَمَا يَسْرِي فِي بَدَنِ الْحَيَوَانَ حَتَّى لَا تَبْقَى شَعْرَةٌ إِلَّا وَأَخَذَتْ
مِنْهَا قِسْطَهَا فَكَذَلِكَ الْمَاءُ الَّذِي صَبَّ فِي أَسْفَلِ الشَّجَرَةِ فَإِنَّهُ يعلو إِلَى
الْأَغْصَانِ فِي دَاخِلِ تَجَاوِيفِ الْأَشْجَارِ شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى يَنْشُرَ فِي
جَمِيعِ أَوْدَاقِ الْأَشْجَارِ وَفِي جَمِيعِ أَطْرَافِ الْأَوْدَاقِ وَيُعْذِي كُلَّ جُزْءٍ
مِنْ كُلِّ وَرَقَةٍ وَيَجْرِي مِنْ تَجَاوِيفِ عُرُوقِ شَعْرِيَّةٍ صَغِيرَةٍ تَرَى فِي
أَصْلِ الْوَرَقِ وَكَأَنَّ الْعِرْقَ الْكَبِيرَ نَهْرًا . وَمَا يَنْشَبُّ عَنْهُ جَدَاوِلُ فِي
جَمِيعِ عَرْضِ الْوَرَقِ فَيَصِلُ الْمَاءُ إِلَى سَائِرِ أَجْزَاءِ الْوَرَقَةِ . وَكَذَلِكَ
إِلَى سَائِرِ أَجْزَاءِ الْفَوَاكِهِ (*) . وَمِنْ عَجِيبِ صُنْعِ الْبَارِي تَعَالَى خَلَقَ
الْأَوْدَاقَ عَلَى الْأَشْجَارِ زِينَةً لَهَا وَوَقَايَةً لِثَمَارِهَا مِنْ نَكَايَةِ الشَّمْسِ
وَالْهَوَاءِ . ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى خَلَقَهَا مُرْتَفِعَةً عَنِ الثَّمَارِ مُتَفَرِّقَةً بَعْضُ التَّفَرُّقِ
لَا مُتَكَثِفَةً عَلَيْهَا وَلَا بَعِيدَةً عَنْهَا لِتَأْخُذَ الثَّمَارُ مِنَ النَّسِيمِ تَارَةً وَمِنْ
الشَّمْسِ تَارَةً أُخْرَى . وَلَوْ تَكَثَّفَتْ عَلَيْهَا حَتَّى مَنَعَتْهَا إِصَابَةُ النَّسِيمِ
وَشُعَاعِ الشَّمْسِ لَبَقِيَتْ عَلَى فَجَاجَتِهَا غَلِيظَةً الْجُلْدِ قَلِيلَةً الْمَائَةِ . وَإِذَا

(*) يرد قول سزوي أن الخوز والرجيل بمران وكلاهما من الأشجار العظم والصحيح

أن ثمر الأشجار العظم صغر من ثمر الأشجار الصغار

(*) كان قدما، الطبيعيين يظنون أن الشجرة لا تتغذى إلا بأصاها وفروعها وإنما غذاؤها

يكون بشأها ورقها أي هي فيها بقية النساج في الجسد

سَقَطَ عَنْهَا بَعْضُ الْوَرَقِ أَصَابَتْهَا الشَّمْسُ وَأَحْرَقَتْهَا كَمَا تَرَى فِي الرُّمَانَةِ
الَّتِي أَحْتَرَقَ مِنْهَا أَحَدُ الْجَوَابِ . ثُمَّ إِذَا فَرَّغْتَ الثَّمَرَةَ تَنَازَلَتْ
الْأُورَاقُ حَتَّى لَا تَجْدِبَ مَائِيَّةُ الشَّجَرَةِ فَتَضَعَفَ قُوَّتُهَا (للقزويني)
٤٠٦ (الْبَلْسَانُ) . لَا يُوْجَدُ الْيَوْمَ مِنْهُ إِلَّا بِمَضَرٍ بَعَيْنِ شَمْسٍ فِي
مَوْضِعٍ مُحَاطٍ عَلَيْهِ مُحْتَفِظٌ بِهِ مِسَاحَتُهُ نَحْوُ سَبْعَةِ أَفْدَنَةٍ . وَارْتِفَاعُ
شَجَرَتِهِ نَحْوُ ذِرَاعٍ وَكَثْرُ مِنْ ذَلِكَ وَعَلَيْهَا قَشْرَانِ الْأَعْلَى أَحْمَرٌ خَفِيفٌ
وَالْأَسْفَلُ أَخْضَرٌ مُخَيَّنٌ . وَإِذَا مُضِغَ ظَهَرَ فِي الْقَمِّ مِنْهُ دُهْنِيَّةٌ وَرَائِحَةٌ
عَطْرَةٌ . وَوَرَقُهُ شَبِيهُ بَوْرَقِ السَّدَابِ وَيُجْتَنَى دُهْنُهُ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّعْرِى
بِأَنْ تُشَدَّخَ السُّوقُ بَعْدَ مَا يُحْتَسُّ عَنْهَا جَمِيعُ وَرَقِهَا . وَشَدَّخُهَا يَكُونُ
بِحِجْرَةٍ تُتَّخَذُ مُحَدَّدَةً وَيَفْتَقَرُ شَدَّخُهَا إِلَى صِنَاعَةٍ بِحَيْثُ يُقَطَّعُ الْقَشْرُ
الْأَعْلَى وَيُشَقُّ الْأَسْفَلُ شَقًّا لَا يَنْقُذُهُ إِلَى الْحَشَبِ . فَإِنْ نَفَذَ إِلَى
الْحَشَبِ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ شَيْءٌ . فَإِذَا شَدَّخَهُ كَمَا وَصَفْنَا أَمَلَهُ رَيْثًا يَسِيلُ
لَشَاةٍ عَلَى الْعُودِ فَيَجْمَعُهُ بِإَصْبَعِهِ مَسْحًا إِلَى قَرْنٍ . فَإِذَا أَمْتَلَأَ صَبَّهُ فِي
قَنَانِي زَجَاجٍ وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَنْتَهِيَ جَنَاهُ وَيَنْقَطِعَ لَئَاهُ . وَكُلُّ
مَا كَثَرَ النَّدَى فِي الْجَوِّ كَانَ لَئَاهُ أَكْثَرَ وَأَغْزَرَ . وَفِي الْجَدْبِ وَقَلَّةُ
النَّدَى يَكُونُ اللَّئَاهُ أَزْرَرًا . ثُمَّ تُؤْخَذُ الْقَنَانِي فَتُدْفَنُ إِلَى الْقَيْظِ وَحَمَارَةِ
الْحَرِّ وَتُخْرَجُ مِنَ الدَّفْنِ وَتُجْعَلُ فِي الشَّمْسِ . ثُمَّ تُنْفَقُ كُلَّ يَوْمٍ فَيُوجَدُ
الدَّهْنُ وَقَدْ طَفَأَ فَوْقَ رَطُوبَةٍ مَائِيَّةٍ وَأَثْنَالِ أَرْضِيَّةٍ فَيُطْفَأُ الدَّهْنُ .
ثُمَّ تُعَادُ إِلَى الشَّمْسِ . وَلَا يَزَالُ يُشَسِّمُهَا وَيُطْفَأُ دُهْنُهَا حَتَّى لَا يَبْقَى

فِيهَا ذَهْنٌ . فَيُؤْخَذُ ذَلِكَ الدَّهْنُ وَيُطْبَخُ قِيمَةً . ثُمَّ يَرْفَعُهُ إِلَى خِزَانَةِ
 الْمَلِكِ وَمَقْدَارُ الدَّهْنِ الْخَالِصِ مِنَ الثَّلَاثِ بِالتَّرْوِيقِ نَحْوُ عَشْرِ الْجُمْلَةِ
 ٤٠٧ (الْجَمِيزُ) . كَأَنَّهُ تَيْنٌ بَرِّيٌّ وَتُخْرَجُ ثَمَرَتُهُ فِي الْحَشَبِ لَا تَحْتَ
 الْوَرَقِ . وَيُخَالَفُ فِي السَّنَةِ سَبْعَةَ بَطُونٍ . وَيُؤْكَلُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ
 وَيَحْمَلُ وَقَرًا عَظِيمًا . وَقَبْلَ أَنْ يُجْنَى بِأَيَّامٍ يَضَعُ رَجُلٌ إِلَى الشَّجَرَةِ
 وَمَعَهُ حَدِيدَةٌ لِيَسِمَ بِهَا حَبَّةَ حَبَّةٍ مِنَ الثَّمَرَةِ فَيَجْرِي مِنْهَا لَبَنٌ أَبْيَضٌ .
 ثُمَّ يَسْوَدُ الْمَوْضِعُ وَتَحْلُو الثَّمَرَةُ بِذَلِكَ الْعَمَلِ . وَقَدْ يُوجَدُ مِنْهُ شَيْءٌ
 شَدِيدُ الْحَلَاوَةِ أَحْلَى مِنَ التَّيْنِ لَكِنَّهُ لَا يَنْفَاكُ فِي آخِرِ مَضْغِهِ مِنْ طَعْمِ
 خَشَبِيَّةٍ هَا . وَشَجَرَتُهُ كَبِيرَةٌ كَشَجَرَةِ الْجُوزِ الْعَاتِيَةِ وَتُخْرَجُ مِنْ ثَمَرِهِ
 وَغَصْنَتُهُ إِذَا فُصِدَتْ لَبَنٌ أَبْيَضٌ إِذَا طَلِيَ عَلَى ثَوْبٍ أَوْ غَيْرِهِ صَبَغَهُ
 وَأَحْمَرَهُ . وَخَشَبُهُ يُعْمَرُ بِهِ الْمَسَاكِينُ وَتُتَّخَذُ مِنْهُ الْأَبْوَابُ وَغَيْرُهَا مِنْ
 الْأَلَاتِ الْجَافِيَةِ . وَلَهُ بَنَاتٌ عَلَى الدَّهْرِ وَصَبْرٌ عَلَى الْمَاءِ وَالشَّمْسِ . وَقَالَمَا
 يَتَأَكَّلُ هَذَا مَعَ أَنَّهُ خَشَبٌ خَفِيفٌ قَلِيلُ الدَّوْنَةِ . وَيُتَّخَذُ مِنْ ثَمَرَتِهِ
 خَلٌّ حَازِقٌ وَنَبِيذٌ حَادٌّ (مِنْ كِتَابِ الْإِفَادَةِ وَالْإِعْتِبَارِ لِعَبْدِ الْوَطِيفِ)
 ٤٠٨ (الْعَنَبَةُ) . وَهِيَ شَجَرَةٌ تُشَبَّهُ الشَّجَارَ النَّارَ فَنَجْرُ إِلَّا أَنَّهَا أَعْظَمُ
 أَجْرَامًا وَكَثْرَ أَوْرَاقًا . وَظَالِمًا أَكْثَرَ الظُّلَالِ غَيْرَ أَنَّهُ تُشِيلُ فَمَنْ نَامَ تَحْتَهُ
 وَغَكَ . وَثَمَرُهَا عَلَى قَدَرِ الْإِجَاصِ الْكَبِيرِ . فَإِذَا كَانَ أَخْضَرَ قَبْلَ تَمَامِ
 نَضِجِهِ أَخَذُوا مَا سَقَطَ مِنْهُ وَجَعَلُوا عَلَيْهِ الْمَلْحَ وَصَيَّرُوهُ كَمَا يَصِيرُ الْبَيْ
 وَاللَّيْمُونَ بِلَادِنَا وَكَذَلِكَ يُصَيَّرُونَ أَيْضًا لَزَنَجِيلِ الْأَخْضَرِ وَعَقَاقِيدِ

الْفُلَّيْنِ وَيَأْكُلُونَ ذَلِكَ مَعَ الطَّعَامِ يَأْخُذُونَ بِأَثَرِ كُلِّ لُقْمَةٍ يَسِيرًا مِنْ
هَذِهِ الْمَمْلُوحَاتِ . فَإِذَا نَضِجَتِ الْعَبَّةُ فِي أَوَانِ الْحَرْيفِ أَصْفَرَتْ حَبَاتُهَا
فَيَأْكُلُوهَا كَالْتَّفَاحِ . فَبَعْضُهُمْ يَقْطَعُهَا بِالسِّكِّينِ وَبَعْضُهُمْ يَمَضُّهَا مَضًّا .
وَهِيَ حُلْوَةٌ يَمَازِجُ حَلَاوَتِهَا لَيْسَ بِرُحْمُوضَةٍ وَلَهَا نَوَاطُ كَبِيرَةٌ يَزْرَعُونَهَا
فَتَنْبُتُ مِنْهَا الْأَشْجَارُ كَمَا تَزْرَعُ نَوَى النَّارَنْجِ وَغَيْرِهَا (لابن بطوطة)
٤٠٩ (الموز) . معادنه عُمان . وَتَنْبُتُ الْمَوْزَةُ نَبَاتَ الْبَرْدِيَّةِ لَهَا عُنْقُرَةٌ
غَلِيظَةٌ وَوَرَقَةٌ طَوِيلَةٌ عَرِيضَةٌ تَحْوِثَلَاثُ أَذْرُعٍ فِي ذِرَاعَيْنِ . لَيْسَتْ
بِمُخْرِطَةٍ عَلَى نَبَاتِ السَّعْفِ لَكِنْ شَبَهُ الْمَرْبَعَةِ . وَتَرْتَفِعُ الْمَوْزَةُ قَامَةً
بَاسِطَةً . وَلَا تَرَالُ فِرَاحُهَا تَنْبُتُ حَوْلَهَا وَاحِدَةً أَصْفَرًا مِنَ الْأُخْرَى .
فَإِذَا أَجَرَتْ وَذَلِكَ إِدْرَاكُ مَوْزِهَا قُطِعَتِ الْأُمُّ حِينَئِذٍ مِنْ أَصْلِهَا وَتُؤْخَذُ
قَتْوُهَا . وَيَطْلَعُ الْكَبِيرُ فِرَاحُهَا فَيَصِيرُ هُوَ الْأُمُّ وَتَبْقَى الْبَوَاقِي فِرَاحُهَا وَلَا
تَرَالُ عَلَى هَذَا أَبَدَ الدَّهْرِ . وَلِذَلِكَ قَالَ أَشْعَبُ لَا بَنِيهِ فِيمَا يَرَوِي عَنْهُ
الْأَصْمَعِيُّ : يَا بَنِيَّ لِمَ لَا تَكُونُ مِثْلِي . فَقَالَ : أَنَا مِثْلُ الْمَوْزَةِ لَا تَصْلُحُ
حَتَّى تَمُوتَ أُمُّهَا (لابي حنيفة الدينوري)

٤١٠ (الفلفل) . شَجَرَةُ الْفُلْفُلِ شَبِيهَةٌ بِدَوَالِي الْعِنَبِ وَأَهْلُ الْهَنْدِ
يَغْرِسُونَهَا إِزَاءَ النَّارِ جِيلٍ . فَتَصْعَدُ فِيهَا كَصُعُودِ الدَّوَالِي لِأَنَّهَا لَيْسَ لَهَا
عَسَاوِجٌ وَهِيَ الْغَزْلُ كَمَا لِلدَّوَالِي . وَأَوْرَاقُ شَجَرِهِ تُشَبِّهُ أَوْرَاقَ الْجُنَيْلِ .
وَبَعْضُهَا يُشَبِّهُ أَوْرَاقَ الْعَلِيقِ . وَيُثْمِرُ عَنَاقِيدَ صَغِيرًا حَبًّا كَحَبِّ أَبِي قَتِينَةَ
إِذَا كَانَتْ خَضِرًا . وَإِذَا كَانَ أَوَانُ الْحَرْيفِ قَطَفُوهُ وَفَرَّشُوهُ عَلَى الْحُمْرِ

فِي الشَّمْسِ كَمَا يُصْنَعُ بِالْأَغْنَبِ عِنْدَ تَرْبِيئِهِ . وَلَا يَذَلُّونَ يُقَلِّبُونَهُ حَتَّى
يَسْتَحْكَمَ يَبْسُهُ وَيَسْوَدُّ . ثُمَّ يَبْعُونَهُ مِنَ الثَّجَارِ . وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ بِمَدِينَةِ
قَاتِئُوطٍ يُصَبُّ لِلْكَيْلِ كَالذَّرَّةِ بِبِلَادِنَا
(لابن بطوطة)

النجوم

٤١١ (النجوم) كُلُّ نَبْتٍ لَيْسَ لَهُ سَاقٌ صُلْبٌ مُرْتَفِعٌ كَالزَّرُوعِ وَالْبُقُولِ
وَالرِّيَاحِينَ وَالْحَشَائِشِ الْبَرِّيَّةِ . وَقَدْ أَجْرَى اللَّهُ عَادَتَهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ أَنَّهُ
يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا فَيَجْرِي بِهَا بِسَ أَنْهَارُهَا وَيَنْشُرُ رِفَاتَ نَبَاتِهَا
حَتَّى تَرَى مِنَ الْأَوْدِيَةِ مُخْضَرَّةً . وَمِنَ الْأَزْهَارِ مُحَمَّرَةً وَمُصْفَرَّةً .
لِيَسْتَدِلَّ بِهِ ذُو الطَّبَعِ السَّلِيمِ . وَالْفَهْمُ الْمُسْتَقِيمِ . عَلَى إِحْيَاءِ الْأَمْوَاتِ .
وإِعَادَةِ الْعِظَامِ الرُّفَاتِ

وَمِنَ الْأُمُورِ الْمُعْجِبَةِ الْقُوَّةُ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي نَفْسِ الْحَبِّ فَإِنَّهَا
إِذَا وَقَعَتْ فِي بَطْنِ الْأَرْضِ جَذِبَتْ بِوَاسِطَةِ تِلْكَ الْقُوَّةِ الرُّطُوبَةَ الَّتِي
تَصْلُحُ أَنْ تَكُونَ لَهَا غِذَاءٌ مِنْ نَفْسِ الْأَرْضِ مِمَّا حَوْلَ إِلَيْهَا . كَشُعْلَةِ نَارِ
السِّرَاجِ فَإِنَّهَا تَجْذِبُ الرُّطُوبَةَ الَّتِي فِي السِّرَاجِ بِوَاسِطَةِ قُوَّةِ خَلْقِهَا اللَّهُ
تَعَالَى فِيهَا . ثُمَّ إِنَّ تِلْكَ الرُّطُوبَةَ إِذَا حَصَلَتْ فِي نَفْسِ الْحَبِّ صَارَتْ
غِذَاءً لَهَا وَتَعْمَلُ فِيهَا الْقُوَى الطَّبِيعِيَّةُ حَتَّى تَبْلُغَ كَلَامًا . وَالنُّجُومُ فِي جِنْسِ
النَّبَاتِ كَالْحَيَوَانَاتِ الصَّغَارِ فِي جِنْسِ الْحَيَوَانِ وَالْأَشْجَارُ الْكِبَارُ
كَالْحَيَوَانَاتِ الْكِبَارِ فَكَمَا أَنَّ عِنْدَ شِدَّةِ الْبُرْدِ لَا يَبْقَى مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي
لَا عِظَمَ لَهَا شَيْءٌ كَذَلِكَ لَا يَبْقَى مِنَ النَّبَاتِ شَيْءٌ لَيْسَ لَهُ خَشَبٌ صُلْبٌ .

وَأَمَّا الْحَيَوَانَاتُ الْكِبَارُ فَإِنَّهَا تَهْبِرُ عَلَى الْبَرْدِ وَكَذَلِكَ الْأَشْجَارُ . ثُمَّ إِنَّ
عُثُولَ الْعُقَلَاءِ مُتَخَيِّرَةٌ فِي أَمْرِ الْحَشَائِشِ وَعَجَائِبُهَا . وَأَفْهَامُ الْأَذْكِيَاءِ قَاصِرَةٌ
عَنْ ضَبْطِ خَوَاصِهَا وَفَوَائِدِهَا . وَكَيْفَ لَا مَعَ مَا يُشَاهَدُ مِنْ تَوَعُّعِ صُورِ
قُضْبَانِهَا وَاخْتِلَافِ أَشْكَالِ أَوْرَاقِهَا وَعَجِيبِ أَلْوَانِ أَزْهَارِهَا وَتَنَزُّعِ كُلِّ
لَوْنٍ مِنْهَا . كَالْحُمْرَةِ مَثَلًا فَإِنَّهَا قَدْ تَكُونُ أَزْجَوَانِيَّةً كَمَا تَرَى فِي السُّوسَنِ .
وَقَدْ تَكُونُ مُشَبَّعَةً جِدًّا كَمَا تَرَى فِي شَقَائِقِ النُّعْمَانِ . وَقَدْ تَكُونُ نَارِيَّةً
كَالْأَذْرِيُونِ . وَقَدْ تَكُونُ خَفِيفَةً كَالْوَرْدِ هَكَذَا حَالُ كُلِّ لَوْنٍ مِنْهَا .
ثُمَّ عَجَائِبُ رَوَائِحِهَا وَمُخَالَفَةُ بَعْضِهَا بَعْضًا مَعَ اشْتِرَاكِ الْكُلِّ فِي الطَّيِّبِ .
ثُمَّ عَجَائِبُ أَشْكَالِ حُبُوبِهَا . فَإِنَّ لِكُلِّ حَبٍّ وَوَرَقًا وَزَهْرًا وَعِرْقًا شَكْلًا
وَلَوْنًا وَطَعْمًا وَرَائِحَةً وَخَاصِيَّةً بَلْ خَاصِيَّاتٌ لَا يَدْرِيهَا إِلَّا اللَّهُ . وَأَتَى
عَرَفَهَا الْإِنْسَانُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا لَمْ يَعْرِفْهُ قَطْرَةٌ مِنْ بَحْرِ (الْقُرُونِي)
٤١٢ (الْبَلَاءِيَّة) . وَهِيَ ثَمَرٌ يَقْدَرُ إِبْرَاهِيمُ الْيَدِ كَأَنَّهُ جِرَاءُ الْقَتْلَاءِ
شَدِيدُ الْخُضْرَةِ إِلَّا أَنَّ عَلَيْهِ زَنْبَرًا مَشُوكًا وَهُوَ مُخَمَّسُ الشَّكْلِ يُحِيطُ بِهِ
خَمْسَةُ أَضْلَاعٍ فَإِذَا شَقَّ الشَّقَّ عَنْ خَمْسَةِ آيَاتٍ يَلِينُهَا حَوَاجِزُ . وَفِي
تِلْكَ الْآيَاتِ حَبٌّ مُصْطَفٍ مُسْتَدِيرٌ أَيْضٌ أَصْغَرُ مِنَ الْأَوْبِيَاءِ هَشٌّ
يَضْرِبُ إِلَى الْحَلَاوَةِ . وَفِيهِ أَلْعَامِيَّةٌ كَثِيرَةٌ . يَطْبُخُ أَهْلُ مِصْرَ بِهِ اللَّحْمَ
إِنَّهُ يَقَطَّعَ مَعَ قُسُورِهِ صِغَارًا أَوْ يَكُونُ طَعَامًا لَا بَأْسَ بِهِ . أَلْغَابٌ عَلَى
طَبْعِهِ الْحَرَارَةُ وَالرُّطُوبَةُ وَلَا يَتَخَوَّرُ فِي طَبِخِهِ قَبْضٌ بَلْ لَزُوجَةٌ
٤١٣ (الْقَلْقَاسُ) . هُوَ أَصُولٌ يَقْدَرُ الْحَيَارُ . وَبِنْتُهُ صِغَارٌ كَالْأَصَاغِ

يَضْرِبُ إِلَى حُمْرَةِ خَفِيفَةٍ يُقَشِّرُ ثُمَّ يُشَقِّقُ عَلَى مِثْلِ السَّلْجَمِ . وَهُوَ كَثِيفٌ
مُكْتَنَزٌ يُشَابِهُ الْمَوْزَ الْأَخْضَرَ الْفَجَّ فِي طَعْمِهِ . وَفِيهِ قَبْضٌ لَيْسَ بِمَعَ
حَرَاةٍ قَوِيَّةٍ وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى حَرَارَتِهِ وَبَيْتِهِ . فَإِذَا سَلِقَ زَالَتْ حَرَاةُ
جَمَلَةٍ وَحَدَّثَ لَهُ مَعْمَا فِيهِ مِنَ الْقَبْضِ الْبُضِّ الْبُضِّ لِرُوحَةٍ مُغَرِّيَةٍ كَانَتْ فِيهِ
بِالْقُوَّةِ . إِلَّا أَنَّ حَرَاةً كَانَتْ تُخْفِيهَا وَتَسْتُرُهَا وَلِذَلِكَ صَارَ غِذَاؤُهُ
غَلِيظًا بَطِيءًا لَهْظُهُ ثَقِيلًا فِي الْمَعِدَةِ . إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا فِيهِ مِنَ الْقَبْضِ
وَالْعَفْوَصَةِ صَارَ قَوِيًّا لِلْمَعِدَةِ

(لعبد اللطيف)

جنس الحيوان

١٤ : الْحَيَوَانُ مَا فِيهِ حَيَاةٌ . قَالَ الْجَاهِظُ : الْحَيَوَانُ عَلَى أَرْبَعَةِ
أَقْسَامٍ . شَيْءٌ يَمْشِي وَشَيْءٌ يَطِيرُ وَشَيْءٌ يَمْشِي وَيَطِيرُ وَشَيْءٌ يَسَاحُ فِي
الْأَرْضِ إِلَّا أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَطِيرُ يَمْشِي وَلَيْسَ كُلُّ شَيْءٍ يَمْشِي يَطِيرُ .
فَأَمَّا النَّوْعُ الَّذِي يَمْشِي فَهُوَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ . نَاسٌ وَبَهَائِمٌ وَسَبَاعٌ .
وَالطَّيْرُ كَأَنَّهُ سَبْعٌ وَبَهِيمَةٌ وَهَمَجٌ . وَالْحَشَّاشُ مَا أَطْفَ جَرْمُهُ وَصَغُرَ جِسْمُهُ
وَكَانَ عَدِيمَ السِّلَاحِ . وَالْهَمَجُ لَيْسَ مِنَ الطُّيُورِ وَلَكِنَّهُ يَطِيرُ . وَهُوَ فِيمَا
يَطِيرُ كَالْحَشَرَاتِ فِيمَا يَمْشِي . وَالسَّبْعُ مِنَ الطَّيْرِ مَا أَكَلَ اللَّحْمَ خَالِصًا .
وَالْبَهِيمَةُ مَا أَكَلَ الْحَبَّ خَالِصًا . وَالْمُشْتَرِكُ كَالْعَصْفُورِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِذِي
مُخْلَبٍ وَلَا مَنَسَرٍ وَهُوَ يَأْكُلُ الْحَبَّ وَمَعَ ذَلِكَ يَصِيدُ الْفُتُلَ وَيَصِيدُ الْجُرَادَ
وَيَأْكُلُ اللَّحْمَ وَلَا يَزُقُّ فِرَاحَهُ كَمَا يَزُقُّ الْحَمَامُ فَهُوَ مُشْتَرِكٌ الطَّبِيعَةِ .
وَأَسْبَابُ الْمَصَافِيرِ مِنَ الْمُشْتَرِكِ كَثِيرَةٌ وَلَيْسَ كُلُّ مَا طَارَ بِجَنَاحَيْنِ مِنْ

الطير فقد يطير الجملان والذباب والزنابير والجراد والنمل والهراش
والبعوض والأرضة وغير ذلك ولا تسمى طيوراً
الانسان

٤١٥ (إنسان). قال القاضي أبو بكر بن العربي المالكي الإمام
العلامة : ليس لله تعالى خلق أحسن من الإنسان . فإن الله تعالى
خلقه حياً عالماً قادراً متكلماً سمياً بصيراً مدبراً حكماً وهذه صفات الرب
جل وعلا . قال تعالى : لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم وهو
اعتداله وتسوية أعضائه لأنه خلق كل شيء منكباً على وجهه
وخلقه سوياً . وله لسان ذليق ينطق به ويد وأصابع يقبض بها . مودباً
بالأمر مذبذباً بالتميز . يتناول مأكوله ومشروبه بيده . وأفتح ابن
بختيشوع الطيب النصراني كتابه في الحيوان بالإنسان وقال : إنه
أعدل الحيوان مزاجاً وأكمله أفعالاً وألطفه حساً وأنفذه رأياً . فهو
كالمملك المسلط القاهر يسائر الخليفة والامر لها . وذلك بما وهب الله
تعالى له من العقل الذي به يميز على كل الحيوان البهيمي فهو
بالحقيقة ملك العالم . ولذلك سماه قوم من الأقدمين العالم الأصغر

النعم

٤١٦ النعم وهي تشمل الإبل والبقر والغنم وهي كثيرة الفائدة
سهلة الانقياد . ليس لها شراسة الدواب ولا نفرة السباع . واشددة
حاجة الناس إليها يخلق الله سبحانه وتعالى لها سلاحاً شديداً كأياب

السباع وبراثنها وأنياب الحشرات وإبرها . وجعل في شأنها الثبات والصبر على التعب والجوع والعطش . وخلقها ذلولا تقاد بالأيدي فمنها ركبهم ومنها يأكلون . وجعل الله قرنها سلاحا لتأمن به من الأعداء . ولما كان ماكلها الحشيش اقتضت الحكمة الإلهية أن تجعل لها أفواها واسعة وأسنانا حادًا وأضراسًا صلابًا لتطحن بها الحب والنوى

٤١٧ (الجاموس) . هو حيوان عنده شجاعة وشدة وبأس . وهو مع ذلك أجنع خاق الله يفرق من عض بعوضة ويهرب منها إلى الماء . والأسد يخافه . وهو مع شدته وعظمه ذكي . ويقال إنه لا ينام أصلا لكثرة حراسته لنفسه وأولاده . وإذا اجتمع ضرب دائرة وتجمع رؤسها خارج الدائرة وأذنانها إلى داخلها والرعاة وأولادها من داخل . فتكون الدائرة كأنها مدينة مسورة من صياصياها . والذكر منها يناطح ذكرا آخر . فإذا غلب أحدها دخل أجمة فيقيم فيها حتى يعلم من نفسه أنه قوي فيخرج . ويطلب ذلك الفحل الذي غلبه فيناطحه حتى يغلبه ويطرده . وهو يتغمس في الماء غالبا إلى خرطوميه . والجاموس يقتل التمساح مع عظم بدنه وهول جثته . يمشي إلى الأسد رخي البال ثابت الجنان رابط الجأش . وليس في قرنه حدة كما في قرن البقر فضلا عن حدة أطراف مخالب الأسد وأنيابه (للمدبري)

٤١٨ (بقر) . حيوان كثير المنفعة شديد القوة خلقه الله ذلولا منقادا للناس . وإنما لم يخلق له سلاح شديد مثل السباع وغيرها لأنه

فِي رِعَايَةِ الْإِنْسَانِ . فَأَلِإِنْسَانُ يَدْفَعُ عَنْهُ عَدُوَّهُ بِخِلَافِ السِّبَاعِ . وَلِأَنَّ
حَاجَةَ الْإِنْسَانِ إِلَيْهِ مَاسَّةٌ فَلَوْ كَانَ لَهُ سِلَاحٌ شَدِيدٌ صَعِبَ ضَبْطُهُ .
وَالْبَقَرُ الْأَجْمُ يَعْلَمُ أَنَّ سِلَاحَهُ فِي رَأْيِهِ فَيَسْتَعْمِلُ مَحَلَّ الْقُرْنِ كَمَا تَرَى
مِنَ الْعَجَاجِيلِ قَبْلَ نَبَاتِ الْقُرْنِ تَنْطَحُ بِرُؤُوسِهَا . وَذَلِكَ لِأَنَّ حُقُوقَ
لَطِيعَتِهَا فَيَعْمَلُ ذَلِكَ بِالطَّعْنِ . وَلَمْ يُخْلَقْ لِابْقَرِ الشَّيَا الْفَوْقَانِيَّةُ فَيَقْلَعُ
الْحَشِيشَ بِالسُّفْلَانِيَّةِ (لِلْقَزَوِينِي)

٤١٩ (ظَنِي الْمَسْكِ) . هُوَ كَسَائِرِ الطَّبَاءِ عِنْدَنَا فِي الْقَدِّ وَاللَّوْنِ
وَدَقَّةِ الْقَوَائِمِ وَأَفْتِرَاقِ الْأَظْلَافِ وَأَنْتِصَابِ الثُّرُونِ وَأَنْعِطَافِهَا .
وَلَهَا نَابَانِ دَقِيقَتَانِ أَيْضَانِ فِي الْفَكَيْنِ قَائِمَانِ فِي وَجْهِ الظَّنْبِيِّ . طُولُ
كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِثْقَالُ فِثْرٍ وَذُوْنُهُ عَلَى هَيْئَةِ نَابِ أَتْمِيَا فَهُوَ أَفْرَقُ
بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ سَائِرِ الطَّبَاءِ . وَأَجُودُ الْمَسْكِ كُهُ مَا حَبَّكَ الظَّنْبِيُّ عَلَى
أَحْجَارِ الْجِبَالِ إِذْ كَانَ مَادَّةً تَصِيرُ فِي سِرَّتِهِ وَيَجْتَمِعُ دَمَاعِيْطًا
كَاجْتِمَاعِ الدَّمِّ فِيمَا يَعْزُضُ مِنَ الدَّمَامِلِ . فَإِذَا أَدْرَكَ حَكَّهُ وَأَضْجَرَهُ
فَيَنْزِعُ إِلَى الْحَجَارَةِ حَتَّى يَخْرِقَهُ فَيَسِيلُ مَا فِيهِ فَإِذَا خَرَجَ عَنْهُ جَنْفٌ
وَأَنْدَمَلَ وَعَادَتِ الْمَادَّةُ تَجْتَمِعُ فِيهِ كَمَنْ ذِي قَبْلِ . وَبِالْثَّبَتِ رَجَالُ
يَخْرُجُونَ فِي طَلَبِ هَذَا وَلَهُمْ بِهِ مَعْرِفَةٌ . فَإِذَا وَجَدُوا التَّمَطُّودَ وَجَمْعَهُ
وَأَوْدَعَهُ النَّوَافِحَ وَجَمَلَ إِلَى مَا رَكِبَهُمْ . وَهُوَ نِهَايَةُ الْمَسْكِ إِذَا كَانَ قَدْ
أَدْرَكَ عَلَى حَيَوَانِهِ . وَصَارَ لَهُ فَضْلٌ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْمَسْكِ كَفَضْلِ مَا يُدْرِكُ
مِنَ الثَّمَارِ فِي شَجَرِهِ عَلَى سَائِرِ مَا يُنْزَعُ مِنْهُ قَبْلَ إِدْرَاكِهِ (لِلْمَسْعُودِي)

٤٢٠ (فَرَسٌ) . مِنْ أَحْسَنِ الْخِيَرَاتِ بَعْدَ الْإِنْسَانِ صُورَةً وَأَشَدَّ
 الدَّوَابِّ عَدُوًّا وَذَكَاةً . وَلَهُ خِصَالٌ حَمِيدَةٌ وَأَخْلَاقٌ مُرْصِيَّةٌ . مِنْ ذَلِكَ
 حُسْنُ صُورَتِهِ وَتَنَاسُبُ أَجْزَائِهِ وَأَعْضَائِهِ وَصَفَاءُ لَوْنِهِ وَسُرْعَةُ عَدُوهِ
 وَحُسْنُ طَاعَتِهِ لِلْفَارِسِ كَيْفَ صَرَفَهُ أَنْتَادَ لَهُ . وَمِنْهَا مَا يَلْعَبُ الْفَارِسُ
 عَلَى ظَهْرِهِ بِالْكُرَّةِ فَلَا يَحْتَاجُ الرَّايِبُ أَنْ يَصْرِفَهُ بَلْ عَيْنُهُ إِلَى الْكُرَّةِ
 كُلَّمَا رَأَى الْكُرَّةَ يَعْدُو خَلْفَهَا . وَمِنْ الْفَرَسِ مَا يَعْرِفُ صَاحِبَهُ فَلَا
 يُمْكِنُ غَيْرُهُ مِنْ رُكُوبِهِ . وَمِنْ الْخَيْلِ مَا يَلْحَقُ الظَّبْيَ حَتَّى يَضْرِبَ
 رَاكِبَهُ الظَّبْيَ بِالسَّيْفِ

السباع

٤٢١ (ابْنُ آوَى) . جُمُعُهُ بَنَاتٌ آوَى وَتَمِي آوَى لِأَنَّهُ يَأْوِي
 إِلَى عَوَاءِ آبَاءِ جَنْسِهِ وَلَا يَعْوِي إِلَّا لَيْلًا . وَذَلِكَ إِذَا اسْتَوْحَشَ
 وَبَقِيَ وَحْدَهُ . وَصِيَاحُهُ يُشَبَّهُ صِيَاحَ الصَّبِيَّانِ . وَهُوَ طَوِيلُ الْمَخَالِبِ
 وَالْأُظْفَارِ يَعْدُو عَلَى نَبْرِهِ وَيَأْكُلُ مِمَّا يَصِيدُ مِنَ الطُّيُورِ وَغَيْرِهَا .
 وَخَوْفُ الدَّجَاجِ مِنْهُ أَشَدُّ مِنْ خَوْفِهَا مِنَ الثَّعْلَبِ لِأَنَّهُ إِذَا مَرَّ تَحْتَهَا
 وَهِيَ عَلَى الشَّجَرَةِ أَوْ الْجِدَارِ تَسَاقَطَتْ وَإِنْ كَانَتْ عَدَدًا كَثِيرًا . وَابْنُ
 آوَى يُفْسِدُ الْكُرُومَ وَالْأَثْمَارَ وَإِذَا أَرَادَ صَيْدَ طَيْرِ الْمَاءِ جَمَعَ خُزْمَةً مِنْ
 الْحَشِيشِ وَيَرْمِيهَا فِي الْمَاءِ وَيَتْرُكُهَا حَتَّى يَسْتَأْنِسَ الطَّيْرُ بِهَا وَيَقَعَّ عَلَيْهَا .
 فَإِذَا رَأَى اسْتَأْنَسَ الطَّيْرُ بِهَا جَعَلَ يَشِي خَلْفَهَا وَيَضْطَادُّ مَا قَدَّرَ عَلَيْهِ
 ٤٢٢ (الْخَنْزِيرُ) . حَيَوَانٌ سَمِجٌ الشَّكْلُ صَعْبٌ لَهُ نَابَانِ كَنَابِي

الْفَيْلُ يَضْرِبُ بِهِمَا . وَرَأْسُهُ كَرَأْسِ الْجَامُوسِ . وَلَهُ ظِلْفٌ كَمَا إِبْقَرُ
يُطَخُّ بَدَنُهُ بِالطِّينِ وَالْأَشْيَاءِ اللَّزْجَةِ حَتَّى يَصِيرَ جِلْدُهُ كَالْجَوْشَنِ لَا
تَعْمَلُ فِيهِ أَنْيَابُ الْخَنَازِيرِ عِنْدَ الْخُصُومَةِ . وَهُوَ أَنْسَلُ الْحَيَوَانَاتِ لِأَنَّهُ
تَضَعُ عِشْرِينَ خَنُوصًا . قَالَ الْخَنَزِيرُ يَا كُلُّ الْحَيَّةِ أَكَلًا ذَرِيعًا وَسَمُ الْحَيَّةِ لَا
يَعْمَلُ فِي الْخَنَزِيرِ . وَهُوَ أَرْوَعُ مِنَ الثَّعْلَبِ . يَهْرُبُ مِنَ الْفَارِسِ حَتَّى
يَطْمَعُ فِيهِ الْفَارِسُ وَيَعْدُو خَلْفَهُ وَيَتَعَبُ ثُمَّ يَكُرُّ عَلَيْهِ وَيَضْرِبُ الْفَرَسَ
أَوْ الْفَارِسَ ضَرْبَةً شَدِيدَةً يَنَابِهَ فِيَقْتُلُهُ (للقزويني)

٤٢٣ (الذئب) . حَيَوَانٌ كَثِيرُ الْخَبْثِ ذُو غَارَاتٍ وَخُصُومَاتٍ
وَمُكَابَرَةٍ وَخَتَلٍ شَدِيدٍ . وَقَلَمًا يُخْطِي فِي وَثَائِهِ . وَعِنْدَ اجْتِمَاعِهَا لَا
يَنْفَرِدُ أَحَدٌ مِنْهَا إِذْ لَا يَأْمَنُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْهَا . وَإِذَا أَصَابَ أَحَدَهَا جَرَحَةٌ
أَوْ ضَرْبَةٌ عَلِمَتْ أَنَّهُ ضَعِيفٌ اجْتَمَعَتْ وَأَكَلَتْهُ . وَإِذَا نَامَتِ الذِّئَابُ
وَأَجَهَ بَعْضُهَا بَعْضًا وَلَا يَنَامُ خَائِفُهُ حَتَّى يَنْظُرَ أَحَدُهَا إِلَى الْآخَرِ وَقِيلَ
إِنَّهُ يَنَامُ بِأَحَدِي عَيْنَيْهِ وَيَفْتَحُ الْآخَرَى . قَالَ حَمِيدُ الْجَلَالِي :
يَنَامُ بِأَحَدِي مُتَلَتِّئِهِ وَيَتَّقِي الْمَنَايَا بِآخَرِي فَهُوَ يَقْظَانُ هَاجِعُ
وَإِذَا عَجَزَ عَنْ غَلَبَةِ مَنْ يُقَاوِمُهُ يَعُوي حَتَّى يَأْتِيَ مَا يَسْتَعِ عَوَاءَهُ مِنْ
الذِّئَابِ يُعَاوَنُهُ . وَإِذَا مَرِضَ انْفَرَدَ عَنِ الذِّئَابِ وَيَعَامُ أَنَّهَا إِنْ أَحَسَّتْ
بِمَرَضِهِ أَكَلَتْهُ . وَفِيهِ مِنْ قُوَّةِ حَاسَةِ الشَّمِّ أَنَّهُ يَذْرُكُ الْمَشْتُومَ مِنْ
فَرَسِيخٍ . وَكَثُرَ مَا يَتَعَرَّضُ لِلْغَنَمِ فِي الصُّبْحِ وَإِنَّمَا يَتَوَقَّعُ فِتْرَةَ الْكَلْبِ
وَنَوْمَهُ وَكَدَالَهُ لِأَنَّهُ يَظَلُّ طَوْلَ لَيْلِهِ حَارِسًا مُتَقِظًا . وَمِنْ غَرِيبِ

أَمْرُهُ أَنَّهُ إِذَا صَكَّدَهُ الْجُوعُ عَوَى فَتَجْتَمِعُ لَهُ الذَّنَابُ وَيَقِفُ بَعْضُهَا
إِلَى بَعْضٍ فَمَنْ وَلَّى مِنْهَا وَثَبَ إِلَيْهِ الْبَاقُونَ وَآكَلُوهُ . وَإِذَا عَرَضَ
إِلَى الْإِنْسَانِ وَخَافَ الْعَجْزَ عَنْهُ عَوَى عَوَاءً اسْتِغَاثَةً فَلَسَمَهُ الذَّنَابُ فَتَقْبِلُ
عَلَى الْإِنْسَانِ إِقْبَالًا وَاحِدًا وَهُمْ سَوَاءٌ فِي الْحَرْصِ عَلَى أَكْلِهِ . فَإِنْ
أَدْمَى الْإِنْسَانُ وَاحِدًا مِنْهَا وَثَبَ الْبَاقُونَ عَلَى الْمَدْمَى فَزَقُّوهُ وَتَرَكَوا
الْإِنْسَانَ . وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يُعَاتِبُ صَدِيقًا مَالًا عَنْهُ :

وَكُنْتُ كَذَنِبِ السُّوءِ لَمَّا رَأَيْ دَمًا بِصَاحِبِهِ يَوْمًا أَحَالَ عَلَى الدَّمِ
٤٢٤ (السَّنُورُ) . حَيَوَانُ الْوَبْ مُتَمَاتِقٌ خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِدَفْعِ الْقَارِ .
وَهُوَ يُجِبُّ النَّظَافَةَ فَيَمْسَحُ وَجْهَهُ بِلَعَابِهِ . وَإِذَا تَنَاطَحَ شَيْءٌ مِنْ بَدَنِهِ
لَا يَلْبَثُ حَتَّى يُنَظِّفَهُ . وَإِذَا أَلِفَ السَّنُورُ مَنْزِلًا مَنَعَ غَيْرَهُ مِنَ السَّنَانِيرِ
الْخُحُولِ إِلَى ذَلِكَ الْمَنْزِلِ وَحَارَبَهُ أَشَدَّ مُحَارَبَةٍ وَهُوَ مِنْ جِنْسِهِ عِلْمًا
مِنْهُ بَأَنَّهُ أَرْبَابُهُ رَجْمًا اسْتَحْسَنُوهُ وَقَدَّمُوهُ عَلَيْهِ أَوْ شَارَكُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِي
الْمَطْعَمِ وَإِنْ أَخَذَ شَيْئًا مِمَّا يُخْزِنُهُ أَصْحَابُ الْمَنْزِلِ عَنْهُ هَرَبَ عِلْمًا مِنْهُ
بِمَا يَسَالُهُ مِنْهُمْ مِنَ الضَّرْبِ . وَإِذَا طَرَدُوهُ تَلَقَّوهُمْ وَتَمَسَّحَ بِهِمْ عِلْمًا
مِنْهُ بَأَنَّهُ يُخَاصُّهُ التَّمَاتِقُ وَيُحْصِلُ لَهُ الْعَفْوَ وَالْإِحْسَانَ . وَإِذَا مَرَّ
النَّارُ عَلَى السَّقْفِ اسْتَلَقَى وَيُحَرِّكُ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ إِيْرَادُ الْقَارِ فَيَسْقُطُ
مِنَ السَّقْفِ فَرَعًا . وَإِذَا صَادَ شَيْئًا مِنَ الْقَارِ يَلْبَسُ بِهَا زِمَانًا فَرَجْمًا يُخَالِيهَا
حَتَّى تُعْمِنَ فِي الضَّرْبِ وَظَنَّتْ أَنَّهَا نَجَتْ . ثُمَّ يَثْبُ عَلَيْهِا وَيَأْخُذُهَا . فَلَا
يَزَالُ يُخَذِّلُهَا بِاللَّامَةِ وَيُورِثُهَا الْحُسْرَةَ وَالْأَسْفَ وَيَلْتَمِزُ بِعَذَابِهَا ثُمَّ

بِأَكْلِهَا. وَالسِّنُّورُ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ. أَهْلِي وَوَحْشِي وَسِنُّورُ الزَّبَادِ.
وَكُلٌّ مِنْ الْأَهْلِي وَالْوَحْشِي لَهُ نَفْسٌ غَضُوبَةٌ وَيَفْتَرَسُ وَيَأْكُلُ اللَّحْمَ
الْحَيَّ. وَأَمَّا سِنُّورُ الزَّبَادِ فَهُوَ كَالسِّنُّورِ الْأَهْلِي لَكِنَّهُ أَطْوَلُ مِنْهُ ذَنَبًا
وَأَكْبَرُ جُثَّةً وَوَرْدُهُ إِلَى السَّوَادِ أَمِيلٌ وَرَبَّمَا كَانَ أَمْرًا. وَيُجْلِبُ مِنْ بِلَادِ
الْهِنْدِ وَالسِّنْدِ. وَالزَّبَادُ فِيهِ شَبِيهُ بِالْوَسَخِ الْأَسْوَدِ اللَّزْجِ وَهُوَ ذِفْرُ
الرَّائِحَةِ يُخَالِطُهُ طِيبٌ كَطِيبِ الْمِسْكِ (الدميري)

٤٢٥ (النَّمِرُ). ضَرْبٌ مِنَ السَّبَاعِ فِيهِ شَبَهُ مِنَ الْأَسَدِ إِلَّا أَنَّهُ
أَصْغَرُ مِنْهُ. وَهُوَ ذُو قُوَّةٍ وَقَهْرٍ وَسَطُوعَةٍ صَادِقَةٍ وَوَثْبَاتٍ شَدِيدَةٍ وَهُوَ
أَعْدَى عَدُوٍّ لِلْحَيَوَانَاتِ. وَهُوَ ذُو وَشْيٍ وَأَلْوَانٍ حَسَنَةٍ لَا يَرُدُّهُ
سَطُوعُ أَحَدٍ وَلَا يَنْصَرِفُ عَنِ الْعَسْكَرِ الدَّهْمِ. وَخُلِقَ فِي غَايَةِ الضِّيقِ
لَا يَسْتَأْسِرُ الْبَتَّةَ وَعِنْدَهُ كِبَرٌ وَعَجَبٌ بِنَفْسِهِ إِذَا شَبِعَ نَامَ أَيَّامًا فَإِذَا
أُنْتَبَهَ جَائِعًا خَرَجَ شَدِيدًا يَعْرِفُ مَا حَوْلَهُ مِنَ الْحَيَوَانِ أَنَّهُ يُرِيدُ
الْصَّيْدَ. وَالنَّمِرُ يَتَعَرَّضُ لِكُلِّ حَيَوَانٍ رَأَاهُ فِي جُرْعَةٍ وَشَبْعَةٍ بِخِلَافِ
الْأَسَدِ فَإِنَّهُ لَا يَتَعَرَّضُ لِلْحَيَوَانِ إِلَّا عِنْدَ جُوعِهِ

الطيور

٤٢٦ (أَبُو بَرَأَقِشَ). طَائِرٌ حَسَنُ الصُّورَةِ طَوِيلُ الرِّقَبَةِ وَالرِّجْلَيْنِ
أَحْمَرُ الْمِنْقَارِ فِي حَجْمِ اللَّمْلَقِ. يَتَلَوَّنُ كُلَّ سَاعَةٍ بِلَوْنٍ آخَرَ مِنْ أَحْمَرٍ
وَأَصْفَرٍ وَأَخْضَرَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي التَّنَقُّلِ وَالتَّحْوِيلِ. قَالَ الشَّاعِرُ:
كَأَنِّي بَرَأَقِشٌ كُلَّ يَوْمٍ لَوْنُهُ يَتَنَاب

وَعَلَى لَوْنِ هَذَا الطَّائِرِ نُسِجَتِ ثِيَابٌ تَسْمَى أَبَا قَلَمُونَ تَجَابُ مِنْ
الرُّومِ . وَعَجِبَ هَذَا الطَّائِرُ فِي لَوْنِهِ وَشَكْلِهِ (القرويني)

٤٢٧ (الديك) . أَكْثَرُ الطُّيُورِ عَجَبًا بِنَفْسِهِ وَهُوَ أَبَاهُ الطَّبِيعَةُ
وَعَلَامَتُهُ حُمْرَةُ الْعُرْفِ وَغَلْظُ الرِّقْبَةِ وَضِيقُ الْعَيْنِ وَسَوَادُهَا وَحِدَةُ
الْمَخَابِ وَرَفْعُ الصَّوْتِ . وَأَعْظَمُ مَا فِيهِ مِنَ الْعَجَائِبِ مَعْرِفَةُ الْأَوْقَاتِ
الْإِلَهِيَّةِ . فَيَقْسِطُ أَصْوَاتَهُ عَلَيْهَا تَهْشِيطًا لَا يَكَادُ يَغَادِرُ مِنْهُ شَيْئًا سِوَاهُ
طَالَ أَوْ قَصُرَ . وَيُوَالِي صِيَاحَهُ قَبْلَ الْفَجْرِ وَبَعْدَهُ فَسُبْحَانَ مَنْ هَدَاهُ
لِذَلِكَ . قَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِّ يَصِفُ دِيكًا :

بَشَّرَ بِالصُّبْحِ طَائِرٌ هَتَفًا هَاجَ مِنَ اللَّيْلِ بَعْدَ مَا اتَّصَفَا
مُذَكِّرٌ بِالصَّبَاحِ صَاحَ بِنَا كَحَاطِبٍ فَوْقَ مِنْبَرٍ وَقَفَا
صَفَّقَ إِمَامًا أَرْتِيَا حُهُ إِسْنَا الْفَجْرِ وَإِمَامًا عَلَى الدُّجَا أَسْفَا

٤٢٨ (الصَّقْرُ) . أَحَدُ أَنْوَاعِ الْجَوَارِحِ الْأَرْبَعَةِ وَهِيَ الصَّقْرُ
وَالشَّاهِينُ وَالْعَقَابُ وَالْبَازِي وَتَمَّتْ أَيْضًا بِالسَّبَاعِ . وَهُوَ أَصْبَرُ عَنِ
الشَّدَةِ وَأَحْمَلُ لِعَلِيقِ الْغَدَاةِ وَالْأَذَى وَأَحْسَنُ الْفَأِ وَأَشَدُّ إِقْدَامًا عَلَى
جَمَلَةِ الطُّيْرِ مِنَ الْكُرْكِيِّ وَغَيْرِهِ . وَصَيْدُهُ أَعْجَبُ مِنْ جَمِيعِ الْجَوَارِحِ
فَإِذَا أُرْسِلَ صَقْرَانِ عَلَى طَبِيعَةٍ أَوْ بَقَرٍ وَحْشٍ يَنْزِلُ أَحَدُهُمَا عَلَى رَأْسِهِ
وَيَضْرِبُ بِجَنَاحِهِ عَيْنَيْهِ ثُمَّ يَقُومُ وَيَنْزِلُ الْآخَرُ وَيَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ
وَيَسْتَعْلَانِهِ عَنِ الْمَشِيِّ حَتَّى يُدْرِكَهُ مَنْ يَبْطِشُ بِهِ . وَمِنْ أَعْجَبِ أَنْ
الصَّقْرُ مَعَ صَغَرِ جُثَّتِهِ يَثْبُتُ عَلَى الْكُرْكِيِّ مَعَ ضَخَامَتِهِ (الدميري)

٤٢٩ (الْقُبْرَةُ) . الطَّائِرُ ذُو الْأَصْوَاتِ الْمُطْرِبَةِ وَالنَّعَمَاتِ الْمَزِيدَةِ
 عَلَى رَأْسِهِ قُنْرَعَةٌ شَبِيهَةٌ بِمَا لِلطَّائِرِ . وَهُوَ شَدِيدُ الْإِحْتِيَاطِ إِذَا وَقَعَ
 عَلَى شَيْءٍ يَنْظُرُ يَمِينَهُ وَشِمَالَهُ وَوَرَاءَهُ . وَمَعَ كَثْرَةِ احْتِيَاطِهِ كَثِيرُ الْوُقُوعِ
 فِي الْفِتَنِ يَتَّخِذُ عُمُلاً عَجِيباً لَهُ تَأْلِيفٌ مُجِيبٌ . وَهُوَ أَنَّهُ يَعْمِدُ إِلَى ثَلَاثَةِ
 أَعْوَادٍ مِنْ شَجَرَةِ الْكُرْمِ أَوْ شَجَرَةٍ مِثْلِهَا عَرِيضَةً الْأُورَاقِ . وَيَأْتِي
 بِحَشِيشٍ فِي غَايَةِ اللَّطَافَةِ وَيَنْسُجُ بَيْنَ تِلْكَ الْأَعْوَادِ سَائِلَةً لَطِيفَةً
 عَجِيبَةً التَّأْلِيفِ لَا يُمَكِّنُ لِلْبَشَرِ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهَا . وَيَدْعُو الْبَيْضَةَ فِيهَا
 وَتَكُونُ السَّائِلَةُ مُسْتَتِرَةً بِأُورَاقِ الشَّجَرِ لَا يَرَاهَا شَيْءٌ مِنْ جَوَارِحِ
 الطَّيْرِ . حَكَى بَعْضُهُمْ قَالَ : كَانَ طَرَفَةٌ مَعَ عَمَةٍ فِي سَفَرٍ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ
 سِنِينَ فَتَزَلُّوا عَلَى مَاءٍ فَذَهَبَ طَرَفَةٌ بِفُتْحٍ لَهُ إِلَى مَكَانٍ فَصَبَّهَ لِقَتَابٍ
 وَبَقِيَ عَامَّةُ يَوْمِهِ لَمْ يَصِدْ شَيْئاً . ثُمَّ حَمَلَ فَتَحَهُ وَعَادَ إِلَى عَمَةٍ فَرَحَلُوا
 مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ فَرَأَى الْقَتَابُ يَأْتِطُنَ مَا نَثَرَهُنَّ مِنْ الْحَبِّ فَقَالَ :
 يَا لَكَ مِنْ قُبْرَةٍ بِعَمَرٍ خَلَا لَكَ الْجَوْ فَبِغْضِي وَأَضْغَرِي
 قَدْ رُفِعَ الْفُتْحُ فَمَاذَا تُحْذِرِي وَنَقَرِي مَا شِئْتَ أَنْ تَنْقَرِي
 قَدْ ذَهَبَ الصِّيَادُ عَنْكَ فَأَبْشِرِي لَا بُدَّ مِنْ أَخْذِكَ يَوْمًا فَأَحْذِرِي

الهُوَامُ وَالْحَشَرَاتُ

٤٣٠ (حَيَّةٌ) . إِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْحَيَوَانَاتِ خَلْقَةً وَأَشَدِّهَا بَأْسًا وَأَقَلِّهَا
 غِذَاءً وَأَطْوَلَهَا عُمرًا . قَالُوا أَلَيْسَ فِي حَيَوَانَاتِ الْبَرِّ شَيْءٌ يَقْتُلُ نَهْشُهُ
 أَسْرَعَ مِنَ الْحَيَّةِ وَلَا شَيْءٌ يَغْتَذِي بِالتُّرَابِ غَيْرُهَا . وَمِنْ عَجَائِبِ الْحَيَّةِ

أَنَّهُ إِذَا عَرَفَتْ أَنَّهَا مَقْتُولَةٌ أَحْرَزَتْ رَأْسَهَا بِبَدَنِهَا وَجَعَلَتْ بَدَنَهَا وَفَاءَةً
لِرَأْسِهَا وَلَا تَزَالُ تَنْطَوِي لِأَلَّا تَقَعَ الضَّرْبَةُ عَلَى رَأْسِهَا مِلَالُ الْحَيَاةِ .
وَلَيْسَ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ مِثْلُ الْحَيَّةِ إِلَّا وَجَسَمُ الْحَيَّةِ أَقْوَى مِنْهُ .
وَلِذَلِكَ إِذَا أَدْخَلَتْ صَدْرَهَا فِي جُحْرٍ أَوْ صَدَعٍ لَمْ يَسْتَطِعْ أَقْوَى النَّاسِ
إِخْرَاجَهَا مِنْهُ وَرَبَّمَا تَقَطَّعَتْ وَلَا تَخْرُجُ . وَلَيْسَ لَهَا قَوَائِمٌ وَلَا أَظْفَارُ
تَتَثَبَّتُ بِهَا وَإِنَّمَا قَوِي ظَهْرُهَا هَذِهِ الْقُوَّةُ الْكَثِيرَةُ أَضْلَاعُهَا فَإِنَّ لَهَا
ثَلَاثِينَ ضِلْعًا . وَإِذَا مَشَتْ عَلَى بَطْنِهَا فَتَتَدَاغُ أَجْزَاؤُهَا وَتَسْمَى بِذَلِكَ
الدَّفْعُ الشَّدِيدُ . وَلِسَانُهَا مَشْفُوقٌ فَيُظَنُّ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ لَهَا لِسَانَيْنِ .
وَتُوصَفُ بِالنَّهْمِ وَالشَّرِّ لِأَنَّهَا تَبْتَلِعُ الْفَرَاحَ مِنْ غَيْرِ مَضْغٍ كَمَا يَفْعَلُ
الْأَسَدُ . وَمِنْ شَأْنِهَا أَنَّهَا إِذَا أَبْتَلَعَتْ شَيْئًا لَهُ عَظْمٌ أَتَتْ شَجَرَةً أَوْ نَحْوَهَا
فَتَلْتَوِي عَلَيْهَا التَّوَاءَ شَدِيدًا حَتَّى يَتَكَسَّرَ ذَلِكَ فِي جَوْفِهَا . وَالْحَيَّةُ مِنْ
الْأَمَمِ الَّتِي تَكُنُّ أَرْضُهَا فِي الصَّغَرِ وَالْكَبِيرِ وَالتَّعَرُّضِ لِلنَّاسِ وَالْهَرَبِ
مِنْهُمْ . فَمِنْهَا مَا لَا يُرْذَى إِلَّا إِذَا وَطِنُهُ وَاطَى وَمِنْهَا مَا لَا يُؤْذِي إِلَّا إِذَا
أَذَاهُ النَّاسُ مَرَّةً . وَمِنْهَا الْأَسْوَدُ الَّذِي يَحْقِدُ وَيَتَكَبَّرُ حَتَّى يُدْرِكَ
طَالِبَهُ . وَشَرُّ الْحَيَّاتِ الْأَفَاعِي وَمَسَاكِنُهَا الرَّمَالُ وَالْأَفْعَى حَيَّةٌ رَقْشَاءُ
دَقِيقَةُ الْعُنُقِ عَرِيضَةُ الرَّأْسِ . وَالْبَقْرُ الْوَحْشِيُّ يَأْكُلُهَا أَكْلًا ذَرِيعًا
وَهِيَ أَعْدَى عَدُوِّ الْإِنْسَانِ . قَالَ الْجَالِظُ : الْأَفْعَاءُ تَظْهَرُ الصَّيْفَ فِي
أَوَّلِ اللَّيْلِ إِذَا سَكَنَ وَهَجُ ظَهْرِ الْأَرْضِ فَتَأْتِي قَارِعَةُ الطَّرِيقِ وَتَسْتَدِيرُ
كَأَنَّهَا رَحَا وَيَلْصِقُ بَدَنُهَا بِالْأَرْضِ وَيَشْخَصُ رَأْسُهَا مُتَعَرِّضَةً لِأَنَّهُ يَطَأُ

إِنْسَانٌ أَوْ دَابَّةٌ لِنَفْسِهِ وَنَفْسُهَا مَوْتُ سَرِيعٌ

٤٣١ (السَّجَابُ) . حَيَوَانٌ عَلَى حَدِّ الْبُرُوعِ . أَكْبَرُ مِنَ الْفَارِ وَشَعْرُهُ فِي غَايَةِ النُّعُوبَةِ يُتَّخَذُ مِنْ جُلْدِهِ الْفَرَاءُ يَلْبَسُهُ الْمُتَنَعِمُونَ . وَهُوَ شَدِيدُ الْحِيلِ إِذَا أَبْصَرَ الْإِنْسَانَ صَعِدَ الْعِمَاقَ وَفِيهَا يَأْوِي وَمِنْهَا يَأْكُلُ . وَهُوَ كَثِيرُ بِلَادِ الصَّقَالِبَةِ وَالتُّرْكِ وَمِزَاجُهُ حَارٌّ رَطْبٌ لِسْرَعَةِ حَرَكَتِهِ عَنْ حَرَكََةِ الْإِنْسَانِ . وَأَحْسَنُ جُلُودِهِ الْأَزْرَقُ الْأَمَّاسُ

٤٣٢ (عَثْرَبٌ) . أَخْبَثُ الْحَشَرَاتِ . تَلْدَغُ كُلَّ شَيْءٍ تَلْقَاهُ وَلَهَا ثَمَانِيَةُ أَرْجُلٍ وَعَيْنَاهَا عَلَى بَطْنِهَا . وَإِذَا لَدَغَتْ هَرَبَتْ فِي الْحَالِ . وَإِذَا خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهَا أَوَّلَ اللَّيْلِ تَلْدَغُ كُلَّ شَيْءٍ تَلْقَاهُ مِنْ حَيَوَانٍ أَوْ جَمَادٍ وَرُبَّمَا ضَرَبَتْ الْحَجَرَ وَالْمَدْرَ . وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ :

رَأَيْتُ عَلَى صَخْرَةٍ عَثْرَبًا وَقَدْ جَعَلَتْ ضَرْبَهَا دَيْدَنًا
فَقُلْتُ لَهَا إِنَّهَا صَخْرَةٌ وَطَبْعُكَ مِنْ طَبْعِهَا أَلَيْسَا
فَقَالَتْ صَدَقْتَ وَلَكِنِّي أُرِيدُ أَعْرِفَهَا مَنْ أَنَا

وَمِنْ عَجِيبِ أَمْرِهَا أَنَّهَا لَا تَضْرِبُ أَلَيْتَ وَلَا النَّائِمَ حَتَّى يَتَحَرَّكَ بِشَيْءٍ مِنْ بَدَنِهِ فَإِنَّهَا عِنْدَ ذَلِكَ تَضْرِبُهُ . وَمِنْ شَأْنِهَا أَنَّهَا إِذَا أَسَعَتْ الْإِنْسَانَ فَرَّتْ فِرَارَ مُسِيٍّ يَخْشَى الْعِقَابَ (الدميري)

٤٣٣ (قُنُقُذٌ) . الْحَيَوَانُ الَّذِي سِلَاحُهُ عَلَى ظَهْرِهِ وَهُوَ الشُّوكُ الَّذِي عَلَيْهِ وَيَقْبَعُ بِحَيْثُ لَا يَتَيَّنُ مِنْ أَطْرَافِهِ شَيْءٌ . وَيَسْتَطِيبُ الْهَوَاءَ وَيَتَّخِذُ لِمَسْكِنِهِ بَابَيْنِ أَحَدُهُمَا مُسْتَقْبِلُ الشِّمَالِ وَالْآخَرُ مُسْتَقْبِلُ الْجَنُوبِ .

وَيُعَادِي الْحَيَّةَ فَإِنْ ظَفِرَ بِقَفَّاهَا أَكَلَهَا بِأَسْهَلِ طَرِيقٍ وَإِنْ ظَفِرَ بِذَنْبِهَا
عَضَّ ذَنْبَهَا وَيَتَّبِعُ. وَيُعْطَى الْحَيَّةُ ظَهْرُهَا فَالْحَيَّةُ تَضْرِبُ نَفْسَهَا عَلَى شَوْكِهِ
حَتَّى تَهْلِكَ. وَيَصْعَدُ الْكُرْمُ وَيَرْمِي حَبَاتِ الْعَنَابِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ
يَتَمَرَّغُ فِي الْحَبَّاتِ لِيَدْخُلَ شَوْكُهُ فِي الْحَبَّاتِ وَيَحْمِلُهَا إِلَى أَوْلَادِهِ.
وَمِنْهَا صَنْفٌ يُقَالُ لَهُ الدُّلْدُلُ وَهُوَ أَكْبَرُ جِسْمًا مِنَ الْقُنْفُذِ وَأَطْوَلُ شَوْكًا.
نُسِبَتْ لَهُ إِلَى الْقُنْفُذِ كَنِسْبَةِ الْجَامُوسِ إِلَى الْبَقَرِ قَالُوا إِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْمِيَ
بِشَوْكِهِ حَيَوَانًا أَوْ جَمَادًا أَوْ عَدُوًّا يَرْمِيهِ كَرْمِي النَّشَابِ وَلَا يُخْطِئُ.
فَتَمَّ الشَّوْكَةُ كَرْمِي النَّشَابِ الْمُسَدَّدِ وَتَبَّتْ فِيهِ

٤٣٤ (مَثَلٌ). حَيَوَانٌ حَرِيصٌ عَلَى جَمْعِ الْغِذَاءِ وَهُوَ عَظِيمُ الْحِيلَةِ فِي
طَابِ الرِّزْقِ فَإِذَا وَجَدَ شَيْئًا أَنْذَرَ الْبَاقِينَ لِيَأْتُوا إِلَيْهِ. وَيُقَالُ إِنَّمَا
يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْهَا رُؤُسًا وَهَامًا. وَمِنْ طَبْعِهِ أَنَّهُ يَحْتَكِرُ قُوَّتَهُ مِنْ زَمَنِ
الصَّيْفِ لِمَنْ الشِّتَاءِ. وَلَهُ فِي الْأُحْتِكَارِ مِنَ الْحَيْلِ مَا إِنَّهُ إِذَا أُحْتَكِرَ
مَا يَخَافُ أَنْ يَنْفُسَهُ نِصْفَيْنِ مَا خَلَا الْكُسْبُورَةُ فَإِنَّهُ يَقْسِمُهَا أَرْبَاعًا أَلَا أَلْهِمَ
مِنْ أَنْ كُلَّ نِصْفٍ مِنْهَا يَنْبُتُ وَإِذَا خَافَ الْعَفْنُ عَلَى الْحَبِّ أَخْرَجَهُ إِلَى
ظَاهِرِ الْأَرْضِ وَنَشَرَهُ وَإِذَا أَحْسَتْ بِالْغَيْمِ رَدَّتْهُ إِلَى مَكَانِهَا خَوْفًا مِنَ
الْمَطَرِ. فَإِنْ أَتَى شَيْءٌ مِنْهَا تَبَسُّطُهُ يَوْمَ الصَّبْحِ فِي الشَّمْسِ. وَمِنْ عَجَائِبِهِ
اتِّخَاذُهُ الْقَرْيَةِ تَحْتَ الْأَرْضِ وَفِيهَا مَنَازِلُ وَدَهَالِيزُ وَغُرَفٌ وَطَبَقَاتُ
مُنْعَطَفَاتٍ يَلْأَمُهَا حُبُوبًا وَذَخَائِرُ لِلشِّتَاءِ. وَتَجْعَلُ بَعْضُ بُيُوتِهَا مُنْخَفِضًا
لِيَنْصَبَ إِلَيْهِ الْمَاءُ وَبَعْضُهَا مُرْتَفِعًا لِلْحَبِّ. وَمِنْهَا أَيْضًا أَنَّهُ مَعَ لَطَافَةِ

شخصه وخفة وزنه له شم ليس شيء من الحيوان مثل ذلك . فإذا وقع شيء من يد الإنسان في موضع لا ترى فيه شيئاً من النيل فلا يلبث أن يقبل كالخيط الأسود الممدود إلى ذلك الشيء . ويشم رائحة الشيء الذي لو وضعته على أنفك ما وجدت له رائحة (للقزويني)

السبح

٤٣٥ السبح من خلق الماء وهو أنواع كثيرة ومنه كبار . وما لا يدركه الطرف لصغره وكل يأوي الماء ويستشقه كما يستشق بنو آدم وحيوان البر الهواء إلا أن حيوان البر يستشق الهواء بالأنف ويصل بذلك إلى قصة الرئة . والسبح يستشق بأصدغه فيقوم له الماء في تولد الروح الحيواني في قلبه مقام الهواء . وإنما استغنى عن الهواء في إقامة الحياة ولم تستغن نحن وما أشبهنا من الحيوان عنه لأنه من عالم الماء ونحن من عالم الأرض . وصغار السبح تحترس من كباره ولذلك تطالب ماء الشطوط والماء القليل الذي لا يحمل الكبير . وهو شديد الحركة لأن قوته العنيفة الإرادة تجري في مسلك واحد لا ينقسم في عضو خاص . وهذا بعينه موجود في الحيات . ومن جملة أنواعه السقنقور والدندين والجرفال والتمساح . ومن أصنافه ما هو على شكل الحيات وغير ذلك

٤٣٦ (الدندين) دابة من البحر تنجى الغريق بكفه من ظورها ليستعين به على السباحة . وهو كثير بأوخر نيل مصر من جهة البحر

أَمْلَحَ لِأَنَّهُ يَقْدِفُ بِهِ الْبَحْرُ إِلَى الْبَلَدِ . وَصَفَتْهُ كَصِفَةِ الرِّقِّ الْمَنْفُوحِ .
وَأَمَّا رَأْسُ صَغِيرٍ جَدًّا وَلَيْسَ فِي دَوَابِّ الْبَحْرِ مَالُهُ رُبَّةٌ سِوَاهُ فَلِذَاكَ
يُسَمَّى مِنْهُ التَّنْفُخُ وَالنَّفْسُ . وَهُوَ إِذَا ظَهَرَ بِالْغَرِيقِ كَانَ أَقْوَى الْأَسْبَابِ فِي
مُجَاتِهِ لِأَنَّهُ لَا يَزَالُ يَدْفَعُهُ إِلَى الْبَرِّ حَتَّى يُنَجِّيه . وَلَا يُؤْذِي أَحَدًا وَلَا
يَأْكُلُ إِلَّا السَّمَكَ . وَرُبَّمَا ظَهَرَ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ كَأَنَّهُ مَيِّتٌ وَهُوَ يَأْكُلُ وَيَرْجِعُ .
وَأَوْلَادُهُ تَتَّبِعُهُ حَيْثُ ذَهَبَ وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا فِي الصَّيْفِ . وَمِنْ طَبْعِهِ الْأَنْسُ
بِالنَّاسِ وَإِذَا صِيدَ جَاءَتْ دَلَافِينَ كَثِيرَةٌ لِقِتَالِ صَائِدِهِ . وَإِذَا لَبِثَ فِي
الْعُمُقِ حِينًا حَبَسَ نَفْسَهُ . ثُمَّ صَعِدَ مُسْرِعًا مِثْلَ السَّهْمِ لِطَلَبِ النَّفْسِ
فَإِنْ كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ سَفِينَةً وَثَبَ وَثْبَةً أَرْتَفَعَ بِهَا السَّفِينَةُ (للدِّمِيرِي)

أَبَابُ الرَّابِعِ عَشَرَ فِي التَّارِيخِ

ذكر دولة الكلدانيين (من ١٩٠٠ إلى ٥٣٨ قبل المسيح)

٤٣٧ الكلدانيون أُمَّة قَدِيمَةُ الرِّئَاسَةِ نَبِيَّهُ الْمَلُوكُ . كَانَ مِنْهُمْ
النَّارِدَةُ الْجَبَّارَةُ الَّذِينَ كَانَ أَوَّلُهُمْ نَمْرُودٌ مِنْ بَنِي حَامٍ بَنِي نُوحٍ .
وَكَانَ مِنْ وَلَدِ نَمْرُودَ بَنَتْ نَصْرُ الَّذِي غَزَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا
كَثِيرًا وَسَبَى بَقِيَّتَهُمْ . وَغَزَا مِصْرَ وَأَفْتَحَهَا وَدَوَّخَ كَثِيرًا مِنَ الْبِلَادِ
(٦٠٦) . وَلَمْ يَزَلْ مُلْكُ الْكَلْدَانِيِّينَ بِبَابِلَ إِلَى أَنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمُ الْفُرسُ

وَعَلَبُوهُمْ عَلَى مَمْلَكَتِهِمْ وَأَبَادُوا كَثِيرًا مِنْهُمْ فَدَرَسَتْ أَخْبَارُهُمْ وَصُحِبَتْ
 آثارُهُمْ (٥٣٨). وَكَانَتْ لَهُمْ عِنَايَةٌ بِأَرْصَادِ الْكَوَاكِبِ وَتَحَقُّقِ بِلَاحِ أَسْرَارِ
 الْفَلَكَ وَمَعْرِفَةِ مَشْهُورَةِ طَبَائِعِ النُّجُومِ وَأَحْكَامِهَا. وَهُمْ نَهَجُوا لِأَهْلِ
 الشَّقِّ الْغَرْبِيِّ مِنْ مَعْمُورِ الْأَرْضِ الطَّرِيقَ إِلَى تَذْيِيرِ الْهَلَاكِ
 لِإِظْهَارِ طَبَائِعِ الْكَوَاكِبِ بِضُرُوبِ التَّدَابِيرِ الْخُصُوصَةِ بِهَا. وَلَمْ يَصِلْ
 إِلَيْنَا مِنْ مَذَاهِبِ الْكَلْدَانِيِّينَ فِي حَرَكَاتِ النُّجُومِ وَلَا مِنْ أَرْصَادِهِمْ
 غَيْرُ الْأَرْصَادِ الَّتِي نَقَلَهَا عَنْهُمْ بَطْلِمَيْوسُ فِي كِتَابِ الْخَمْسِي

ذَكَرَ الْفَرَسَ وَدَوْلَهُمْ وَمِنْ اشْتَهَرَ مِنْ دَوْلَتِهِمْ

٤٣٨ أَمَّا الْفَرَسُ فَأَهْلُ الشَّرَفِ الشَّامِخِ وَالْعِزِّ الْبَازِخِ وَأَوْسَطِ
 الْأُمَمِ دَارًا وَأَشْرَفِهِمْ إِقْلِيًا وَأَسْوَسِهِمْ مَلَكًا تَجَمُّعِهِمْ وَتَدَفُّعِ ظُلُمِهِمْ عَنْ
 مَظْلُومِهِمْ. وَتَحَمُّلِهِمْ مِنَ الْأُمُورِ عَلَى مَا فِيهِ حَظُّهُمْ. عَلَى اتِّصَالِ وَدَّامِ
 وَأَحْسَنِ التَّيَامِ وَالنِّتَازِ. وَخَوَاصِ الْفَرَسِ عِنَايَةٌ بِاللُّغَةِ بِصِنَاعَةِ الطَّبِ
 وَمَعْرِفَةُ تَأْقِيَةِ أَحْكَامِ النُّجُومِ. وَكَانَتْ لَهُمْ أَرْصَادُ قَدِيمَةٍ وَقَالَ
 بَعْضُ عُلَمَاءِ الْعَجَمِ: أَوَّلُ مَنْ مَلَكَ بَعْدَ الطُّوفَانِ كَيُومَرْتُ مِنْ بَنِي
 سَامٍ. وَكَانَ يَنْزِلُ فَارِسَ وَأَتَّخَذَ الْأَلَاتِ لِإِصْلَاحِ الطَّرِيقِ وَحَفَرِ
 الْأَنْهَارِ وَذَبَحَ مَا يُؤْكَلُ مِنَ الْحَيَوَانِ وَقَتَلَ السِّبَاعَ. وَمَا زَالَ الْمَلِكُ فِي
 وَلَدِهِ إِلَى أَنْ مَلَكَ دَارًا الَّذِي غَزَاهُ الْإِسْكَندَرُ وَقَتَلَ فِي الْمَعْرَكَةِ (٣٣٣).
 ثُمَّ مَلَكَتِ الدَّوْلَةُ الْأَشْكَانِيَّةُ وَأَوَّلُهُمْ أَشْكُ (٢٦٦ قَبْلَ الْمَسِيحِ)
 وَتَسَمَّى خُلَفَاؤُهُ بِالشَّاهِيَّةِ. وَدَامَ الْمَلِكُ فِيهِمْ إِلَى أَنْ ظَهَرَتِ الْمَمْلُوكَةُ

السَّاسَانِيَّةُ (٢٢٦) للمسيح (أولهم أزدشير بن باباك من بني كشتاسب
فأحسن السيرة وبسط العدل (لأبي الفرج)

٤٣٩ وأشتهر في الدولة السَّاسَانِيَّة (سابور بن أزدشير ٢٤١ -
٢٧٢) وكان جميل الصورة حاز ما شُخص إلى نصيبين فملكها عنوة .
فقتل وسبي وأفتتح من الشام مدناً وأسر والآريانس وحمله إلى
جنديسابور ويقال جدد أنفه بل قتله . ويقال في زمانه استخرجت
العود وهي الملهة التي يغني بها . ومنهم (بهرام بن هرمز ٢٧٦) وكان
حليماً وقوراً وأحسن السيرة وأفتدى آباءه وكان ماني صاحب القول
بالنور والظلمة في أيامه فجمع بهرام العلماء لامتحانهم فأشاروا بكفره
فقتله . ومنهم (سابور بن هرمز ٣١٠ - ٣٨٠) . وظهر منه نجابة
عظيمة من صباه فلما بلغ من العمر ست عشرة سنة أُنخب فرسان
عسكره عدة وسار بهم إلى العرب وقتل من وجده منهم . وكان ينزع
الكثاف الأسرى فسمي سابور ذا الأكتاف . ولم ينزل بماء للعرب
إلا وغوره ولا يتر إلا وطئها ثم عطف على بلاد الروم فقتل منهم
وسبي حتى هادته قسطنطين . واستمر على ذلك حتى توفي قسطنطين
وبنوه . ثم ملك على الروم يوليئس وأرشد إلى عبادة الأصنام وقتل
النصارى وأحرب الكنائس وأحرق الإنجيل . وسار إلى قتال سابور
فأصابه سهم في بعض حروبه غرب في فواده فقتله (٣٦٣) . وانتظم
أصلح والمودة بين الفرس والروم . ومنهم (أنوشروان ٥٣١) هذا

نَوِي بَعْدَ ضَعْفِهِ بِإِدَامَةِ أَنْظَرٍ وَهَجَرَ الْمَلَاذَ وَتَرَكَ الدُّنْيَا . وَقَوَّى جُنْدَهُ
بِالْأَسْلِحَةِ وَالْكَرَاعِ وَعَمَّرَ الْبِلَادَ وَرَدَّ إِلَى مُلْكِهِ كَثِيرًا مِنْ الْأَطْرَافِ
الَّتِي غَلَبَتْ عَلَيْهَا الْأُمَمُ بِعِلَالٍ وَأَسْبَابٍ شَتَّى مِنْهَا السِّندُ وَصُخَارِيسْتَانَ
وَدُورُستَانَ وَغَيْرَهَا وَبَنَى الْمَعَاقِلَ وَالْحُصُونِ . وَمِنْهُمْ هَرْمَزُ بْنُ
أَنُوشِروَانَ (٥٧٩) وَكَانَ عَادِلًا يَأْخُذُ لِلْأَدْنَى مِنَ الشَّرِيفِ وَبَالِغَ فِي
ذَلِكَ حَتَّى أَبْغَضَهُ خَوَاصُّهُ وَأَقَامَ الْحَقَّ عَلَى بَنِيهِ وَنَحْبِيهِ وَأَفْرَطَ فِي
الْعَدْلِ . ثُمَّ تَوَارَثَ بَنُوهُ الْمُلُوكَ إِلَى أَنْ مَلَكَ يَزْدَجَرْدُ بْنُ شَهْرِبَارَ الْعَادِلِ
يَهُوَ آخِرُ مُلُوكِ الْفَرَسِ . فَلَمَّا مَلَكَ انْتَقَضَتْ عَلَيْهِ الدَّوْلَةُ وَتَفَاقَتِ
أُمُورُهَا وَطَلَعَتْ أَعْلَامُ الْإِسْلَامِ بِالنُّصْرَةِ (٦٤١) (لَانِي الْفَدَاءُ)

نظر في دولة اليونانيين وفلاسفتهم (من ٨٨٤ الى ١٤٦ قبل المسيح)

٤٤٥ أَمَّا الْيُونَانِيُّونَ فَمَكَانُوا أُمَّةً عَظِيمَةً الْقَدْرِ فِي الْأُمَمِ . طَائِرَةٌ
الذِّكْرِ فِي الْأَفَاقِ فَخْمَةٌ الْمُلُوكِ . مِنْهُمْ الإسْكَندَرُ بْنُ فِيلِيفُوسَ
الْمَقْدُونِيِّ (٣٣٦) الَّذِي أَجْمَعَ مُلُوكَ الْأَرْضِ طَرَأًا عَلَى الطَّاعَةِ لِسُلْطَانِهِ .
وَكَانَ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ مُلُوكِ الْيُونَانِيِّينَ الْبَطَالِسَةُ (٣٠١ - ٣٠) دَامَتْ
لَهُمُ الْمَمَالِكُ وَذَلَّتْ لَهُمُ الرِّقَابُ . وَلَمْ يَزَلْ مُلْكُهُمْ مُتَّصِلًا إِلَى أَنْ غَلَبَ
عَلَيْهِمُ الرُّومُ . وَكَانَتْ بِلَادُ الْيُونَانِيِّينَ فِي الرَّبْعِ الْغَرْبِيِّ الشِّمَالِيِّ مِنَ
الْأَرْضِ . وَالْقِسْمُ الْأَعْظَمُ مِنْهَا فِي حَيْزِ الْمَشْرِقِ وَالْقِسْمُ الْأَصْغَرُ مِنْهَا
فِي حَيْزِ الْمَغْرِبِ . وَلُغَةُ الْيُونَانِيِّينَ أَوْسَعُ اللُّغَاتِ وَأَجْلَاهَا . وَكَانَتْ عَامَّةُ
الْيُونَانِيِّينَ صَابِغَةً مُعْظَمَةً لِلْكُوكِبِ دَائِنَةً بِعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ . وَالْفَلَسِيفَةُ

مِنْهُمْ مَنْ أَرْفَعَ النَّاسَ طَبَقَةً وَأَجَلِ أَهْلِ الْعِلْمِ مَنَزَلَةً لِمَا ظَهَرَ مِنْهُمْ مِنَ
 الْإِعْتِنَاءِ بِفَنُونِ الْحِكْمَةِ وَمَعَارِفِ السِّيَاسَاتِ الْمُنْزِلِيَّةِ (الابي الفرج)
 ٤٤١ وَجَمِيعُ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ مَأْخُودَةٌ عَنِ الْيُونَانِيِّينَ مِثْلَ الْعُلُومِ
 الْمُنْطَقِيَّةِ وَالطَّبِيعِيَّةِ وَالْإِلَهِيَّةِ وَالرِّيَاضِيَّةِ . وَالْعِلْمُ الرِّيَاضِي مُشْتَمِلٌ عَلَى
 عِلْمِ الْهَيْئَةِ وَالْهَنْدَسَةِ وَالْحِسَابِ وَاللَّحُونِ وَالْإِقْبَاعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . وَكَانَ
 الْعَالَمُ بِهَذِهِ الْعُلُومِ يُسَمَّى فِيلَسُوفًا وَتَفْسِيرُهُ مَحِبُّ الْحِكْمَةِ . وَمِنْ
 فَلَسِيفَتِهِمْ (ثَالِيسُ الْمَلَطِي ٦٣٩) . (وَفِيثَاغُورُسُ ٤٨٠) مِنْ كِبَارِ الْحُكَمَاءِ
 وَالْفَلَاحِيَّةِ . كَانَ يَقُولُ : مَا تَمَعْتُ شَيْئًا أَلَدَّ مِنْ حَرَكَاتِ الْأَفْلاكِ وَلَا
 رَأَيْتُ شَيْئًا أَبْهَى مِنْ صُورَتِهَا . وَمِنْهُمْ بِقْرَاطُ الْحَبِيبِ الطَّيِّبُ
 الْمَشْهُورُ . وَمِنْهُمْ (سُقْرَاطُ ٤٧٠) وَكَانَ حَكِيمًا فَاضِلًا زَاهِدًا اشْتَغَلَ
 بِالرِّيَاضَةِ وَأَعْرَضَ عَنِ مَلَاذِ الدُّنْيَا . وَنَهَى النَّاسَ عَنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ
 فَثَارَتْ عَلَيْهِ الْعَامَّةُ وَالْجَاوِزُ مَلَاحِمُهُمْ إِلَى قَتْلِهِ فَجَبَسَهُ ثُمَّ سَدَّاهُ سَمَاتَاتٍ .
 وَمِنْهُمْ (أَفْلَاطُونُ الْإِلَهِي ٤٣٠) وَكَانَ تَلْمِيزًا إِسْقْرَاطُ . وَلَمَّا أُغْتِيلَ
 سُقْرَاطُ بِالسَّمِّ قَامَ أَفْلَاطُونُ مَقَامَهُ وَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّهِ . وَمِنْهُمْ
 أَرِسْطَاطَالِيسُ (٣٨٤) وَكَانَ تَلْمِيزًا لِأَفْلَاطُونِ وَلَمَّا صَارَ عَمْرُ أَرِسْطُو
 الْمَذْكُورِ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً أَسْلَمَهُ أَبُوهُ إِلَى أَفْلَاطُونِ فَمَكَثَ عِنْدَهُ ثِنْيَا
 وَعَشْرِينَ سَنَةً ثُمَّ صَارَ حَكِيمًا مَبْرُورًا يُشْتَغَلُ عَلَيْهِ . وَمِنْ جُمْلَةِ تَلَامِيزَةِ
 أَرِسْطُو الْمَلِكُ إِسْكَنْدَرُ الَّذِي مَلَكَ غَالِبَ الْمَعْمُورِ مِنَ الْغَرْبِ إِلَى
 الشَّرْقِ وَأَقَامَ الْإِسْكَنْدَرُ يَتَعَلَّمُ عَلَى أَرِسْطُو خَمْسَ سِنِينَ وَبَلَغَ فِيهَا

أَحْسَنَ الْمُبَالِغِ وَنَالَ مِنَ الْفَلَسَفَةِ مَا لَمْ يَنَلْ سَائِرُ تَلَامِيذِ أَرِسْطُو . وَمِنْهُمْ
 أَفْلَيْدُسُ (٣٢٠) صَاحِبُ كِتَابِ الْإِسْتِقْصَاتِ الْمُسَمَّى بِاسْمِهِ وَكَانَ فِي
 أَيَّامِ مُلُوكِ الْيُونَانِ الْبَطَالِسَةِ . فَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ أَرِسْطُو بِبَعِيدٍ . وَأَمَّا
 بَطْلِيمُوسُ وَجَالِينُوسُ فَإِنَّ زَمَانَهُمَا مُتَأَخِّرٌ عَنْ زَمَنِ الْيُونَانِ وَكَانَا فِي
 زَمَنِ الرُّومِ وَقَدْ أَذْرَكَ جَالِينُوسُ زَمَنَ بَطْلِيمُوسَ وَبَطْلِيمُوسُ هُوَ
 الْمُصَنِّفُ الْمَجَسْطِي . وَمِنْهُمْ فَرْفُورِيُوسُ (٢٦٠ للمسيح) وَكَانَ مِنْ أَهْلِ
 مَدِينَةِ صُورَ عَلَى الْبَحْرِ الرُّومِيِّ بِالشَّامِ وَكَانَ بَعْدَ زَمَنِ جَالِينُوسَ . وَكَانَ
 عَامًا بِكَلَامِ أَرِسْطُو وَقَدْ فُسِّرَ كُتُبُهُ لِمَا شَكَا إِلَيْهِ النَّاسُ غُمُوضَهَا وَعَجْزَهُمْ
 عَنْ فَهْمِ كَلَامِهِ (لابن الاثير)

ملك اسكندر ذي القرنين (من ٣٣٦ الى ٣٢٣)

٤٤٢ وَمِنْ جَمَلَةِ مُلُوكِ الْيُونَانِيِّينَ الْإِسْكَندَرُ بْنُ فِيلِيفُوسَ الْمُقْدُونِيِّ
 الَّذِي أَجَمَعَ مُلُوكَ الْأَرْضِ طَرًّا عَلَى الطَّاعَةِ لِسُلْطَانِهِ وَمَلَكَ سِتَّ سِنِينَ
 بَعْدَ قَتْلِهِ دَارِيُوشَ . وَكَانَ قَدْ مَلَكَ قَبْلَ ذَلِكَ سِتًّا أُخْرَى وَفَتَحَ بِلَادًا
 كَثِيرَةً حَتَّى بَلَغَ مُلْكُهُ إِلَى أَقْصَى الْهِنْدِ وَأَوَائِلِ حُدُودِ الصِّينِ وَسَمَّى ذَا
 الْقَرْنَيْنِ لِابْلُوغِهِ قَرْنِي الشَّمْسِ وَهِيَ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ . وَقَتَلَ خَمْسَةَ
 وَثَلَاثِينَ مَلَكًا وَبَنَى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَدِينَةً مِنْهَا اثْنَتَانِ فِي بَلَدِ خُرَاسَانَ
 وَهِيَ هَرَاةُ وَمَرْوُ وَوَاحِدَةٌ فِي بَلَدِ السُّغْدِ وَهِيَ سَمَرْقَنْدُ . وَأُخْرَى فِي بَلَدِ
 الْقَبْطِ وَهِيَ الْإِسْكَندَرِيَّةُ . وَفِي عَوْدَتِهِ مِنَ الْهِنْدِ وَوُضُوْلِهِ إِلَى بَابِلَ
 مَاتَ مَسْمُومًا وَوُضِعَ فِي تَابُوتٍ ذَهَبٍ وَحُمِلَ عَلَى أَكْتَافِ الْمُلُوكِ

وَالْأَشْرَافِ إِلَى إِسْكَندَرِيَّةِ أَقْبَطَ وَدُفِنَ بِهَا. وَبَعْدَ مَوْتِ إِسْكَندَرَ
تَقَالَسَمَ الْمَمَالِكُ أَرْبَعَةً مِنْ عِيْدِهِ وَهُمْ بَطْلِيمُوسُ بْنُ لَافُوسَ
وَأَرِيْذَاوُسُ وَأَنْطِيُوخُوسُ وَسَلُوقُوسُ (لَا بِي الْفَرْجِ)

ذَكَرَ الرُّومَانِيْنَ وَمَبَادِي دَوْلَتِهِمْ إِلَى زَمَانِ النَّشِيجَةِ (مِنْ ٧٥٤ إِلَى ٥١٠ قَبْلَ تَسْمِيحِ)

٤٤٣ هَذِهِ الْأُمَّةُ مِنْ أَشْهَرِ أُمَمِ الْعَالَمِ وَمَوَاطِنُهُمْ مِنَ النَّاحِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ
مِنْ خَلِيجِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ إِلَى بِلَادِ الْأَفْرَجَةِ فِيمَا بَيْنَ الْبَحْرِ الْخَلِيطِ
وَالْبَحْرِ الرُّومِيِّ مِنْ شِمَالِهِ. وَكَانَ مَقَرُّ مُلُوكِهِمْ رُومَةَ الْكُبْرَى قَبْلَ
غَلَبَتِهِمْ عَلَى الْيُونَانِ. وَكَانَ الرُّومُ يَدِينُونَ بِدِينِ الصَّابِيِّينَ وَلَهُمْ أَصْنَامُ
عَلَى أَسْمَاءِ الْكَوَاكِبِ السَّبْعَةِ يَعْبُدُونَهَا. وَكَانَ مَبْدَأُ أَمْرِهِمْ أَنَّ بَرْقَاشَ
مَلِكَ الْأَطِينِيِّينَ بَعْدَ وَفَاتِهِ أَجَازَ الْمَلِكَ إِلَى حَافِدِيَّةٍ وَهِيَ رُومُلُسُ
وَرَامَاشُ وَأَشْتَقَ رُومُلُسُ اسْمَ رُومَةَ مِنْ اسْمِهِ (٧٥٤). وَكَانَتْ مِنْ أَحْفَلِ
مُدُنِ الْعَالَمِ لَمْ تَزَلْ دَارَ مَمْلُوكَةِ الْأَطِينِيِّينَ وَالْقِيَاصِرَةِ حَتَّى أَصْبَحَهُمُ
الْإِسْلَامُ وَهِيَ فِي هَالِكِهِمْ. ثُمَّ بَعْدَ ابْتِنَاءِ رُومَةَ وَثَبَ رُومُلُسُ عَلَى أَخِيهِ
فَقَتَلَهُ وَمَلِكًا بَعْدَ قَتْلِهِ ثَانِيًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَحَدَّهُ وَأَخَذَ رُومُلُسُ بِرُومَةَ
مَلَمًا عَجِيبًا. وَبَعْدَ رُومُلُسَ خَمْسَةٌ مِنْ الْمُلُوكِ (وَالْأَشْجَعِ سِتَّةً)
اِقْتَصَبَ ابْنُ أَخِيهِمْ رَجُلًا فِي زَوْجِهِ فَقَتَلَتْ نَفْسَهَا. فَسَمِيَ الْأَطِينِيُّونَ
وِلَايَةَ الْمُلُوكِ وَاجْتَمَعُوا أَنْ لَا يُؤْتُوا عَلَيْهِمْ مَلِكًا فَقَدَّمُوا شَيْوْخًا تَارَتْ
مِائَةً وَعِشْرِينَ يَدِيرُونَ أَمْرَهُمْ. وَصَارَ هَكَذَا أَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَ
الْوُزَرَاءِ (٥١٠). وَكَانَ الرُّومُ حُرُوبَ مَعَ الْأُمَّةِ الْخَبَاوِرَةِ لَهُمْ مِنْ كُلِّ

جِهَةً فَأَجَازُوا إِلَى أَفْرِيقِيَّةَ فَمَلَكُوهَا وَخَرَبُوا قَرطاجنةَ ثُمَّ مَلَكُوا جَزِيرَةَ
صَقَالِيَةَ (٢٤١) ثُمَّ جَزِيرَةَ الْأَنْدَلُسِ (٢٠٢) ثُمَّ حَارَبُوا الْيُونَانِيِّينَ (١٤٦)
ثُمَّ حَارَبُوا الْقُرْسَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَاسْتَوْلَوْا عَلَى الشَّامِ (٦٤) أَوْ مِصْرَ (٣٠)
لَخَبَرٍ عَنْ تَحْرِيبِ قَرطاجنةَ (مِنْ ٢٦٩ إِلَى ١٤٦ قَبْلَ الْمَسِيحِ)

٤٤٤ كَانَ بِنَاءُ قَرطاجنةَ قَبْلَ بِنَاءِ رُومَةَ بِثَمَانِينَ وَسَبْعِينَ سَنَةً
(وَالصَّحِيحُ بِمِائَةِ وَثَلَاثِ سِنِينَ) عَلَى يَدَي دِيدَنْ . وَكَانَ بِهَا أَمِيرٌ يُسَمَّى
مَلِكُونٌ وَهُوَ الَّذِي بَعَثَ إِلَى الإسْكَندَرِ بِطَاعَتِهِ عِنْدَ اسْتِبْالِهِ عَلَى
طَرَسُوسَ . ثُمَّ صَارَ مَلِكُ أَفْرِيقِيَّةَ إِلَى أَمَلْقَارَ مِنْ مَلِكِيهِمْ فَأَفْتَحَ صَقَالِيَةَ
وَهَاجَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرُّومَانِيِّينَ بِسَبَبِ أَهْلِ سَرْدَانِيَّةَ . ثُمَّ
وَقَعَتِ السَّلَامَةُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ وَلَّى بِقَرطاجنةَ أَمَلْقَارُ ابْنَهُ أَنْيْبَلُ فَأَجَازَ إِلَى
بِلَادِ الْإِفْرِجِ وَعَلَاهِمَ عَلَى بِلَادِهِمْ وَزَحَفَ إِلَيْهِ قُوَادِرُومَةُ فَوَالَى عَلَيْهِمُ
الْهَزَائِمَ وَبَعَثَ أَخَاهُ أَشْدَرُبَالَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ فَمَلَكَهَا وَخَالَفَهُ قُوَادِ
الرُّومَانِيِّينَ إِلَى أَفْرِيقِيَّةَ بَعْدَ أَنْ مَلَكُوا مِنْ حُصُونِ صَقَالِيَةَ أَرْبَعِينَ أَوْ
مِثْوَهَا ثُمَّ أَجَازُوا إِلَى أَفْرِيقِيَّةَ فَمَلَكُوهَا وَقَتَلُوا خَالِيفَةَ أَنْيْبَلِ فِيهَا
وَأَفْتَحُوا مَدِينَةَ جَرْدَا . وَخَرَجَ آخُرُونُ مِنْ قُوَادِرُومَةَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ
فَهَزَمُوا أَشْدَرُبَالَ وَاتَّبَعُوهُ إِلَى أَنْ قَتَلُوهُ (٢٠٧) . وَفَرَّ أَخُوهُ أَنْيْبَلُ
عَنْ بِلَادِهِمْ بَعْدَ ثَلَاثِ عَشْرَةِ سَنَةٍ مِنْ إِجَازَتِهِ إِلَيْهِمْ وَبَعْدَ أَنْ حَاصَرُوا
رُومَةَ وَأَخْنَفَ فِي تَوَاجِيهِهَا . فَحَقَّقَ بِأَفْرِيقِيَّةَ وَأَقَامَ قُوَادِ أَهْلَ رُومَةَ الَّذِينَ
أَجَازُوا إِلَى أَفْرِيقِيَّةَ فَهَزَمُوهُ . وَحَاصَرُوهُ بِقَرطاجنةَ حَتَّى سَأَلَ الصَّلَاحَ

عَلَى أَنْ يَغْرَمَ لَهُمْ ثَلَاثَةَ آلَافٍ قَنْطَارٍ مِنَ الْفِضَّةِ فَأَجَابُوهُ إِلَيْهِ
وَسَكَتَ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ . ثُمَّ ظَاهَرَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْتَيْبَلُ صَاحِبُ
أَفْرِيقِيَّةَ مُلُوكَ الشَّرِّيَانِيَيْنِ عَلَى حَرْبِ أَهْلِ رُومَةَ فَهَلَكَ فِي حَرْبِهِمْ
مَسْمُومًا (١٨٣) وَبَعْدَ أَنْ تَخَاسَّ أَهْلُ رُومَةَ مِنْ تِلْكَ الْحُرُوبِ رَجَعُوا
إِلَى الْأَنْدَاسِ فَمَلَكُوهَا ثُمَّ أَجَازُوا الْبَحْرَ إِلَى قَرْطَاجَنَةَ فَفَتَحُوهَا وَقَتَلُوا
مَلِكَهَا وَخَرَّبُوهَا (١٤٦)

(لابن خلدون)

حال اللطيين الى وفاة اوجسطس (من ١٤٦ قبل المسيح الى ١٤ بعد المسيح)

٤٤٥ وَلَمْ يَزَلْ أَمْرُ هَوْلَاءِ اللَّطِيَّيْنِ رَاجِعًا إِلَى الْوُزَرَاءِ مِنْذُ سَبْعِ
مِائَةِ سَنَةٍ مِنْ عَهْدِ رُومَةَ تَتَرَعَّعُ الْوُزَرَاءُ فِي كُلِّ سَنَةٍ فَيَخْرُجُ قَائِدٌ
مِنْهُمْ إِلَى كُلِّ نَاحِيَةٍ كَمَا تُوَجِّهُ الْقَرْعَةُ فَيَحَارِبُونَ أُمَّمَ الطَّوَائِفِ
وَيَفْتَحُونَ الْمَمَالِكَ . حَتَّى إِذَا هَلَكَ الْأِسْكَندَرُ وَافْتَرَقَ أَمْرُ الْيُونَانِيِّينَ
وَفُشِلَتْ رِيحُهُمْ وَقَعَتْ فِتْنَةٌ هَوْلَاءِ اللَّطِيَّيْنِ مَعَ أَهْلِ أَفْرِيقِيَّةَ
وَأَسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا . وَمَلَكُوا الْأَنْدَاسَ وَمَلَكُوا الشَّامَ وَأَرْضَ الْحِجَازِ وَقَهَرُوا
الْعَرَبَ بِالْحِجَازِ . وَافْتَحُوا بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَأَسَرُوا مَلِكَهَا يَوْمَئِذٍ مِنْ
الْيَهُودِ وَهُوَ أَرِسْطَابُولُسُ ثَامِنُ مُلُوكِ بَنِي حِشْمَنَائِي وَغَرَّبُوهُ إِلَى رُومَةَ .
إِلَى أَنْ خَرَجَ يُوَاشُ قَيْصَرٌ وَوَعْنَاهُ شَقٌّ عَنْهُ لِأَنَّ أُمَّهُ مَاتَتْ قَبْلَ أَنْ
تَلِدَهُ فَشَقُّوا بَطْنَهَا وَأَخْرَجُوهُ فَلَقِبَ قَيْصَرٌ وَصَارَ أَمْبًا لِلْمُلُوكِ الرُّومِ .
فَسَارَ إِلَى جِهَةِ الْأَنْدَاسِ وَحَارَبَ مَنْ كَانَ بِهَا مِنْ الْإِفْرِجِيِّ إِلَى أَنْ
مَلَكَ بَرْطَانِيَّةَ وَإِسْبُونَةَ وَرَجَعَ إِلَى رُومَةَ . وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْأَنْدَاسِ

أَكْتَبَيَانَ ابْنِ أَخِيهِ وَمَلَكَ عَلَيْهِمْ . وَكَانَ الشُّيُوخُ نَائِبُ بِنَاحِيَةِ الشَّرْقِ
يُقَالُ لَهُ قُمِّيُوسُ . فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ رَحَفَ بِعَسَاكِرِهِ إِلَيْهِ . فَخَرَجَ إِلَيْهِ
يُوشُ فَهَزَمَهُ (٤٨) ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رُومَةَ وَشَعَرَ الْوُزَرَاءُ أَنَّهُ يَرُومُ
الْإِسْتِبْدَادَ عَلَيْهِمْ فَهَتَلُوهُ (٤٤) . فَزَحَفَ أَكْتَبَيَانُ ابْنُ أَخِيهِ مِنْ
الْأَنْدَلُسِ فَأَخَذَ بِثَارِهِ وَمَلَكَ بِرُومَةَ (٤٢) . ثُمَّ عَصَى أَنْطُونِيُوسُ
عَلَى أَعْسُطُسَ وَانْهَزَمَ إِلَى مِصْرَ بِسَبَبِ عُشْقِهِ فَلَاوُفْطَرًا . فَخَرَجَ
أَعْسُطُسُ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ مِنْ مُلْكِهِ مِنْ رُومَةَ بِعَسَاكِرٍ عَظِيمَةٍ
فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَسَارَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَأَسَرَ وَلَدَيْ قَلَاوُفْطَرًا
الْمُسَمَّى أَحَدَهُمَا ثَمْسًا وَالْآخَرَ قَمْرًا وَقَتْلَهُمَا . وَلَمَّا سَمِعَ أَنْطُونِيُوسُ
وَقَلَاوُفْطَرًا يَقْتُلُ الْوُلَدَيْنِ وَكَانَا مُحَاصِرَيْنِ فِي بَعْضِ الْحُصُونِ شَرِبَا سُمًّا
وَمَاتَا (٣٠) . وَلَمَّا مَلَكَ أَعْسُطُسُ دِيَارَ مِصْرَ وَالشَّامَ دَخَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ
تَحْتَ طَاعَتِهِ كَمَا كَانُوا تَحْتَ طَاعَةِ الْبَطَالِسَةِ فَقَوْلَى أَعْسُطُسُ بَيْتِ
الْمَقْدِسِ عَلَى الْيَهُودِ وَالْيَا مِنْهُمْ وَكَانَ يُلقَبُ بِهِيَرُودُسَ . وَفِي أَيَّامِ
أَعْسُطُسَ وَلِدَ الْمَسِيحُ لِثَلَاثِينَ وَارْبَعِينَ مِنْ مُلْكِهِ (لابن العميد)

دَوَّةُ الْقِيَاصَةِ بَنِي أَعْسُطُسَ (١٤ - ٦٩)

٤٤٦ ثُمَّ وَلِيَ مِنْ بَعْدِ أَعْسُطُسَ طَبَارِيُوشُ قَيْصَرٌ وَكَانَ جَائِرًا وَأَسْتَوَلَى
عَلَى النُّوَاجِي . وَعَلَى عَهْدِهِ كَانَ شَأْنُ الْمَسِيحِ وَبَغَى الْيَهُودُ عَلَيْهِ وَأَقَامَ
الْحَوَارِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِ وَالْيَهُودُ يُحْسِنُونَهُمْ وَيَضْطَهِدُونَهُمْ . ثُمَّ أَفْتَرَفُوا
فِي الْأَفَاقِ لِإِقَامَةِ الدِّينِ وَحَمَلِ الْأُمَمِ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ . وَمَاتَ طَبَارِيُوشُ

لثَلَاثِ وَعِشْرِينَ مِنْ مَمْلَكَةٍ (٣٧) . ثُمَّ مَلَكَ غَالِيَسُ قَيْصَرُ (٣٧ - ٤١) .
وَأَمَرَ أَنْ تُنْصَبَ الْأَصْنَامُ فِي مَحَارِيبِ الْيَهُودِ وَوُثِبَ عَلَيْهِ بَعْضُ قَوَادِدِ
فَتَاتِهِ وَمَلَكَ مِنْ بَعْدِهِ قُلُودِيُوشُ (٤١ - ٥٤) وَوَقَعَتْ فِي أَيَّامِهِ شِدَّةٌ
عَلَى النَّصَارَى وَقَتْلُ يَعْقُوبَ أَخُو يُوحَنَّا مِنَ الْخَوَارِيِّينَ وَحَبْسُ سَمْعُونِ
الصَّفَا . ثُمَّ خَلَصَ وَسَارَ إِلَى أَنْطَاكِيَّةَ وَأَقَامَ بِهَا وَدَعَا إِلَى النَّصْرَانِيَّةِ .
ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى رُومَةٍ وَدَبَّرَهَا وَنَصَبَ فِيهَا الْأَسَاقِفَةَ . وَتَنَصَّرَتْ أُمَرَاؤُ
مِنْ بَيْتِ الْمَلِكِ فَمَضَتْ النَّصَارَى . وَآقَى الَّذِينَ بِالْقُدْسِ شِدَائِدًا مِنَ
الْيَهُودِ وَكَانَ عَلَيْهِمْ يَوْمَئِذٍ يَعْقُوبُ أَخُو يُوحَنَّا مِنَ الْخَوَارِيِّينَ فَثَارَ الْيَهُودُ
عَلَى مَنْ كَانَ بِالْقُدْسِ مِنَ النَّصَارَى وَقَتَلُوا أَسْتَفْنَهُمْ وَهَدَمُوا الْبَيْعَةَ .
وَأَخَذُوا الصَّلِيبَ وَالْحَشَبَتَيْنِ وَدَفَنُوهُمَا إِلَى أَنْ اسْتَخْرَجَتْهَا هِيَ لِأَنَّهُ أُمُّ
قُسْطَنْطِينَ . وَمَلَكَ مِنْ بَعْدِ قُلُودِيُوشَ ابْنُهُ نِيرُونُ وَهُوَ خَامِسُ
الْقِيَاصِرَةِ وَكَانَ غَشُومًا فَاسِقًا وَفِي أَيَّامِهِ كَانَ سَيِّمُونُ السَّاحِرُ رُومَةً .
وَبَلَغَهُ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ رُومَةٍ أَخَذُوا بِدِينِ الْمَسِيحِ فَغَضِبَ ذَلِكَ
وَقَتَلَهُمْ حَيْثُ وَجَدُوا . وَقَتَلَ بَطْرُسَ مِنْ بَعْدِ خَمْسِ وَعِشْرِينَ سَنَةً
مَضَتْ لِبَطْرُسَ فِي كُرْسِيِّهَا وَهُوَ رَأْسُ الْخَوَارِيِّينَ وَرَسُولُ الْمَسِيحِ إِلَى
رُومَةٍ (٦٦) . وَقَتَلَ مَرْقُسَ الْأَنْجِلِيِّ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ ثَلَاثِي عَشْرَةَ مِنْ
مَلَكَ نِيرُونُ وَبَعَثَ نِيرُونُ قَائِدَهُ إِسْبَاشِيَانُوسَ وَأَمَرَ بِقَتْلِ الْيَهُودِ
وَحَرَابِ الْقُدْسِ . ثُمَّ إِنَّ نِيرُونَ قَيْصَرَ انْتَقَضَ عَلَيْهِ أَهْلُ مَمْلَكَتِهِ .
فَرَجَعَ أَهْلُ أَرْمِينِيَّةَ إِلَى طَاعَةِ الْفَرَسِ وَخَرَجَ عَنْ طَاعَتِهِ أَهْلُ بَرْطَانِيَّةَ

مِنْ أَرْضِ الْجَوْفِ . فَبَعَثَ شَوَاطِيَانَسَ فَسَارَ إِلَيْهِمْ فِي الْعَسَاكِرِ
وَغَابَهُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ . ثُمَّ تَارَ بَنِي رُونَ جَمَاعَةً مِنْ قُوَادِهِ فَقَتَلُوهُ (٦٨)
وَمَلَكُوا غَابَانَ فَأَقَامَ عَلَيْهِمْ أَشْهُرًا وَقَتَلُوهُ غِيلَةً وَقَدَّمُوا عِوَضَهُ أُتُونِ
ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ثُمَّ خَلَعُوهُ وَمَلَكُوا بَطَالِسَ وَكَانَ رَدِيَّ السَّيْرَةِ . وَبَلَغَ
إِسْبَاشِيَانُوسَ مَوْتُ نِيْرُونَ بَيْنَمَا هُوَ فِي حِصَارِهِ فَأَشَارَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ
بِالْإِنْصِرَافِ إِلَى رُومَةَ وَبَشَّرَهُ يُوسُفُ بْنُ كَرْبُونِ وَكَانَ أَسِيرًا عِنْدَهُ
بِالْمَلِكِ فَأَنْطَاقَ إِلَى رُومَةَ وَخَلَفَ ابْنَهُ طِيطُشَ عَلَى حِصَارِ الْقُدْسِ .
وَأَنْقَطَعَ مُلْكُ آلِ يُولِشَ قِصْرَ لِمَائَةٍ وَسِتِّ عَشْرَةَ سَنَةً مِنْ مَبْدَأِ
دَوْلَتِهِمْ وَأَسْتَقَامَ مُلْكُ إِسْبَاشِيَانُوسَ فِي جَمِيعِ مَمَالِكِ الرُّومِ وَتَسَمَّى
قِصْرَ كَمَا كَانَ قَبْلَ (٦٩) (لابن خلدون)

دولة فلايوس اسباشيانوس وبنيه القلايين (٦٩ - ٩٦)

٤٤٧ وَمَلِكُ إِسْبَاشِيَانُوسَ عَشْرَ سِنِينَ وَهُوَ بَنَى قَوْقُلَسَ أَيَّ مَنَارَةٍ
أَلَا سَكَنْدَرِيَّةَ طُولُهَا مِائَةٌ وَخَمْسُ عَشْرُونَ خُطْوَةً . وَفِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ
مِنْ مُلْكِهِ أَقْتَحَ طِيطُشُ ابْنَهُ مَدِينَةَ أُورُشَلِيمَ وَقَتَلَ فِيهَا زُهَاءَ سِتِّينَ
أَلْفَ نَفْسٍ وَسَبَى نِيفًا وَمِائَةَ أَلْفِ نَفْسٍ وَمَاتَ فِيهَا مِنْ الْجُوعِ خَلَقٌ
كَثِيرٌ وَالْبَاقُونَ تَشَتَّتُوا فِي الْبِلَادِ وَدَعَّرُهَا وَأَخْرَبَ هَيْكَلَهَا . وَتَتَّ
نُبُوَّةُ يَعْقُوبَ حَيْثُ قَالَ : لَنْ تَفْقَدَ هِرَاوَةَ الْمَلِكِ مِنْ يَهُوذَا وَلَا الْمُنْذِرُ
أَيَّ النَّبِيِّ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ حَتَّى يَأْتِيَ مِنْ لَهُ الْعُلْبَةُ وَإِيَادُ تَتَوَقَّعُ الشُّعُوبُ .
وَتَمَّ أَيْضًا مَا أَنْذَرَهُ الْأَخْلَصُ مُخَاطِبًا لِأُورُشَلِيمَ : أَنَّهُ سَيَأْتِي أَيَّامٌ تَحِيطُ

بِكَ أَعْدَاؤُكَ وَيَكْسُونَكَ وَبِيَدِكَ فَيْكُ. وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً
مِنْ صَلْبِ الْمَسِيحِ (٧٠)

وَذَكَرَ يُوسُفُوسُ الْعِبرِيُّ أَنَّهُ ظَهَرَ قَبْلَ خَرَابِ أُورُشَلِيمَ
عَلَامَاتُ فَطِيعَةٍ وَذَلِكَ أَنَّهُ ظَهَرَ فَوْقَ الْمَدِينَةِ نَجْمٌ طَوِيلٌ كَشِيفٌ مِنْ
نَارٍ يَلْمَعُ. وَأَبْوَابُ الثُّخَاسِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى بَابِ الْهَيْكَلِ وَلَمْ تَكُنْ
تُغْلَقُ وَتُفْتَحُ دُونَ أَجْتِمَاعِ عِشْرِينَ رَجُلًا وَجِدَتْ نِصْفَ اللَّيْلِ
مَفْتُوحَةً مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ. وَكَانُوا عَامَّةَ السَّنَةِ يَسْمَعُونَ فِي الْهَيْكَلِ أَصْوَاتًا
مُخْتَلِفَةً تَقُولُ: إِنَّا سَنَنْتَقِلُ مِنْ هُنَا

وَلَمَّا مَلَكَ طِيطُشُ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ رَجَعَ النَّصَارَى الَّذِينَ كَانُوا
عَبَرُوا إِلَى الْأُرْدُنِّ فَبَنَوْا كَنِيسَةً بِالْمُقَدَّسِ وَسَكَنُوا وَكَانَ الْأَسْقُفُ
فِيهِمْ شِمْعَانُ بْنُ كَلَاوُفَا وَهُوَ الثَّانِي مِنْ أَسَاقِفَةِ الْمُقَدَّسِ. ثُمَّ هَلَكَ
إِسْبَاشْيَانُوسُ اِتِّسَعَ سِنِينَ مِنْ مُلْكِهِ وَمَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ طِيطُشُ قِصْرُ
سَنَتَيْنِ وَكَانَ مُتَعَمِّدًا فِي الْعُلُومِ مُلْتَزِمًا لِلْخَيْرِ عَارِفًا بِالْأَسَانِ الْغَرِيبِ
وَالْأَطِينِ وَفِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِمُلْكِهِ انْشَقَّ جَبَلُ بِالْرُومِ وَخَرَجَ مِنْهُ
شَهْبُ نَارٍ أَحْرَقَتْ مَدَنًا كَثِيرَةً وَوَقَعَ بِرُومَةٍ حَرِيقٌ كَثِيرٌ. ثُمَّ مَلَكَ
دُومِيطْيَانُوسُ قِصْرُ (٨١-٩٦) وَتَفَى مِنْ رُومَةِ الْمُتَجَمِّينَ وَأَصْحَابِ
الزَّجَرِ وَالْقَالِ وَالْعِيَافَةِ وَالطَّيْرَةِ وَأَمَرَ أَنْ لَا يُغْرَسَ بِرُومَةٍ كَرْمٌ أَلْبَنَةٌ.
ثُمَّ اضْطَهَدَ النَّصَارَى اضْطِهَادًا شَدِيدًا وَمَعَ هَذَا كَانَ النَّاسُ يَدْخُلُونَ
فِي دِينِ الْمَسِيحِ أَفْوَاجًا وَيَتَمَسَّكُونَ بِهِ تَمَسُّكًا أَشَدَّ

وَأَخْتَارَ فَطْرُوفِيلُسُ اتِّبَاعَ النَّصَارَى بِالسَّيْرَةِ الْحَسَنَةِ وَتَرَكَ
 الدُّنْيَا وَمَلَازِمَهَا يُفِيدُهُمُ الْأَيْدِ بِالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ . وَفِي هَذَا
 الزَّمَانِ عُرِفَ أَفُولُونِيُسُ الطَّلَسْمَاطِيْقِي وَكَانَ يُضَادُّ التَّلَامِيْذَ
 بِأَفَاعِيلِهِ الْمُخَالَفَةِ لِأَفَاعِيلِ أُسْجِحَ وَيَقُولُ : الْوَيْلُ لِي إِنْ سَبَقَنِي
 ابْنُ مَرْيَمَ . وَتَقَى دُومِيْطْيَانُوسُ يُوْحَنَّا الْإِنْجِيْلِيَّ إِلَى بَعْضِ الْجَزَائِرِ
 وَكَتَبَ إِلَيْهِ دِيُونُوسِيُوسُ أَسْقَفُ اثْنَا كِتَابًا يَقُولُ فِيهِ : لَا يَعْزِيْكَ
 الصَّخْرُ وَالْمَلَأُ فَإِنَّهُ لَا يَطْوُلُ سَجْنُكَ فَاللَّهُ يَعْمَلُ لَكَ الْخَلَاصَ
 فَالْهَمُّ نَفْسَكَ بِالصَّبْرِ . وَبَعْدَ قَلِيلٍ قُتِلَ دُومِيْطْيَانُوسُ قَيْصَرُ عَلَى
 بَسَاطَةٍ فِي مَجْلِسِهِ

دَوْرَةُ الْإِنْطُرُونِيْنَ (٩٦ - ١٩٣)

٤٤٨ وَمَلَكَ بَعْدَهُ تَرَوَاسُ وَأَحْسَنَ السَّيْرَةَ وَأَمَرَ بِرَدِّ مَنْ كَانَ مَنَفِيًّا
 مِنَ النَّصَارَى وَخَلَائِهِمْ وَدِينِهِمْ وَرَجَعَ يُوْحَنَّا الْإِنْجِيْلِيَّ إِلَى أَفْسُسَ بَعْدَ
 سِتِّ سِنِينَ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ فَعَهْدَ بِالْمَلِكِ إِلَى طَرِيْيَانُسَ مِنْ عُظَمَاءِ
 قَوَادِهِ قَوِيَّ بَعْدَهُ (٩٨) وَتَمَيَّ قَيْصَرُ وَقَتْلَ شِمْعَانَ بْنِ كَلَاوْفَا أَسْقَفَ
 بَيْتِ الْمَقْدِسِ . وَأَغْنَاطِيُوسُ بَطْرَكَ أَنْطَاكِيَّةَ رَمَى لِلْسَّبَاعِ (١٠٧) . وَتَلَبَّعَ
 أَمَتَهُمْ بِالْقَتْلِ وَاسْتَعْبَدَ عَامَتَهُمْ وَفِيْلِيْنُوسُ صَاحِبُ الشَّرْطِ لَمَّا عَجَزَ مِنْ
 قَتْلِ النَّصَارَى لِكَثْرَتِهِمْ طَاعَ قَيْصَرَ أَنَّ أَهْلَ هَذَا الْمَذْهَبِ عَامِلُونَ
 بِجَمِيعِ سَنَنِ الْفَلَاسِفَةِ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَكْرَهُونَ الْأَصْنَامَ . فَأَمَرَ قَيْصَرُ أَنَّ
 لَا يُجَدِّ فِي أَدَانِهِمْ إِلَّا إِذَا وَجِدَ مِنْهُمْ مَنْ يَتَّقُوهُ بِسَبِّ الْآلِهَةِ قَالِدَن .

ثُمَّ خَرَجَ عَلَى طَرِيَانُوسَ خَارِجِيًّا بِبَابِلَ فَمَلَكَ فِي حُرُوبِهِ
 ٤٤٩ ثُمَّ وَلِيَ مِنْ بَعْدِهِ أَذْرِيَانُوسُ (١١٧) وَفِي الرَّابِعَةِ مِنْ مَمْلُوكِهِ بَطَلُ
 الْمَلِكِ مِنَ الرُّهَا وَتَدَاوَلَتْهَا الْقُضَاةُ مِنَ الرُّومِ . وَبَنَى أَذْرِيَانُوسُ بِمَدِينَةِ
 أَثِينَا بَيْتًا وَرَتَّبَ فِيهِ جَمَاعَةً مِنَ الْحُكَمَاءِ لِمُدَارَسَةِ الْعُلُومِ . وَبَلَغَ أَذْرِيَانُوسُ
 أَنَّ الْيَهُودَ يَرُومُونَ الْإِنْتِقَاضَ وَأَنَّهُمْ مَلَكَوْا عَلَيْهِمْ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ ابْنُ
 الْكُوكَبِ أَضَلَّ الْيَهُودَ مُدْعِيًا أَنَّهُ زَلَّ مِنَ السَّمَاءِ كَالْكُوكَبِ فَيُخَلِّصُهُمْ
 مِنْ عِبَادَةِ الرُّومِ . فَبَعَثَ إِلَيْهِمُ الْعَسَاكِرَ وَتَتَبَعَهُمْ بِالْقَتْلِ وَخَرَّبَ
 الْمَدِينَةَ حَتَّى عَادَتْ صَحْرَاءَ . وَأَمَرَ أَنْ لَا يَسْكُنَهَا يَهُودِيٌّ وَأَسْكَنَ
 الْيُونَانَ بَيْتَ الْمُقَدِّسِ . وَكَانَ هَذَا الْخَرَابُ لِحُمْسٍ وَسِتِّينَ سَنَةً مِنْ
 خَرَابِ طَيْطُشَ الَّذِي هُوَ أَجَلُوهُ الْكُبْرَى . وَامْتَلَأَ الْقُدْسُ مِنَ الْيُونَانِ .
 وَكَانَتْ النَّصَارَى يَتَرَدَّدُونَ إِلَى مَوْضِعِ الْقَبْرِ وَالصَّلِيبِ . فَمنَعَهُمُ الْيُونَانُ
 مِنَ الصَّلَاةِ وَبَنَوْا هُنَاكَ هَيْكَلًا عَلَى اسْمِ الزُّهْرَةِ (لَايِي الْفَرْجِ)
 وَخَافَ أَذْرِيَانُوسُ طَيْطُوسَ أَنْطُونِيَانُسَ قَيْصَرَ الْمُسَمَّى بَارَاوَابَا
 الْبَلَدِ (١٣٨) وَأَزَالَ عَنِ النَّصَارَى الْإِضْطِهَادَ وَأَبَاحَ لِلنَّاسِ أَنْ يَتَدَيَّنُوا
 بِأَيِّ دِينٍ شَاءُوا . وَفِي هَذَا الزَّمَانِ نَبَعَ فِي السَّيْعَةِ مِنَ الْخَائِفِينَ شَخْصٌ
 اسْمُهُ وَالنَّطِيَانُوسُ . وَكَانَ يَقُولُ إِنَّ الْمَسِيحَ أَنْزَلَ مَعَهُ جَسَدًا مِنَ السَّمَاءِ
 وَأَجْتَارَهُ بِمَرِّمٍ كَأَجْتِيَازِ الْمَاءِ بِالْمِيزَابِ أَيَّ لَمْ يَأْخُذْ مِنْهَا شَيْئًا . وَظَهَرَ
 رَجُلٌ يُسَمَّى مَرْقِيُون . وَقَالَ إِنَّ الْإِلَهَةَ ثَلَاثَةٌ عَادِلٌ وَصَالِحٌ وَشَرِيرٌ وَلَمَّا
 رَأَى الصَّالِحُ الْعَالَمَ قَدْ انْجَذَبَ إِلَى جِهَةِ الشَّرِيرِ أَرْسَلَ ابْنَهُ لِيَدْعُو

النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ أَبِيهِ الصَّالِحِ فَأَتَى وَنَسَخَ التَّوْرَةَ الْمُتَضَمِّنَةَ سُنَّةَ الْعَدْلِ
بِالْإِنْجِيلِ الَّذِي هُوَ مُتَضَمِّنٌ سُنَّةَ الْفَضْلِ . فَلَمَّا أَظْهَرَ مَرْقِيُونَ هَذِهِ
الْحَزْبِيَّةَ وَعَظَّمَتْهُ الْأَسَافِقَةُ زَمَانًا طَوِيلًا فَلَمْ يَرْجِعْ عَنْ خَزَعِيَّتِهِ وَتَمَادَى
فِي أَبَاطِيلِهِ فَفَقَادَ الْجَمَاعَةَ وَصَارَ لَعْنَةً (الابن القريج)

٤٥٠ مَّا هَلَاكَ أَنْطُونْيُوسُ لِثَلَاثِينَ وَعِشْرِينَ مِنْ مُلْكِهِ مَلَكَ مِنْ بَعْدِهِ
مَرْقُوسُ أَوْرَاشُ (١٦١) . وَكَانَتْ لَهُ حُرُوبٌ مَعَ أَهْلِ فَارِسَ وَبَعْدَ أَنْ
غَلَبُوا عَلَى أَرْمِينِيَّةٍ وَسُورِيَّةٍ مِنْ مَمْلِكَةٍ فَدَفَعَهُمْ عَنْهُمَا وَغَلِبَهُمْ فِي حُرُوبٍ
طَوِيلَةٍ . وَأَصَابَ الْأَرْضَ عَلَى عَهْدِهِ وَبَاءٌ عَظِيمٌ وَفُحِطَ النَّاسُ وَأَسْتَسْقَى
لَهُمُ النَّصَارَى فَأَمَطُوا وَارْتَفَعَ الْوَبَاءُ وَأَتَقَحَطَ بَعْدَ أَنْ كَانَ أَشَدَّ
عَلَى النَّصَارَى (والتصحیح أن ذلك وقع في بعض حروب اوريلیوس)
وَمَعَ كُلِّ هَذَا قُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا وَهِيَ الشَّدَّةُ الرَّابِعَةُ مِنْ بَعْدِ
نِيرُونَ . وَوَلِيَ مَكَانَهُ قُرْمُدُوسُ ابْنُهُ وَمَاتَ مُحْتَقًّا (١٨٠ - ١٩٢) . وَفِي
هَذَا الْوَقْتِ ظَهَرَ فِي بِلَادِ آسِيَا مُنْطَانِسُ الْقَائِلُ عَنْ نَفْسِهِ إِنَّهُ
الْمَارْقَلِيطُ الَّذِي وَعَدَ الْمَسِيحُ أَنْ يُوجِّهَهُ إِلَى الْعَالَمِ (الابن خلدون)

دولة القياصرة السوريين (١٩٢ - ٢٣٥)

٤٥١ ثُمَّ وَلِيَ مِنْ بَعْدِهِ فَرَطِينُخُوسُ وَمُلْكُهُ بِاتِّفَاقِ الْمُؤَرِّخِينَ شَهْرَانِ
وَقَتْلَهُ بَعْضُ قَوَادِهِ . ثُمَّ وَلِيَ سُورِيَا يَانُوسُ (١٩٣ - ٢١٢) وَأَشْتَدَّ عَلَى
النَّصَارَى الشَّدَّةُ الْخَامِسَةُ وَفَتَكَ فِيهِمْ . وَأَعْتَسَفَهُمْ بِالسُّجُودِ الْأَصْنَامِ
وَالْأَكْلِ مِنْ ذَبَائِحِهِمْ . ثُمَّ قُتِلَ بَعْدَ غَزْوِهِ الصَّقَالِبَةِ . وَفِي أَيَّامِهِ بَحَثَ

الأساقفة عن أمر النضج وأصلحو رأس الصوم . ثم ملك بعده أخته
 أنطونيوس (كرگلا) فقتل لست سنين ملكه ما بين حران والرها .
 (٢١٨) ثم ملك اليوغالي أربع سنين . ثم مقررين وقتله قواد رومة
 لسنة من ملكه . وملك من بعده الإسكندر روس (٢٢٢ - ٢٣٥)
 وكانت أمه ماما نصرانية وكانت النصارى معه في سعة من أمرهم .
 وفي السنة الثالثة من ملك هذا الإسكندر روس قيصر ابتدأت مملكة
 الفرس الأخيرة المعروفة بيت ساسان ثم نار أهل رومة عليه وقتلوه

الحكم الفرضوي (٢٣٥ - ٢٦٨)

٤٥٢ وملك من بعده مخشمان (٢٣٥) ولم يكن من بيت الملك وإنما
 ولده لأجل حرب الإفرنج . واشتد على النصارى الشدة السادسة
 من بعد نيرون . وقتل سرجيوس في سلمية وباخوس الشهيدين في
 البس على القرات وقوفر يانس الأسقف مع جماعة من المؤمنين . ثم
 هلك مخشمان وملك بعده غرديانوس قيصر (٢٣٨) وطالت حروبه
 مع الفرس وكان ظافرا عليهم وقتله أصحابه على نهر القرات . ثم ملك
 فيلقوش قيصر ست سنين وأمن بالمسيح وهو أول من تقصر من
 ملوك الروم فأحسن إلى النصارى ثم رام الاجتماع مع المؤمنين فقال
 له الأسقف : لا يمكنك الدخول إلى البيعة حتى تنتهي عن المحارم
 وتقصر على زوجة واحدة من غير ذوات القرني . فكان يحضر وقت
 الصلاة ويقف خارج البيعة مع الذين أنوا الدين ولم يكملوا فيه بعد .

وَفِي السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ لِمُلْكِهِ ظَهَرَ قَوْمٌ مِنْ أَصْحَابِ الْبِدْعِ قَائِلِينَ إِنَّ مَنْ كَفَرَ
 بِلسَانِهِ وَأَضْمَرَ الْإِيمَانَ بِقَلْبِهِ فَلَيْسَ بِكَافِرٍ . وَفِي هَذَا الزَّمَانِ بَدَأَتْ
 أَعْمَالُ الرُّهْبَانِ عَلَى يَدَيِ أَنْطُونِيوسَ وَفَوَلِي الْمِصْرِيِّينَ . وَهِيَ أَوَّلُ مَنْ
 أَظْهَرَ لُبْسَ الصُّوفِ وَالتَّخْلِ فِي الْبَرَارِيِّ . ثُمَّ مَلَكَ ذُو قِيُوسَ قِصْرُ
 (٢٤٩) وَلَبَّغِيهِ فِيلِيُوسَ قِصْرُ الْمُحْسِنِ إِلَى النَّصَارَى عَادَاهُمْ وَشَدَّدَ
 عَلَيْهِمْ جِدًّا وَهِيَ الشَّدَّةُ السَّابِعَةُ . فَكَفَرَ كَثِيرُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَنْ
 قُتِلَ فَقَدَّمُوا التَّوْبَةَ . وَكَانَ نَابَاطِيسُ الْفَيْسِيْسُ لَا يَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ قَائِلًا :
 إِذْ لَا مَغْفِرَةَ لِمَنْ أَخْطَأَ فَرِيفَ الْأَسَاقِمَةِ تَعْلِيَهُ . وَفِي زَمَانِ ذُو قِيُوسَ
 كَانَ الْفَتِيَّةُ أَصْحَابُ الْكَيْفِ فَأَلْقَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ سُبَاتًا إِلَى يَوْمِ أَنْبِعَانِهِمْ
 مِنْ رَوْدِهِمْ فِي أَيَّامِ تَاوَدُوسِيُوسَ . وَفِي أَيَّامِهِ خَرَجَ الثُّوْطُ مِنْ بِلَادِهِمْ
 وَتَلَدَّبُوا عَلَى بِلَادِ الْغُرَيْقِيِّينَ ثُمَّ وَلِيَ وَالِريَانُوسَ وَكَانَ يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ
 وَآلَى النَّصَارَى مِنْهُ شِدَّةً . ثُمَّ سَارَ فِي عَسَاكِرِ الرُّومِ لِيُغْزُوا الْفَرَسَ
 فَأَنْهَزَمَ وَجَمَلٌ أَسِيرًا إِلَى كِسْرَى بِهَرَامٍ فَقَتَلَهُ . فَوَلِيَ ابْنُهُ غَلِيْنُوسُ (٢٦٠)
 وَوَقَعَ فِي أَيَّامِهِ وَبَاءٌ عَظِيمٌ فِي رُومَةٍ فَرَفَعَ طَلَبَهُ عَنِ النَّصَارَى بِسَبَبِهِ

دولة القياصرة الإليريين الى قسطنطين الملك (٢٦٨ - ٣٠٧)

٤٥٣ ثُمَّ مَلَكَ أَقْوِيدُسُ سَنَةً وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ (٢٦٨) وَفِي مُلْكِهِ قَدِمَ
 بُولُسُ الصَّمِيصَاطِيُّ وَكَانَ يَقُولُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَيُحْجِدُ الْكَلَامَةَ بِالرُّوحِ وَأَنَّهُ
 لَمْ يُولَدْ مِنْ عَذْرَاءٍ وَذَكَرَ أَوْسَابِيرُسُ الْمُورَخُ عَنْ هَذَا بُولُسَ أَنَّهُ اسْتَعَانَ
 بِأَمْرَأَةٍ يَهُودِيَّةٍ اسْمُهَا زَيْتُ بْنُ رَأْسَهَا قِصْرُ عَلَى الشَّامِ . وَكَانَتْ تَسْتَحْسِنُ

عِلْمُهُ وَكَلَامُهُ وَفَوَّضَتْ إِلَيْهِ بَطْرِكِيَّةَ أَنْطَاكِيَّةَ . فَاجْتَمَعَ الْأَسَاقِفَةُ
وَرَدُّوا مَقَالَاتِهِ وَحَرَمُوهُ وَأَتْبَاعَهُ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ أَوْرِيلْيَانُشُ (٢٧٠ -
٢٧٥) وَحَارَبَ الْقُوطَ فَظْفِرَ بِهِمْ وَجَدَّدَ بِنَاءَ رُومَةَ . وَأَشْتَدَّ عَلَى
النَّصَارَى تَاسِعَةً بَعْدَ نِيرُونَ . وَهُمْ بِالتَّضْيِيقِ عَلَيْهِمْ وَفِي هَذَا الزَّمَانِ
عُرِفَ مَا نِيَ الثَّوَوِيُّ هَذَا كَانَ يُظْهِرُ النَّصْرَانِيَّةَ ثُمَّ مَرَقَ مِنَ الدِّينِ وَتَنَبَّأَ
نَفْسَهُ مَسِيحًا . وَكَانَ يَقُولُ بَعْلَمُ الثَّوَوِيَّةَ . وَهُوَ أَنَّ لِلْعَالَمِ إِلَهَيْنِ أَحَدُهُمَا
خَيْرٌ وَهُوَ مَعْدِنُ النُّورِ وَالْآخَرُ شَرٌّ وَهُوَ مَعْدِنُ الظُّلْمَةِ . فَقَتَلَهُ سَابُورُ
وَسَلَخَ جِلْدَهُ وَحَشَاهُ تَبْنًا وَصَلَبَهُ عَلَى سُورِ الْمَدِينَةِ لِأَنَّهُ كَانَ يَدَّعِي
الدَّعَاوِيَّ الْعَظِيمَةَ وَنَجَزَ عَنْ إِبْرَاءِ أَنَّهُ مِنْ مَرَضٍ عَرَضَ لَهُ . ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَ
أَوْرِيلْيَانُشَ قَارُوشُ ثُمَّ فَرُوفُشُ وَقُتِلَ بِسَرْمِينِ ثُمَّ قَارُوشُ وَفِي السَّنَةِ
الثَّانِيَةِ لِلْمَلِكِ قُتِلَ قَرْمَا وَدَمِيَانِي الشَّهِيدَانِ ثُمَّ أَبْرَقَ فَاسْتَظَلَّمَهُ وَمَاتَ .
ثُمَّ اسْتَبَدَّ دِيُوقَلَسِيَانُوسُ بِالْمَلِكِ (٢٨٤ - ٣٠٥) وَأَشْرَكَ مَعَهُ فِي الْمَلِكِ
مُخَشِمِيَانُ وَكَانَ مُقِيمًا بِرُومَةَ . وَلِثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً مَضَتْ مِنْ مَلِكِهِ
عَصَى عَلَيْهِ أَهْلُ مِصْرَ وَالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ فَسَارَ إِلَيْهِمْ مِنْ رُومَةَ وَغَابَهُمْ
وَأَنكَى فِيهِمْ . وَأَنْتَقَضَ عَلَى دِيُوقَلَسِيَانُوسَ أَهْلُ مَمْلِكِهِ وَنَارَ الثَّوَارِ
بِبِلَادِ الْإِفْرَنْجَةِ وَالْأَنْدَلُسِ وَأَفْرِيقِيَّةَ . فَدَفَعَ دِيُوقَلَسِيَانُوسُ إِلَى
هَذِهِ الْحُرُوبِ كُلِّهَا مُخَشِمِيَانُ هَرَكُولِيْسَ وَصِيْرَهُ قَيْصَرًا . ثُمَّ اسْتَعْمَلَ
مُخَشِمِيَانُ صِهْرَهُ قُسْطَنْطِيْنَسَ فَمَضَى إِلَى الْأَلْمَانِيَّةِ فِي نَاحِيَةِ بِلَادِ الْإِفْرَنْجِ
فَظْفِرَ بِهِمْ بَعْدَ حُرُوبٍ طَوِيلَةٍ . ثُمَّ أَمَرَ دِيُوقَلَسِيَانُوسُ بِغُلَاقِ كَنَائِسَ

النَّصَارَى بِإِغْرَاءِ مَخْشِيَانِ وَكَانَ أَشَدَّ كُفْرًا مِنْهُ. وَلَقِيَ النَّصَارَى مِنْهُمَا
شِدَّةً وَقُتِلَ مَارِي جَرِيسٌ وَكَانَ مِنْ أَكْبَرِ أُنْبَاءِ الْبَطَارِقَةِ. وَفِي عَاشِرَةِ
مُلْكِهِ قَدِيمِ مَارِي بَطْرُسُ بَطْرُكًا بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ. ثُمَّ قَامَ بَعْدَ مَوْتِهِ تَلْمِيذُهُ
إِسْكَندَرُوسُ وَكَانَ كَبِيرُ تَلَامِيذِهِ أَرِيُوشُ كَثِيرُ الْخِزَانَةِ لَهُ. وَفِي أَيَّامِ
دِيُوقَلِاسِيَانُوسَ رَأَى قُسْطَنْطِينُ هِيلَانَةَ وَكَانَتْ تَنْصَرَّتْ عَلَى يَدِ اسْتُفِ
الرُّهَا فَأَعْجَبَتْهُ وَتَزَوَّجَهَا. وَوَلَدَتْ لَهُ قُسْطَنْطِينَ فَأَجْمَعَ دِيُوقَلِاسِيَانُوسُ
عَلَى قَتْلِهِ فَهَرَبَ إِلَى الرُّهَا. ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ مَوْتِ دِيُوقَلِاسِيَانُوسَ فَوَجَدَ
أَبَاهُ قُسْطَنْطِينَ قَدْ مَلَكَ عَلَى الرُّومِ فَاسْتَلَمَ الْمَلِكُ مِنْ يَدِهِ (الابن العميد)

ملك قسطنطين (٣٠٦-٣٣٧)

٤٥٤ ثُمَّ اسْتَعَدَّ قُسْطَنْطِينُوسُ لِنُغْزِوِ مَكْسَنْطِيَسِ بْنِ مَخْشِيَانٍ لِأَنَّهُ عَصَى
وَلَمْ يُبَايِعْهُ وَغَابَ عَلَى رُومَةٍ. وَكَانَ قُسْطَنْطِينُوسُ يَتَفَكَّرُ إِلَى أَيِّ آلِهَةٍ
يُلْجِئُ أَمْرَهُ فِي هَذَا الْغَزْوِ. فَبَيْنَمَا هُوَ فِي هَذَا الْفِكْرِ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى
السَّمَاءِ نَصَفَ النَّهَارِ فَرَأَى رُؤْيَا الصَّلِيبِ فِي السَّمَاءِ مِثَالِ النُّورِ وَكَانَ
فِيهِ مَكْتُوبٌ: أَنْ يَهَذَا الشَّكْلُ تَعْلِبُ. فَصَاغَ لَهُ صَلِيبًا مِنْ ذَهَبٍ
وَكَانَ يَرْفَعُهُ فِي حُرُوبِهِ عَلَى رَأْسِ الرَّمْحِ. ثُمَّ إِنَّهُ غَزَا رُومَةَ فَخَرَجَ إِلَيْهِ
مَكْسَنْطِيَسُ وَوَقَعَ فِي نَهْرٍ فَأَخْتَنَقَ. فَأَقْبَتَهُ قُسْطَنْطِينُوسُ مَدِينَةَ
رُومَةَ وَأَعْتَمَدَ فِي هَذَا الْوَقْتِ بِرُومَةٍ مِنَ الْيَهُودِ وَعَبْدَةَ الْأَصْنَامِ زُهَاءَ
اَثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ نَفْسٍ خِلَا النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ (٣١٢). ثُمَّ حَصَلَ
لِقُسْطَنْطِينُوسَ بَرَصٌ. فَأَشَارَ عَلَيْهِ خَدَمُ الْأَصْنَامِ أَنْ يَذْبَحَ أَطْفَالَ

الْمَدِينَةَ وَيَنْتَسِلَ بِدِمَائِهِمْ فَيَبْرَأ مِنْ مَرَضِهِ . فَأَخَذَ جَمَاعَةً مِنَ الْأَطْفَالِ
لِيَذْبَحَهُمْ فَصَارَتْ مَنَاحَةٌ عَظِيمَةٌ فِي الْمَدِينَةِ فَأَحْجَمَ عَنْ قَتْلِهِمْ . وَفِي
تِلْكَ اللَّيْلَةِ رَأَى فِي مَنَامِهِ بَطْرُسَ وَبُولُسَ يَقُولَانِ لَهُ : وَجَّهْ إِلَى
سِلْوَسْطَرُسَ اسْتَقِفْ رُومَةَ فَحْيُ بِهِ فَهُوَ يُبْرِئُ مَرَضَكَ . فَلَمَّا أَصْبَحَ
وَجَّهَ فِي طَلَبِهِ فَأَتَوْهُ بِهِ وَوَعَّظَ الْمَلِكُ وَأَوْضَحَ لَهُ سِرَّ النَّصْرَانِيَّةِ فَتَعَمَّدَ
وَذَهَبَ مَرَضُهُ وَأَمَرَ بِنَاءَ كَنَائِسِ النَّصَارَى الْمَهْدُومَةِ (٣١٣) . وَفِي
السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ لِلْمَلِكِ أَمْرَ فُبْنِي لِبُورَنْطِيَا سُوْرُ فَرَادَ فِي سَاحَتِهَا أَرْبَعَةُ
أَمْيَالٍ وَسَمَاهَا قُسْطَنْطِينِيَّةً وَنَقَلَ الْمَلِكُ إِلَيْهَا (لَا بِي الْفَرَجِ)

٤٥٥ ثُمَّ شَخَّصَتْ هِيَ آلَتُهُ أُمُّ قُسْطَنْطِينَ لَزِيَارَةِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ .
فَسَأَلَتْ عَنْ مَوْضِعِ الصَّلِيبِ فَأَخْبَرَهَا مَقَارِيُوسُ الْأَسْقُفُّ أَنَّ الْيَهُودَ
أَهَالُوا عَلَيْهِ الْأَثَرِ وَالزَّبَلِ . ثُمَّ اسْتَخْرَجَتْ ثَلَاثَةً مِنَ الْحَشَبِ وَسَأَلَتْ
أَيُّهَا خَشَبَةُ الْمَسِيحِ . فَقَالَ لَهَا الْأَسْقُفُّ : عَلَامَتُهَا أَنَّ الْمِيتَ يَحْيَا بِمَسِيحِهَا
فَصَدَّقَتْ ذَلِكَ بِتَجَرُّبَتِهَا . وَاتَّخَذَ النَّصَارَى ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا لَوْجُودِ
الصَّلِيبِ . وَبَنَتْ عَلَى الْمَوْضِعِ كَنِيسَةً الْقِسَامَةِ وَأَمَرَتْ مَقَارِيُوسُ
الْأَسْقُفُّ بِنَاءَ الْكَنَائِسِ (رَوَاهُ ابْنُ خَلْدُونِ عَنْ ابْنِ الرَّاهِبِ)

مجمع نيقية (٣٢٥)

٤٥٦ وَفِي هَذَا الزَّمَانِ كَانَ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ إِسْكَنْدَرُوسُ الْبَطْرِكُ
وَكَانَ لِعَهْدِهِ آريُوشُ . وَكَانَ يَذْهَبُ إِلَى حُدُوثِ الْإِبْنِ وَأَنَّهُ إِنَّمَا
خَلَقَ الْخَلْقَ بِتَفْوِيضِ الْآبِ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ . فَغَنَعَهُ إِسْكَنْدَرُوسُ

الدُّخُولَ إِلَى الْكَنِيسَةِ وَأَعْلَمَ أَنَّ إِيمَانَهُ فَاسِدٌ . وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى
سَائِرِ الْأَسَاقِفَةِ وَالْبَطَارِكَةِ فِي النُّوَاحِي وَفَعَلَ ذَلِكَ بِأَسْقِفَيْنِ آخَرَيْنِ
عَلَى مِثْلِ رَأْيِ أَرِيُوشَ . فَرَفَعُوا أَمْرَهُمْ إِلَى قُسْطَنْطِينِ وَأَحْضَرَهُمْ
جَمِيعًا لِتَسَعِ عَشْرَةَ مِنْ دَوْلَتِهِ وَتَنَظَّرُوا . وَلَمَّا قَالَ أَرِيُوشُ إِنَّ الْإِبْنَ
حَادِثٌ وَإِنَّ الْأَبَ فَوْضَ إِلَيْهِ بِالْحَلْقِ . وَقَالَ الْإِسْكَنْدَرُوسُ الْحَلْقُ
أَسْتَحَقُّ الْأُلُوهِيَّةَ فَاسْتَحْسَنَ قُسْطَنْطِينُ قَوْلَهُ وَأَذِنَ لَهُ أَنْ يُشِيدَ بِكُفْرِ
أَرِيُوشَ . وَطَابَ الْإِسْكَنْدَرُوسُ أَجْتِمَاعَ النُّصْرَانِيَّةِ لِتَحْرِيرِ الْمُعْتَقَدِ
الْإِيمَانِي . فَجَمَعَهُمْ قُسْطَنْطِينُ وَكَانُوا ثَلَاثَ مِائَةٍ وَثَمَانِيَةَ عَشْرَةِ أَسْقِفًا
وَذَلِكَ فِي مَدِينَةِ نِيقِيَّةَ فَسَمِيَ الْأُجْتِمَاعُ مُجْتَمَعِ نِيقِيَّةَ . وَكَانَ رَئِيسَهُمْ
الْإِسْكَنْدَرُوسُ بَطْرِكُ إِسْكَنْدَرِيَّةَ وَمَقَارِيُوسُ أَسْقِفُ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ .
وَبَعَثَ سُلْطُوسُ (سَلُوسْطَرُوسُ) بَطْرِكُ رُومَةَ بِقَسَائِسِ حَضَرَ مَعَهُمْ
لِذَلِكَ نِيَابَةً عَنْهُ . فَتَفَاوَضُوا وَتَنَظَّرُوا وَاتَّفَقُوا عَلَى رَأْيٍ وَاحِدٍ . فَصَارَ
قُسْطَنْطِينُ إِلَى قَوْلِهِمْ وَأَعْطَى سَيْفَهُ وَخَاتَمَهُ وَبَارَكُوا عَلَيْهِ وَوَضَعُوا لَهُ
قَوَانِينَ الدِّينِ وَالْمَلِكِ . وَنَفَى أَرِيُوشَ . وَكَتَبُوا الْعَقِيدَةَ الَّتِي اتَّفَقَ عَلَيْهَا
أَهْلُ ذَلِكَ الْأُجْتِمَاعِ

(لابن خلدون)

قُسْطَنْطِينُ فِي مَجْمَعِ نِيقِيَّةَ

وَكَانَ فِي هَذَا الْأُجْتِمَاعِ أَسْقِفُ يَرِي رَأْيَ نَابَاطِيسَ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ :
لَمْ لَا تُوَافِقُ الْجُمْهُورَ فِي قَبُولِ مَنْ تَابَ عَنْ مَعَاصِيهِ مُنِيبًا إِلَى اللَّهِ .
فَأَجَابَهُ الْأَسْقِفُ : إِنَّهُ لَا مَغْفِرَةَ لِمَنْ فَرَطَ مِنْهُ كَبِيرَةٌ بَعْدَ الْإِيمَانِ

وَالْعِمَادِ بِدَلِيلِ قَوْلِ فُولُوسَ الرَّسُولِ حَيْثُ يَقُولُ: لَا يَسْتَطِيعُ الَّذِينَ ذَاقُوا
كَلِمَةَ اللَّهِ أَنْ يَدْنَسُوا بِالْخَطِيئَةِ لِيَطْهَرُوا بِالتَّوْبَةِ ثَانِيَةً. فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ هَازِنًا
بِهِ: إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا تَزْعُمُ فَأَنْصُبْ لَكَ سُلَمًا لَتَرُقِيَ فِيهِ وَحَدِّكَ إِلَى
السَّمَاءِ. وَنَهَضَ بَعْضُ الْأَسَاقِفَةِ فَرَفَعَ إِلَى الْمَلِكِ كِتَابًا فِيهِ سِعَايَةٌ بِبَعْضِ
الْأَسَاقِفَةِ. فَلَمَّا قَرَأَهُ الْمَلِكُ أَمَرَ أَنْ يُحْرَقَ الْكِتَابُ بِالنَّارِ وَقَالَ: لَوْ
وَجَدْتُ أَحَدًا مِنَ الْكُهَنَةِ فِي رِبِيَّةٍ لَسَرَّتُهُ بِأَرْجَوَانِيَّتِي (الابي القراج)
موت قسطنطين وملك بنيه

٤٥٧ وَلَمْ يَزَلْ دِينَ النَّصْرَانِيَّةِ يَظْهَرُ وَيَقْوَى إِلَى أَنْ دَخَلَ فِيهِ أَكْثَرُ
الْأُمَمِ الْمُجَاوِرَةِ لِلرُّومِ مِنَ الْجَلَالِقَةِ وَالسَّقَالِبَةِ وَالرُّوسِ وَاللَّانِ
وَالْأَزْمَنِ وَالْكَرَجِ وَجَمِيعِ أَهْلِ مِصْرَ مِنَ الْقِبْطِ وَغَيْرِهِمْ وَجُمْهُورُ
أَصْنَافِ السُّودَانِ مِنَ الْحَبَشَةِ وَالتُّوبَةِ وَسِوَاهُمْ. وَأَمِنْ بَعْدَ هَؤُلَاءِ
أَصْنَافٌ مِنَ التُّرَاكِ أَيْضًا. وَبَنَى قُسْطَنْطِينُوسُ بَيْعَةً عَظِيمَةً بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ
وَسَمَّاها أَجِيَا صُوفِيًّا أَيْ حِكْمَةَ الْقُدُّوسِ. وَبَيْعَةً أُخْرَى عَلَى اسْمِ
السَّيْحِينَ. وَبَنَى بَيْعَةً بِمَدِينَةِ بَعْلَبَكَّ. وَبَنَى بِأَنْطَاكِيَّةِ هَيْكَلًا ذَاتًا ثَمَانِي
زَوَايَا عَلَى اسْمِ السَّيِّدَةِ. وَفِي أَيَّامِهِ غَزَا سَابُورُ بِلَادَ الرُّومِ فَنَهَضَ
قُسْطَنْطِينُوسُ لِمُحَارَبَتِهِ. وَعِنْدَ وُصُولِهِ إِلَى نِيْقُومُودِيَا أَدْرَكَتْهُ الْمُنِيَّةُ وَفِي
مَرَضِهِ قَسَمَ الْمَلِكُ عَلَى أَوْلَادِهِ الثَّلَاثَةِ وَمَلَّكَ الْكَبِيرَ الْمُسَمَّى بِاسْمِهِ
قُسْطَنْطِينُوسَ عَلَى بِلَادِ إِفْرَنْجِيَّةَ. وَرَتَّبَ الْآخَرَ الْمُسَمَّى قُسْطَنْطِينُوسَ
عَلَى مِصْرَ وَالشَّامِ وَمَا بَيْنَ النِّهْرَيْنِ وَأَرْمِينِيَّةَ. وَرَتَّبَ الصَّغِيرَ الْمُسَمَّى

قُسْطَنْطِينُ عَلَى رُومَةَ وَإِسْبَانِيَا وَمَا لِيْلِيَا مِنْ نَاحِيَةِ الْمَغْرِبِ . ثُمَّ إِنَّ
 قُسْطَنْطِينُوسَ صَارَ إِلَى نِيْقُومُودِيَا فَأَخَذَ جَسَدَ أَبِيهِ فَحَنَطَهُ . وَوَضَعَهُ فِي
 صُنْدُوقٍ ذَهَبٍ وَحَمَلَهُ إِلَى قُسْطَنْطِينِيَّةَ وَوَضَعَهُ فِي هَيْكَلِ السَّيِّحِينَ . وَفِي
 هَذِهِ السَّنَةِ صَعِدَ سَابُورُ مَلِكُ الْفَرَسِ قَفْرًا نَصِيْبِينَ لَمَّا بَلَغَهُ وَفَاةُ
 قُسْطَنْطِينُوسِ الْقَاهِرِ فَحَاصَرَهَا ثَلَاثِينَ يَوْمًا وَرَجَعَ عَنْهَا إِلَى مَمْلَكَتِهِ خَائِبًا
 وَذَلِكَ بِدُعَاءِ مَارِي يَعْقُوبَ اسْقُفِّيَا وَمَارِي إِفْرَامَ تَلْمِيذِهِ . فَإِنَّ اللَّهَ
 اسْتَجَابَ دُعَاءَهُ وَأَرْسَلَ عَلَى جَيْشِ الْفَرَسِ بَقَا وَهَمَجًا هَزَمَ فِيلَتَهُمْ . ثُمَّ
 إِنَّ سَابُورَ اضْطَهَدَ النَّصَارَى الَّذِينَ فِي سُلْطَانِهِ جِدًّا . أَمَّا
 قُسْطَنْطِينُوسُ وَهُوَ الْأَخُ الْكَبِيرُ فَقُتِلَ فِي حَرْبٍ وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ
 الصَّغِيرِ قُسْطَنْطِينِ صَاحِبِ رُومَةَ وَخَلَفَ ابْنُ غَالُوسَ وَيُولْيَانُوسَ .
 ثُمَّ بَعْدَ قَلِيلٍ قُتِلَ قُسْطَنْطِينُ صَاحِبُ رُومَةَ . وَأَمَّا الْأَخُ الْأَوْسَطُ
 قُسْطَنْطِينُوسُ صَاحِبُ مِصْرَ وَالشَّامِ فَنَصَبَ غَالُوسَ مَلِكًا عَلَى
 قُسْطَنْطِينِيَّةَ مَكَانَ أَبِيهِ . فَعَصَى عَلَى عَمِّهِ فَسِيرَ عَمُّهُ عَلَيْهِ جَيْشًا وَقَتْلَهُ غِيلَةً .
 ثُمَّ مَاتَ أَيْضًا قُسْطَنْطِينُوسُ وَاسْتَقَلَّ يُولْيَانُوسُ بِالْمَلِكِ (لَابِي الْفَرَجِ)
 ٤٥٨ ثُمَّ مَلَكَ يُولْيَانُوسُ قَيْصَرُ (٣٦١) وَسَمِيَ الْمَارِقَ لِأَنَّهُ خَلَعَ رِبْقَةً
 النَّصْرَانِيَّةَ مِنْ عُنُقِهِ وَعَبَدَ الْأَصْنَامَ . وَلِذَلِكَ وَبَ الْوَثَانِيُونَ عَلَى
 النَّصَارَى وَوَقَعَ بَيْنَهُمْ بَلَاءٌ عَظِيمٌ بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ وَقُتِلَ مِنَ الْمَكَانِينَ
 خَلْقٌ كَثِيرٌ . ثُمَّ إِنَّ يُولْيَانُوسَ الْمَلِكَ مَنَعَ النَّصَارَى مِنَ الْإِسْتِغَالِ فِي
 شَيْءٍ مِنَ كُتُبِ التَّلْسِفَةِ . وَسَلَبَ أَيْضًا الْكَنَائِسَ وَالذُّيُورَةَ وَاسْتَصَفَى

مَالٍ مِّنْ لَّمْ يُطْعَمُهُ مِنَ النَّصَارَى فِي أَكْثَلِ ذَبَائِحِ الْأَصْنَامِ وَأَهْلَاكَ
كَثِيرِينَ مِنْهُمْ . ثُمَّ إِنَّهُ عَزَمَ عَلَى غَزْوِ الْفُرسِ وَدَخَلَ عَلَى أَقُولُونَ الْخَبَرِ
الْخَادِمِ لِلصَّنَمِ لِيَسْتَعْلِمَ مِنْهُ هَلْ يَنْجَحُ فِي غَزْوِهِ أَمْ لَا . فَحَكَّمَ لَهُ أَنَّهُ يَنْتَهَرُ
أَعْدَاءَهُ عَلَى نَهْرٍ دَجَلَةٍ فَاسْتَكْبَرَ لِذَلِكَ يُوْلِيَانُوسُ وَصَالَ جِدًّا . وَجَمَعَ
جُيُوشَهُ وَغَزَا الْفُرسَ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى حَرَّانَ وَأَرَادَ الْخُرُوجَ مِنْهَا نَكَسَ
رَأْسَهُ سَاجِدًا لِأَلْهَةِ الْحَرَّانِيِّينَ فَسَقَطَ تَاجُهُ عَنْ رَأْسِهِ وَضُرِعَ فَرَسُهُ
الَّذِي كَانَ تَحْتَهُ فَقَالَ لَهُ خَادِمُ الصَّنَمِ : إِنَّ النَّصَارَى الَّذِينَ مَلَكَ هُمْ
جَلَبُوا عَلَيْكَ هَذِهِ الْبَلَايَا فَاسْقُطْ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ زُهَاءً عِشْرِينَ أَلْفَ
رَجُلٍ . وَسَارَ حَتَّى وَافَى الْمَدَائِنَ وَمَا أَشْبَحَ الْحَرْبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْفُرسِ
عَلَى الدَّجَلَةِ صَارَ يَسِيرُ فِي صُفُوفٍ مُّتَابِلَةٍ وَيَنْشِطُهُمُ لِلْحَرْبِ . فَرَمَاهُ
بَعْضُ الْفُرسِ بِسَهْمٍ فَأَصَابَ جَنْبَهُ فَسَقَطَ عَنْ دَائِرَتِهِ . وَبَيْنَمَا هُوَ
يَتَمَذَّبُ أَخَذَ مِلاً حُفْنَتَيْهِ دَمًا مِنْ دَمِهِ فَرَشَّهُ فِي الْجَوِّ نَحْوَ السَّمَاءِ
وَقَالَ : إِنَّكَ غَلَبْتَنِي يَا ابْنَ مَرْيَمَ فَرِثْ مَعَ مُلْكِ السَّمَاءِ مُلْكَ الْأَرْضِ

ملك يوفيانوس (٣٦٣) وولنطيانوس ووالنس (٣٦٤)

٤٥٩ لما قُتِلَ يُوْلِيَانُوسُ الْمَارِقُ بَقِيَ عَسْكَرُ الرُّومِ بِغَيْرِ مُلْكٍ وَكَانَ مُتَدَمِّمٌ
الْعَسَاكِرُ يُوفِيَانُوسَ فَأَتَمَعُوا إِلَيْهِ وَبَايَعُوهُ وَأَشْرَطَ عَلَيْهِمُ الدُّخُولَ فِي
النَّصْرَانِيَّةِ وَجَرَى الصُّلْحُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْفُرسِ . وَمَا وُلِيَ نَزَلَ لِلْفُرسِ
عَلَى نَصِيبِيْنَ وَنَقَلَ الرُّومُ الَّذِينَ يَبَا إِلَى أَمِدَ . وَرَجَعَ إِلَى كُرْبِي
مَمْلَكَتِهِمْ فَرَدَّ الْأَسَاقِفَةَ إِلَى الْكَنَائِسِ وَرَجَعَ فِيمَنْ رَجَعَ أَثْنَا سِيُوشَ

بَطْرِكُ إِسْكَنْدَرِيَّةَ وَطَابَ مِنْهُ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ أَمَانَةً أَهْلُ مَجْمَعِ نِيقِيَّةَ .
فَجَمَعَ الْأَسَاقِفَةَ وَكَتَبُوهَا وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالزُّوْبَانِ ثُمَّ إِنَّ يُوفْيَانُسَ (٤٥٩)
هَلَكَ بِالْفَالِجِ لِسَنَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ مُلْكِهِ . وَأَقْتَرَقَ الْقُوطُ فِي أَيَّامِهِ
فِرْقَتَيْنِ عَلَى مَذْهَبِي أَرِيُوشَ وَأَمَانَةَ نِيقِيَّةَ . وَفِي أَيَّامِهِ وَلِي دَامَاشُ
بَطْرِكًا بِرُومَةَ . وَأَنْطِيبِيَانُ مَلِكٌ ثَانِي عَشْرَةَ سَنَةً وَوَلِي وَالْأَنْشُ أَخَاهُ
عَلَى الْمَشْرِقِ وَكَانَ شَرِيكَهُ فِي الْمُلْكِ . ثُمَّ ثَارَ عَلَيْهِ بَعْضُهُمْ بِأَهْلِ
أَفْرِيْقِيَّةَ فَأَجَارَ إِلَيْهِمُ الْبَحْرَ وَحَارَبَهُمْ فَظَفِرَ بِالثَّائِرِ وَقَتْلَهُ بِقِرْطَاجِنَةَ
وَرَجَعَ إِلَى قُسْطَنْطِينِيَّةَ . فَحَارَبَ الْقُوطَ وَالْأَمَمَ مِنْ وَرَائِهِمْ وَهَلَكَ فِي
حُرُوبِهِمْ فَاسْتَقَلَ وَالْأَنْشُ وَحْدَهُ بِالْمُلْكِ . وَكَانَ وَأَنْطِيبِيَانُ يَدِينُ
بِالْأَمَانَةِ وَوَالْأَنْشُ يَدِينُ بِمَذْهَبِ أَرِيُوشَ . فَاشْتَدَّ عَلَى أَهْلِ الْأَمَانَةِ
وَقَتْلَهُمْ . وَبَعْدَ وَفَاتِهِ عَقِدَ الْمَجْمَعُ الثَّانِي بِقُسْطَنْطِينِيَّةَ (٣٨١) (لابن العميد)

تَمَّةُ تَارِيخِ الرُّومِ إِلَى ظُهورِ المِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

مَلِكُ أَغْرَاتِيَانُوسَ (٣٧٥) وَتَاوَدَاسِيُوسَ (٣٧٩)

٤٦٥ ثم مَلِكُ بَعْدَهُ أَغْرَاتِيَانُوسَ قِصْرَ سَنَةٍ وَاحِدَةٍ وَأَشْرَكَ مَعَهُ فِي مَلِكِهِ رَجُلًا اسْمُهُ
تَاوَدَاسِيُوسَ وَاسْتَعْمَلَهُ عَلَى الْمَشْرِقِ فَكَثُرَ مِنْهَا ثُمَّ هَمَّ خَارِجِيٌّ عَلَى أَغْرَاتِيَانُوسَ فَقَتَلَهُ .
فَاسْتَقَلَ تَاوَدَاسِيُوسَ بِمَا ثَلَاثَ تَمَاحِيرَةٍ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً وَرَدَّ جَمِيعَ مَا نَقَاهُ وَالْأَنْشُ قَبْلَهُ مِنَ الْإِسْلَامَةِ
إِلَى كُرْبِيَّةٍ وَخَلَّى كُلَّ وَاحِدٍ مَكَانَهُ . وَفِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ الْمَلِكُ خَرَجَ عَلَى مَكْسِيُوسَ الْخَارِجِيَّ
فَوَجَدَهُ بِجَبُوتٍ فَقَتَلَهُ . وَكَانَ تَاوَدَاسِيُوسَ وَدَانُ أَرْقَازِيُوسَ وَأُونُورِيُوسَ . وَتَأَكْبَرَا
وَضَعَا تَحْتَ تَنْبِيهِ أَرْسَانِيُوسَ . ثُمَّ هَرَبَ أَرْسَانِيُوسَ إِلَى مِصْرَ وَتَرَفَّبَ . فَرُغِبَهُ بِالْمَالِ فَأَتَى
وَأَقَامَ فِي مَغَارَةٍ بِالْجَبَلِ الْمُقَطَّمِ حَتَّى مَاتَ . فَبَنَى أَرْقَازِيُوسَ عَلَى قَبْرِهِ كَنِيسَةً . ثُمَّ وَلَّى تَاوَدَاسِيُوسَ
قَبْلَ وَفَاتِهِ أَرْقَازِيُوسَ عَلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَأُونُورِيُوسَ عَلَى رُومَةَ (٣٩٥) (الْمَسْبُوحِي)

الملك ارقاذيوس (٣٩٥-٤٠٨) واوربيوس (٣٩٥-٤٢٣)

٤٦١ ارقاذيوس قبصر ملك ثلاث عشرة سنة وفي أيامه قام يوحنا فم الذهب بطرغا على قسطنطينية . ووضع تفسير الإنجيل وعواين ثمان وعشرين سنة . ومنع الكنيسة من أمور كثيرة من الفساد فحسدوه وجعلوا يطلبون عليه عثرة . ونهى الملكة اودكسيا امرأة ارقاذيوس عن اختلاسها كرم امرأة أرملة . ولا تخاف رشقها في بعض خطبه ذات يوم . وشبهها بيازبل امرأة أخاب ملك اسرائيل التي أخذت كرمًا ايضًا من أرملة . فركبت يومًا من الأيام وأخذت معها تسعة وعشرين اسقفًا ممن عادي يوحنا فم الذهب واجتمعوا بمدينة خلقيدونية . وحرموه وأسقطوه من مرتبة بحجة أنه لم يدع النظر في كتب اوريفانيس فاضطرب أهل القسطنطينية لذلك وهموا باحراق دار الملك فخافهم الملك وبعث الى فم الذهب وردّه الى مرتبة . فلما رجع رفع غتالا كان للملكة بالقرب من الكنيسة . وخطب ذات يوم وسمى الملكة هيروديا أي الملكة التي قتلت يحيى بن زكرياء المسمدان . فغضبت غضبًا شديدًا ووجهت الى بعض الأساقفة فجمعهم الى قسطنطينية فحرموه ثانيًا ونفروه . وكان ذلك في السنة الثامنة لارقاذيوس . فدفن الى بلدة بعيدة فتوفي هناك اثنان واربعين سنة من عمره . وثار الفتن بين الروم والمصريين بسبب عظام يوحنا فم الذهب حتى اتوا بها بعد ثلاث وثلاثين سنة لموتيه . فدفنوها بقسطنطينية وأثبتوا اسمه في سفر الحياة مع باقي الآباء القديسين . ثم ان ارقاذيوس مات وهو ابن ثلاثين سنة وخلف ابنه تاودوسيوس ابن ثمانين سنين (لاي الفرج)

تاودوسيوس الاصغر (٤٠٨-٤٥٠) ومرقيان (٤٥٠-٤٥٧)

٤٦٢ وملك من بعده تاودوسيوس الاصغر وفي زمانه كثر التصاري في سلطان القس وظهت النصرانية جدًا على يدي مروتا أسقف ميا فارقين الذي أرسل من تاودوسيوس الصغير الى القس . وفي السنة العاشرة لتاودوسيوس الصغير عرف شععون صاحب العمود بأنطاكية وكان يظهر الآيات والعجائب . وكان في هذا الزمان مار إسحاق تلميذ مار إفرام صاحب الميامر المنظومة . وفي هذا الزمان انبعث أصحاب الكهف من رقدتهم التي رقدوا على عهد ديقيانوس الملك . فخرج تاودوسيوس الملك مع أساقفة وقسيسين وبطارقة فنظر اليهم وكلهموم فلما انصرفوا من عندهم ماتوا في مواضعهم . وانتفض لعنده قومس أفريقية وخالفه الى طاعة قياصرة فحدثت بأفريقية فتنة بذلك . ثم زحف القوط الى رومة وفر عنها ائوريوس فجاربوها ودخلوها عوة واستباحوها ثلاثًا وتجاوزوا عن أموال الكنائس . ثم صالحوا الروم على أن يكون لهم الأندلس فاتفقوا عليها وتركوا رومة . وفي السابعة عشرة من ملك تاودوسيوس قدم ائسطوريوس بطرغا بالقسطنطينية فقام أربع سنين وظهرت عنه العقيدة التي دان بها . وكان يقول بالتحاد المشبه دون نفس الكلمة . فبلغت مقاتلة الى كيرلس بطرغا الإسكندرية فخطب

في ذلك بطرك رومة وأنطاكية وبيت المقدس ثم اجتمعوا بمدينة أفسس في مائتي أسقف وأجمعوا على كفر نسطوريس ونقوه (٢٣١) . وأخذ بقائهم نصارى الجزيرة ولموصل إلى أنفرت ثم إلى العراق وفرنس إلى المشرق . ثم ملك مرقيان بعده ست سنين وتزوج أخت داود وسبوس الصغير . وكان في أيامه الجمع الرابع بخلقيدونية . وأنه كان بسبب ديسقرس بطرك الإسكندرية . وما أحدث من البدعة في الأمة . فقالوا بالبطيقيين والأقنوم الواحد واجمعوا على نفيه . واقترقت النصارى إلى ملكية . وهم أهل الرمانه فذهبوا إلى مرقيان قيصر الملك . وإلى يعقوبية وهم أهل مذهب ديسقرس . وإنما دعوا يعاقبة نسبة إلى بعض تلامذة ديسقرس اسمه يعقوب كان يطوف البلاد داعياً إلى مقالة ديسقرس . وإلى نسطورية وهم نصارى المشرق . ثم ملك بعد مرقيان لاون الكبير (٢٥٧) ثم لاونطيوس (٢٧٥) ثم زينون (٢٧٦) وكان يعقوبياً

ملك أنسطاس (٢٩١) ويوسطينوس (٥١٨) ويوسطينيانس (٥٢٧)

٢٩٣ أنسطاس قيصر ملك سبعاً وعشرين سنة . وفي أول ملكه قتل كثيرين من صبيان الملكين لأنهم هجوه . وأجاز البربر من المغرب إلى رومة وغلبوا عليها . وفي السنة الثالثة له بُنيت دار التي فوق نصيدين . ثم إن أنسطاس الملك أراد أن يرفع في البيعة قول المؤمنين في صلواتهم : إلك صليت من أجلنا . فاضطرب أهل القسطنطينية كاهم وأخذوا الحجارة ليرجموه بها . فبأله أمرهم وجبن عنهم . فوضع تاجه عن راسه قائلاً : إلى انتهي إلى أمركم في تريدون . فكف الشعب عنه . ثم ملك يوسطينوس قيصر تسع سنين وكان أصله من رومة . هذا أصل جمع البيعة ورد كل من نفاه الملوك قبله . وفي السنة السابعة الملك اقتتل الروم والفرس على شاطئ الفرات وغرق من الروم خلق كثير . وفي هذه السنة سقط تلج كثير وجلبد وأفسد عامة الأنهار مع الكروم . وبعد سنة قات الأمطار وعزت الغلات ونقص الماء في البنايع ثم تبع ذلك حر قوي ووباء شديد ودام ست سنين . وفي السنة التاسعة من ملكه أشرك معه في الملك يوسطينيانس الصغير وكان ابن أخته وبعد ثلاثة أشهر مات وفي هذا الوقت غزا كسرى ملك الفرس مدينة الرها وقتل فيها خلقاً كثيراً . ثم ملك بعده يوسطينيانس قيصر ثلثي وثلاثين سنة . وفي ثلثة ملكه غزا الفرس بلاد الروم ف وقعت بين الفرس والروم حروب كثيرة . وزحف كسرى في آخرها الثانية من ملك يوسطينيانس ومعه المنذر ملك العرب فبلغ الرها وغاب الروم وغرق من الفريقين في الفرات خلق كثير . وحمل الفرس أسارى الروم وسبواهم ثم وقع الصلح بينهما . وفي خمس وثلاثين من ملك يوسطينيانس عهد بان يتخذ عيد الميلاد في خامس وعشرين من كانون الأول وعيد الدنح لسنة أيام من كانون الأخير . فامثلوا مرة خلا الأرمن فاجتمع داوموا على تعييد العيد في يوم واحد . وكانت كنيسة بيت لحم صغيرة فامر بان يوسع فيها فبُنيت كما هي لهذا العهد . وفي عهده كان الجمع الخامس بقسطنطينية (٥٥٣)

ثم ملك بعده يوستينوس قيصر (٤٦٥) ثم طياربوس (٥٧٨)

• موريقي (٥٨٢) وفوقاس (٦٠٢) وهرقل (٦١٠ - ٦٤١)

٤٦٤ موريقي قيصر ملك عشرين سنة . وكان حسن السيرة مهل المعاملة كثير الصدقة . وكان في كل سنة يجي طلعاً للفقراء والمساكين ستين مرة ويقوم هو وزوجته من ملكها فيتولين خدمتهم وإطعامهم وإسقاءهم . وفي السنة الرابعة لموريقي عرض وباء شديد بقسطنطينية ومات من أهلها زهاء أربع مائة ألف نفس . واعهده انتقض على هرمز كسرى قريه جرام وخامه واستولى على ملكه وقتله . وسار ابنه أبرويز الى موريقي قيصر صريحاً . فبعث معه العساكر ورد أبرويز الى ملكه وقتل جرام الخارج عليه . وبعث اليه بالهدايا والتحف كما فعل اوه من قبله مع القياصرة وخطب أبرويز من موريقي قيصر ابنه مريم فزوجها ابناًها وبعث معها من الجهار والأمتعة والأقمشة ما يضيق عنه الحضر . ثم وثب على موريقي بعض مالكيه بمدخله قريه الطريق فوقاس قدسه عليه فقتله وملك على الروم وتسمى قيصر . وقتل أولاد موريقي . وبلغ أبرويز كسرى ما جرى على موريقي وأولاده . فجمع عساكره وقصد بلاد الروم ليأخذ ثارهم وبعث عساكره مع مرزبان خزرويه الى القدس وعهد اليه بقتل أهلها وخراب البلد . وجاء بنفسه في عسكر الفرس الى القسطنطينية وحاصرها وضيق عليها . ولما خزرويه المرزبان فسار الى الشام وخرّب البلاد . واجتمع جود طهرية وإخيل وناصره وصور وأعانوا الفرس على قتل النصارى وخراب الكنائس . فنهبوا الأموال وأخذوا قطعة من الصليب وعادوا الى كسرى بالسي وفيهم زخرياً بطرك القدس . ولما انتهى أبرويز في حصار القسطنطينية خابته وضيق عليها اجتمع البطارقة بعلوقيا وبعثوا السفن مشحونة بالأنفوس مع فرقل احد بطارقة الروم ففرحوا به ومالوا اليه وداخلهم في الملك . وثاروا على فوقاس سبب هذه الفتنة وقتلوه . ومأسراً فرقل فارتحل أبرويز عن القسطنطينية راجعاً الى بلاده . وملك هرقل بعد ذلك إحدى وثلاثين سنة وكان ملكه أول سنة من الشجرة . وفي سابعة الشجرة بعث عساكر الفرس ومقدمهم مرزبان شهر يار قدوخ بلاد الروم وحاصر القسطنطينية ثم تفرق له . فكتب الى الراية معه بالقبض عليه وأنفق وقوع الكتاب بيد هرقل فبعث به الى شهر يار فانتقض ومن معه وطلبوا هرقل في المدد فخرج معهم بنفسه في ثلاث مائة ألف من الروم وأربعين ألفاً من الأرمن وسار الى بلاد الشام والجزيرة وافتتح مدائنهم التي كان ملكها كسرى من قبل وفيها افتتح أرمينية . ثم سار الى الموصل فلقى جموع الفرس وقائدهم المرزبان فاخربوا . وقتل وأجفل أبرويز عن المدائن واستولى هرقل على ذخائر ملكهم . وكان شيرويه بن كسرى محبوساً فأخرجه شهر يار وأصحابه وسكوه وعقدوا مع هرقل الصلح واسترجع الصليب (لابن العصيد)

تم بحوله تعالى

وجه	وجه
٤٤	٣
٤٦	٣
٥٩	٤
٦٢	٥
٦٧	٦
٦٧	٧
٦٩	٨
٧٢	٩
٧٢	٩
٧٤	١٠
٧٥	١١
٧٨	١٣
٧٩	١٥
٧٩	١٥
٨٠	١٧
٨١	١٧
٨٢	١٨
٨٣	١٨
٨٤	٢٢
٨٦	٢٤
٨٧	٣٠
٨٨	٣٣
٨٩	٣٩
٩٠	٤٠
٩١	٤٣
المراي	الباب الأول في التدين
الباب الثالث في الحكم	في الاخلاص من تعان واشتاء عليه
نخبة من ارجوزة ابن مكناس	تأريه الخالق تعالى
حكمه لعبد المظيف البغدادي	عظمة الخالق
الباب الرابع في الامثال نسايرة	رحمة الله
من نثر اللالي لعملي بن أبي طالب	محبة الخالق
نخبة من كتاب غرر الحكم	حمد الله
نخبة امثال انتفاع الايشي	الرجاء بالله والتوكل عليه
نخبة امثال اوردها جاء الدين العاملي	الدعاء الى الله
ايات تتشبهل بها تعرب لشعراء مختلفين	العفو من الله
الباب الخامس في الامثال عن السنة	اغراء بايثار الدين
الحيوانات	ذكر فروع شجرة الايمان اي الاعمال
اشعلب والديك	الحجاج والاعراي
الاسد والنعاب والذئب الزام	الصلاة
رحل وقبرة	لذات الجنة
الكب والظبل الصياد والصدقة	الباب الثاني في الزهد
العصفور والقمع	حد الزهد
الغراب والسنور والسر	ذلة الدنيا
العابد والدترتان بطشان وسلخفاة	الراهب والمسافر
اعى ومقعد الحمامتان	زوال اندنيا
العابد والكب	خطبة الى الدرداء الى اهل الشام
تاجر ومستودع عنده	لوائب الدهر
يراعة وقرود	ذكر الموت
شريكان	في اخوف
رجل وابن عرس	في التوبة
	دعاء

وجه	وجه
١٣٧	٩٢
١٣٨	٩٤
١٤٠	الباب السادس في الفضائل والنقائص ٩٦
١٤١	الصبر ٩٦
١٤٢	الحلم ١٠٠
١٤٣	العدل ١٠٣
١٤٥	الوفاء ١٠٤
١٤٦	الصدقة والخلة ١٠٥
١٤٧	المشورة ١٠٩
١٤٨	كتاب السر ١١٠
١٤٨	الصمت وحفظ اللسان ١١١
١٤٩	الكذب ١١٢
١٥٠	التواضع والكبر ١١٥
١٥١	الحسد ١١٧
١٥٢	ذم الغيبة ١١٨
١٥٣	المزاح ١١٩
١٥٤	الكبر ١٢٠
١٥٧	الشكر ١٢٢
١٦٠	البطالة ١٢٣
١٦٣	ذم التبرؤ العزلة ١٢٥
١٦٤	الباب السابع في الذكاء والادب ١٢٧
١٦٤	العقل ١٢٧
١٦٥	العلم وشرفه ١٢٨
١٦٧	شرائط العلم آفات العلم ١٣٠
١٦٨	الادب ١٣٣
١٧٠	تأديب الصغير ١٣٥
١٧١	ما ينبغي للوالد في تربية ابنه ١٣٦
١٣٧	الادب في الظاهر والحديث والاستماع
١٣٨	الادب في المجاسة
١٤٠	الادب في الماشاة والاكل
١٤١	الكتاب والقلم الشعر
١٤٢	الباب الثامن في اللطائف
١٤٣	الاعرابي والسور
١٤٥	دعوة اكثم بن صيفي لاولاده
١٤٦	الاعرابي الشاعر والخليفة
١٤٧	شقيق والبطيخة
١٤٨	ابرهيم الموصلية عند البرامكة
١٤٨	الروم يموت احد الخفاء
١٤٩	الرشيد والذكي
١٥٠	الملك وسائق الخمار
١٥١	عمر بن الخطاب والصمصامة
١٥٢	ازهر وابو جعفر المنصور
١٥٣	المستعطي بالحرم
١٥٤	السائل وعبيد الله بن عباس
١٥٧	الندجاجة المدفونة في بقعة مباركة
١٦٠	وعد عرقوب
١٦٣	عين ابصرت بقلمها
١٦٤	الفلاح الحكيم
١٦٤	عقو معن بن زائدة عن امراء
١٦٥	المتنبي والكتاب
١٦٧	ذكاء المأمون
١٦٨	عبد الملك بن مروان والحجاج
١٧٠	ان للعالم خلفا
١٧١	الباب التاسع في الحكايات

وجه	وجه	بزرجمهر في حبسه
٢٠٦	١٧٢	المدعو الى الحواشي وسائل
٢٠٧	١٧٢	عني بن بني رافع وابنة علي
٢٠٨	١٧٣	الحلاوة المذخرة
٢٠٩	١٧٤	جرام جور والمراعي
٢١٠	١٧٥	الملوك الممط بحجون
٢١١	١٧٥	الشباب السارق
٢١٢	١٧٦	المأمون والفقيه
٢١٤	١٧٧	الادب يرفع بالخال
٢١٤	١٧٨	عدلة انوشروان في بناية الايوان
٢١٥	١٨٠	الغلام والتعب
٢١٧	١٨٠	الثوب المبيع
٢١٧	١٨١	كسرى انوشروان والمؤدب
٢٢٠	١٨٢	الحادي والخارجي
٢٢٠	١٨٣	المنصور وابو عبد الله
٢٢١	١٨٣	القاضي والنصراني الحسن
٢٢٢	١٨٤	اجارة ممن لرجل استغاث به
٢٢٤	١٨٦	ملك الفرس وصاحب المطبخ
٢٢٥	١٨٧	الرشيد والدمشقي
٢٢٦	١٨٨	استقامة رجل اشتكى عليه ظناً
٢٢٦	١٩٥	غيلان بن سمة عند كسرى
٢٢٨	١٩٧	المأمون وراثي ابرامكة
٢٣١	١٩٨	
٢٣٣	٢٠٣	الباب العاشر في الفكاهات
٢٣٥	٢٠٣	العائد والمريض
٢٣٦	٢٠٤	الطبخ المفضل
٢٤٧	٢٠٥	الاعرابي وجرو الذئب
٢٤٧	٢٠٥	ابو دلامة وابن سليمان في الصيد

وجه	وجه	ذم السفر
٢٨٣	٢٥٠ حبة	سفر ابن بطوطة الى القسطنطينية
٢٨٥	٢٥١ السحاب	الباب الثالث عشر في عجائب المخلوقات
٢٨٦	٢٦٤ غل	في سكان السموات وهم الملائكة
٢٨٧	٢٦٥ السمك الدلزين	في حقيقة العناصر وطبائعها وترتيبها
٢٨٨	٢٦٥ الباب الرابع عشر في التاريخ	فصل في فوائد الجبال وعجائبها
٢٨٨	٢٦٦ ذكر دولة الكلدانيين	المدنات
٢٨٩	٢٦٧ ذكر الفرس ودولهم	نذهب الحديد
٢٩١	٢٦٧ نظر في دولة اليونانيين وفلاسفهم	الشجر
٢٩٣	٢٦٩ ملك اسكندر ذي القرنين	اللسان
٢٩٤	٢٧٠ ذكر الرومانيين ومبادئ دولتهم	الحماير
٢٩٥	٢٧١ الخبر عن تخريب قرطاجنة	الموز
٢٩٦	٢٧٢ حل الظياريين في وفاة ارغسطس	القافل
٢٩٧	٢٧٣ دولة القياصرة بني اغسطس	النجوم
٢٩٩	٢٧٤ دولة فلانيوس اسباسيانوس وبنييه	البامية
٣٠١	٢٧٥ دولة الانطونيين	جنس الحيوان
٣٠٣	٢٧٥ دولة القياصرة السوريين	الانسان
٣٠٤	٢٧٥ الحكم الفوضوي	النعم
٣٠٥	٢٧٦ القياصرة الاثريين الى قسطنطين الملك	الجاموس
٣٠٧	٢٧٧ ملك قسطنطين	فليبي المسك
٣٠٨	٢٧٨ مجمع نيقية	السباع
٣١٠	٢٧٨ موت قسطنطين وقتل بنييه	فرس ابن آوى الخنزير
٣١٢	٢٧٩ ملك يوفيانس وولنتيانس ووالنس	نذاب السور
٣١٣	٢٨١ تتمة تاريخ الروم	السور
٣١٣	٢٨١ ملك اغراتيانوس وناوداسيوس	الطيور
٣١٤	٢٨١ ملك ارقاذيوس وانوريوس	ابو براقش
٣١٤	٢٨٢ تاودوسيوس ومرقيان	نذوك
٣١٥	٢٨٣ انسطاس ويوسطينوس وبرسطينيانس	نقيرة
٣١٦	٢٨٣ مورقي وفوقاس وشرقل	الحوام والحشرات